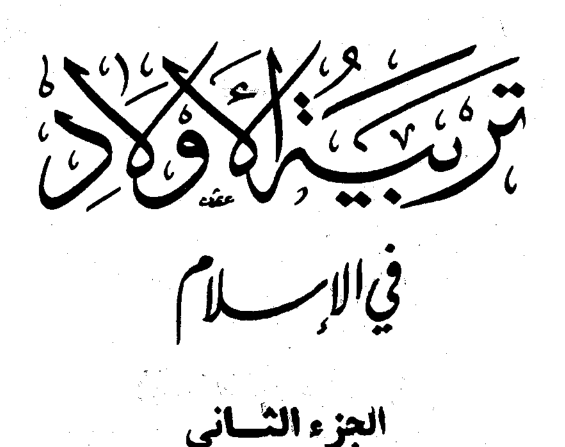


عبد الله ناصح علوان
أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

الناشر
دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

١٢٠ شارع الأزهر تلفون ٩٣٢٨٢٠ ـ ٢٦٣١٥٧٨
ص . ب ١٦١ الغورية ـ فاكس ٢٦٢١٧٥٠

الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م
الطبعة الحادية والعشرون ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الفصل السابع

٧ – مسؤوليَّة التربيَةِ الجنسيَّة [١]

المقصود بالتربية الجنسية تعليم الولد وتوعيته ومصارحته منذ أن يعقل القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة ، وتتصل بالزواج .. حتى إذا شب الولد وترعرع وتفهّم أمور الحياة عرف مايحل ، وعرف مايحرم ، وأصبح السلّوك الإسلامى المتميز خلقاً له وعادة ، فلا يجري وراء شهوة ، ولايتخبط في طريق تحلل ..

وأرى أن هذه التربية الجنسية التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويركزوا عليها .

تقوم على المراحل التالية :

● في سن مابين (٧–١٠) سنوات الذي يسمى بسن التمييز يُلقن الولد فيه آداب الاستئذان ، وآداب النظر .

● وفي سن مابين (١٠–١٤) سنة الذى يسمى بسن المراهقة يُجنّب الولد فيه كل الاستثارات الجنسية .

● وفي سن مابين (١٤–١٦) سنة الذى يسمى بسن البلوغ يعلّم الولد فيه آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيئاً للزواج .

● وفي سن مابعد البلوغ الذي يسمى بسن الشباب يعلّم الولد فيه آداب الاستعفاف إذا كان لايقدر على الزواج .

---

(١) تتمة المجلد الأول إضطررنا لإلحاقه بالمجلد الثاني للفارق الكبير في عدد الصفحات بين المجلدين وللزيادة التي طرأت على المجلد الأول .

● وأخيراً : (هل يجوز مصارحة الولد جنسياً) وهو في سن التمييز ؟

والآن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه البحوث مرتبة مفصلة . لتعرف كيف تأمر ولدك بها . وتوجهه إليها ؟ ولتعلم أيضاً أن هذا الإسلام العظيم لم يترك جانباً من جوانب التربية إلا وقد أرشد المربين إليه . ودلهم عليه !! . لتقوم بمسؤوليتك كاملة تجاه من جعل الله في عنقك حق التربية والتوجيه ...

وإليك هذه البحوث مرتبة في مراحلها وعلى الله قصد السبيل :

١ – آداب الاستئذان :

لاأريد أن أبحث معك – أخي المربي – أدب الاستئذان في هذا الفصل الذي بين يديك لكوني بحثته مفصلًا في الفصل الذي قبله .

ولكن الذى أريد أن أتعرّض له هو تعويد الولد أصول الاستئذان على الأهل فى أوقات يكون الرجل أو المرأة في حالة لايحب أن يطلع عليها أحد من الأولاد الصغار .

والقرآن الكريم قد فصل هذا الأدب الأسري بأوضح بيان حين قال :

﴿ يأيُّها الذين آمنوا ليستأذِنكم الذين مَلَكَتْ أيمانُكم والذين لم يبلُغوا الحُلُمَ منكم ثلاث مراتٍ : من قبل صلاةِ الفجرِ ، وحين تضَعُونَ ثِيابَكم من الظهيرة ، ومن بعدِ صلاةِ العشاء ثلاثُ عوراتٍ لكم ليسَ عليكم ولاعليهم جناحٌ بعدهن طوَّافُون عليكم بعضكُم على بعضٍ كذلك يُبيِّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، وإذا بَلَغَ الأطفالُ منكُمُ الحُلُمَ فليستأذنوا كما استأذنَ الذين من قَبلهم .. ﴾ .

(النور : ٥٨ – ٥٩)

فالله سبحانه يرشد المربين في هذا النص إلى أصول التربية المنزلية في استئذان الصغار على أهليهم حينما يكونون في سن ماقبل البلوغ .

وهذا الاستئذان يكون في ثلاثة أحوال :

الأول : من قبل صلاة الفجر لأن الناس إذ ذاك يكونون نياما في فرشهم .
الثاني : وقت الظهيرة لأن الإنسان قد يضع ثيابه في تلك الحال مع أهله .
الثالث : من بعد صلاة العشاء لكون الوقت وقت نوم وراحة .

ولايخفى مافي الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة من تعليم الولد أصول الأدب مع الأهل حتى لايفاجأ الولد إذا دخل باطلاع على حالة لايحسن أن يرى أهله فيها ..

أما إذا بلغ الأولاد سن الرشد والبلوغ فعلى المربين أن يعلموهم آداب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وإذا بَلَغ الأطفال منكم الحُلُمَ فليستأذِنوا كما استأذَن الذين من قبلهم ﴾
والذي عنده دراية فى أصول التربية وقواعدها يعلم بيقين أن هذه اللفتات القرآنية تدل دلالة واضحة على أن الإسلام اهتم اهتماما بالغا في تربية الولد منذ أن يعقل على الحياء الممدوح ، والسلوكية الاجتماعية الخيّرة ، والأدب الإسلامي الرفيع .. حتى إذا بلغ الولد سن الشباب كان النموذج الحي في كريم أخلاقه ، وحميد فعاله !! .

وكم تكون الفضيحة بالغة حين يدخل الولد إلى غرفة النوم فجأة ويرى أبويه في اتصال جنسي ، ثم يخرج ويحدث أصدقاءه الصغار بما رأى ؟ وكم يكون الولد منذهلا كلما عادت الصورة إلى ذهنه ، وتخيل المشهد في خاطره .؟ .

وكم ينحرف الولد اذا تحسس الميل إلى الجنس الآخر وسبق أن رأى كيف يكون الاتصال ، وتتم اللذة ؟ .

فما على المربين إلا أن يأخذوا بأدب القرآن الكريم في تلقين الولد منذ أن يعقل آداب الاستئذان إذا أرادوا لأولادهم الخلق الفاضل ، والشخصية الإسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير !! ..

٢ – آداب النظر :

ومن القضايا الهامة التي يجب أن يركز المربي عليها ، ويهتم لها أن يعود الولد في سن تمييزه آداب النظر حتى يعلم الولد مايحل من النظر إليه ومايحرم .. وفى ذلك صلاح أمره ، واستقامة أخلاقه إذا شارف على البلوغ ، وبلغ سن التكليف ..

وهذه الآداب من النظر التي يجب أن يُلقَنها ويعود عليها مرتبة كما يلي :

(أ) أدب النظر إلى المحارم :

كل امرأة تحرم على الرجل حرمة مؤبدة فهي من ذوات محارمه .
وكل رجل حرم على المرأة الزواج منه حرمة مؤبدة فهو من ذوي محارمها .

وعلى هذا يدخل في المحارم :

● **المحرمات بسبب النسب** : وهن سبع نسوة ذكرهن الله تعالى بقوله :

﴿ حُرِّمَتْ عليكم أُمهاتُكُم وبَناتُكم وأخواتُكم وعمَّاتُكم وخالاتُكم وبناتُ الأَخِ وبناتُ الأخت ﴾
(النساء : ٢٣)

● **والمحرمات بسبب المصاهرة** : وهن أربع من النسوة :

١ – زوجة الأب لقوله تعالى : **﴿ ولَاتنكِحوا مَانَكَحَ آباؤُكُم من النساء .. ﴾**
(النساء : ٢٢)

٢ – زوجة الابن الذى من صلبه **﴿ وحلائِلُ أبنائِكُم الذين من أصْلَابِكُم ﴾**
(النساء : ٢٣)

٣ ـ أم الزوجة لقوله تعالى : ﴿ **وأُمهاتُ نِسائِكُم** ﴾

(النساء : ٢٣)

٤ ـ بنت الزوجة لقوله تعالى : ﴿ **ورَبائِبكُم اللاتي في حُجُورِكُمْ من نسائكم اللاتي دخلتُم بِهنَّ فإنْ لم تكُونوا دَخلتَم بهنَّ فلا جُنَاح عليكم** ﴾

(النساء : ٢٣)

● **المحرمات بسبب الرضاع** [١] لقوله تعالى : ﴿ **وأُمهاتُكُم اللاتِي أرضَعنكُم وأَخواتُكُم من الرضاعة** ﴾

وقوله عليه الصلاة والسلام : ـ فيما رواه مسلم وأصحاب السنن ـ « يحرم من الرضاع مايحرم من النسب » .

فما حُرم عن طريق النسب من أم وبنت وأخت وعمة وخالة وبنت الأخ وبنت الأخت حرم نظيره عن طريق الرضاع كالأم من الرضاع ، والبنت من الرضاع ، والأخت من الرضاع .. وهلمَّ جرا .

فالمَحْرَم الذكر ـ كما جاء في الكتاب والسنة ـ يجوز له أن ينظر من ذوات محارمه إلى مايظهر منهن غالباً كالرقبة ، والرأس ، والكفين ، والقدمين ، ونحو ذلك ، وليس له النظر إلى مايستتر غالباً كالصدر ، والظهر ، والبطن .. ونحو ذلك .

أما الكتاب : فلقوله تبارك وتعالى : ﴿ **ولا يبدين زينتهن** [٢] **إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن ..** ﴾

(النور : ٣١)

ويستثنى من الآية « البعولة » وهم الأزواج ، فيجوز للزوج ، ويجوز للزوجة ـ كما سيأتي ـ أن يرى من بعضهما كل شيء بشهوة أو بغير شهوة للنصوص التي سيأتي ذكرها في أدب النظر إلى الزوجة .

---

(١) الرضاع المحرم ولو مصة عند فقهاء الحنفية ، وخمس رضعات معلومات عند فقهاء الشافعية ، والأحوط ماذهب إليه الحنفية .

(٢) المقصود من إبداء الزينة إلى ما يظهر غالباً من النساء المحارم كالرقبة ، والرأس ،والكفين ، والقدمين .. ونحو ذلك .

وأما في السنة : فلما روى أبو داود وغيره أن سهلة بنت سهيل قالت : يارسول الله إنا كنا نرى « سالماً » ولداً ، وكان يأوي معي ومع أبي حذيفة في بيت واحد ، ويراني فضلاً (أي في ثياب البذلة بلا حجاب) ، ولقد أنزل فيهم ماعلمت فكيف ترى فيه ؟ فقال لها النبي ﷺ : « أرضعيه خمس رضعات » فكان سالم بعد الرضاع بمنزلة ولدها ، وهذا دليل على أنه كان ينظر منها بعدما كبر إلى ما يظهر غالباً كالرأس ، والعنق ، والكفين ، والقدمين ، ونحو ذلك ..

والإسلام لم يجوّز النظر إلى المحارم إلى مايستر غالباً ، لأن الحاجة لاتدعو إلى النظر إليه ، ولا تؤمَن معه الشهوة ، ولا تليق بشهامة الرجولة ، ولا تتفق مع عفاف الأنوثة .. بل يعتبر ذلك درءاً للفتنة ، وسداً للذريعة .. لأن مَنْ حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه ..

فيحرم على المحرم الذكر - ولا سيا إذا بلغ سن المراهقة - أن يرى أحد محارمه من النساء وقد ارتدت الثياب القصيرة التي ارتفعت إلى مافوق الركبتين ، وكشفت عن الفخذين .. أو ارتدت ثوباً يصف أو يشفّ ماتحته وبدت العورة التي يحرم النظر إليها ، كما يحرم على البنت أو المرأة أن ترى ذلك - بين السرة والركبة - من أحد محارمها ولو كان ابنها . أو أخاها ، أو أباها .. وإن أمنت الفتنة ولم تخف الشهوة ولو من أجل التغسيل والتّدليك في الحمام .

﴿ تلك حُدُودُ الله فلا تعتَدُوها ومن يتَعدَّ حُدُودَ الله فأُولئك هم الظّالمون ﴾
(البقرة : ٢٢٩)

(ب) أدب النظر إلى المخطوبة :

الشريعة الإسلامية أجازت للخاطب أن ينظر إلى مخطوبته ، كما أجازت للمخطوبة أن تنظر إلى خاطبها ليكون كل من الاثنين على بينة من الأمر في اختيار شريك الحياة . والأصل في ذلك قول النبي ﷺ - فيا رواه مسلم .. للمغيرة بن شعبة : « أنظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » أي هذا النظر أدعى لدوام المحبة والألفة .

وروى مسلم والنسائي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ أنظرت إليها ؟

قال : لا ، قال : « أنظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً » (يعني الصفر) ولكن لهذا النظر آداب فعلى الخاطب أن يراعيها .

١ - لايجوز أن ينظر الخاطب إلا إلى الوجه والكفين بعد أن يعزم على الزواج منها .

٢ - يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة حتى تنطبع الصورة الحسية في الذهن .

٣ - يجوز أن تحدثه ، ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة والنظر .

٤ - لايجوز مصافحة المخطوبة بحال لكونها أجنبية قبل إجراء العقد ، والأجنبية يحرم مصافحتها لما روى البخارى عن عائشة : مامست يد رسول الله ﷺ يد امرأة في المبايعة قط ، وإنما مبايعتها كانت كلاماً .

٥ - لايجوز أن يجتمعا الا بوجود أحد محارم المخطوبة لأن الاسلام يحرم الخلوة بالأجنبية ، لما روى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : « ألا لايخلونّ رجل بامرأة ، ولاتسافرنّ إلا ومعها ذو محرم » .

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن ما انتشر في بعض الأوساط المتحللة من أن الخاطب يختلط بخطيبته بلا حدود ولاقيود بدعوى التعرف على أخلاقه وأخلاقها .. إنّ هذه الدعوى يرفضها الإسلام ، بل يحاربها .. لكونها تتنافى مع أبسط مبادىء الفضيلة والأخلاق .. لأن هذه الخلطة تسيء إلى سمعة المخطوبة أكثر من أن تسيء إلى سمعة الخاطب ، فقد لايتم الزواج فتصبح الفتاة عرضة للتهمة ، ومثاراً للشبهة .. مما يجعل الكثير من الناس في إعراض تام عن الزواج منها .. ومعنى هذا أنها أصبحت عانساً في سوق الكساد . ومن ناحية أخرى فإن هذه الخلطة الآثمة لن تحقق أهدافها للتكلّف الظاهر الذي يبديه كل واحد منهما إلى الآخر، وكم سمعنا عن رجال ونساء بقوا فى الخطوبة سنين ، فلم تمض فترة زمنية على الزواج من بعضهم بعضاً وإذ تحدث الفرقة ، ويقع الطلاق !! .. فأين التعرف على الأخلاق بخلطة الخطوبة ؟ ألا فليتذكر أولو الألباب ..

(ج) أدب النظر إلى الزوجة :

فيجوز للزوج أن يرى من زوجته كل شيء بشهوة أو بغير شهوة .. لأنه لما جاز المس والجماع فلأن يجوز مادونهما وهو النظر إلى جميع بدنها من باب أولى ، وإن كان

الأفضل ألا ينظر أحدهما إلى عورة صاحبه لحديث عائشة رضي الله عنها : « قُبِضَ رسول الله ﷺ ولم ير مني ولم أر منه » (١) ، والأصل في جواز الرؤية لكل شيء مارواه أبو داود والترمذي والنسائي عن معاوية بن حيدة قال : قلت يارسول الله : عوراتنا مانأتي منها ومانذر ؟ قال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وقال تعالى : ﴿ **والذين هُم لفُرُوجِهم حَافِظُون إلَّا على أزواجِهِم أو ماملَكَتْ أيمانُهم فإنهم غَيرُ ملُومِين** ﴾ .

المؤمنون (٥ -٦)

(د) أدب النظر إلى المرأة الأجنبية :

لايجوز للرجل البالغ أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت غير مشتهاة ولكن ماهي المرأة الأجنبية وماهو الرجل الأجنبي ؟ .

الرجل الأجنبي : هو من يحل للمرأة الزواج منه كابن عمها . وابن عمتها ، وابن خالها ، وابن خالتها ، وزوج أختها ، وزوج خالتها ..

والمرأة الأجنبية : هي من يحلّ للرجل الزواج منها كابنة عمه . وابنة عمته . وابنة خاله ، وابنة خالته ، وزوجة أخيه ، وزوجة عمه ، وزوجة خاله ، وأخت زوجته وعمتها وخالتها ...

ويلحق بالرجل الصبيّ إنْ كان مراهقاً أو مميزاً يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، فلا يجوز لأحدهما النظر إلى المرأة الأجنبية ..

---

(١) انظر فتح القدير ج ٨ (كتاب الحظر ، فصل النظر) .

والأصل في تحريم النظر قوله تبارك وتعالى : ﴿ **قُل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظُوا فُرُوجَهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ، وقل للمُؤمنَاتِ يغضُضْنَ من أبصارِهن ويحفظنَ فُرُوجَهُن ...** ﴾

(النور : ٣١)

أما الأحاديث :

– فقد روى الطبراني والحاكم ، وقال الحاكم صحيح الإسناد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : « النظرة سهم من سهام ابليس ، من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا يجد حلاوته في قلبه » .

– وروى أحمد والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مامن مسلم ينظر إلى محاسن امرأة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه » .

– وروى أحمد وابن حبان في صحيحه والحاكم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم » .

– وروى الشيخان .. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنى فهو مدرك لامحالة ، العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوى ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه » .

– وروى مسلم والترمذي .. عن جرير رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة فقال : « اصرف بصرك» .

– وروى أبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كنت عند رسول الله ﷺ ، وعنده ميمونة . فأقبل ابن أم مكتوم . وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب . فقال النبي ﷺ : « احتجبا منه » . فقلنا : يارسول الله أليس هو أعمى لايبصرنا ولايعرفنا ؟ فقال النبي ﷺ : « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » .

فهذه النصوص تؤكد تأكيداً تاماً بما لايقبل الجدل أن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية حرام ، وأن نظر المرأة إلى الرجل الأجنبي حرام أيضا إذا كانا في مجلس واحد وترتب من النظر فتنة .

(ولاشك أن الغاية التى يهدف إليها الإسلام من غض البصر – كما يقول صاحب الظلال – هو اقامة مجتمع نظيف لاتهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تستثار فيه الغرائز في كل حين) .

فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي بالإنسان إلى سعار شهواني لاينطفىء ولايرتوي ، والنظرة الخائنة . والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة ، والجسم العاري .. كلها لاتصنع شيئا إلا ان تهيج ذلك السعار الشهواني المجنون واحدى وسائل الإسلام إلى انشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة وابقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوة الطبيعة دون استثارة مصطنعة .

لقد شاع فى وقت من الأوقات أن النظرة البريئة ، والحديث الطلق ، والاختلاط الميسور . والدعابة المرحة بين الجنسين ، والإطلاع على مواضع الفتنة المخبوءة ... شاع أن هذا تنفيس وترويح ، واطلاق للرغبات الحبيسة .

ووقاية من الكبت ومن العقد النفسية . وتخفيف من حدّة الضغط الجنسي وماوراءه من اندفاع غير مأمون ... ولكن نسي هؤلاء الذين يتمسكون بمثل هذه النظريات والأفكار أن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق في التكوين الحيوي ، لأن الله سبحانه قد ناط به امتداد الحياة على هذه الأرض ، وتحقيق الخلافة لهذا

الإنسان فيها ، فهو ميل دائم يسكن فترة ثم يعود ، واثارته في كل حين تزيد من عرامته ، وتدفع إلى الإفضاء المادي للحصول على الراحة . فإذا لم يتم هذا تعبت الأعصاب المستثارة وكان هذا بمثابة عملية تعذيب مستمرة .

فالنظرة تثير ، والحركة تثير ، والضحكة تثير ، والدعاية تثير ، والنبرة المعبرة عن هذا الميل تثير ... (والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يلبي تلبية طبيعية عن طريق الزواج المشروع ، وهذا هو المنهاج الذي اختاره الإسلام وارتضاه للجنس البشري ليتم له هدوؤه النفسي . واستقراره الفكرى . وراحته العصبية ، ورباطه السليم الذي يربط بين سائر أبناء الإنسان ...) ! – أهـ .

وما أحسن ماقال بعضهم في استثارة النظر :

كل الحوادث مَبْداها من النظر   ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها   فعل السهّام بلاقوس ولاوَتر
والمرء مـــادام ذا عَيْنٍ يقلّبهـــا   في أعين الغيـد مـوقـوف على خطر
يسرّ مقلتـه ماضرّ مهجتَـه   لامرحباً بسرور عاد بالضَّرر

وصدق رسول الله ﷺ القائل :– فيما رواه الطبراني « ثلاثة لاترى أعينهم النار : عين حرست في سبيل الله ، وعين بكت من خشية الله ، وعين كفّت عن محارم الله » .

(هـ) أدب نظر الرجل إلى الرجل :

لايجوز أن ينظر الرجل إلى الرجل فيما بين سرتّه إلى ركبته سواء أكان الرجل المنظور اليه قريبا أم بعيدا وسواء أكان مسلما أو كافرا .. ؟

أما ما عدا ذلك كالبطن والظهر والصدر .. فانه يجوز إذا أمن الناظر الشهوة ..

والأصل في حرمة هذا ما رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة ..»

وما رواه أحمد وأصحاب السنن .. « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ماملكت يمينك » .

وأخرج الحاكم عنه عليه الصلاة والسلام : « ما بين السرة والركبة عورة » .

وروى الحاكم أن النبى ﷺ رأى رجلا مكشوف الفخذ ، فقال له موجهاً ومرشداً : « غط فخذك فان الفخذ عورة » ، وفي رواية الترمذي (الفخذ عورة) .

فمن هذه النصوص يتبين :

أنه لايجوز للرجل أن يكشف جزءاً من سرته إلى ركبته لا في رياضة ، ولا في سباحة ، ولا في تدريب ، ولا في حمام .. وإن أمن الشهوة .. وإذا أمره أحد في كشف جزء من عورته فعليه ألا يطيعه للحديث : « لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

أما مانسب إلى المالكية بأن العورة هي السوأتان فقط ، وماعدا السوأتان يجوز كشفه .. فهذا الادعاء غير صحيح بل هو من الجهل والتضليل .

ان العورة عند المالكية تقسم إلى قسمين :

١ – عورة بالنسبة للصلاة .
٢ – وعورة بالنسبة للنظر .

أما العورة بالنسبة للصلاة فتنقسم إلى قسمين :
عورة مغلظة : وهي السوأتان (القبل والدبر) .
عورة مخففة : وهي مابين السرة إلى الركبة .

– فالعورة المغلظة إذا كشفت في الصلاة تعاد مطلقاً سواء أخرج وقتها أم لم يخرج .؟

– والعورة المخففة إذا كشفت في الصلاة تعاد في الوقت فقط ، أما إذا خرج وقتها فلا تعاد .

أما العورة بالنسبة للنظر : فيحرم كشفها سواء أكانت مغلظة أم كانت مخففة .
– فعورة الرجل مع رجل آخر مابين سرته إلى ركبته .
– وعورة المرأة مع المرأة إذا كانتا مسلمتين مابين السرة والركبة .
– وعورة المرأة المسلمة مع المرأة الكافرة كلها عورة ماعدا الوجه والكفان في قول ، وجميع بدنها في قول آخر .
–وعورة المرأة مع محارمها هي غير الوجه وغير اليدين وغير الرأس وغير العنق وغير ظهر القدمين .. أما ماعدا ذلك فهو عورة لاتحل النظر إليه (١) ...

فيتبين من هذا النص الفقهى المالكي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم متفقون على أن عورة الرجل مع الرجل هي مابين السرة والركبة ، وبناء على هذا يحرم النظر فيما بينهما ، ويحل النظر فيما عدا ذلك (٢) .

---

(١) هذا هو مذهب المالكية ، انتهى ملخصاً من (حاشية الدسوقي على الشرح الكبير) .

(٢) ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ غزا خيبر ، قال (أى أنس) فصلينا عندها صلاة الغداة ، **فركب نبي الله** ﷺ ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة ، **فأجرى نبي الله** ﷺ في زقاق خيبر ، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ، وانحسر الإزار عن فخذ نبي الله ﷺ وإني لأرى بياض فخذ نبي الله ﷺ ...

حديث أنس هذا محمول – كما قال الإمام النووى في شرح مسلم :–
(على أن فخذه عليه الصلاة والسلام انحسر (أى انكشف) بغير اختياره لضرورة الإغارة والإجراء .. وليس فيه أنه استدام كشف الفخذ مع امكان الستر ، وأما قول أنس فإني لأرى فخذه ﷺ فمحمول على أنه وقع بصره عليه فجأة لأنه تعمده) أهـ .

واحتج ابن حزم الظاهري بحديث أنس على أن فخذ الرجل ليس بعورة ولكن الفقهاء ردوا عليه بوجوه : =

(و) أدب نظر المرأة إلى المرأة :

لايجوز أن تنظر المرأة إلى المرأة مابين سرتها إلى ركبتها سواء أكانت المرأة المنظورة إليها قريبة أم بعيدة ؟ وسواء أكانت مسلمة أم كافرة ؟

والأصل في ذلك الحديث الذي سبق ذكره : « لاينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة » والحديث الذى رواه الحاكم : « مابين السرة والركبة عورة » ، وحديث « الفخذ عورة » .

فمن هذه النصوص تبين :

يحرم على المرأة أن تنظر إلى فخذ ابنتها أو أختها أو أمها أو جارتها أو صديقتها .. لافي حمام ولافي غيره ..

---

١ – ثبت من عدة أحاديث أن فخذ الرجل عورة ، أقواها مارواه مالك وأحمد وأبو داود والترمذى وذكره البخاري في صحيحه معلقا عن جَرْهَد قال : مرّ عليّ رسول الله ﷺ وعليّ بردة وقد انكشفت فخذي ، فقال : (غَطّ فخذيك فإن الفخذ عورة) ..

٢ – قال علماء الأصول : إذا تعارض حديثان . فإذا أمكن التوفيق بينهما وفق . وقد وفق النووي بين حديث أنس وحديث جرهد حيث حمل حديث أنس على كشف النبي ﷺ فخذه بغير اختياره لضرورة الإغارة على يهود خيبر كما سبق ذكره ..

٣ – على فرض أنه ماأمكن التوفيق بين الحديثين المتعارضين قال علماء الأصول : (**إذا تعارض المحرم والمبيح رجح المحرم**) . فبناء على هذه القاعدة المعتبرة لدى علماء الأصول أخذ العلماء بجانب حرمة كشف الفخذ من غير ماضرورة .

٤ – ثبت في الصحيحين أن الله سبحانه عصم نبيه عليه الصلاة والسلام من كشف العورة قبل النبوة في حال الصبا . فكيف يقر كشف فخذه بعد النبوة بقصد منه واختيار ؟ .

٥ – الأئمة المجتهدون مجمعون على أن فخذ الرجل عورة . وأن النظر اليه حرام ولم يشذ سوى الظاهرية ومن ذهب مذهبهم .. والأئمة الاعلام ـ كما رأيت ـ ردوا مزاعمهم . وفنّدوا آراءهم ..

٦ – كشف الفخذين من غير ماضرورة لايتفق مع الذوق السليم ، بل يصطدم مع الحياء الإسلامي النبيل . ويتنافى مع أدب الاجتماع ، وأخلاقية الإسلام ..

والحكمة في هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزة وتوقدها حين ترى منظراً مثيراً . أو مشهدا فيه فتنة .. وقد تؤدي هذه الاستثارة الجنسية بالمرأة إلى (السّحاق) الذي هو اتصال المرأة بالمرأة إطفاء لثورة الغريزة فيها . وإخمادا لعرامها ..

ومن علامات الساعة – كما صح في الأحاديث – : « اكتفاء الرجال بالرجال (أى اللواط) . واكتفاء النساء بالنساء (أي السحاق) .

فعلى المسلمات الغيورات أن يتجنبن النظر إلى عورات نساء مثلهن سواء أكان ذلك أثناء خلع الثياب للاستحمام ، أو التدليك في الحمام ، أو في حفلات الأعراس حيث العري السافل والتكشف الممقوت الذي يندى له جبين الحياء !! .

وعلى الرجال الغيورين أن لايأذنوا لزوجاتهم ولالبناتهم في دخول الحمامات العامة لاشتمالها على التكشف والعري والمفاسد كما هو شائع في أوساطنا الاجتماعية اليوم .

والرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك :

– روى النسائي والترمذي وحسنه والحاكم عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته (زوجته) الحمام » .

– وروي الطبراني أن نساء حمص أو الشام دخلن على عائشة رضي الله عنها فقالت : أنتن اللاتي تدخلن نساءكن الحمامات ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها » .

– وروى ابن ماجه وأبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ستفتح عليكم أرض العجم ، وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال إلا بإزار ، وامنعوها النساء إلا مريضة أو نفساء » .

(ز) أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة :

يحرم على المرأة المسلمة أن تكشف شيئا من مفاتنها أمام امرأة كافرة إلا ما يبدو عند المهنة – أى الخدمة – كاليدين والوجه والرجلين لعموم قوله تعالى كما جاء في سورة النور : ﴿ **ولايُبدِين زِينَتهُن إلَّا لبُعولتهن ... أو نِسائهِن ...** ﴾ .

(النور : ٣١)

فمن قوله تعالى : ﴿ **أو نِسائهِن** ﴾ يفهم أن المرأة المسلمة لايجوز أن تبدى زينتها إلا إذا كان بحضرتها نساء مسلمات صالحات ، أما إذا كان في المجلس نساء غير مسلمات أو نساء مسلمات فاجرات فلا يجوز لها إبداء الزينة .

والحكمة في هذا التحريم هو ماجاء في حاشية الدسوقي : (فعورة الحرة المسلمة مع الحرة الكافرة ماعدا الوجه واليدان على المعتمد ، (والحكمة) : لئلا تصفها لزوجها الكافر ، فالتحريم لعارض لالكونها عورة) .

ويحرم كذلك على المرأة المسلمة أن تكشف شيئاً من مفاتن جسمها أمام امرأة مسلمة فاجرة أيضا حتى لاتصف محاسنها عند الرجال .. جاء « في الهدية العلائية » مايلي : (...ولاينبغى للمرأة الصالحة أن تنظر إليها الفاجرة لأنها تصفها عند الرجال فلا تضع (أى المرأة الصالحة) جلبابها ولا خمارها » أهـ .

وللشيخ الوقور العلامة أبي الأعلى المودودي فهم خاص فى قوله تعالى : ﴿ **أو نِسائهن** ﴾ نذكره كما ورد في كتابه (تفسير سورة النور) : (ان المراد بقوله تعالى : ﴿ **أو نسائهن** ﴾ النساء المختصات بهن بالصحبة والخدمة والتعارف سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات . وأن الغرض من الآية أن تخرج من دائرة الأجنبيات اللاتي لايعرف شيء عن اخلاقهن وآدابهن وعاداتهن ، أو تكون أحوالهن الظاهرة مشتبهة لايوثق بها . فليست العبرة فى هذا الشأن بالاختلاف الديني . بل هي بالاختلاف الخلقي . فللنساء المسلمات أن يظهرن زينتهن بدون حجاب ولاتحرج للنساء الكريمات المنتميات إلى البيوت المعروفة الجديرة بالاعتماد على أخلاق أهلها سواء أكنّ مسلمات أو غير مسلمات .

وأما الفاسقات اللاتي لاحياء عندهن ولايعتمد على اخلاقهن وآدابهن فيجب أن تحتجب عنهن كل امرأة مؤمنة صالحة ولو كنّ مسلمات لأن صحبتهن لاتقل عن صحبة الرجال ضرراً على أخلاقها ..) أهـ .

ولكن أين هؤلاء النساء الكريمات غير المسلمات ذوات الأخلاق والفضل فى هذا العصر ؟ في تقديري أن هذا لايوجد إلا في بيئات محدودة فعلى المرأة المسلمة أن تحتاط لدينها وسمعتها مخافة التأثر بأخلاق غير دينها . أو بأخلاق مسلمات مستهترات لايرعين شرفاً ولاحرمة !! ..

(ح) أدب النظر إلى الأمرد :

الأمرد هو الشاب الذى لم تنبت لحيته بعد ، وهو الذي يتراوح عمره مابين (١٠ - ١٥) سنة .

والنظر إلى الأمرد جائز إذا كان لضرورة كالبيع والشراء ، والأخذ والعطاء والتطبيب والتعليم ونحوها من مواضع الحاجة .

أما إذا كان النظر من أجل الالتذاذ بالجمال فهو حرام لكونه يجر إلى الشهوة ويؤدي إلى الفتنة .

ودليل الحرمة قوله تعالى : ﴿ **قل للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارِهم ..** ﴾
(النور : ٣٠)

ولقد بالغ السلف الصالح في الإعراض عن المرد الحِسَان والنظر اليهم ومجالستهم :

- قال الحسن بن ذكوان : (لاتجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء) .

– ودخل سفيان الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : (أخرجوه عني فإني أرى مع كل أمرأة شيطاناً . ومع كل أمرد سبعة عشر شيطاناً) .

– وجاء رجل إلى الامام أحمد ومعه صبي حسن الوجه فقال له :

مَنْ هذا منك ؟

قال : ابن اختي .

قال : (لاتجيء به إلينا مرة أخرى . ولا تمش معه بطريق لئلا يظن بك من لايعرفك ويعرفه سوء) .

– وقال سعيد بن المسيب : (إذا رأيتم الرجل يحدّ النظر إلى الغلام الأمرد فاتهموه) .

والحكمة في تحريم النظر إلى الأمرد من غير ماضرورة هي مخافة الوقوع فى الفاحشة سداً للذرائع ، وحسما للفساد ..

والمسلم التّقي الورع هو الذي يحتاط دائماً لدينه وخلقُه وسمعته ، ويتقي بحذر مواطن التهم ..

(ط) أدب نظر المرأة إلى الأجنبي :

يجوز للمرأة المسلمة أن تنظر إلى الرجال وهم يمشون فى الطرقات أو هم يلعبون ألعابا غير محرمة ، أو هم يتعاطون البيع والشراء ، أو غير ذلك . والدليل على هذا ماثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ جعل ينظر إلى الحبشة وهم يلعبون في حرابهم في المسجد يوم العيد ، وعائشة رضي الله عنها تنظر اليهم من ورائه وهو يسترها منهم حتى ملّت ورجعت وذلك سنة سبع هجرية .

وأما حديث « احتجبا منه » ... « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ » فمحمول على اجتماع أم سلمة وميمونة مع ابن أم مكتوم فى مجلس واحد ، وتحديق بصرهن إليه مقابلة ومواجهة !! .

يقول العلامة أبو الأعلى المودودي فى كتابه (الحجاب) : (إن هناك فرقا دقيقا بين نظر المرأة إلى الرجال) . ونظر الرجال إلى النساء من حيث الخصائص النفسية للصنفين ، وذلك أن في طبيعة الرجل الإقدام فهو إذا أحب شيئا يسعى فى إحرازه والوصول إليه ، ولكن في طبيعة المرأة التمنع والفرار (لحيائها) ، وهي مادامت على فطرتها ولم تنسلخ منها ، لايمكن أن يكون فيها من الجرأة والوقاحة والإقدام ماتتقدم به بنفسها الى شيء تحبه وتعجب به ، وقد راعى الشارع عليه الصلاة والسلام هذا الفرق بين طبعي الصنفين فلم يشدد في النهي عن نظر المرأة إلى الأجنبي تشديده في النهي عن نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ، وقد اشتهر حديث عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ أراها لعب الحبشة بحرابهم في المسجد مما يفيد أنه ليس في نظر النساء إلى الرجال بمحظور على الإطلاق ، وإنما المكروه اجتماع النساء والرجال فى مجلس واحد وتحديق بعضهم إلى بعض ، كنهي أم سلمة وميمونة أن يحتجبا من ابن أم مكتوم – وأيضا لايجوز من النظر مايخاف منه الفتنة) .

ويقول العلامة ابن حجر القسطلاني فى شرح البخاري : (واستدل بهذا الحديث – أي حديث نظر عائشة إلى الحبشة – على جواز رؤية المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي دون العكس ، ويدل له استمرار العمل على خروج النساء إلى المساجد والأسواق والأسفار منقبات لئلا يراهن الرجال ، ولم يؤمر الرجال قط بالانتقاب لئلا يراهم النساء ، فدل على اختلاف الحكم بين الفريقين .

وبهذا احتج الإمام الغزالي للجواز فقال : لسنا نقول إن وجه الرجل في حق المرأة عورة كوجه المرأة فى حق الرجل ، فيحرم نظر المرأة إلى الرجل عند خوف الفتنة ، وإن لم تكن فتنة فلا ، إذ لم تزل الرجال على مر الزمان مكشوفي الوجوه ، والنساء يخرجن متنقبات .. فلو استووا لأمر الرجال بالتنقب أو منعن من الخروج ...

والذي أخلص إليه بعد ماتقدم أن نظر المرأة إلى الأجنبي جائز بشرطين :
الأول : أن لايترتب على النظر مما يخشى منه الفتنة .
الثاني : أن لايكون التحديق في مجلس واحد مواجهة ومقابلة .

(ي) أدب النظر إلى عورة الصغير [١] :

قال الفقهاء : الصغير سواء أكان ذكرا أو أنثى لاعورة له إذا كان ابن أربع سنين فما دونها ، ثم إذ زاد على الأربع فعورته القبل والدبر وماحولهما .. حتى إذا بلغ حدّ الشهوة صارت عورته كعورة البالغ على التفصيل الذي سبق ذكره وكلما عودناه الستر وهو صغير كان أفضل .

(ك) حالات ضرورية يباح فيها النظر :

سبق أن ذكرنا أنه لايجوز للرجل أن ينظر إلى امرأة أجنبية ولو كانت دميمة غير مشتهاة .. سواء أكان النظر بشهوة أو بغير شهوة ؟ .

لعموم قوله تعالى : ﴿ **قُل للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارِهم ويحفَظُوا فُرُوجَهم** ﴾ ولشمول قوله عليه الصلاة والسلام : « اصرف بصرك » [٢] .

ولكن يستثنى من هذا النظر حالات ضرورية ، وأمور طارئة .. نذكرها على الترتيب التالى :

١ - **النظر بقصد الخطبة** : سبق الكلام عليه بشكل مفصل في بحث (أدب النظر إلى المخطوبة) .

---

(١) انظر (ردّ المحتار) لابن عابدين ج١ باب شروط الصلاة .
(٢) روى مسلم أنه عليه الصلاة والسلام حين سئل عن نظر الفجاءة قال « اصرف بصرك » .

٢ – **النظر بقصد التعليم** : يجوز النظر إلى وجه المرأة الأجنبية من غير زينة بقصد التعليم بشرط :

– أن يكون العلم الذي تتعلمه معتبرا شرعاً فيه صلاح الدين والدنيا .

– وأن يكون في حدود اختصاصها كتعليمها أصول التمريض ، وفن الولادة..
– وأن لايخشى من النظر إلى وجهها فتنة .
– وأن لايترتب على التعليم خلوة .
– وأن لايوجد نساء يقمن بالتعليم مقام الرجال .

ولاشك أن الإسلام حين وضع هذه القيود .. أراد تكوين مجتمع نظيف طاهر .. لاتحوم حوله الشبه ، ولاتوجه إليه التهم .. حتى تبقى الفتاة صيّنة طاهرة ، لاتمتد اليها يد بإثم ، ولاتنظر إليها عين بخيانة !! .

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ **ذلك أدنى أنْ يُعرفَنَ فلا يُؤْذَين** ﴾
(الأحزاب : ٥٩)

٣ – **النظر بقصد المداواة** : يجوز أن ينظر الطبيب من الأجنبية إلى المواضع التي يقوم على علاجها ، لما روى مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها استأذنت رسول الله ﷺ في الحجامة فأمر النبي ﷺ أبا طيبة أن يحجمها .

ومعالجة الطبيب للمرأة الأجنبية لاتجوز إلا بشروط :

١ – أن يكون الطبيب تقياً أميناً عدلا ذا اختصاص وعلم .
٢ – أن لايكشف من أعضاء المرأة إلا قدر الحاجة إذا تعين النظر .
٣ – أن لاتكون هناك امرأة مختصة تقوم مقام الطبيب في علمه واختصاصه .
٤ – أن تكون المعالجة بوجود محرم ، أو زوج ، أو امرأة ثقة كأمها أو أختها أو جارتها .
٥ – أن لايكون الطبيب كافرا مع وجود مسلم .

فإذا توفرت هذه الشروط فيجوز للطبيب أن ينظر أو يلمس موضع العورة بالنسبة للمرأة لأن الإسلام دين يدفع عن الناس الحرج . ويجلب لهم المصلحة والتيسير .. فمبدؤه في ذلك ﴿ **وماجَعَلَ عليكُم في الدِّينِ من حَرَجٍ** ﴾ .

(الحج : ٧٨)

﴿ **يريدُ الله بكم اليسرَ ولا يريدُ بكم العُسْرَ** ﴾

(البقرة : ١٨٥)

٤ – النظر بقصد المحاكمة والشهادة : يجوز للقاضي والشاهد أن ينظر من المرأة إلى الوجه والكفين وإن خافا الفتنة .. لما يترتب من النظر إحقاق حق ، ودفع ظلم .. وإنما جاز النظر لكون المتنقبة غير معروفة لدى القاضي ، ولدى الشاهد .. فتكشف عن وجهها في هذه اللحظات لتُعْرَف أنها هي المعنيّة حتى لاتلتبس الأمور ، وتضيع فى المجتمع الحقوق ..

وما ذاك إلا لأن الإسلام دين الواقع والحياة ، يحقق للناس مصالحهم ، ويحفظ لهم حقوقهم ﴿ **ومَن أحسَنُ من الله حُكماً لقوم يُوقِنون** ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

وفي هذا المقام أسوق هذه القصة التاريخية الخالدة ، ليعرف أهل الحمية والغيرة من الرجال والنساء كيف كان السلف الصالح يتحرجون فى أن تكشف المرأة وجهها أمام الرجال ، ولو كان الكشف جائزا شرعاً ؟ .

جلس موسى بن إسحاق قاضي الريّ والأهواز في القرن الثالث الهجري ينظر في قضايا الناس ، وكان بين المتقاضيَين امرأة ادعت على زوجها أن عليه خمسمائة دينار مهرا لها ، فأنكر الزوج أن لها في ذمته شيئاً .

فقال له القاضي : هات شهودك .

فقال : قد أحضرتهم .

فاستدعى القاضي أحدهم وقال له : أنظر إلى الزوجة لتشير إليها فى شهادتك ، فقام الشاهد وقال للزوجة : قومي .

فقال الزوج : ماذا تريدون منها ؟ .
فقيل له : لابد أن ينظر الشاهد إلى امرأتك وهي مُسْفِرة لتصح عنده معرفته بها .

فكره الرجل أن تضطر زوجته إلى الكشف عن وجهها للشهود أمام الناس .

فصاح : إني أشهد القاضي على أن لزوجتي في ذمتي هذا المهر الذي تدعيه ولاتسفر عن وجهها .

فلما سمعت الزوجة ذلك أكبرت فى رجلها أنه يضن بوجهها على رؤية الشهود ، وأنه يصونها من أعين الناس !! .

فصاحت تقول للقاضي : إني أشهدك على أني قد وهبت له هذا المهر ، وأبرأته منه في الدنيا والآخرة !! .

فقال القاضي لمن حوله : (اكتبوا هذا في مكارم الأخلاق) !!.

فما على المربين إلا أن يأخذوا بآداب الإسلام في النظر سواء مايتعلق : في أدب النظر إلى المحارم ، أو في أدب النظر إلى المخطوبة ، أو في أدب نظر الزوج إلى زوجته ، أو فى أدب نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ، أو في أدب نظر الرجل إلى الرجل ، أو فى أدب نظر المرأة إلى المرأة ، وفي أدب نظر المرأة الكافرة إلى المرأة المسلمة ، أو في أدب نظر الرجل إلى الأمرد ، أو في نظر المرأة إلى الأجنبي ، أو في أدب النظر إلى عورة الصغير ، أو فى أدب النظر بقصد التعليم ، أو في أدب النظر بقصد المداواة ، أو في أدب النظر بقصد المحاكمة أو الشهادة .

كل هذه الآداب من النظر يجب على الآباء والأمهات والمربين جميعا أن يعطوا لأبنائهم القدوة العملية فيها ، ثم يلقنوها أبناءهم تعليما وتوعية .. إن أرادوا لهم الخلق الفاضل ، والشخصية الإسلامية المتميزة ، والسلوك الاجتماعي الخير ،

والتربية الإسلامية السامية .. والله سبحانه لن يترهم أعمالهم ، ولن ينقصهم أجورهم وثوابهم في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !! ..

* * *

٣ – تجنيب الولد الإثارات الجنسية :

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على المربي أن يجنب ولده كل مايثيره جنسيا ، ويفسده خلقيا .. وذلك حينما يبلغ الولد سن المراهقة ، وهو السن الذي يتراوح مابين العاشرة إلى البلوغ .

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاق أن مرحلة المراهقة هي من أخطر المراحل في حياة الإنسان ، فإذا عرف المربي كيف يربي الولد ؟ وكيف ينتشله من أوحال الفساد ، وبيئات الانحلال ؟ وكيف يوجهه التوجيه الأمثل ؟ فعلى الأغلب أن الولد ينشأ على الخلق الفاضل . والأدب الرفيع . والتربية الإسلامية السامية .

ومما يدل على أن الإسلام أمر الأولياء والمربين فى أن يجنّبوا أولادهم إثارة الجنس وهياج الغريزة هذه النصوص التالية :

– قال تعالى في سورة النور : ﴿ **وليضربْن بخُمُرهنّ على جُيوبِهن ولا يُبدِين زينتهنَّ إلا لبعُولتهنَّ أو آبائِهنَّ ... أو الطِّفل الذين لم يَظهَرُوا على عوراتِ النِساءِ ...** ﴾

« آية : ٣١ »

فيؤخذ من هذا النص أن الولد إذا كان صغيرا لايفهم أحوال النساء وعوراتهن وإثارتهن فلا بأس بدخوله على النساء ، وأما إن كان مراهقا أو قريبا منه – وهو السن الذي بعد التاسعة – فلا يمكن من الدخول على النساء لكونه يفرّق بين الشوهاء والحسناء ، وتتحرك الشهوة في نفسه إذا رأى منظراً مثيراً .

يقول الإمام ابن كثير في تفسير آية : ﴿ **أو الطفلِ الذين لم يظهروا على عوراتِ النساءِ** ﴾ (يعني لصغرهم لايفهمون أحوال النساء وعوراتهن من كلامهن الرخيم ، وتعطفهن فى المشية . وحركاتهن وسكناتهن .. فإذا كان الطفل صغيرا لايفهم ذلك فلا بأس بدخوله على النساء ، وقد ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : « إياكم والدخول على النساء » قيل يارسول الله : أفرأيت الحمو ؟ (أى قريب الزوج) قال : « الحمو الموت » .

- روى الحاكم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

فيؤخذ من هذا النص أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرقّوا بين أبنائهم في المضجع إذا بلغوا سنّ العاشرة ، مخافة - إذا اختلطوا في فراش واحد ، وهم في سن المراهقة أو مايقاربها - أن يروا من عورات بعضهم البعض فى حال النوم أو فى اليقظة .. مايثيرهم جنسياً ، أو يفسدهم خلقياً ..

وهذا دليل قاطع على أن الإسلام يأمر الأولياء بأن يتخذوا التدابير الإيجابية ، والاسباب الوقائية .. في تجنيب الولد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية .. حتى ينشأ على الصلاح ، ويتربّى على الفضيلة والخلق الفاضل !!

- روى البخاري أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يوم النّحر خلفه - وكان الفضل قد ناهز البلوغ - فطفق الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة من خثعم كانت تسأل النبي ﷺ عن أمور دينها ، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل ، فحوّل وجهه عن النظر إليها .

وفي رواية للترمذي : أن العباس قال للرسول ﷺ : لوَيْت عنقَ ابن عمك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « رَأيتُ شاباً وشابّة فلم آمَنْ عليهما الفتنة » .

يؤخذ من فعل النبي ﷺ في تحويل وجه الفضل عن النظر إلى المرأة ، ومن قوله : « .. فلم آمن عليهما الفتنة » .

يؤخذ من هذا كله أن النبي ﷺ كان يهتم في توجيه الولد المراهق ، أو البالغ الشاب .. في كل مايصلحه خلقياً ، ويضبطه غريزياً .. مخافة أن يقع في الفتنة أو يتردّى في الفساد والانحلال !! ..

وهذه لفتة تربوية كريمة من نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه فى إصلاح الجيل وتربية الأولاد . وتقويم اعوجاج المجتمع ..

وما أكثر مواقفه الإصلاحية ، ولفتاته التربوية عليه الصلاة والسلام !! .

فنستخلص من هذه النصوص التي أوردناها آنفاً أنه يجب على المربي أن يجنّب ولده كل مايثيره غريزيا ، ويهيّجه جنسيا .. حتى لايقع في حبائل الفاحشة ، ويتردّى في مهاوي الرذيلة ، ويتقلّب في حمأة الفساد والانحلال .. ومسؤولية المربي في تجنيب الولد الإثارات الجنسية تتحقق في جانبين :

الأول : مسؤولية الرقابة الداخلية .

الثاني : مسؤولية الرقابة الخارجية .

– أما الرقابة الداخلية :

فيجب أن يتبع المربّي قواعد الإسلام في منع كل مايهيّج الولد غريزيّاً ، ويثيره جنسياً :

● فدخوله على أهله وهو في سن التمييز في أوقات الراحة والنوم : من قبل صلاة الفجر ، ووقت الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء بدون استئذان .. مما يثيره

جنسياً .. لأن الولد – على الغالب – يفاجأ بالاطلاع على حالة من تكشّف العورات لايحسن أن يرى أهله فيها .

لذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يعلّم ولده الصغير أدب الاستئذان فى هذه الأوقات الثلاثة .

أما إذا بلغ الولد سنّ البلوغ فعلى المربي أن يعلمه أدب الاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة وفي غيرها ..

● ودخوله على النساء الأجنبيات وهنّ في أجمل زينة وهو في سن المراهقة – وهو السن مابعد التاسعة – مما يثير الولد جنسياً .

لذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يمنع ولده المراهق من الدخول على النساء الأجنبيات .

● ونومه مع إخوته البنين أو البنات في مضجع واحد وهو في سن العاشرة ومابعدها .. مما يثير الولد جنسياً ولاسيما حينما يضمّه وإيّاهم لحاف واحد .

ولذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يفرّق بينهم في المضاجع .

● وتحديق نظره إلى مكان العورة المكشوفة من المرأة وهو في سن التمييز ومابعده .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يعلم الولد منذ نشأته آداب النظر .

● وإفساح المجال له ليرى فى البيت من شاشة التليفزيون المناظر المثيرة ، والتمثليات الماجنة والدعايات الفاجرة .. مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربي – كما مرّ – أن يمنع من البيت وجود التلفزيون لخطره الكبير على الفضيلة والأخلاق .

●وترك الحبل له غاربه في أن يقتني ماشاء من الصور العارية ، والمجلات الماجنة ، والقصص الغرامية المهيجة والتسجيلات الغنائية المثيرة .. دونما سؤال ولا رقيب . مما يثير الولد جنسياً ..

لذا وجب على المربّي – كما مرّ – أن يراقب الولد ، وأن يلقى نظرة إلى مكتبه ، ليعرف كيف يرشده ، وكيف يوجهه إذا رآه اقتنى شيئاً محرّماً .

●وإتاحة المجال له في أن يصادق من قريباته أو من بنات الجيران وهو في سن المراهقة من شاء بحجة الدراسة والاجتهاد .. مما يثير الولد جنسياً .. لذا وجب على المربيّ أن لايفسح المجال لولده ولا لابنته في توثيق العلاقة بين الذكور والإناث ، لما لهذه العلاقات من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق ، إلى غير ذلك من هذه المثيرات التى تفسد أخلاق الولد ، وترمي به في متاهات الانحلال والميوعة والإباحية ..

فعلى المربي أن يجنّبها الولد بتوجيهه الزكي ، وإرشاده السديد ، وحكمته الرشيدة . ولايعدم وسيلة فى إصلاح الولد ، وتربيته التربية الفاضلة .

– أما الرقابة الخارجية :

فهي لاتقل عناية واهتماما عن الرقابة الداخلية ، ذلك لأن وسائل إفساد الولد خلقيا أكثر من أن تحصى ، ولابأس فى أن أضع بين يديك – أخي المربي – أخطر هذه الوسائل التي تثير الولد جنسياً ، وتهيّجه غريزيّاً .. لتكون على رؤية تامة في كل مايسبب إفساد الولد ، ويوقعه فى مهاوي الهلاك :

١ - مفسدة السينما أو المسرح :

لما يعرض فيهما من مفاتن الجنس ، واستثارات الشهوة ، ومظاهر الفساد والإباحية ..

حتى أن السينما أو المسرح اليوم أصبحتا - ويالِلأسف - وسيلة للتحلل ، ومرتعاً للمجون والميوعة .. بل صارت التجارة بالأعراض والجنس - عن طريق السينما أو المسرح - بابا للرزق ، وميداناً للسبق .. عند أصحاب المطامع الخسيسة ، وذوي النفوس الهابطة الدنيئة .. من يهود وغير يهود ، من مسلمين ينتسبون ظلماً وزوراً إلى الإسلام ومن غير المسلمين ..

٢ - مفسدة أزياء النساء الفاضحة :

لما تستلفت نظر المراهقين والشباب ، فلا يملك أحدهم أن يشعر بشيء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة ، وأمام هذه الأزياء الفاضحة .. إنه لايستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن الجسد ببصره فضلا عما يندفع بغريزته إلى ماوراء ذلك .

فماذا يفعل المراهق أو الشاب أمام هذا التيار الجارف من المفاسد ؟

إن ذلك يرهق الأعصاب ، ويفسد الأخلاق ، ويصرف عن الجد والعمل البنّاء .

من الذي يخترع هذه الأزياء ؟

إنهم حفنة من التجار أكثرهم من اليهود الذين يريدون أن تعمّ الفوضى كل الأنحاء ، وأن يجتثّوا أصول الأخلاق الفاضلة من المجتمعات .. لتنحل قواها ويسهل السيطرة عليها وامتلاك زمامها !! ..

إن أولئك يصدرون عن عقائد غير عقائدنا ، وأخلاق غير أخلاقنا .

إن شعور التبعية النفسية ، والإحساس بالنقص .. والانخراط في بوتقةالتقليد الأعمى .. هو الذي يحمل النساء غير الواعيات في بلدنا أن ينسقن بحكم عواطفهن وأهوائهن في تيار الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والإغراء ..

ولست أدري كيف ترضى المرأة المسلمة أن تنقاد وراء ذلك التيار الآسن الذي يسلبها خصائصها وأصالتها ، ويحيلها إلى مِسْخ شائه باسم الرقيّ والتحضر والتقدمية .. ومما يجسّم الخطر أن تيار العبث بالأزياء لايقف عند حد ، بل إنه يولع بكل غريب ، ويتجه إلى كل مايلفت الأنظار ويثير العجب !! .

لقد تفننّت الأزياء في إبراز الفتنة والإغراء بالانحراف فلم تدع لذلك وسيلة إلا اتجهت إليها مهما بدت معيبة ممجوجة ، ومهما امتهنت كرامة الإنسان ، وأحالته إلى سلعة أقل من الحيوان !! ..

والمرأة المعاصرة طائعة ذليلة لكل مايختاره لها العابثون ، وقد وقر في أذهان النساء أن التخلف عن هذه (الأزياء العالمية) كما يصفونها انقطاع عن الحضارة وتأخر عن موكب المدينة والتقدم ..

ولئن كانت المرأة الأوربية والأميركية ... لاترى بأساً في اتباع هذا التيار الجارف من فوضى الأزياء ، فإن المرأة المسلمة لابد أن ترى في هذا التيار بأساً وأي بأس !! ..

أن ترى فيه بأساً لما يصيب العزّاب من كَبْتٍ ، وما يجرّهم الى الفوضى الجنسية والانحلال . أن ترى فيه بأساً لما يدفع النساء الجاهلات الفقيرات إلى أن يتعاطين الزنى سرّاً لتحصل على المال ، حتى تظهر بمظهر فاتن جميل حين ترتدي هذه الأزياء !! ..

أن ترى فيه بأسا لما يقع بين الأزواج والزوجات من مشاجرات وخصومات من أجل أن تشبع المرأة نهمها في ارتداء الزي الجديد .

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود أخلاقها ومبادئها وأصالتها الإسلامية ، وأن تحافظ على استقامة المجتمع ، وطمأنينته ، وأن ترحم المراهقين والعزّاب بما تظهر به من مظهر الحشمة والكمال .. وبما ترتديه من زي الجلاليب والحجاب .. وإلا .. فإنها تعتبر شرعاً حائدة عن مبادىء الإسلام . ومسترسلة في متاهات الفسوق والعصيان ، خاضعة للهوى ، منقادة للضلال ..

﴿ وما كانَ لمؤمِنٍ ولامؤمنةٍ إذا قَضَى اللهُ ورسولُهُ أمراً أنْ يَكونَ لهم الخِيرَةُ من أمرِهِم ﴾

(الأحزاب : ٣٦)

٣ – مفسدة المواخير السرية والعلنية :

لما تحتويه من رجال فقدوا فى رؤوسهم معاني النخوة والشرف والغيرة .. ونساء فقدن في نفوسهن رباط الكرامة والحياء والعفاف .. يجتمعون معاً في هذه الأوكار الآثمة لينطلقوا في حلبة الإباحية كالخنازير في الخسة والدناءة ، وكالبهائم في السّفاد وهياج الغريزة ..

إنها ساحات للإباحية والمفاسد ، إنها أماكن للدعارة والخنا ... يغشاها في كل آن طلّاب المتعة والجسد ، وعشّاق الميوعة والانحلال ..

وهي عدوى أصابتنا من جراثيم التقليد الجاهل للحضارة الغربية ، أو رؤية قشورها دون جوهرها ، وهي دلالة على قتل الوقت بالعبث . وضياع قيمة الحياة ..

وإلا .. فما معنى أن يبدّد الإنسان الأحمق .. وقته وماله فى سبيل الاطلاع على العورات ، وارتكاب المآثم ، والتدرّج نحو الإباحية ، واقتراف المنكرات .. وكلّها لاتستقيم معها أولى أو أخرى ؟ !! .

وهذه المواخير سواء أكانت سرية أم علنية باب واسع لفوضى الغريزة ، والاتصال بالجنس .. فهي بيئات آسنة قذرة تنمو فيها جراثيم الخطيئة والإثم وتتعدد ألوانها . وفي مشاهدها المثيرة يفقد الإنسان زمام نفسه ، ويفسق عن أمر ربه . ويتدرّج على سلّم الإباحية .. حين يرى الوجوه الآثمة ، والأجساد العارية ، والمفاتن المغرية ..

وفي ظلال المسكرات والمخدّرات تفتح الأبواب المغلقة ، وتوقظ الفتن النائمة ، وينصرف الناس عن الجد والاستقامة وأداء الرسالة .. إلى ألوان النزوات واللهو الحقير . والاتصال الحرام ..

وفي العلاقات المنحرفة التى تنبت جذورها في هذه البيئات الفاسدة والمواخير الآثمة تتهدم أسَر ، وتتقوّض بيوت ، وتنحرف نساء ، وتُقبر مروءات ، وتنتهك حرمات ، وتبدّد أموال !!.

ولايقف خطر هذه المواخير عند هذا الحدّ ، بل إنها تمتد بيد الفساد إلى كثير من البنات اللائي تنزلق أقدامهن إلى هذه الهاوية ، استجابة لإغراء المال ، وإشباع الوطر ، والتمتع باللذة العارضة التي يعقبها المصائب والآلام : وأريد فى هذا المجال أن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه الصور من انزلاق البنات فى هاوية الرذيلة ، لتكون الرؤية لديك ظاهرة واضحة :

(أ) بينما كانت معلمة الرياضة تعطي درس الرياضة لطالبات الصف العاشر في إحدى المدارس الثانوية للبنات وإذ بطالبة تقع على الأرض فجأة لدوار أصابها . وفوراً تنقل إلى المستشفى لإسعافها ، وبعد فحص طبّي لجسمها تبيّن أن الطالبة حبلى من الزنى .

ولما أخذ التحقيق مجراه تبين أن الطالبة هذه مرتبطة بوكرٍ من أوكار الدعارة السريّة في البلد مع خمس طالبات من سنّها ، والأهل والمدرسة لايعلمون من أمرهن شيئا !! .

وتبيّن أيضاً من نتيجة التحقيق أن طالبة من هذه الطالبات كانت ممتهنة الدعارة السرية قبل دخولها إلى المدرسة بوحي من أمها الداعرة .. واستطاعت بأساليبها المغرية أن تزين لرفيقاتها طريق الفحشاء والمنكر حتى أوقعتهن في هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

والمسؤولون في التعليم لفّوا الموضوع ، وطمسوا على الحادثة مخافة الفضيحة .

ولاشك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإفساد والإغواء ..

(ب) أب ماجن متحلل ليس له من هم سوى أن يجري وراء اللذة والجنس إشباعا لشهوته الآثمة .. ساقته نزوته الحيوانية يوماً إلى وكر من أوكار الدعارة السرية ، فدخله وإذ بالقوّاد المشرف على الوكر يعرض على زبائنه صور البغايا الزانيات ، فخطفت عينه صورة ابنة من بناته المتعلّمات فانذهل لجسامة المفاجأة ولكن ضبط أعصابه ريثما يتبيّن الأمر على حقيقته ..

فقال للقوّاد : أرغب صاحبة هذه الصورة .

فقال له : أدخل غرفة (كذا) سوف تراها حاضرة مهيّأة لك .

فدخل وإذ بابنته على أتم استعداد لاستقبال الزبائن !! ..

ولكن الفتاة حين رأت أباها ماثلا أمامها سيطر عليها الذعر ، وملكها الخوف ، وصُدمت صدمة شديدة .. فما كان منها إلا أن أسرعت نحو الباب وهي في ذعر أليم ، وصياح هائج .. تريد إنقاذ نفسها من أبيها ..

أما الأب فقد تفجّرت في رأسه ينابيع النخوة والغيرة ، وسرى في عروقه دم الانتصار للعرض والشرف .. فهجم على ابنته – بدون وعي – كالأسد الكاسر يريد خنقها .. ولكن تواجُد الناس السريع حال دون ذلك .. وحتى هنا انسدل الستار ، وماعرف ماذا تم فى مصير الفتاة ؟ .

والذين عندهم دراية في ملابسات الحادثة قالوا : إن سبب انزلاق هذه الفتاة هو الرفقة الفاسدة .. فابنة الجيران التى كانت ترافقها إلى المدرسة هي التى زينت لها طريق الشر . وصيّرتها هذا المصير الآثم ..

ولم يَدُر يخَلد أحد من أهلها أن ابنتهم استعاضت عن المدرسة وكراً للدعارة قبرت فيه شرفها وعفافها !! ..

ولاشك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

(ج)حدثني من أثق به من المدرسين المخلصين الغيورين أنه دخل إحدى المقاهي في البلد ، ليبحث عن صديق له هناك ، وفي أثناء دخوله لفت نظره دخول طلاب وطالبات يصعدون تباعاً إلى الطابق العلوي في المقهى الذي تواجد فيه ، فدفعه حب الاطلاع لأن يعرف لماذا وإلى أين ؟

وما أن وصل بهو الطابق حتى انذهل من هول مارأى .. رأى أكثر من يؤمّون الطابق طلاباً وطالبات ، رآهم في عناق ، في غزل . في ضحكات فاجرة ، في إثارات داعرة ..

فتساءل كيف وصل هؤلاء إلى بعضهم بعضاً ؟ كيف تمت العلاقات ؟ من الذي أتى بهم إلى هذا المكان ؟ .

. دروس من العهر والانحلال يتلقونها من التلفاز ، ويتلقونها من السينما . ويتلقونها من المجلة المائعة ، ويتلقونها من القصة المثيرة ، ويتلقونها من الأغاني الرقيعة .. ويتلقونها

من الشارع .. فكان من نتيجة ذلك هذا المصير المحزِن ، والنهاية الأليمة . والأهل لايعلمون من أمر أولادهم وبناتهم شيئاً !! .

ولا شك ان للبيئة أثرها الأكبر في الإغواء والإفساد ..

(د) حدثنى أكثر من واحد من مديرين ومديرات وإداريين وإداريات .. أنهم اطلعوا وهم في أعمالهم الإدارية على رسائل كثيرة تأتي إلى المدرسة بواسطة البريد . تحمل في طيّاتها عبارات الغزل والعشق والغرام ... تدبجها أقلام طلاب أو طالبات قتلوا من دراستهم الوقت الكثير في سبيل ماذا ؟ في سبيل رسالة يكتبها عاشق لعشيقته ، أو تكتبها عشيقة لعشيقها .. وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المنزلية من الأبوين . أو لإهمال التوجيه التربوي الواعي من المدرسة .. أو لتأثيرات الفساد الاجتماعي الذي استشرى في المجتمع في كل مكان .

فالولد سواء أكان ذ كراً أم أنثى إذا كان خاوي العقيدة . فارغ الخلق . ميت الضمير .. يخالط الأشرار ، ويصاحب الفجار .. فلابد أن ينتهي إلى هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ..

ولاشك أن للبيئة الفاسدة والصحبة الفاجرة أثرها الأكبر في الاغواء والإفساد .

٤ – مفسدة المظاهر الخليعة في المجتمع :

يلتفت الشاب أو المراهق **في الشارع وفي** الساحات العامة فماذا يرى ؟

يرى الصور العارية التي تملأ السينما والصحف والمجلات والإعلانات والشوارع والمنازل والنوادي والمسارح ..

يرى النساء الكاسيات العاريات وهن في أبهى زينة . وأفتن منظر .. يرى الأزياء الفاضحة من نساء لايرعين للشرف حرمة ، ولا للأخلاق وزناً ..

يرى الطلاب والطالبات عند ذهابهم إلى المدرسة وعند انصرافهم منها كأنهم جراد منتشر في اختلاطهم وازدحامهم .. وكم سمعنا كلمات قذرة وجهها طالب ماجن وضيع إلى طالبة ماجنة مستهترة وهي سائرة في الطريق ؟

يرى المراهقين والمراهقات متجمعين على باب السينما ينظرون إلى صور العُهْر والتحلل ، وقد يغري المراهق المراهقة – على موعد أو غير موعد – بدفع ثمن البطاقة ، حتى يشهدا معاً فيلما ماجناً ، أو مسرحية مائعة ..

يرى كل ذلك وأكثر من ذلك وهو في سن المراهقة ، وثورة الشباب !! .

ولاشك أن للبيئة الفاسدة أثرها الأكبر فى الإغواء والإفساد ..

٥ – مفسدة الصحبة السيئة :

سبق أن ذكرنا في القسم الأول في فصل : (أسباب الانحراف عند الأولاد ..) مايلي : (ومن العوامل الكبيرة التي تؤدي إلى انحراف الولد رفاق السوء والخلطة الفاسدة ، ولاسيما إذا كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان مايتأثر بمصاحبة الفجار ، ومرافقة الأشرار .. وسرعان مايكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الأخلاق .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، حتى يصبح الإجرام طبعاً من طباعهم والإنحراف عادة متأصلة من عاداتهم ، ويصعب بعد ذلك ردّه إلى الجادّة المستقيمة ، وإنقاذه من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء ..) .

ولقد رأيت – أخي المربي – حين تكلمنا عن (مفسدة المواخير ..) ماللصحبة الفاسدة من خطر كبير في جر المراهق أو المراهقة .. إلى الفاحشة ، وسوقهما إلى

بيئة الفساد والإنحلال .. لأن الصاحب كما يقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام :– فيما رواه ابن حبان – « المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَنْ يخالل » ، وكما قال أيضاً :– فيما رواه ابن عساكر – « إيّاك وقرين السوء فإنك به تُعْرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

٦ – مفسدة الاختلاط بين الجنسين :

لما لاختلاط البنين والبنات وهم في سن التمييز والمراهقة من أثر كبير على الفضيلة والأخلاق والعلم والاقتصاد والجسم والأعصاب .

وقد قامت بدعة الاختلاط بين الجنسين في المدارس ومكاتب الوظائف .. في بعض البيئات الإسلامية اليوم بحجة أن الاختلاط مابين الجنسين يهذب الغريزة ، ويصرف كوامن الشهوة ويجعل اجتماع النساء بالرجال أمرا مألوفا وعادياً ..

وسبق أن ذكرنا في فصل (مسؤولية التربية العقلية) الردّ المقنع المدعوم بالحجة والدليل على كلّ مَنْ يزعم أن الاختلاط مابين الجنسين يهذّب الغريزة . ويحدّ الشهوة ، ويجعل اللقاء بين الرجل والمرأة أمراً طبيعيا مألوفاً ..

ارجع – أخي المربي – إلى الفصل المذكور ، واقرأ فيه بحث (الردّ على دعاة الاختلاط) تجد مايشفي الغليل إن شاء الله .

تلكم – أيها المربون – أهم وسائل الإفساد في تمييع الولد خلقياً ، وإثارته جنسياً ، وهي وسائل مدمّرة ، وأسباب مهلكة كما رأيتم !! ..

فما عليكم – إذن – إلا أن تقوموا بمسؤولياتكم كاملة في رقابة الولد وملاحظته سواء أكانت الرقابة داخلية أو خارجية ..

ولكن هل الرقابة وحدها تجدي أم هنـاك وسـائل إيجـابيـة أخرى يجب أن ينتهجهـا المربون في إصلاح الولد ؟

في تقديري أن هناك ثلاث وسائل إيجابية إذا انتهجها المربون أنصلح الولد خلقياً ، وانضبط غريزيا .. وكان كالملك في طهره وصفائه ، وكالنبي في قدوته وأخلاقه ، وكالمرشد الرباني فى روحانيته وتقواه .. وهذه الوسائل مرتبة كما يلي :

١ – وسيلة التوعية .

٢ – وسيلة التحذير .

٣ – وسيلة الربط .

١ – وسيلة التوعية :

مما لايختلف فيه اثنان أن الولد إذا لقن منذ نعومة أظفاره أن هذا الفساد الاجتماعي ، والانحلال الأخلاقي .. الذي عم المجتمعات الإسلامية في كل مكان هو من مخططات اليهودية والشيوعية والصليبية والاستعمارية .. فإن الولد – إذا ماكبر – يصبح عنده من النضج والفهم والوعي مايردعه عن الاسترسال في الشهوات ، ومايرده عن كثير من المفاتن والمفاسد .. ولاشك أن وسائل هذا الإفساد عندهم **هو الجنس ، والسينما ، والمسرح ، والمجلة ، والصحيفة ، وبرامج التلفزيون والإذاعة ، والأزياء ، ونشر الصور العارية ، ومواخير الدعارة السرية والعلنية .. وماشابه ذلك .. وسوف تجد – أخي المربي – هذه المخططات موسعة مع شواهدها .. في بحث (الاستشعار بالمسؤولية) من هذا الكتاب .**

وسبق أن ألمحنا عن هذه المخططات في فصل (مسؤولية التربية العقلية) في آخر الفصل المذكور) .

فارجع - أخي المربي - إلى هذين البحثين تجد مايشفي الغليل ان شاء الله . ولابأس في هذا المقام أن أعرض لك باختصار - **أخي المربي** - عن الخطوط العريضة لهذه المخططات لترسخ في ذاكرتك مكائد أعداء الإسلام في افساد المجتمع الإسلامى .

●اليهود والماسونية :

- إنهم تبنوا آراء « **فرويد** » الذي يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية ، والاسترسال في طريق الشهوة واللذة ..

- انهم تبنوا آراء اليهودي (**كارل ماركس**) الذي أفسد على الكثير عقائدهم وأخلاقهم ، وألغى الأديان وهاجم عقيدة الألوهية . ولما قيل لكارل ماركس : ماهو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح . أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح .

- إنهم تبنوا آراء (**نيتشه**) الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل مايؤدي إلى استمتاعه ..

- إنهم يعملون لتنهار الأخلاق في كل مكان .. عن طريق الجنس والمرأة .. فمن أقوالهم وأقوال الماسونين : (يجب علينا أن نكسب المرأة ، فأي يوم مدت إلينا يدها فزنا بالحرام ، وتبدد جيش المنتصرين للدين) .

●الاستعمار والصليبية :

- يقول أحد أقطاب المستعمرين الكبار (كأس وغانية ، تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

– ومما قاله (القس زويمر) في مؤتمر المبشرين في القدس : (إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لايعرف الصلة بالله .. وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الاستعمار ، لايهتم بالعظائم . ويحب الراحة والكسل ، ولايصرف همه في دنياه الا في الشهوات . فإذا تعلم فللشهوات . وإذا جمع المال فللشهوات ، وان تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود في كل شيء)..

●الشيوعية والمذاهب المادية :

سوف تجد – أخي المربي – ماقاله الشيوعيون في وثيقتهم السرية مفصلًا في بحث (الاستشعار بالمسؤولية) . ولكننا نجتزىء هذا القول لارتباطه بموضوعنا :

(ونجحنا في تعميم مايهدم الدين من القصص ، والمسرحيات ، والمحاضرات ، والصحف ، والمجلات ، والمؤلفات التي تروج للإلحاد وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر) .

(فمن هذه الأقوال والمخططات يتبين : أن اليهودية ، والماسونية ، والشيوعية والصليبية . والتبشير . والاستعمار .. متضافرون متفاهمون متعاونون .. على إفساد المجتمعات الإسلامية عن طريق الخمر . والجنس ، والمسرح . والمجلات . والصحف . والبرامج التلفزيونية والإذاعية ، ونشر الكتب والمؤلفات اللادينية .. وترويج القصص والمسرحيات اللا أخلاقية ..

وقد وصلوا – وياللأسف – إلى هدفهم الخبيث . وغايتهم الدنيئة .. حتى رأينا شبابا وشابات من جلدتنا . ويتكلمون بألسنتنا ، وينتسبون إلى إسلامنا .. قد انطلقوا وراء الغرائز والشهوات ، وانزلقوا في مزالق التحلل والميوعة والتقليد الأعمى .. وأصبحوا في حالة يرثى لها لاهمّ لهم ولاغاية سوى التقلب في حمأة الرذيلة والشهوة . والانصراف إلى مشاهدة فيلم داعر . أو مسرحية فاجرة ، أو تمثلية ماجنة . أو ارتياد صالة يذبحون على أعتابها معاني النخوة والرجولة والشرف !! .. وهكذا يفعلون .. (١)

---

(١) من كتابنا « حكم الاسلام فى وسائل الإعلام » ص ٥٨-٥٩ .

فما عليك - أخي المربي - إلا أن تقوم بدور التوعية تجاه أولادك وأفلاذ أكبادك .. حتى يعرفوا مايخطط لهم الأعداء ، وما يبيته المتآمرون .. ولا بأس أن تلقي في روعهم أنهم إذا تقلبوا في حمأة الفساد ، وانساقوا وراء التحلل والإباحية .. فيكونون منفذين من حيث يعلمون أو لايعلمون مؤمرات اليهودية والصليبية والشيوعية .. ومخططات الماسونية والتبشير والاستعمار .. في أرض الإسلام ، وبلاد المسلمين .. وفي تقديري أن هذا التلقين الواعي يلعب دوراً كبيراً في إقناعهم العقلي والوجداني ، وبالتالي في كفهم عن الفواحش والمحرمات !!

٢ - وسيلة التحذير :

هذه الوسيلة - فى نظري - إذا انتهجها المربون في توجيههم وتوعيتهم تعد من أعظم الوسائل الإيجابية في كف الولد عن المحرم . وزجره عن الفاحشة .. هذه الوسيلة تصور للولد حقيقة الأخطار التي تنجم عن الاسترسال في الشهوات والانزلاق في متاهات التحلل والإباحية .

وها أنا ذا أضع بين يديك - أخي المربي - أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى والاتصال الحرام والعلاقات المشبوهة لتكون الرؤية لديك واضحة .. عسى أن تقوم بواجب التوعية والتحذير لولدك فيكفّ تلقائياً عن الفاحشة المحرمة ، والتحلل الممقوت ..

واليكم - أيها المربون - أخطار الفاحشة[١] :

(أ) الخطر الصحي :

● مرض السيلان :

ينتقل بعملية الزنى .. ويسبب التهاباً حادّاً أو مزمنا في الرحم والخصيتين ، وقد يؤدي إلى العقم ، وإلى التهابات في المفاصل ، وقد يؤثر على المولود ، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي إلى العمى ..

---

(١) من كتاب (خطر الاختلاط والتبرج) للمؤلف عبد الباقي رمضون مع بعض التصرف .

●مرض الزّهري :

وسمي عاميا بداء الإفرنجي لصدوره عن المجتمعات الإفرنجية التي يكثر فيها الزنى ، وتفشو بين أبنائها الفاحشة .

●مرض التقرّحات الجنسية :

ينتقل بالمرض الجنسي المحرم ، ويسبب التهابات في العُقَد البلغمية ، قد تؤدي إلى خرّاجات قيحيّة مزمنة ، والتهابات في المجاري البوليّة ، وآلاماً مفصلية ، وتورّمات في الأطراف ..

●مرض القرح اللين :

ينتقل عن طريق الزّنى ، ويسبب تقرّحاً مؤلماً في الجهاز التناسلي قد ينتشر ليكتسح الجلد .

●مرض النضج الجنسي المبكر :

يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهيج الشهوة قبل أوانها ، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها .. ويسبب تشوهات بدنية ، وأمراضاً عصبية ونفسية ..

إلى غير ذلك من هذه الأمراض الصحية والجسمية ..

(ب) الخطر النفسي والخلقي :

قد يصاب هذا الشهواني المندفع نحو البهيمية بالأمراض التالية :

●**بمرض الشذوذ الجنسي** (اللواط أو السحاق) ، وهو مرض خطير ، من نتائجه : اكتفاء الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء ، هذا المرض أصيبت به مجتمعات

كثيرة تدعي التقدم والحضارة كأمريكا وانكلترا .. فهناك نصف مليون من الرجال والنساء المصابين بهذا الشذوذ في مدينة (نيويورك) بأمريكا ، وهؤلاء علنيون مجاهرون محترفون ..

اما المستترون المستخفون فحدّث عن كثرة عددهم ولاحرج .

● **بمرض الهوس الجنسي** حيث ترى المريض مشغولا في جميع أوقاته بتخيلات شهوانية غريزية .. من نكاح ، وتقبيل ، وضم ، وعناق ، وتصورات لأعضاء المرأة من وجه ، وعينين ، وعنق ، وشفتين ، ونهدين ، وسوأة ، وفخذين .. وتراه منصرفاً عن كل شئ .. فيكثر نسيانه ، ويقل اهتمامه ، وتشتد غفلته ، ويضعف انتباهه .. وتراه كأنه غبي مخمور ، أو كأنه مكروب محزون ... وتسبب هذه الظاهرة الأليمة نحولا في الجسم ، وضعفاً في الذاكرة ، وقلقاً في النفس ..

ومن أخطار الزنى الخلقية في المجتمعات الإنسانية بشكل عام :

– الشباب الشارد السادر في الشهوة ، والمخمور في الحشيش والخمر والأفيون ..

– عصابات القتل والخطف والاغتصاب الجنسي .

– الجيل المتحلل المائع المريض جسمياً وعقلياً وخلقياً ونفسياً ..

– عصابات التهريب للمخدرات كالأفيون والحشيش .

– تجار الشهوات والغرائز ، وبيع الفتيات ، وتأجير البغايا ..

– عصابات من الأطباء والمحامين والحكام ورجال القانون .. لتغطية الجرائم ، وهضم الحقوق لقاء الرشوة بالجنس والمال .

– نوادي العراة العلنية .. يتعرى فيها روادها من كل رداء للفضيلة بلا حياء ولا خجل ..

– مواخير مرخصة منتشرة هنا وهناك لتأجير العاهرات ..

– أفواج من المومسات يحترفن الزنى للعيش الكفاف ..

– الأغاني الفاحشة ، والموسيقى الراقصة المثيرة ، والمسرحيات الآثمة المهيجة .

– كتب الجنس ، ومجلات العري ، وكباريهات الرقص والمجون ..

– أفواج (الهيبيين) الإباحيين المتشبهين بالحيوانات والخنافس .

– أفواج (البوب) اللامنتمين الغارقين في السكر والزنى والفاحشة ..

– إباحيون مستهترون يكفرون بكل فضيلة ، ويستبيحون كل رذيلة ، ويسيرون مع الأهواء والنزوات ..

إلى غير ذلك من مَظاهر الفساد والإباحية التي لايمكن حصرها ولاتعدادها ..

وكان من نتيجة ذلك : أن صرح (خروتشوف) سنة (١٩٦٢) بأن مستقبل روسيا في خطر ، وأن شباب روسيا لايؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق في الشهوات .

وفي الوقت نفسه صرح (كنيدي) أيضاً بأن مستقبل أمريكا في خطر لأن شبابها منحل غارق في الشهوات ، لايقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وأنه من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الجسمية والنفسية ..

وقد سرى عدوى هذه الموجات الإباحية في المجتمعات الغربية والشرقية على المجتمعات الإسلامية – وياللأسف – حتى أصبحنا نسمع عن كثير من أقبية الزني ، ومواخير الفاحشة ، وأندية القمار ، ومسارح المجون ، وأوكار الخمر والحشيش ، وصالات العري والرقص .. منتشرة هنا وهناك تحت سمع وبصر المسؤولين ورجالات الحكم في أكثر البلاد الإسلامية ولاحول ولاقوة إلا بالله .

وأصبحنا نسمع – والأسى يحزّ في نفوسنا – عن تجار للغرائز والشهوات لشراء الفتيات وتأجير البغايا .. وهذا منتشر في طول البلاد وعرضها دونما نكير ولانذير !! .

وأقبل كثير من شبابنا نحو اللذة والجنس والخمر دونما سائل ولا رقيب ! .

وهذا يعرفه القاصي والداني من المسلمين والناس أجمعين .

(ج) الخطر الاجتماعي :

من القضايا المسلم بها أن الاسترسال في الفاحشة يضر بمصلحة الفرد والأسرة على حد سواء ، بل خطر على المجتمع بشكل عام .

● من هذه الأخطار تهديده الأسرة بالزوال ، لأن الشباب العَزَب حين يشبع نهمه الحيواني بالحرام لايمكنه بحال أن يفكر بتكوين أسرة وإنجاب أولاد .. وكذلك الزانية ، فإنها لاترغب بالحمل ، ولاترضى بالولد لضرر الحمل الجسمي والنفسي عليها ، فهي تحاول التخلص منه بأية وسيلة !! ..

● من هذه الأخطار ظلم المواليد والأطفال ، لأن المجتمع الذي يهرب من الزواج ، وينساق أبناؤه وراء الانحلال والإباحية .. يعج بأولاد لاكرامة لهم ولا أنساب .. وفي ذلك ظلم للأولاد وأي ظلم ؟!

ـ ظلم لهم لأن الولد حين يعي ويستشعر بأنه ابن الزنى والعار ، وتربية المحاضن والمستشفيات فإنه يتعقد نفسياً ،وينحرف سلوكيّاً ، وعلى الغالب يكون أداة إجرام على الفرد والمجتمع بل على الأمن والاستقرار !!..

●من هذه الأخطار شقاء الرجل وشقاء المرأة على السواء ، ذلك لأن المرأة والرجل لايجدان الحياة الهانئة السعيدة ، والعيش المستقر الكريم إلا في ظلال الزوجية القائمة على المودة والرحمة .. وهذا الأمر تراه معدوماً في المجتمع الذي لايروج فيه سوق الزواج . وفي الأمة التي تسير وراء التميع والانحلال !! .

●من هذه الأخطار قطع صلة الرحم والقرابة لأن العزب حين ينساق وراء شهوته وغريزته في سوق الملذات والمحرمات .. تراه منبوذاً محتقراً لدى الصلحاء من قرابته وَرَحِمِه .. وهذا ولاشك مما يؤصل في نفسيته روح التمرد والعقوق ، ويؤجج بينه وبينهم نيران العداوة والبغضاء ..

وليس هناك ثمة من ذنب – بعد الاشراك بالله – يعدل العقوق وقطيعة الرحم في نظر الاسلام ؟ .

إلى غير ذلك من الأخطار والمضار التي لاتخفى على كل ذي عقل وبصيرة ..

(د) الخطر الاقتصادي :

مما لايختلف فيه اثنان أن الذين يقضون أوقاتهم في سوق الملذات والشهوات هم ممن تخلوا عن الزواج المشروع ، وانساقوا وراء الفاحشة الآثمة .. فهؤلاء يسببون أنهيار الاقتصاد فى الأمة وذلك :

لضعف القوى .
وقلة الإنتاج .
واتخاذ الكسب غير المشروع .

• **أما ضعف القوى :**

فلأن العزب الذي ينساق وراء اللذة والفاحشة يمرض عقلياً ، ويمرض جسمياً ، ويمرض خلقياً ، ويمرض نفسياً ...

ولاشك أن المريض حين يمرض تضعف قواه ، وينحط جسمه ، وتنهار عزيمته .. فلايستطيع أن ينهض بمسؤولية على وجهها الأكمل ، ولا أن يضطلع بواجب على النهج الصحيح !! .

وفي ذلك تعطيل للاقتصاد ، وانهيار للحضارة ..

• **أما قلة الإنتاج :**

فلأن الأموال تبدد في طريق الميوعة والشهوات ، وإشباع نهم الغريزة والجنس .. لافي طريق الإنتاج ، ومصلحة الاقتصاد .. ولأن المتحلل الماجن لايخلص في عمله . ولاينهض بمسؤوليته .. لانعدام الرادع الديني ، والزاجر الأخلاقي في قلبه وضميره .. وفي ذلك فساد للأخلاق ، وطعنة للاقتصاد ..

• **أما اتخاذ الكسب غير المشروع :**

فلأن الماجن الوضيع الذي ليس له من تقوى الله رادع يريد أن يحصل على المال لإشباع نهمه المادي من أي طريق .. طريق الربا والميسر ، طريق اللهو والترف . طريق الرشوة والاختلاس ، طريق الاتجار بالأعراض ، والاتجار بالمصورات العارية ، والاتجار بالمجلات الماجنة ، والاتجار بالأفلام الخليعة ، والاتجار بالمسكرات والمخدرات ، والاتجار بالكتب الفاحشة والقصص الغرامية ..

إلى غير ذلك من هذه الوسائل غير المشروعة في جمع المال التي لاتعود على المجتمع إلا بالخسران والضرر ، والفقر والبطالة ، وقتل القيم ومكارم الأخلاق .. إذ بها

تهدر الطاقات المنتجة ، وتتعطل المكاسب المشروعة ، ويعيش المجتمع أسير الاستغلال واللصوصية ، وسجين الأنانية والمحسوبية ، وعبد الشهوة واللذة والهوى !! .

وفي ذلك تحطيم لتقدم الأمة ، وتضعيف لاقتصادها وإنتاجها ..

(هـ) الخطر الديني والأخروي :

وأخيرا فإن العَزَب الذى لايستعفف عن محارم الله ، ولايصون نفسه عن مزالق الشهوة والفتنة .. فإنه يصاب بأربع خصال ذميمة عدد معالمها النبي عليه الصلاة والسلام .

روى الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والزنى فإن فيه أربع خصال : يذهب البهاء عن الوجه ، ويقطع الرزق ، ويسخط الرحمن ، ويسبب الخلود في النار » .

ومن خطره الأخروي : أن الزاني حين يزني ينسلخ من ربقة الإيمان ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .. »

ومن خطره الأخروى : أن الزاني إذا بقى مصرا على المعصية من غير توبة حتى ادركه الموت فالله سبحانه يضاعف له العذاب يوم القيامة . قال تعالى في سورة الفرقان :

﴿ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولايقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولايزنون ، ومن يفعل ذلك يلْقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾. (الفرقان : ٦٨ ، ٦٩)

تلكم – أيها المربون – أهم الأخطار التي تنجم عن الزنى وارتكاب الفاحشة .. وهي أخطار أليمة – كما رأيتم – تضر بالصحة ، وتضر بالأخلاق ، وتضر بالنفس ، وتضر بالعقل ، وتضر بالدين ، وتضر بالأسرة ، وتضر بالمجتمع ، وتضر بالاقتصاد ..

فالولد حينما يحذر – منذ نعومة أظفاره – من هذه الأخطار ، ويبصر هذه الأضرار .. فإنه حين ينشأ على الحَصَان والعفاف ، ويكف عن الفواحش والمحرمات ، ويتبع سبيل الإسلام في سلوكه وأخلاقه ، ولايفكر في إشباع الغريزة إلا بالزواج المشروع ، والاتصال الحلال امتثالا لأمر النبي ﷺ القائل : « يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج .. » رواه الجماعة .

ومن التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ممن يشرفون على تربيته وتوجيهه :

تحذيره من الردة .
وتحذيره من الإلحاد .
وتحذيره من اللهو والمحرم .
وتحذيره من التقليد الأعمى .
وتحذيره من رفقة السوء .
وتحذيره من مفاسد الأخلاق .
وتحذيره من الحرام بشكل عام .

وسوف تجد – أخي المربي – تفاصيل من التحذيرات في (قاعدة التحذير) في القسم الثالث من هذا الكتاب فارجع إليه تجد فيه مايبل الصدى إن شاء الله .

ولاشك أن التحذير من الردة والإلحاد يجنب الولد الانخراط في بوتقة الكفر والضلال والإباحية .

وأن التحذير من اللهو المحرم يجنب الولد الاسترسال فى حمأة الشهوات والملذات .

وأن التحذير من التقليد الأعمى يجنب الولد تميع الشخصية وانتهاك الكرامة .

وأن التحذير من رفقة السوء يجنب الولد الانحراف النفسي والشذوذ الخلقي ..

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنب الولد التقلب في أوحال الرذيلة ومستنقع الفحشاء ..

---

(١) ارجع إلى صفحة : ٨٣٩ من هذا المجلد تجد البحث فيه وافياً إن شاء الله .

وأن التحذير من الحرام يجنب الولد التعرض للمفاسد والأمراض والآفات النفسية .. وفي هذا إصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونضج لعقله ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون .

٣ – وسيلة الربط :

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضية .. منذ سن التعقل والتمييز إلى أن يتدرج يافعاً،إلى أن يترعرع شابا .. فإن الولد – ولاشك – ينشأ على الإيمان ، ويتربى على التقوى .. بل يصبح عنده من مناعة العقيدة الربانية مايستعلي بها على الجاهلية ، وينتصر على الهوى ، ويستقيم على الحق والهدى ..

وهل من ارتباط أعظم من ارتباط العقيدة والفكر والروح ؟

وهل من صحبة أفضل من صحبة المرشد الرباني ، والرفيق الصالح ؟

وهل من سلوك أسمى من سلوكية الأنبياء والصحابة والسلف ؟

إذن فما على المربي إلا أن يربط الولد بالعقيدة ، وأن يربطه بالعبادة ، وأن يربطه بالمرشد ، وأن يربطه بالصحبة الصالحة ، وأن يربطه بالدعوة والداعية ، وأن يربطه بالمسجد والذكر والمراقبة والقرآن الكريم ، وأن يربطه بالتاريخ والأمجاد وسيرة الأنبياء والصحابة والصالحين ...

وإذا أردت – أخي المربي – أن تقوم بمسؤولية الربط على وجهها الأكمل فاقرأ تفاصيل هذا كله في (**قاعدة الربط**) فى القسم الثالث من هذا الكتاب تجد فيها مايوصلك إلى المنهج الأقوم في تربية الولد إيمانيا ، وإعداده خلقياً .. إن شاء الله .

ومما ألفت نظرك إليه أن للتربية الإيمانية (١) الأثر الأكبر فى إصلاح الولد ، وتقويم خلقه وسلوكه .. ذلك أن الولد إذا تربى على الإيمان بالله سبحانه ، ومراقبته في السر والعلن ، وخشيته في المتقلب والمثوى .. فإنه يصبح إنسانا سويا ، وينشأ شابا

(١) ارجع إلى فصل (مسؤولية التربية والايمان) تجد فيه مايشفي الغليل ان شاء الله .

تقيا ... لاتستهويه مادة ، ولاتستعبده شهوة ، ولايتسلط عليه شيطان ، ولاتلتعج في أعماقه وساوس النفس الأمارة .. فإذا دعته امرأة ذات منصب وجمال قال : اني أخاف الله رب العالمين . وإذا وسوس له شيطان قال : ليس لك علي سلطان ، وإذا زين له قرناء السوء طريق الفحشاء والمنكر .. قال : لا أبتغي الجاهلين !! .

هذا هو منهج الإسلام في الإصلاح والتربية ، فإنه يبدأ بإصلاح الفرد من داخل النفس الإنسانية لا من خارجها ، يبدأ الإصلاح والتربية بطهارة الضمير ، وتهذيب الوجدان ، وإرهاف الشعور .. والتدرج على مراقبة الله عز وجل في السر والعلن ، والتحسس من أعماق القلب بأن الله سبحانه مع الإنسان يراقبه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور .. وعلى مثل هذا فلينهج المربون ، وليعمل العاملون ..

والذى أخلص إليه بعد ماتقدم :

أن المربين جميعاً من آباء وأمهات ومصلحين ومعلمين .. إذ أخذوا بوسائل الإسلام الإيجابية : من توعية وتحذير وربط .. في إصلاح الولد وتربيته وإعداده .. فإن الولد يتجنب كل مايثيره جنسياً ، ويفسده خلقياً .. ويبتعد عن أسباب الزيغ والفساد ، وعن عوامل الميوعة والانحراف .. بل يكون في المجتمع قمر هداية ، وشمس إصلاح ، وملكا يمشي على الأرض .. لصفاء نفسه ، وطهارة قلبه ، وكريم أخلاقه ، وجميل معاملته ، ولطف معاشرته ومظهر تقواه ..

اللهم وفق المربين جميعاً لأن يأخذوا بمنهج الإسلام في تربية الأولاد .. حتى ينجوا من المسؤولية بين يديك في يوم لاينفع فيه مال ولابنون .. وحتى يروا الجيل المسلم في تطبيق للإسلام شامل ، وفي التزام لمبادىء القرآن كامل ، وفي جهاد في سبيل الله دائم ، وفي عزة من المجد والكيان سامقة ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

٤ - تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ :

ومن المسؤوليات الكبرى التى أوجبها الإسلام على المربين من آباء وأمهات ومعلمين ومرشدين .. تعليم الولد منذ أن يميز الأحكام الشرعية التى ترتبط بميله الغريزي ، ونضجه الجنسي .. والذكر والأنثى في هذا التعليم سواء لكونهما مكلفين شرعاً ، ومسؤولين عن عملهما أمام الله عز وجل ، وأمام المربين ، وأمام المجتمع .. لذا وجب على المربي أن يصارح الصبي إذا بلغ سن المراهقة وهو السن الذي يتراوح مابين ١٢ إلى ١٥ سنة أن يصارحه أنه إذا نزل منه منيٌّ (١) ذو دفق وذو شهوة .. أصبح بالغاً ومكلفاً شرعاً ، يجب عليه مايجب على الرجال الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

ووجب على المربي أيضا أن يصارح البنت إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكرت احتلاماً (٢) ورأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ ، أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف .

وكذلك وجب على المربي أيضاً أن يصارح البنت أيضاً أنها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق ورأت دم الحيض أصبحت بالغة ومكلفة شرعاً ، يجب عليها مايجب على النساء الكبار من مسؤوليات وتكاليف ..

فالإسلام يحمل الأبوين أولا وآخراً مسؤولية مصارحة الأولاد في هذه الأمور الهامة .. حتى يكونوا على توعية كاملة ، وفهم عميق في كل مايتصل بحياتهم الجنسية ، وميولهم الغريزية .. وكل مايترتب على ذلك من واجبات دينية ، وتكاليف شرعية ..

---

(١) المني من الرجل يوصف أنه غليظ أبيض كرائحة الطلع أى طلع النخلة وهي قريبة من رائحة العجين ، أما عند يبسه كرائحة بياض البيض .

(٢) الاحتلام : هو مايراه النائم في نومه والمراد به الجماع .

وكم سمعنا عن بنات بقين سنين عدة وهن غير طاهرات لكونهن لايعلمن ماذا يترتب على الجنابة والحيض من أحكام ؟

وكم سمعنا عن بنين بلغوا سن الشباب وهم في جنابة دائمة لكونهم لايعلمون ماذا يترتب على الاحتلام والجنابة من أحكام ؟

وربما تصلي البنت ، ويصلي الولد وهما في جنابة أو في حال عذر ويظنان أنهما يؤديان حق الله في الطاعة والعبادة ..

إذن فمن المسؤول عن مصارحة الولد جنسياً ، وتوعيته غريزيا قبل أن يناهز الولد سن الاحتلام ، ويشارف على البلوغ ؟

لاشك أن الأبوين مسؤولان أولا ، ثم من يشرفون على تعليمه وتربيته من المعلمين والمرشدين .. مسؤولون ثانياً ..

وإلّا .. فالولد يكون أجهل مايكون في الأحكام التى تتصل بحق ربه ، وحق نفسه ، وحق دينه ، وهو يظن أنه يحسن صنعاً !! .

والآن أضع بين يديك – أخي المربي – أهم الأحكام الشرعية التي تتصل ببلوغ الولد ، ودخوله سن الاحتلام .. لتعلمها الصبي قبل أن يصل إلى مقام الرجال ، وتعلمها البنت قبل أن تصل إلى مقام النساء .

وإليك هذه الأحكام :

١ – الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى إذا ذكر احتلاماً ولم يجد على ثوبه بعد استيقاظه بللا لايجب عليه الغسل ، لما روى أحمد والنسائي عن خولة بنت حكيم أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة ترى في منامها مايرى الرجل ، فقال : « ليس عليها غسل حتى تُنْزِل ، كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل » .

وفي رواية النسائي : أنها سألت النبي ﷺ عن المرأة تحتلم في منامها ، فقال : « إذا رأت الماء فلتغتسل » .

٢ - الولد سواء أكان ذكرا أو أنثى إذا رأى على ثوبه بعد استيقاظه بللا ولم يذكر احتلاما وجب عليه الغسل ، لما روى الخمسة إلا النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يجد البلل ولا يذكر احتلاما فقال : يغتسل ، وعن الرجل يرى أن قد احتلم ولايجد البلل ، فقال : « لاغسل عليه » ، فقالت أم سليم : المرأة ترى ذلك عليها الغسل ؟ قال : « نعم ، إنما النساء شقائق الرجال » .

٣ - نزول المني من الرجل أو المرأة على سبيل الدفق والشهوة بالعادة السرية أو غيرها .. يوجب الغسل ، لما روى أحمد وابن ماجه والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال : (كنت رجلا مذاء ، فسألت النبى ﷺ فقال : « في المذي [1] الوضوء ، وفي المني الغسل » .

وفي رواية لأحمد : (إذا حذفت الماء [2] فاغتسل من الجنابة ، فإذا لم تكن حاذفا فلا تغتسل) .

والحذف هو قذف المني من الذكر بشهوة ، وفي الحديث تنبيه أن مايخرج لغير شهوة إمَّا لمرض أو بردة أو ضرب على الظهر أو حمل شيء ثقيل لايوجب الغسل .

٤ - وغيبة رأس الذكر (وهو مافوق موضع الختان ويسمى بالحشفة) في قُبُل أو دُبُر على الفاعل والمفعول به يوجب الغسل سواء أنزل أم لم ينزل .. لما روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إذا جلس بين شُعَبِها الأربع (هي اليدان والرجلان) ومس الخِتانُ الخِتانَ فقد وجب الغسل » .

---

(١) المذي : مايخرج من الرجل عند الملاعبة مع أهله أو يخرج عند رؤية مايثيره من النساء .
(٢) الماء : المني .

وفي مسند عبد الله بن وهب أنه قال عليه الصلاة والسلام : « إذا التقى الختانان وغابت الحشفة وجب الغسل أنزل أو لم ينزل » .

٥ – وانقطاع مدة الحيض (١) والنفاس (٢) يوجب الغُسل على المرأة ، لقوله تبارك وتعالى على قراءة : ﴿ ولاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتى يَـطَّهّرْن ﴾ بتشديد الطاء أي يغتسلن . وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة بنت حُبَيْش كانت تستحاض(٣) . فسألت النبي ﷺ فقال : « ذلك عِرْقٌ وليست بالحيضة ، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، وإذا أدبرت فاغتسلي وصلّي » .

وثبت الغسل من النفاس بالإجماع ، وبالقياس على الحيض .

٦ – فمن البديهي بعد أن تعلم الولد موجبات الغسل وجب أن يتعلم فرائضه وسننه وكيفيته ، حتى إذا وقع الولد فى الجنابة عرف كيف يغتسل حتى يصبح طاهراً ؟ وإليك – أخي المربي – فرائض الغسل ، وسننه ، وكيفيته حتى تعلمها ولدك :

أما الفرائض فغسل فمه وأنفه وجميع بدنه .

لقوله تبارك وتعالى : ﴿ وإن كنتم جُنُباً فاطَّهَرُوا ﴾ فما في غَسْلِهِ حرج كداخل العين يسقط ، ومالاحرج فيه يجب غسله ، وغسل داخل الفم والأنف مما لاحرج فيه .

وروى أبو داود والترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « تحت كل شعرة جنابة ، فبلّوا الشعر ، وأنقوا البشرة » أي أنقوا بالماء جميع أجزاء البدن .

---

(١) الحيض : هو الدم الذي ينفضه رحم امرأة بالغة لا داء بها ولا إياس (بنت خمسين سنة) وأقل الحيض ثلاثة أيام ولياليها ، وأكثره عشرة ، وأقل الطهر خمسة عشر يوماً ، ولا حد لأكثره .

(٢) النفاس : هو دم رحم امرأة يعقب ولادة الولد ، ولا حد لأقله ، وأكثره أربعون يوماً .

(٣) الاستحاضة : هو الدم الذي تراه المرأة قبل ثلاثة أيام أو بعد عشرة أيام في الحيض ، وبعد أربعين يوما في النفاس .

هذه الأحكام على فقه أبى حنيفه رحمه الله .

فبناءً على هذه الأوامر الشرعية يجب غسل كل جزء من أجزاء البدن بما لاحرج في غسله كالسرة ، وفرج المرأة الظاهرى ، وتحت مافي الخاتم الضيق ، وظاهر الأذنين ، وماتحت الإبطين ..

أما السنن والكيفية : فيبدأ بغسل يديه ، وفرجه ، ويزيل النجاسة ، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة ، إلا رجليه فإنه يؤخرهما إلى آخر الغسل ، ثم يفيض الماء على بدنه ثلاثا ، ثم يغسل الرجلين في مكان لايجتمع فيه الماء ..

وأصل ذلك ماروى أصحاب (الكتب الستة) (عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثتني خالتي ميمونة قالت : أدنيت (أي قربت) لرسول الله ﷺ غسله من الجنابة (أي مايغتسل به) فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً ، ثم أدخل يده فى الإناء ، ثم أفرغ على فرجه وغسله بشماله ، ثم ضرب بشماله الأرض فدلكها دلكاً شديداً (لنقائها من النجاسة) ، ثم توضأ وضوءه للصلاة ، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ، كل حفنة ملء كفيه ، ثم غسل سائر جسده ، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجليه ، ثم أتيته بالمنديل فرده) .

والرجل إذا كان له ضفائر من الشعر فيجب عليه حلّها حتى يصل الماء أثناء الشعر . أما المرأة فلا يجب عليها حل ضفائرها بل يكفيها أن يصل الماء إلى أصول شعرها لما روي أبو داود من أنهم استفتوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : « أما الرجل فلينثر رأسه (أي ينثر شعره) فليغسل حتى يبلغ أصول الشعر ، وأما المرأة فلا عليها أن تنقضه . فلْتَغرِفْ على رأسها ثلاث غرفات بكفيها » وفي رواية لمسلم : « أفأنقضه ، للحيضة والجنابة ؟ قال : لا إنّما يكفيك أن تحثي على رأسك ثلاث حثيات ثم تفيضي عليك الماء فتطهري » .

ومن سنن الغسل : البداءة بالنية ، والتسمية ، والسواك ، وتخليل اللحية والأصابع ، وَدَلْك ما أمكن دلكه من الجسم ..

وإذا لم يجد من يجب عليه الغسل الماء لبعده نصف ساعة ، أو خاف زيادة المرض باستعمال الماء ، أو ماوجد مايسخن به الماء في البرد ، أو خاف عدواً أو عطشاً ...

فإنه يجوز له في مثل هذه الأحوال التيمم وكيفيته : ضربتان على كل طاهر من جنس الأرض كالرمل والحجر والتراب .. ضربة لمسح وجهه ، وضربة ليديه مع مرفقيه ، لقوله تبارك وتعالى في سورة المائدة : ﴿ **فلم تجِدُوا ماءً فتيمَّمُوا صَعِيداً طَيباً فامسَحُوا بوجُوهِكم وأيديكم منه** ﴾ ، ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الدارقطني والحاكم وصححه :– « التيمم ضربتان : ضربة للوجه ، وضربة للذراعين إلى المرفقين » .

ويشترط في التيمم النية من أجل أداء عبادة مقصودة لاتصح إلا بالطهارة ، وكيفيته واحدة لرفع الحدثين : الأصغر والأكبر أي للوضوء وللغسل .

٧ – ومن البديهي أن يتعلم الولد أيضاً مايحرم عليه إذا كان في حال جنابة حتى لا يقع في المحرم .

وإليك – أخي المربي – أهم هذه المحظورات التى حظرها الإسلام على الجنب وذوات الأعذار من النساء :

– يحرم على الحائض والنفساء الصوم والصلاة بإجماع المسلمين .

وبالنسبة للقضاء فإنها تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ، لما روى الستة عن عائشة رضي الله عنها.أنها قالت : « كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ، ولانؤمر بقضاء الصلاة » .

– ويحرم عليهما دخول المسجد ، لما روى أبو داود .. « فإني لا أحل المسجد لجنب ولا حائض » .

– ويحرم عليهما الطواف بالكعبة لأنه من المسجد للحديث الذي سبق ذكره .

– ويحرم على الازواج الاستمتاع من الحائض والنفساء ماتحت الإزار فيما بين السرة والركبة .

لقوله تعالى : ﴿ فاعتزِلُوا النِّسَاءَ فى المحِيضِ ﴾ (البقرة : ٢٢٢)

ولما روى أبو داود عن عبد الله بن سعد قال : سألت رسول الله ﷺ مايحل لي من امرأتي وهي حائض ؟ فقال : « لك مافوق الازار » ، وفي المتفق عليه « أنه ﷺ كان لايباشر إحداهن حتى يأمرها أن تأتزر » .

– ويحرم على الجنب والحائض والنفساء قراءة شيء من القرآن الكريم ، لما روي الترمذي وابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « لاتقرأ الحائض والجنب شيئاً من القرآن » .

هذا إذا كانت القراءة على قصد التلاوة ، أما إذا كانت القراءة على قصد الذكر والثناء نحو : (بسم الله الرحمن الرحيم) ، (الحمد لله رب العالمين) ، (هو الله أحد ..) أو علمت الحائض أو الجنب حرفا حرفا بقصد التعليم فلا بأس به بالاتفاق لأجل العذر والضرورة .

هل يجوز للحائض والنفساء أن تقرأ القرآن وتمسّ المصحف إذا كانت مُعَلِّمة أو مُتعَلِّمة ؟ .

في مذهب الإمام أحمد قول ورواية عنه أن الحائض والنفساء يجوز لها قراءة القرآن ، واختاره الشيخ ابن تيمية كما في (الانصاف) .

وعند الإمام مالك يجوز للحائض والنفساء قراءة القرآن الكريم ، ومس المصحف إذا كانت عالمة أو متعلمة كما في (الشرح الصغير) للدردير بحاشية الصاوي

(ج١ : ٦٥ و ٩٢ - ٩٣) وفي ذلك يسر كبير على الطالبات والمعلمات .

ويجوز عند مالك أيضاً للجنب - ومن باب أولى الحائض والنفساء - قراءة اليسير من القرآن للتعوذ عند النوم ، أو خوف ، أو للتبرك ، أو للرقيا (من ألم أو إصابة عين) ، أو للاستدلال على حكم شرعي [١] .

- ويحرم على غير المتوضيء والجنب والحائض والنفساء من مسّ المصحف إلاّ بغلاف منفصل ، لقوله تبارك وتعالى : ﴿ **لايمسُّهُ إلا المطهرُون** ﴾ ولما روى الحاكم فى المستدرك وصححه عن حكيم بن حزام قال : لما بعثنى رسول الله ﷺ الى اليمن قال : « لاتمس القرآن إلّا وأنت طاهر ، وفي البخاري عن أبي وائل أنه كان يرسل جاريته وهي حائض إلى أبي رَزين لتأتيه بالمصحف فتمسك بعلاقته (أي بالخيط الذي يعلق به كيس المصحف) وأبو وائل ، وأبو رزين من كبار التابعين رضي الله عنهم وعن الصحابة .

- ويحرم على الجنب الصلاة لما فيها من قراءة القرآن كما سبق ذكره قبل قليل ، ويحرم عليه دخول المسجد ، ويحرم عليه الطواف ، للحديث الذي سبق : (لا أحل المسجد لجنب ولاحائض) .

أما صوم الجنب فإنه صحيح ولكن يأثم صاحبه إذا كانت الجنابة سبباً في تأخير الصلاة .

- المحتلم الذى استيقظ ورأى على ثوبه منياً ، فان كان رطبا فلا يطهر إلا بالغسل ، وان كان يابساً فيطهر بالفرك ، لما روى الدارقطني فى (سننه) والبزار في (مسنده) عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أفرك المني من ثوب رسول الله ﷺ إذا كان يابساً ، واغسله إذا كان رَطْباً » ، وفي رواية : « فيخرج إلى الصلاة وإنّ بُقَع الماء لفي ثوبه »

---

(١) ارجع إلى ماكتبه العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في تحقيقه لكتاب (فتح باب العناية) بشرح كتاب النقاية ج١ ص : ٢١٧ - ٢١٨ .

فاحرص – أخي المربي – على تعليم هذه الأحكام لأولادك وهم في سن التمييز والتعقل حتى إذا بلغوا سن التكليف وأصبحت العبادة فرضاً عليهم .. عرفوا مايجوز، فعله ومايحرم ، وعرفوا حكم الشريعة في كل مايتعلق بالغريزة ، ويتصل بالبلوغ ، بل تشملهم خيرية التفقه بالدين ، ويحظون بفضيلة العلم والتعليم .. وصدق رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذي رواه الشيخان : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » .

* * *

٥ – الزواج والاتصال الجنسي :

الله سبحانه خلق الإنسان وأودع فيه عدة ميول وغرائز كلها ضرورية لحفظ جنسه ، وبقاء نوعه .. وأنزل من التشريعات والأحكام ما يلبي حاجات هذه الميول والغرائز ، ومايكفل لها الاستمرار والنماء والبقاء ..

وما الزواج الذي شرعه الإسلام إلّا تلبية لغريزة الميل إلى الجنس الآخر .. ليسير الإنسان مع فطرته الجنسية ، وميله الغريزى بكل تلاؤم وتجاوب واتساق . دون أن يتأثر من فتنة الحياة ، وهياج الغريزة ، وأشواق الفطرة ... والآن أريد أن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه الحقائق التي تتصل بالغريزة الجنسية ، وترتبط بحكمة الزواج .. وهذه الحقائق تتعلق بشيئين :

أ – نظرة الإسلام إلى الجنس .

ب – لماذا شرع الله الزواج ؟ .

أما نظرة الإسلام إلى الجنس :

١ - فقائمة - كما ذكرنا في القسم الأول - على إدراك فطرة الإنسان [١] ، ورامية إلى تلبية أشواقه وميوله .. حتى لايتجاوز أي فرد في المجتمع حدود فطرته ، ولايسلك سبيلا منحرفاً يصطدم مع غريزته .. بل يسير على مقتضى المنهج القويم السوي الذي رسمه الإسلام ألا وهو الزواج .. وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ ومن آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لكُم مِن أنفُسِكُم أزواجاً لتسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينكم مودةً ورحمة ﴾ .

(الروم : ٢١)

ومن هنا يجب أن نعلم أن الإسلام حرّم العزوف عن الزواج والزهد فيه بنية التفرغ للعبادة ، والتقرب إلى الله .. ولاسيما إذا كان المسلم قادراً على الزواج متيسراً له أسبابه ووسائله .. بل نجد في شريعة الإسلام أن الشريعة حاربت بشدة لاهوادة فيها كل دعوة إلى رهبانية بغيضة ، وعزوبة ذميمة لكونها تتعارض مع فطرة الإنسان ، وتصطدم مع غرائزه وميوله .

فقد روي البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه (إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفيّة السمحة) .

وروى الطبراني والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ كَان موسِراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منّي » .

---

(١) ارجع إلى ماكتبناه في كتابنا (عقبات الزواج) في فصل (لارهبانية في الإسلام) ص١٩ الطبعة الثانية ، وارجع إلى ماكتبناه أيضا في القسم الأول من كتاب التربية تحت عنوان (الزواج فطرة إنسانية) تجد البحث فيهما وافياً .

ومن مواقف الرسول ﷺ في تربية المجتمع ، ومعالجة آفات النفوس هذا الموقف : روي البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ، فلما أُخبِروا كأنّهم تقالّوها (وجدوها قليلة) ، فقالوا : وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؟ ..

قال أحدهم : أمّا أنا فإني أصلّي الليل أبداً !! ..

وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أُفْطِر !! ..

وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوّج أبداً !! ..

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم قلتم كذا وكذا ؟ أمّا والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، ولكنّي أصوم وأفطر ، وأصلّي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ أعظم برهان على أن هذا الإسلام دين الفطرة ، وشريعة الحياة ، ورسالة الخلود .. إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟ .

٢ – ومن نظرات الإسلام الصائبة إلى الجنس اعتباره تصريف الشهوة بالحلال ، وإشباع الغريزة بالزواج .. من الأعمال الصالحة التي يستأهل صاحبها رضوان الله ، ويستحق الأجر والثواب ..

روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه أن أناساً من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبيّ : يارسول الله ذهب أهل الدّثور (الغني) بالأجور ، يصلّون كما نصلّي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدّقون بفضول أموالهم ..

قال عليه الصلاة والسلام : أو ليس الله قد جعل لكم ماتصدّقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وبكل تكبيرة صدقة ، وبكل تهليلة صدقة ، وبكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن المنكر صدقة ، وفي بُضْع أحدكم صدقة (أي الجماع) .

قالوا يارسول الله : أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ .

قال عليه الصلاة والسلام : أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر ؟

قالوا : بلى .

قال : فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له فيها أجر .

ألا فليفهم من يتهمون الإسلام بالكبت الجنسي هذه الحقائق في نظرة الإسلام إلى الجنس ، وموقفه الصريح من الزواج ؟!! .

٣ – ومن الأمور التى يجب أن يعرفها الأزواج ألا يجعلوا من مفهوم « وفي بُضْع أحدكم صدقة » ميلا كليا إلى إشباع الشهوة وقضاء الوطر . والتقلب في مضاجعة الزوجات حيث يقعدهم ذلك عن واجبات دعوية ، ومهمات جهادية فى سبيل الله ، ونصرة الإسلام .. ذلك لأن الإسلام أنتج لنا الإنسان القوي المتوازن الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، دون أن يغلب حقاً على حق ، أو واجباً على واجب .. بل إذا تعارضت مصلحة الإسلام والجهاد والدعوة إلى الله مع مصلحة المعاش والزوجة والولد والمال .. فينبغي على المسلم أن يغلب مصلحة الجهاد والدعوة على كل مصلحة دنيوية ، ومنفعة شخصية ، ومشاعر نسبية ووطنية وأسرية .. لأن إقامة المجتمع الإسلامي ، وتثبيت دعائم الدولة المسلمة ، وهداية الإنسانية التائهة إلى الإسلام .. هي غاية الغايات ، بل هي أسمى الأهداف والأمنيات في نظر المسلم .. وهذا صريح فى موقف ربعي بن عامر حين وقف أمام رستم في حرب القادسية ليقول له : (ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) .

وإليك – أخي المربي – بعض النماذج في تغليب السلف الصالح مصلحة الإسلام والجهاد على كل مصلحة ذاتية ، ومنفعة شخصية ، ومشاعر أسرية ونسبية .. ولاسيما مشاعر الركون إلى الأهل والزوجات :

(أ) **هذا الصحابي المؤمن** حنظلة بن أبي عامر الذي تزوج جميلة بنت أبيٍّ ليلة الجمعة ، وفي صباح ذلك اليوم نادى المنادي (حي على الجهاد) ، فما أن سمعها حنظلة حتى تقلد سيفه ، ولبس درعه ، وامتطى جواده ، ثم سار إلى القتال في غزوة أحد ، فلما بدأت الحرب قاتل قتال الأبطال ، ثم انكشف المسلمون . فأخذ حنظلة يقاتل وهو يمر بعينيه بين صفوف المشركين في أحد حتى يجد أبا سفيان ، فلما وجده هجم عليه ، فوقع أبو سفيان ، وحنظلة يريد ذبحه بالسيف ، فصاح أبو سفيان مستنجداً بقريش ، فسمع الصوت رجال ، فهجموا على حنظلة وضربوه ضربة قاتلة حتى استشهد رضي الله عنه .

وهاهو ذا النبي ﷺ يطلعه الله سبحانه على عالم الغيب فيقول لأصحابه : « إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صِحَاف الفضة »(٢) ، ويسرع الصحابة إلى حنظلة ينظرون إليه فإذا رأسه يقطر ماء .. فأرسلوا إلى امرأته يسألونها فأخبرتهم أنه ماسمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة !! .

(ب) **تزوج** عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما (عاتكة بنت زيد) ، وكانت حسناء جميلة ذات خلق بالغ ، وأدب رفيع ، فشغلته عن مغازيه وجهاده ، فأمره أبوه الصديق رضي الله عنه بطلاقها ، وقال معللا : (إنها شغلتك عن مغازيك فطلقها) ، فطلقها ، فمر به أبوه وهو ينشد :

فلم أر مثلي طلّق اليوم مثلها ... ولامثلها في غير ذنب تطلّق
لها خلقٌ جزل ورأي ومنصب ... على كبر مني واني لوامق (٢)

(١) حديث حنظلة رواه الترمذي والإمام أحمد .

(٢) لوامق : لمحب .

فرقّ له أبوه ، فأمره أن يراجعها فراجعها ، ثم شهد مع النبي ﷺ غزوة بالطائف فأصابه سهم ، فمات بعده بالمدينة رضي الله عنه .

(ج) روى الطبراني وابن اسحق .. أن أبا خيثمة رجع من سفر – بعد أن سار مع رسول الله ﷺ بعدة أيام – إلى أهله في يوم حار ، فوجد امرأتيه في عريشين (أي خيمتين) لهما في بستان له ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء فيه ، وهيأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وماصنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الشمس والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء في ماله مقيم ؟!! . ماهذا بالنَّصَفِ ؟ .

ثم قال : والله لأدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ .. فهيأتا له زاداً ، ثم قُدّم ناضحه (أي بعيره) فارتحله وخرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك ..

ولاشك أن أمة الإسلام ، وشباب الإسلام حين يقدمون حب الله سبحانه ، وحب رسوله عليه الصلاة والسلام وحب الجهاد في سبيل الله ، وحب الدعوة إلى الله على كل غال ورخيص في الحياة .. فالله سبحانه يمكن لهم في الأرض ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمنا . ومن بعد ضعفهم قوة .. وتصبح الدنيا تحت سلطانهم ، والإنسانية كلها منقادة لأمرهم أو نهيهم ... وإلا فليتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، وينزل بهم نقمته وعذابه ، والله لايهدي القوم الخارجين عن طاعته ، الحائدين عن هديه وصراطه !! .

وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله :

﴿ قُل إن كَانَ آباؤكُم وأبناؤكُم وإخوانكُم وأزواجُكُم وعشِيرَتُكُم وأموالٌ اقترفتمُوهاِ وتجارةٌ تخشَـون كَسادَهَا ومساكنُ ترضَونها أحَبَّ إليكم من الله

ورسُولِهِ وجهادٍ في سبيلِهِ فترَبَّصُوا حتى يأتِيَ اللهُ بأمرِهِ واللهُ لايهدِي القومَ الفاسِقِين ﴾ .

(التوبة : ٢٤)

وعلينا ألّا نغفل دور المرأة في واجب الدعوة والجهاد .. فالإسلام كلفّها بمهمة الخروج إلى الجهاد كلما سنحت الحاجة ، ودعت الضرورة .

وقد وقفت المرأة المسلمة فيما مضى إلى جانب رسول الله ﷺ وصحابته تقاتل بالسيف دونهم ، وتسعف الجرحى . وترعى المرضى . وتنقل القتلى ، وتصنع الطعام ..

وإليكم الشواهد :

(أ) روى مسلم عن الربيع بنت معوِّذ قالت : (كنا نغزو مع رسول الله ﷺ ونردّ الجرحى والقتلى إلى المدينة) ، وفي رواية أم عطية الأنصارية قالت : (غزوت مع رسول الله ﷺ سبع غزوات أخلفهم في رحالهم ، وأصنع لهم الطعام ، وأداوي الجرحى ، وأقوم على الزمنى « أي المرضى ») .

(ب) وروى ابن هشام في سيرته أن أم سعد بنت سعد بن الربيع دخلت على أم عمارة فقالت لها : ياخالة أخبريني خبرك – أى في غزوة أحد – فقالت : خرجت أول النهار ، وأنا أنظر مايصنع الناس . ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والدولة للمسلمين (أي النصر) . فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال ، وأذبّ عنه بالسيف ، وأرمي عن القوس ، حتى خلصت الجراح اليّ ..

(ج) وروى ابن هشام .. أن صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها حين رأت يهودياً يطوف في الحصن شدت وسطها وأخذت عموداً ثم نزلت من الحصن فضربته حتى قتلته .

والأمثلة على ذلك كثير أعظم من أن تحصى ، وأكبر من أن تستقصى !! .

أما واجبها في تبليغ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. فإنها كالرجل سواء بسواء قال تعالى :

﴿ والمؤمنونَ والمؤمناتُ بعضُهُم أولياءُ بعضٍ يَأمُرونَ بالمعروفِ ويَنهونَ عن المنكَرِ ويقُيمونَ الصلاةَ ويؤتون الزكاةَ ويطيعونَ الله ورَسُوله أولئِك سيرَحمُهُم الله إن الله عزيزٌ حكيم ﴾ . (التوبة : ٧١)

تلكم – أخي المربي ــ أهم النظرات الإسلامية التي يجب أن يتلقنها الولد وهو في سن التمييز حتى إذا تم أمر الخطوبة ، ودخل عتبة الزواج عرف أن الاتصال بالجنس هو وسيلة لتحقيق غاية نبيلة ألا وهي اقامة دولة الإسلام ، وعندئذ يتوازن بعد الزواج ليؤدي كل ذي حق حقه في الحياة دون أن يتساهل في مسؤولية أو يتقاعس عن واجب ..

وهذا هو الإسلام في حقيقته وصفائه ومفاهيمه !! .

أما لماذا شرع الله الزواج ؟ (١)

فسبق أن ذكرنا في القسم الأول من هذا الكتاب تحت عنوان (الزواج مصلحة اجتماعية) والحكمة في مشروعية الزواج ، وهانحن أولاء نأتي على أهم الفوائد التي يجنيها المتزوج من الزواج باختصار للاستذكار والعبرة :

– من الفوائد المحافظة على الأنساب ، قال تعالى :

﴿ والله جَعَلَ لكم مِن أنفسِكُم أزوَاجاً ، وجَعَلَ لكُم من أزواجِكُم بنينَ وحَفَدَة ﴾ (النحل : ٧٢)

---

(١) ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) تجد فيه البحث مفصلا وافيا إن شاء الله .

– ومن الفوائد سلامة المجتمع من الانحلال الخلقي ، قال عليه الصلاة والسلام : « يامعشر الشباب : من استطاع منكم الباءة [1] فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ..» (رواه الجماعة) .

– ومن الفوائد تعاون الزوجين على مسؤولية الأسرة ، قال عليه الصلاة والسلام : « والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ..» (رواه الشيخان) .

– ومن الفوائد سلامة المجتمع من الأمراض والآفات ، قال عليه الصلاة والسلام : « لاضرر ولاضرار » (رواه مالك وابن ماجه ..) .

– ومن الفوائد السكن الروحي والنفسي ، قال تعالى :

﴿ وَمِن آياتِهِ أنْ خَلَقَ لكُمْ مِن أنفُسِكُم أزوَاجاً لتسكُنُوا إليها وجَعَلَ بينكُمْ مودَّةً ورحمةً .. ﴾ .

(الروم : ٢١)

– ومن الفوائد إنجاب ذرية الإسلام الصالحة ، قال عليه الصلاة والسلام : « تناكحوا تناسلوا تكثروا فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة » (رواه عبد الرزاق والبيهقي) .

فالولد – أخي المربي – حين يفهم هذه الحقائق عن الزواج فإنه يندفع اليه بكليته ، ويسعى إليه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ..

وأريد أن أهمس في أذنك – أخي المربي – هذه النصيحة :

---

(١) الباءة : القدرة على الزواج .

إن كنت ميسورا – أيها الأب – من الناحية المادية (فينبغي أن تساهم مساهمة فعالة في تسهيل أسباب الزواج لولدك لتنقذه من الهواجس النفسية ، والتأملات الجنسية .. التى تسيطر على عقله وتفكيره ، وتقف عائقاً في طريق غايته أو تعليمه .. وتنقذه أيضا من الانحلال الخلقي الذي يفتك بصحته ، ويسيىء إلى سمعته .. ولايتأتى هذا إلا بتيسير أسباب الزواج من ناحية ، وإمداده بالنفقة من ناحية أخرى ، وكل تهاون أو تقصير في هذه السبيل يُعرّض ولدك الشاب إلى أوخم النتائج ، وأخطر العواقب !! .

وكثيرا مانسمع عن آباء أغنياء ميسورين يبخلون في تقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم ، متذرعين بأن أبناءهم بلغوا السن التى تسقط عنهم تقديم المعونة ، ووجوب النفقة .. ولكنهم لو دروا أن المال الذي يقدمونه هو بمثابة قوارب انقاذ مما يعانونه من اضطراب بالتفكير ، وفساد فى الخلق ، وقلق في النفس .. لما بخلوا وتقاعسوا في تقديم أقصى المؤازرة ، وتيسير أسباب الزواج !! .

ولماذا يبخل الأب الميسور على ولده ، ولماذا لا ييسر له طريق الزواج ؟

هل سيخلد فى الحياة ؟

هل هذا المال الذي بحوزته سيأخذه معه إلى الآخرة ؟

إنه سيموت لامحالة ، وسيوضع في حفرة صغيرة ليس فيها أثاث ولارياش ولازينة .. وسيؤول المال إلى ورثته لامحالة ..

إذن فليَجُدْ الأب الموسر بماله ، ولينفق مماجعله الله مستخلفاً فيه وليبدأ بمن يعول ، وليسع جهده في تسهيل أسباب الزواج لولده ، وليستمع إلى مايقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه مسلم : « دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته على رقبة (اعتاق عبد) ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرا ما أنفقته على أهلك » .

(والله سبحانه لايضيع أجر من أحسن عملا .) (١)

وإذا أردت – أخي المربي – أن تعرف منهج الإسلام في اختيار الزوجة فارجع إلى ماكتبناه في القسم الأول من هذا الكتاب تحت عنوان (الزواج انتقاء واختيار) تجد فيه إن شاء الله البحث وافيا كاملا .. فلا تجد بدّاً إلا أن تختار لولدك الزوجة الصالحة التى إذا نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه ، فإذا رزقه الله منها غلاما دعا ربه بهذا الدعاء (**رَبَّنا هَبْ لنا مِنْ أزواجِنَا وذُرِّياتِنا قُرةَ أعينٍ واجعلنا للمتقِينَ إماماً**) ، وأُعانَتْهُ على تربيته وإعداده ليكون عضوا نافعاً في الحياة ..

بعد هذا كله نوضح **المراحل التى يجب أن يسير عليها المتزوج ليلة الزفاف** من حين أن يخلو بعروسه إلى أن تتم العملية الجنسية .. ليعلم من يريد أن يعلم أن الإسلام بتشريعه الشامل قد علمنا كل شيء حتى آداب الزفاف ، وأصول المعاشرة الزوجية !! .

والمراحل هي اتباع الخطوات التالية :

يستحب **أن يضع اليد على رأس العروس ويسمي الله سبحانه ويدعو لها بالبركة** ، لما أخرج البخاري وأبو داود وغيرهما عن النبي ﷺ قال : « إذا تزوج أحدكم امرأة .. فليأخذ بناصيتها ، وليسم الله عز وجل ، وليدع بالبركة وليقل : اللهم إنى أسالك من خيرها وخير ماجبلتها عليه – أي خلقتها وطبعتها عليه – ، وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه » .

٢ – ويستحب للعروسين أن **يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة** ، لما أخرج ابن أبي شيبة بسند جيد عن شقيق قال : (جاء رجل يقال له : أبو حريز

---

(١) من كتاب « عقبات الزواج » ص ٦٤ للمؤلف .

انصح كل أب أن يقرأ كتاب « عقبات الزواج » وطرق معالجتها على ضوء الإسلام ، ليعرف الحلول العملية التى وضعها الإسلام فى تذليل عقبات الزواج .

فقال : إني تزوجت جارية شابة (أي بكرا) وإني اخاف أن تفركني (أي تبغضني) ، فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « إن الإلْف من الله ، والفِرْك من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره إليكم ما أحل الله لكم ، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين ، وقل : (اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم في ، اللهم اجمع بيننا ماجمعت بخير ، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير » .

٣ – ويستحب للزوج **أن يلاطف عروسه ويقدم لها شيئاً تشربه أو تأكله ...** لما أخرج أحمد في مسنده أن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : (قيّنتُ (زيّنت) عائشة رضي الله عنها لجَلْوَتِها (للنظر اليها مجلوة مكشوفة) فجاء عليه الصلاة والسلام إلى جنبها فأتى بعُس لبن (قدح كبير) فشرب ، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت ...) .

وروى الترمذي والنسائي بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله » .

وروى الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي » .

ولاشك أن في هذه الملاطفة إيناسا لها وزوالا لوحشتها ،وتمتيناً لأواصر المودة والمحبة بينهما .. لأنه – كما يقولون – لكل داخل دهشة ، ولكل غريب وحشة .

٤ – من آداب المباشرة **أن ينخلعا من ثيابهما** ، لما للتجريد من الثياب من الراحة للبدن ، والسهولة في التقلب ، والزيادة في المتعة ، والأنس للزوجة ..

والأفضل أن يكون التعري الكامل تحت لحاف واحد ، لما روى أحمد والترمذي وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى حَيِيٌّ سِتّير يحب الحياء والسّتر » .

وأخرج الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « إياكم والتعري فإن معكم من لايفارقكم إلا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضي الرجل إلى أهله (أي الجماع) فاستحيوهم وأكرموهم » .

وسبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها حين قالت : (قُبِض رسولُ الله ﷺ ولم يرَ مني ولم أرَ منه) .

ومما يؤكد أفضلية الستر ، مارواه الترمذي بسند ضعيف : « إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العَيْرَيْنِ » أي الحمارين .

٥ – ومن آداب المباشرة **الملاعبة والعناق والقبلة قبل أن يأتيها** ، لما روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عنه عليه الصلاة والسلام : « لايقعنّ أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، ليكن بينهما رسول » ، قيل : وما الرسول ؟ قال : « القُبْلَة والكلام » وروى أبو منصور أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة من العجز : ... وعدد منها : وأن يقارب الرجل جاريته أو زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤنسها ويضاجعها فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها » (١) .

من هذا الحديث نستدل : أن على الزوج أن يلاحظ أثناء العملية الجنسية توافق زوجته معه فى الحصول على اللذة والإنزال .

يقول الإمام الغزالي في إحيائه : (.. ثم إذا قضى وطره (أي الزوج) فليتمهل على أهله حتي تقضي هي أيضاً نهمتها ، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيج شهوتها ، ثم القعود عنها ايذاء لها ، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال ، والتوافق في الإنزال ألذ عندها .. » (٢) .

---

(١) الحديثان وإن كان فيهما ضعف فمعناهما صحيح ، لما للملاعبة من الملاطفة للزوجة ، والاستثارة للغريزة ، وتهيئة نفسية للمباشرة ، وتلذذ في الجماع ..

(٢) من كتاب (احياء علوم الدين) ج٢ ص : ٥٠ باب أدب المعاشرة .

٦ – ومن آداب الجماع **أن يدعو الزوج بهذا الدعاء** ، وذلك ماروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « لو أن أحدكم أتى أهله قال : (بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنّب الشيطان مارزقتنا) ، فإنْ قُضِي بينهما ولد لم يضره الشيطان أبداً) .

٧ – يجوز أن يأتي أهله **في أية كيفية شاء مادام الإتيان في الفرج** ، لقوله تبارك وتعالى « **نِسَاؤكم حَرثٌ لكم فأتوا حَرثكُم أنَّي شِئْتُم** » ، والمعنى أئتوا نساءكم في موضع الحرث وهو الفرج كيف شئتم سواء أتيتموهن من أمام أو من خلف أو على جنب ..

روى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : (كانت اليهود تقول : إذا أتى الرجل امرأته من دُبُرها في قبُلها (أي الفرج) كان الولد أحول !! .

فنزلت : ﴿ **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم** ﴾ ، فقال رسول الله ﷺ : « مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج » .

وأفضل هيئات الجماع أن يعلو الرجل المرأة ، وهذه الهيئة مستوحاة من حديث المصطفى ﷺ الذي روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، وذلك في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري قال : اختلف رهط من المهاجرين والأنصار ، فقال الأنصاريون : لا يجب الغسل إلا من الدفق أو الماء (أي المني) ، وقال المهاجرون : بل إذا خلط فقد وجب الغسل ، وقال أبو موسى : أنا أشفيكم من ذلك ، قال : فاستأذنت على عائشة فأذن لي ، فقلت : يا أماه إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا أستحييك قالت : لا تستحي أن تسألني عما كنت سائلا عنه أمك التي ولدتك فإنما أنا أمك ، قلت : فما يوجب الغسل ؟ .

قالت : على الخبير سقطت ، قال رسول الله ﷺ : « إذا جلس بين شعبها الأربع (أي بين يديها ورجليها) ، ومس الختان الخِتان فقد وجب الغسل » .

٨ - **وإذا أراد العود في الجماع فيستحب له الوضوء لكونه أنشط** ، لما روى مسلم وأبو داود .. عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوءا فإنه أنشط للعود » .

والغُسْلُ أفضل ، لما روى أبو داود والنسائي عن النبي ﷺ أنه طاف ذات يوم على نسائه ، يغتسل عند هذه . وعند هذه ، قال أبو رافع - راوي الحديث - : يارسول الله ألا تجعله غسلا واحداً ؟ قال : « هذا أزكى وأطيب وأطهر » .

٩ - **الأفضل في حقهما المسارعة إلى الاغتسال .. وإذا تكاسلا فيستحب أن يتوضئا قبل النوم** ، لما روى مسلم عن عبد الله بن قيس قال : سألت عائشة رضي الله عنها قلت : كيف كان يصنع رسول الله ﷺ في الجنابة ، أكان يغتسل قبل أن ينام أم ينام قبل أن يغتسل ؟ .

قالت : كل ذلكم قد كان يفعل ، ربما اغتسل فنام ، وربما توضأ فنام .

قلت : الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة .

وانما كان الغسل أفضل لأن أحدهما إذا استيقظ سارع إلى صلاة الفجر دون تكاسل أو فوات أو مشقة .. ولاسيما في فصل الشتاء حيث البرد والزكام ..

١٠ - ويجوز للزوجين أن يغتسلا معاً فى مكان واحد ، لما روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء بيني وبينه واحد تختلف أيدينا فيه ، فيبادرني حتى أقول : دَعْ لي ، دَعْ لي ، قالت : وهما جنبان » .

ويجوز أن يغتسلا عريانين مع بعضهما ، ولكن الستر أفضل لحديث « الله أحق أن يستحيا منه » رواه أصحاب السنن إلا النسائي ..

على الزوجين أن يتنبها للمحظورات التالية :

١ - يحرم على الزوجين التحدث إلى الناس بما مارسا من عملية الوقاع إشارة أو كلاما » ، لما روى مسلم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي [١] إلى المرأة ، وتفضي إليه ثم ينشر سرها » .

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فلما سلّم (انتهى من صلاته) أقبل علينا فقال : « مجالسكم ، هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلق بابه وأرخى ستره ، ثم يخرج فيحدث فيقول : فعلت بأهلي كذا ، فعلت بأهلي كذا ، فسكتوا .. فأقبل على النساء ، فقال : هل منكن من تحدث ؟ فجثت فتاة كَعَابٌ (شابة) على إحدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامها .

فقالت : إي والله ، إنهم يتحدثون وإنهن يتحدثن ، فقال عليه الصلاة والسلام : هل تدرون مامثل من فعل ذلك ؟

إن مثل من فعل ذلك مثل شيطان وشيطانة لقي أحدهم صاحبه بالسكة (بالطريق) ، فقضى حاجته منها والناس ينظرون اليه » .

٢ - يحرم على الزوج أن يأتي أهله في الدُّبر ، لما أخرج النسائي وابن حبان بسند جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « لاينظر الله إلى رجل يأتي امرأته في دبرها » .

وروى ابن عدي وأبو داود وأحمد عنه عليه الصلاة والسلام : « ملعون من يأتي النساء في محاشهنّ » يعني أدبارهن .

---

(١) يفضى : كناية عن الجماع .

وروى أصحاب السنن إلا النسائي وسنده صحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى حائضا أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بمايقول فقد كفر بما أنزل على محمد » . .

وروى النسائي عن طاووس قال : « سئل ابن عباس عن الذي يأتي امرأته في دبرها ؟ فقال : هذا يسألني عن الكفر » ، وسنده صحيح .

ولاشك أن إتيان الدبر مضر بالصحة والجسم ، ومنافٍ لمبادىء الفضيلة والأخلاق ، وشارة فارقة من شارات الشذوذ والانحراف .. وقد فصلنا القول عن هذه الظاهرة الخبيثة في مسؤولية التربية الجسمية فارجع إليه – أخي المربي – تجد البحث وافياً كافياً مقنعاً إن شاء الله .

٣ – **يحرم على الزوج أن يأتي أهله أيام الحيض والنفاس** ، لقوله تعالى : ﴿ فاعتزلوا النساء في المحيض ﴾ ، وسبق أن ذكرنا حديث « من أتى حائضاً ... فقد كفر بما أنزل على محمد » .

أما تحريم إتيان المرأة في النفاس فقد ثبت في القياس ، وذلك قياس النفاس على الحيض لاشتراكهما في العلة والسبب ، وثبت في الإجماع أيضاً .

ولقد ذكرنا في البحث السابق أنه يجوز للزوج أن يستمتع من المرأة مافوق الإزار بين السرة والركبة في حالتي الحيض والنفاس ، ويحرم عليه الاستمتاع ماتحت الإزار ، والحكمة في هذا التحريم الحد من انطلاقة النفس الأمارة من أن تقع فيما هو محظور شرعاً ومضر جسماً .. ومن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه ، والمسلم عليه أن يحتاط لدينه وصحته ، ويأخذ بجانب الأتقى والأورع في سلوكه وتصرفاته ومعاملته ..

وقد ثبت طبياً أن الوقاع في زمن الحيض والنفاس يحدث الأضرار الآتية :

١ – آلام أعضاء التناسل في الأنثى : وربما أحدثت التهابات في الرحم في المبيض أو في الحوض حيث تضر صحتها ضرراً بالغاً ، وربما أدى ذلك إلى تلف المبيض وأحدث العقم ..

٢ - إنّ دخول مواد الحيض في عضو التناسل عند الرجل ، قد يحدث التهاباً صديدياً يشبه السيلان ، وربما امتد ذلك إلى الخصيتين فآذاهما ، ونشأ من ذلك عقم الرجل ، وقد يصاب (بالزهري) إذا كانت جراثيمه في دم المرأة .

وعلى الجملة فقربانها في هذه المدة قد يحدث العقم فى الذكر أو في الأنثى ، ويؤدي إلى التهاب أعضاء التناسل ، وإضعاف الصحة ، وكفى في ذلك ضرر وأي ضرر !! .

ومن ثم أجمع الأطباء المحدثون في بقاع المعمورة على وجوب الابتعاد عن المرأة في هذه المدة كما نطق بذلك القرآن الكريم المنزل من لدن حكيم خبير :

﴿ ويسألُونك عن المحيضِ قُل هُو أذىً فاعتزِلوا النِّساءَ في المحيض .. ﴾ (١) **أهـ** .

ومن أبتلي بوقاع زوجته وهى حائض أو نفساء فليكفر عن ذنبه بالتوبة الصادقة النصوح ، واستغفار الله عز وجل والندم على مافعل وهذا هو مذهب جمهور الفقهاء . وفي مذهب ابن عباس ، وقتادة والأوزاعي ، وإسحق ، وأحمد في الرواية الثانية ، والشافعي في قوله القديم .. يتصدق مايعادل ديناراً أو نصف دينار (٢) على حسب حاله من اليسر أو العسر ، أو على حسب حال الدم أحمر أو أصفر .. للحديث الذى رواه أصحاب السنن والطبراني .. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض قال : « يتصدق بدينار أو نصف دينار » ، وفي لفظ للترمذي : « إذا كان دماً أحمر فدينار ، وإن كان دماً أصفر فنصف دينار » .

---

(١) تفسير (المراغي) من تفسير قوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً ... ﴾ (البقرة : ٢٢٢) ، ونقل الشيخ المراغي هذه الأضرار عن كبار الأطباء المحدثين .

(٢) الدينار يقدر بـ /١٢/ درهما من فضة ، والدرهم يساوي /٣/ غرامات وغرام الفضة يساوي بالعملة السورية بـ (١١٠) ق . س تقريباً .

ومما ينصح به الأطباء وأهل العلم والاختصاص :

١ - أن يكون معتدلًا في قضاء الشهوة ، وإشباع الوطر .. وحدود الاعتدال مرتان في كل أسبوع ، وله أن يزيد أو ينقص بحسب حاجته وحاجتها في الإعفاف والإحصان .. ولكن عليه ألا يُفْرِط ، لأن الكثرة تؤدي إلى الإضرار بالجسم ، وانهيار في العقل ، وتعطيل عن العمل ، والانصراف عن حمل مسؤولية الإسلام ..

٢ - المداعبة أولا ثم قضاء الشهوة وقد سبق ذكر ذلك .

٣ - أن يتحين الزوج الوقت المناسب للوقاع ، لأن مزاج المرأة حساس . فإذا أتاها في وقت لايتفق مع مزاجها كأن تكون مريضة أو متعبة .. فربما آل الأمر إلى الكره ، وزرع البغضاء والشحناء ، وأحيانا الفراق ..

٤ - على الزوج قبل أن ينزع أن يراعي حال زوجته في الحصول على اللذة ، واشباع الشهوة ، وقد سبق ذكر ذلك أيضاً .

٥ - الجماع جائز في كل الشهور والأوقات والأيام ، وفي كل ساعة من ليل أو نهار إلا ماحرمته الشريعة كأن يكونا صائمين صيام الفرض مثلا ، أو كانت الزوجة في حالة الحيض أو النفاس ..

ولكن من السنة الوقاع يوم الجمعة وليلته .. للحديث الذي رواه البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ، فكأنما قرب بَدَنَةً (جملا) ، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن . ومن راح فى الساعة الرابعة كأنما قرب دجاجة . ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » .

وفي الحديث الذى رواه أبو داود والنسائي .. « من غَسَّل (١) يوم الجمعة واغتسل . وبكر وابتكر (أي إلى الصلاة) ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل سنة : أجر صيامها وقيامها » .

٦ - على الزوجة أن تراعي مزاج زوجها فيما يرغب من تزين ، وملاطفة . ووقاع فى أوقات مخصوصة ، فلا يحل لها أن تقف دون رغبته ، أو تصوم نفلا بدون أذنه .. روى البخارى ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » وفي رواية : « حتى يرضي عنها » .

وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لايحل لامرأة أن تصوم (أي نفلا) وزوجها شاهد (أي) حاضر مقيم في البلد إلا بإذنه » .

تلكم أهم النظرات إلى الجنس من وجهة نظر الإسلام ..

وتلكم أميز الآداب في الاتصال الجنسي من زاوية الشريعة الربانية وكيف يتم الزواج؟ .

الله أسأل أن يهيىء لشبابنا الزوجات الصالحات ، إذا نظر أحدهم إلى زوجته سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غابَ عنها حفظته بنفسها وماله .. اللهم آمين .

★ ★ ★

---

(١) من غسل : أي جامع امرأته فأحوجها إلى الغسل .

٦ - **وليستعفف الذين لايجدون نكاحا** (١) مما لايختلف فيه اثنان أن المال أساس السعادة ، وعصب الحياة .. إذا تيسر للإنسان فإنّه يحلّ له كل عقدة ، ويذلل في طريقه كل عقبة ، ويوصله إلى كل غاية ..

وصدق من قال :

إن الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

وربما يوجد إنسان ذو علم وخلق .. في بيئة اجتماعية متغطرسة ، تعتبر المال كل شيء ، فتراه غير مكترث به ، وغير مأبوه له .. لكونه فقير الحال ، ضيق اليد .. ولو كان إمام الحرمين ، وعالم الثقلين .. ورحم الله من قال :

فصاحة حسان وخط ابن مقلة وحكمة لقمان وزهد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرء والمرء مفلس ونودي عليه لايباع بدرهم

ولقد صدق الشاعر حين صور لنا اعتبار المال في بيئته الجهل والغنى هو الاعتبار الأول حين قال :

تموت الأسد جوعا في البرايا ولحم الطير ملقي للكلاب
وذو جهل ينام على حرير وذو علم ينام على التراب

فالمال إذن - كما هو مشاهد - هو العصب الحساس لارتقاء سلم الحياة ، وهو الوسيلة الأساسية للوصول إلى أى غاية ، وهو الاعتبار الأول لدى أهل الجهل والضلال !! .

ولكن ماذا يفعل الشباب إذا رغبوا في الزواج ، والمال غير متيسر لديهم . وماذا يصنعون إذا لم يروا ممن يعايشونهم تكافلا ولاعطفاً ؟

---

(١) هذا البحث منقول طبق الأصل مع بعض التصرف والاختصار من كتابنا (عقبات الزواج) ... الطبعة الثانية من ص ١٥٣ إلى آخر الفصل ، وقد آثرت نقله لارتباطه ببحث (التربية الجنسية) الذي نحن بصدده الآن ، وستلحظ - أخي المربي - عند الانتهاء من قراءته وجه هذا الارتباط .

إنهم يريدون أن يعصموا أنفسهم بالزواج ولكن لايجدون السبيل إليه !

إنهم يريدون أن يستجيبوا لدواعي الغريزة بالرباط المقدس ولكن تحول دونهم عقبات وعقبات [١] !! .

إنهم يريدون أن يلبوا نداء الرسول ﷺ في دعوة الشباب إلى الزواج ولكن لم يجدوا المال . ولم يجدوا من البيئة التي يعايشونها عطف الإنسان على أخيه الانسان !! ..

إذن ما السبيل إلى إحصان نفوسهم ، والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ،

السبيل إلى ذلك هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بحبل الإعفاف والتسامي ، وهذا هو الطريق الوحيد في إصلاح نفوسهم ، وإحصان فروجهم ، والترفع عن هواجس نفوسهم الأمارة بالسوء .

قال تعالى : ﴿ وليستَعفِفِ الذين لِايجِدُون نِكَاحاً حتى يُغْنِيَهُم الله من فضلِه ﴾ .

(النور : ٣٣)

هذه الدعوة القرآنية إلى العفة تربية نفسية كريمة . تقوي فى نفوس الشباب الإرادة ، وترسخ في قلوبهم العزيمة ، وتجعل منهم أناسي كالملائكة ، وتمنحهم دائما الطمأنينة والاستقرار !! ..

ولكن ماهو المنهج الذى وضعه الإسلام فى وصول الشاب إلى قمة العفة والتسامى :

---

(١) ارجع إلى كتابنا (عقبات الزواج) وطرق معالجتها على ضوء الاسلام تجد – أخى المربى – العلاج الإسلامى الناجع لكل عقبة تقف في طريق الزواج ولعلك تستأنس بها وتستمر علي نهجها .

كنا تعرضنا لأصول هذا المنهج - أخي المربي - في (علاج ظاهرة العادة السرية واستئصالها) [١] في الفصل الثالث من هذا الكتاب .

وها أناذا أستعرض معك العناوين العريضة لأصول هذا المنهج مع ماجد لي من إضافات جديدة لاستكمال البحث ، وعلى الله قصد السبيل .

أما العناوين العريضة فهي على الترتيب التالي :

١ - الزواج في سن مبكرة .
٢ - الاستمرار فى صوم النفل .
٣ - الابتعاد عن المثيرات الجنسية .
٤ - ملء الفراغ بما ينفع .
٥ - الرفقة الصالحة .
٦ - الأخذ بالتعاليم الطبية .
٧ - استشعار خوف الله تبارك وتعالى .

اما الإضافات الجديدة لاستكمال المنهج فتتركز في نقطتين :

الأولى : غض البصر عن المحرمات .
الثانية : تقوية الوازع الدينى :

أما غض البصر عن المحرمات فكنا أفضنا القول عنه في بحث (**أدب النظر**) .

وها أناذا ألفت ذهن القارىء مرة ثانية إلى الخطر الذي يترتب عليه النظر باختصار ، ليكون المربي دائما على توعية واستذكار .

---

(١) ارجع إلى البحث ص٢٣٢ من هذا الكتاب .

مما لاجدال فيه أن النظرة إلى المرأة الأجنبية سهم من سهام ابليس ، فمن تركها مخافة الله بدله الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه ..

ومما لاشك فيه أن النظرة التى تتبعها النظرة تؤدي إلى الانجذاب الشهواني نحو المرأة أو نحو الرجل ، وهذا الانجذاب يتبعه الابتسامة ، والابتسامة يتبعها السلام ، والسلام يتبعه الكلام ، والكلام قد يتبعه الموعد واللقاء ، واللقاء يؤدي لامحالة إلى نتائج وخيمة لاتحمد عقباها !! ..

فقديما قال الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

وحديثا قال :

نظـــرة فابتسامـــــة فسلام فكـــلام فموعـــد فلقـــــاء

ويكفي النظرات الخائنة إلى المرأة ضررا أنها تسد في الإنسان منافذ التفكير الصافي ، وتشغله عن كثير من الواجبات . وتؤدي إلى تفسخ الأمة وانحلالها ، وتجعل من الشباب المتفسخ المتميع .. شباب لهو وعبث .. يسيرون في الحياة بلا هدف ولاغاية !! .. (١) بل هم أخطر مايكونون على الأمن والاستقرار ، وأضر مايكونون على الفضيلة والأخلاق !! .

من أجـل هـذا أمر القرآن الكريم المؤمنين والمؤمنـات بـأن يغضّـوا من أبصـارهم ، ويحفظوا فروجهم ..

قال تعالى في سورة النور : **﴿ قُل للمؤمنين يَغُضُّوا من أبصَارِهم ويحفَظُوا فُرُوجَهُم ذلك أزكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يَصنعُونَ ، وقُل للمؤمناتِ يَغضُضنَ من أبصارِهنَّ ويحفَظنَ فُروجَهُنَّ ﴾** (النور : ٣٠ ، ٣١)

---

(١) إرجع إلى رسالتنا (إلى كل أب غيور يؤمن بالله) تجد مايشفي الغليل فى الحكمة من تحريم النظر والاختلاط .

فالعلاج الوحيد إذن في الوصول إلى قمة العفة والتسامي هو غض البصر عن المحرمات . ألا فليتذكر أولو الألباب !! .

أما تقوية الوازع الديني : فإنا عرضنا في مواضع كثيرة من هذا الكتاب عن الوسائل في غرس العقيدة الربانية في نفس الولد ، وعن المراحل المتدرجة التى تؤدي إلى ترسيخ التربية الإيمانية في الطفل حتى إذا درج نحو المراهقة ، وشارف سن البلوغ ، ودخل عتبة الشباب .. انصلح حاله ، وازادنت أخلاقه .. وكان كالملك يمشي على الأرض . وكالعابد المتبتل يسير في الناس .

ومن المعلوم أن ربط الولد بالعقيدة الربانية ، وتربيته على مراقبة الله في السر والعلن ، وحضور مجالس العلم والذكر ، والمداومة على الفروض وصلاة النفل ، والمواظبة على تلاوة القرآن ، والتهجد في الليل والناس نيام ، والإستمرار على صيام المندوب والتطوع ، والاستماع إلى أخبار الصحابة والسلف ، واستذكار الموت ومابعده ، والارتباط بالرفقة الصالحة والجماعة المؤمنة ..

كل ذلك إذا فعله الشاب قوي في نفسه الوازع الديني ، وتجنب مواطن الفساد ، وابتعد عن الميوعة والتحلل ، ووصل إلى قمة العفة والتسامي .

واليكم – ياشباب – نموذجين عظيمين من العفة والتسامي للتأسي والاقتداء :

الأول : (يوسف عليه السلام شاب في ريعان الشباب مكتمل الرجولة ، يانع الفتوة ، تدعوه إلى نفسه امرأة ذات منصب وجمال ، والأبواب مغلقة والسبل ميسرة كما حكى القرآن الكريم .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ التي هو في بيتها عن نفسِهِ وغَلَّقَتِ الأبوابَ وقالت هَيْتَ لك ﴾ .

(يوسف : ٢٣)

ماذا كان موقفه أمام هذا الإغراء ، وتلك الفتنة التي تخطف الأبصار ؟

ألانت قناته فاستسلم وخان عرضا اؤتمن عليه ؟ كلا إنما قال (**معاذَ الله إنه ربِّي أحْسَنَ مَثواي إنه لايُفلِحُ الظالمون**) .

(يوسف : ٢٣)

ولقد حاولت امرأة العزيز بكيدها ومكرها ، وبكل ما لديها من ألوان الإغراء والتهديد أن تذيب من صلابته ، وتضعضع من شموخه ، وأعلنت ذلك نسوة في ضيق وغيظ :

(**ولقد رَاودتُه عن نفسِه فاسْتعصَمَ ولئن لم يفعل ماآمُرُه لَيُسجَننَّ وليكونَنْ من الصَّاغِرين**) .

(يوسف : ٣٢)

ولكن الشاب يوسف عليه السلام اتجه بكلية إلى الله يسأله المعونة والعصمة :

(**ربِّ السجنُ أحبُّ إليَّ مما يدعُونني إليه ، وإلَّا تصرِفْ عني كَيدَهُنَّ أصبُ إليهن وأكُن من الجاهِلِين**) .

(يوسف : ٣٣)

كان فتنة بين ضمير المؤمن وخشيته الربانية .. ومغريات الإثم ، ففشلت المغريات ، وانتصر الإيمان !!) [١] .

الثاني : وهذه امرأة فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذهب زوجها إلى الجهاد ، وغاب عنها كثيرا ، فتخيم عليها كآبة الوحشة ، وتهجم عليها هواجس الوحدة ، ويثور في عرقها دم الأنوثة ، وتتأجج فيها نار الغريزة .. فلا يصدها عن ارتكاب المحرم إلا حاجز الإيمان ، ووازع المراقبة لله .. وفي جنح الليل البهيم سمعها عمر رضي الله عنه تنشد :

لقد طال هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألّا حبيب ألاعبه
فو الله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

---

(١) من كتاب « الإسلام والمشكلة الجنسية » للدكتور مصطفى عبد الواحد .

وفي اليوم الثاني دخل عمر رضي الله عنه على ابنته حفصة أم المؤمنين وقال لها : ماتصبر الزوجة على زوجها إذا غاب ؟

قالت : أربعة أشهر .

فأرسل الخليفة الراشد إلى قواده المرابطين في جبهات القتال يأمرهم ألا يحبسوا جندياً عن أهله أكثر من أربعة أشهر .

كانت فتنة بين استشعار هذه المرأة المؤمنة خشية الله .. وبين الدافع إلى الإثم والفاحشة فهمدت الدوافع وانتصر الإيمان .

* * *

تلكم أهم بنود المنهج في وصول الشاب المسلم إلى قمة العفة والتسامي .. ولاشك أن الشاب أذا اتبع أصول هذا المنهج ، وسار على بنوده بدقة وإحكام وتطبيق ومثابرة .. فإنه ينتصر في الحياة على كل الوساوس الشيطانية والنفسية التي تعتلج بين جوانحه ، ويتغلب على كل الدوافع الغريزية التى تتوهج فى أعماق كيانه .. بل يكون كالأنبياء في الأخلاق ، وكالملائكة في الطهر ، وكالسلف الصالح في العفة ، حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله ، ويسهل عليه أسباب الرزق والمعاش .. والله سبحانه دائما يتولى المتقين الأبرار ويجعل لهم من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجاً . لأنهالقائل في محكم تنزيله :

﴿ ومَنْ يَتَّقِ الله يجعَلْ له مَخْرَجاً وَيرزُقهُ من حيثُ لايحتسِب ﴾
(الطلاق : ٢ ، ٣)

والقائل أيضا : **﴿ وليستَعفِفِ الذينَ لايجدُونَ نِكَاحاً حتَّى يُغنِيهُم الله من فَضلِه ﴾** .

(النور: ٣٣)

وهذه العفة والتسامي ليس من الكبت في شيء - كما يتوهم البعض - لأن الكبت كما عرفه علماء النفس والتربية « هو استقذار العملية الجنسية ، والاستشعار بالاثم لمن يزاولها ولو كان مزاولتها عن طريق الزواج) .. وهذا معناه هو الترهبن ، ولقد عقدنا بحثاً خاصاً في بحث (الزواج والاتصال الجنسي) ولقد رأيت - أخي المربي - كيف أن الإسلام ذم العزوبة ، ونفر من الرهبانية .. ؟ وكيف أنه شرع الزواج تلبية للفطرة ، واستجابة للغريزة .. فأين الكبت وهذا هو الإسلام في مبادئه وواقعيته ؟ .

(وبناء على هذا فان الفتى الشاب حين يحس بالرغبة الغريزية فانه لايحتاج - في الإسلام - أن يستعيذ بالله من هذا الإحساس المجرد ، لأن الإسلام يقرر في صراحة أن هذه الرغبة أمر طبيعي لانكران له ولا خلاف عليه .

وعلى ذلك لايحتاج أن يكبت الشعور بهذه الرغبة ، لكي يتطهر في نظر الناس ونظر نفسه .. ولايحتاج كذلك أن يستشعر بالإثم من مجرد هذا الاحساس ، ومن ثم تنتفي كل الاضطرابات النفسية والعصبية التي تنشأ من الشعور بالإثم والتي تؤدي إلى الجريمة في حالات الشذوذ .

ولكننا نعلم أن الإسلام لم يبح للفرد أن يطيع هذا الهاتف الغريزى حسبمااتفق .. وانما وضع لذلك الحدود الشرعية التي يكون مباحاً في داخلها ، محرما فيما وراءها .

هذا صحيح ، ولكن هذا شيء والكبت شيء آخر .. فهذا التحريم لما وراءها تعليق ينظم النشاط ولكن لايقطعه من منبته ، ولايحرم الإحساس به فى أية لحظة بين الإنسان ونفسه ..) [١] .

ومما يؤكد أن الكبت ليس له وجود في ظلال التربية الإسلامية أن إنسانا ما - وهو في حياة العزوبة - إذا تملكته الشهوة - وتحكمت فيه الغريزة ، وترجح لديه أن سيرتمي في أحضان الفاحشة .. فيجوز له شرعا أن يلجأ إلى العادة السرية لتسكين

---

(١) من كتاب (الإسلام والمشكلة الجنسية) للدكتور مصطفى عبد الواحد .

غريزته والتخفيف من حدة شهوته .. أخذا بالقاعدة الأصولية التي تقول : « يختار أخف الضررين ، وأهون الشرّين » .

لهذا قال الفقهاء : « إن الاستمناء باليد حرام إذا كان لجلب الشهوة واثارتها وهي هادئة ، أما إذا غلبت الشهوة بحيث شغلت البال ، وأقلقت الخاطر ، وأوقفت على باب الفاحشة ، وتعين الاستمناء طريقا لتسكنيها فان الأمر جائز ومكافىء بعضه بعضا ، وينجو صاحبه رأساً برأس أى لا أجر عليه ولا وزر ، فلا يثاب ولايعاقب) [١] .

ألا فلتخرس ألسنة الذين يقولون إن الإسلام دين الكبت والرهبانية ، وإن نظرته إلى الجنس نظرة استقذار وترفع وكراهية !! ..

ولقد رأيت – أخي القارىء – أن هذا الادعاء ليس له أصل في مبادىء الإسلام الخالدة ..

★ ★ ★

وفي مسك الختام :

أثبت كلمة طريفة للكاتب الكبير الأستاذ على الطنطاوي تمثل لونا من الوعي الإسلامي المعاصر للشباب ، فهي نموذج فريد للفهم البصير ، والاقناع الهادىء الذي يدعو إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة .

يقول حفظه الله في رساله له (يا ابني) :

(لماذا تكتب اليّ على تردد واستحياء ؟ .

---

(١) هذا النص الفقهي من كتاب (ردود على أباطيل) للعلامة المرحوم الشيخ محمد الحامد ص ٤٢ وسبق أن ذكرناه في بحث (حكم العادة السرية) من هذا الكتاب .

تحسب أنك أنت وحدك الذي يحس هذه الوقدة في اعصابه من ضرم الشهوة ، وانك انت وحدك الذي اختص بها دون الناس أجمعين ؟! .

لا يابني ، هون عليك ، فليس الذي تشكو داءك وحدك ، ولكنه داء الشباب . ولئن أرّقك هذا الذي تجد ، وأنت فى السابعة عشرة ، فلطالما أرّق كثيرين غيرك ، صغاراً وكباراً ، ولطالما نفى من عيونهم لذيذ الكرى ، ولطالما صرف عن درسه التلميذ ، وعن عمله العامل ، وعن تجارته التاجر ..

فماذا يصنع الفتى في هذه السنوات ، وهي أشد سني العمر اضطرام شهوة ، واضطراب جسد ، وهياجا وغليانا ؟ .

ماذا يصنع ؟

هذه هي المشكلة ! .

أما سنة الله ، وطبيعة النفس ، فتقول له : تزوج .

وأما أوضاع المجتمع ، وأساليب التعليم فتقول له : اختر إحدى ثلاث كلها شر ، ولكن اياك أن تفكر في الرابعة التي هي وحدها الخير ، وهي الزواج ! .

١ – إما أن تنطوي على نفسك ، على أوهام غريزتك ، وأحلام شهوتك ، تدأب على التفكير فيها ، وتغذيها بالروايات الداعرة ، والأفلام الفاجرة ، والصورة العاهرة حتى تملأ وحدها نفسك ، وتستأثر بسمعك وبصرك ، فلاترى حيثما نظرت إلا صور الغيد الفواتن ، تراهن في الكتاب إن فتحته ، وفي طلعة البدر إن لمحته ، وفي حمرة الشفق ، وفي سواد الليل ، وفي أحلام اليقظة وفي رؤى المنام ..

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

ثم لاتنتهي بك الحال إلا إلى الهوس أو الجنون أو انهيار الأعصاب .

٢ - وإما أن تعمد إلى مايسمونه (الاستمناء) (العادة السرية) .. وقد تكلم في حكمه الفقهاء ، وقال فيه الشعراء ... وهو إنْ كان أقل الثلاثة شراً وأخفها ضرراً ، لكنه إن جاوز حده ركب النفس بالهم ، والجسم بالسقم ، وجعل صاحبه الشاب كهلا محطما ، كئيباً مستوحشاً ، يفرّ من الناس ويجبن عن لقائهم ، ويخاف الحياة ويهرب من تبعاتها ، وهذا حكم على المرء بالموت وهو في رباط الحياة .

٣ - وإما أن تغرف من حمأة اللذة المحرمة ، وتسلك سبل الضلال ، وتؤم بيوت الفحش ، تبذل صحتك وشبابك ومستقبلك ودينك في لذة عارضة ، ومتعة عابرة ، فإذا أنت قد خسرت الشهادة التى تسعى إليها ، والوظيفة التي تحرص عليها ، والعلم الذى أملت فيه ، ولم يبق لك من قوتك وفتوتك ماتضرب به في لُجّ العمل الحر .

ولاتحسب بعد أنك تشبع .. كلا إنك كلما واصلت واحدة زادك الوصال نهما ، كشارب الماء الملح لايزداد شربا إلا ازداد عطشاً ، ولو أنك عرفت منهن آلافاً ثم رأيت أخرى متمنعة عليك ، معرضة عنك ، لرغبت فيها وحدها ، وأحسست من الألم لفقدها مثل الذي يحسه من لم يعرف امرأة قط .

وهبك وجدت منهن كل ماطلبت ، ووسعك السلطان والمال ، فهل يسعك الجسد ، وهل تقوى الصحة على حمل مطالب الشهوة ؟ .

دون ذلك وتنهار أقوى الأجساد ، وكم من رجال كانوا أعجايب في القوة ، وكانوا أبطالا في الرّبع والصّرع والرمي والسّبْق ، ماهي إلا أن استجابوا إلى شهواتهم ، وانقادوا إلى غرائزهم حتى أمسَوا حطاماً ..

ان من عجائب حكمة الله ، أنه جعل مع الفضيلة ثوابها : الصحة والنشاط .. وجعل مع الرذيلة عقابها : الانحطاط والمرض .. ولرب رجل ماجاوز الثلاثين ، يبدو مما جار على نفسه كابن ستين ، وابن ستين يبدو من العفاف كشاب في الثلاثين .

ومن أمثال الإفرنج التى سمعناها وهي حق وصدق (من حفظ شبابه حفظت له شيخوخته) [١] .

وكأني أسمعك تقول : هذا الداء فما الدواء ؟ .

الدواء أن تعود إلى سنة الله وطبائع الأشياء التى طبعها الله عليها ، إن الله ماحرم شيئا إلا أحل شيئا مكانه ، حرم المراباة وأحل التجارة ، وحرم الزنى وأحل الزواج ، فالدواء هو الزواج .

فإذا لم يتيسر لك الزواج .. فليس إلا التسامي ، وأنا لاأريد أن أعقد هذا الفصل الذي كتبته ليكون مفهوماً واضحاً ، بمصطلحات علم النفس لذلك أعمد إلى مثال أمثّله لك .

أترى إلى إبريق الشاى الذي يغلي على النار ؟!

إنك إن سددته فأحكمت سده ، وأوقدت عليه ، فجره البخار المحبوس ، وإن خرقته سال ماؤه فاحترق الإبريق ، وإن وصلت به ذراعا كذراع القاطرة . أدار لك المصنع ، وسير القطار ، وعمل الأعاجيب ..

فالأولى حالة من يحبس نفسه على شهوته ، يفكر فيها ويعكف عليها .

والثانية حال من يتبع سبيل الضلال ، ويؤم مواطن اللذة المحرمة .

والثالثة حالة المتسامي (المستعفّ) .

---

(١) يذكرنى هذا المثل ماروى عن أحد السلف الصالح قوله : « هذه أعضاء حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر » .

فالتسامي هو أن تنفس عن نفسك بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي .. يستنفد هذه القوة المدخرة ، ويخرج هذه الطاقة المحبوسة .. بالالتجاء إلى الله والاستغراق في العبادة ، أو بالانقطاع إلى العمل والانغماس في البحث ، أو بالتفرغ للفن والتعبير عن هذه الصور التى تصورها لك غريزتك ، بالألفاظ شعراً ، أو بالألوان لوحة ، أو بالجهد الجسدي والإقبال على الرياضة ، والعناية بالتربية الدينية أو البطولة الرياضية .. والإنسان –يا ابني – محب لنفسه لا يقدم أحدا عليها ، فإذا وقف أمام المرآة ، ورأى استدارة كتفيه ، ومتانه صدره ، وقوة يديه ، كان هذا الجسم الرياضي المتناسق القوي .. أحب اليه من كل جسد أنثى ، ولم يرض أن يضحي به ، ويذهب قوته ، ويعصر عضلاته ، ويعود به جلداً على عظم من أجل سواد عيني فتاة ولامن أجل زرقتهما ..

هذا هو الدواء : الزواج وهو العلاج الكامل ، فإن لم يكن فالتسامي وهو مسكن مؤقت ، ولكنه مسكن قوي ينفع ولايؤذي ..

أما ما يقوله المغفلون أو المفسدون :

من أن دواء هذا الفساد الاجتماعي هو تعويد الجنسين الاختلاط حتى تنكسر بالاعتياد حدة الشهوة ، وفتح (المحلات العمومية) حتى يقضي بها على البغاء السري ، فكلام فارغ .. وقد جربت الاختلاط أمم الكفر كلها فما زادها إلا شهوة وفساداً .. أما المحلات العمومية فاننا إذا أقررناها وجب أن نوسعها حتى تكفي الشبان جميعاً ، وإذن فينبغي أن يكون في القاهرة أكثر من عشرة آلاف بغي ، لأن في القاهرة مائة ألف شاب [1] على الأقل ..

وإذا نحن جوزنا للشباب ارتيادها فاستغنوا بذلك عن الزواج ، فماذا نصنع بالبنات ؟ هل نفتح لهن أيضاً محلات عمومية فيها (بغايا) من الذكور ؟! كلام فارغ يابني والله .

---

(١) هذا الاحصاء منذ / ٣٥ / سنة في الحين الذي نشر المؤلف رسالته (يا ابني) .

وماتقوله عقولهم ، ولكن غرائزهم ، ومايريدون إصلاح الأخلاق . ولاتقدم المرأة ، ولانشر المدنية ، ولاالروح الرياضية ، ولا الحياة الجامعية ، انما هي ألفاظ يتلمظون بها ، ويبتدعون كل يوم جديداً منها ، يهولون بها على الناس ، ويروجون به لدعوتهم ، ومايريدون إلا أن نخرج لهم بناتنا وأخواتنا ليستمتعوا برؤية الظاهر والمخفي من أجسادهن ، وينالوا الحلال والحرام من المتعة بهن ، ويصاحبونهن منفردات في الأسفار ، ويراقصونهن متجملات في الحفلات ، وينخدع مع ذلك بعض الآباء فيضحون بأعراضهم ليقال أنهم من المتمدنين ..

وبعد ، فيا ابني عليك بالزواج ، ولو أنك طالب لاتزال ، فإن لم تستطعه فاعتصم بخوف الله ، والانغماس في العبادة والدرس ، والاشتغال بالفن وعليك بالرياضة فإنها نعم العلاج) أهـ .

ايها الشباب والشابات :

هذا هو الحل الوحيد لمشكلتكم الجنسية ، فإياكم أن تسمعوا الي أدعياء التقدمية الذين يزينون لكم المنكر ، ويحسنون الفجور بقولهم:إنّ حل المشكلة هو تهذيب الغريزة بالاختلاط منذ الصغر (١) أو إشباع الغريزة بالحرام .. فهؤلاء الهارفون بما لايفهمون ، والمتبجّحون بما لايعقلون .. ماهم في الحقيقة إلا منفذون من حيث يعلمون أو لايعلمون مخططات اليهودية والصليبية ، ومؤامرات الماسونية والشيوعية .. لجر الشباب والشابات في المجتمعات الإسلامية إلى وجودية فاجرة ، وإباحية داعرة ..

أتدرون من أجل ماذا ؟

من أجل أن ينصرف شباب الإسلام عن الجبهات المرسومة للكفاح والجهاد

من أجل أن يطأطئوا رؤوسهم لحكم الطغاة والمستبدين ..

---

(١) ارجع إلى رسالتنا (إلى كل أب غيور يؤمن بالله) فإنها فيها الرد القاطع على هذا الافتراء بشكل لا يترك شبهة لمرتاب .

من أجل أن يصفقوا لكل ناعق ، ويقبلوا حكم كل ملحد ..

من أجل أن يكونوا قطعانا تسوقها عصا الجبّارين ..

فحذار - ياشباب - من هذه الادعاءات الكاذبة .. فتحصنوا بالصبر . واربطوا قلوبكم بالله ، وتوجوا رؤوسكم بعزة الإسلام .. وارفضوا بكليتكم دعوة كل إباحي فاجر ، وتبجح كل وجودي ملحد .. واسمعوا إلى مايقوله سبحانه في محكم تنزيله :

﴿ **ولا تتبعُوا أهواءَ قومٍ قد ضَلُّوا من قَبلُ ، وأَضلُّوا كثيرا ، وضلّوا عن سواءِ السبيل** ﴾ .

(المائدة : ٧٧)

★ ★ ★

٧ - هل يجوز مصارحة الولد جنسياً ؟

يتساءل الكثير من المربين من آباء وأمهات .. هل يجوز للمربي أن يصارح الولد في كل ماسيطرأ عليه من ارهاصات المراهقة ، وظواهر البلوغ ؟

وهل له أن يحدّثه عن العضو **التناسلي ووظيفته** ، وعن الحمل والولادة وكيفيتهما ؟ .

وهل له أن يعرفه بكيفية الاتصال الجنسي إذا دخل عتبة الزواج ؟

كل هذه التساؤلات يتوقف الكثير عن الإجابة عليها لتحيرهم بين الجواز وعدمه .

الذي يبدو من الأدلة الشرعية التي سنعرضها فيما بعد أنه يجوز للمربي أن يصارح ابنه أو ابنته في القضايا التي تتعلق بالجنس ، وترتبط بالغريزة .. بل أحيانا تكون المصارحة واجبة إذا ترتب عليها حكم شرعي كما سيأتي بيانه .

واليكم هذه الأدلة مرتبة :

١ – آيات كثيرة تتحدث عن الاتصال بالجنس ، وعن خلق الانسان ، وعن الفاحشة :

– ﴿ والذينَ هُم لفُرُوجِهم حافِظُونَ إلَّا على أزواجِهِم أو مامَلَكَتْ أيمانُهُم فإنهم غيرُ مَلُومِين ، فمن ابتغى وراءَ ذلك فأُولئكَ هُم العادُونَ ﴾ .

(المؤمنون : ٥ – ٧)

– ﴿ أُحِلّ لكم ليلةَ الصِّيام الرفَثُ إلى نِسَائِكم ﴾ .

(البقرة : ١٨٧)

– ﴿ ويسألونكَ عن المحيض قُل هو أذىً فاعتزلوا النساءَ في المَحِيضِ ، ولا تقربُوهُن حتى يطهُرن فإذا تَطهَّرنَ فأتُوهُنَّ من حيثُ أمرَكُم الله .. ﴾

(البقرة : ٢٢٢)

– ﴿ نِساؤكُم حَرثٌ لكم فأتُوا حَرثَكُم أنَّى شِئْتُم ﴾ .

(البقرة : ٢٢٣)

- ﴿ وإنْ طَلَّقتُمُوهنَّ من قَبلِ أن تمسُوهُنَّ وقد فَرضتُم لَهُنَّ فريضةً فنصفُ مافرضتم ﴾ .

(البقرة : ٢٣٧)

- ﴿ ولَقد خَلقنا الإنسانَ من سلالةٍ من طِينٍ ثم جعلناهُ نُطفةً في قرارٍ مكِين ..﴾ .

(المؤمنون : ١٣)

- ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نُطفَةٍ امشاجٍ نبتليهِ فجعلناهُ سميعاً بصيراً ﴾

(الدهــر : ٢)

- ﴿ ووصينا الإنسانَ بوالدَيهِ إحسَاناً حملتهُ أُمُّهُ كُرهاً وَوضَعتهُ كُرهاً وحملُهُ وفِصَالُه ثلاثُونَ شَهراً ﴾ .

(الأحقاف : ١٥)

- ﴿ ولاتقربُوا الزِّنى إنه كانَ فاحِشَةً وسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

(الاسرا : ٣٢)

- ﴿ الزَّاني لاينكِحُ إلا زانيةٍ أو مشركة ، والزانيةُ لاينكِحُها إلا زانٍ أو مشركٍ وحُرِّمَ ذلك على المؤمنين ﴾ .

(النور : ٣)

- ﴿ ولُوطاً إذ قال لقومِهِ أتأتُونَ الفاحشةَ ماسبَقَكُم بها من أحدٍ من العالمين ، إنكم لتأتون الرِّجالَ شهوةً من دُونِ النِّساءِ بل أنتم قومٌ مُسرِفون ﴾ .

(الأعراف : ٨٠ - ٨١)

فهذه الآيات القرآنية تتحدث بوضوح عمن يحفظ الإنسان فرجه وعمن لايحفظه ، وعن الرفث (الجماع) ليلة الصيام ، وعن المحيض واعتزال النساء فيه ، وعن الموضع الذي يكون فيه منبت الولد ، وعن طلاق المرأة قبل مسها ، وعن النطفة وتكوينها في رحم المرأة ، وعن خلق الإنسان من أخلاط النطفتين الرجل والمرأة ، وعن حمل الولد في بطن أمه ومدة إرضاعه وعن الزنى وكونه فاحشة وساء سبيلا ، وعمن يأتون الرجال شهوة من دون النساء .. إلى آخر هذه المعاني التي تتصل بالجنس ، وترتبط بالغريزة ..

فكيف يفهم الولد وهو في سن التمييز والتعقل تفسير هذه الآيات وأمثالها إذا لم تتوضح لديه من قبل معلمه أو مربيه حقائقها ومايراد منها ؟ .

ولايمكن أن يقول متبصر عاقل : إنّ على المعلم أو المربي أن يطمس معاني هذه الآيات بتفسيرات أخرى لاتمت إلى المعنى المراد بصلة ، أو أن يمر عليها مرور الكرام دون توضيح لها ، أو تفسير لمضمونها .. لأن هذا المسلك غير سليم يتنافى مع قواعد التربية الاسلامية الأصيلة ، ويتناقض مع دعوة القرآن الكريم إلى فهمه وتدبره .

قال تعالى : ﴿ كِتابٌ أنزلناهُ إليكَ مُباركٌ ليدَّبَّروا آياتِه وَليتَذَكَّرَ أُولوا الألباب ﴾ .

(ص : ٢٩)

بل نجد القرآن الكريم ينكر على من يقرؤون القرآن ولايتدبرون آياته .. ويعتبر من يفعل ذلك خاوي الروح ، مقفل القلب ، قاسي النفس ..

قال تعالى : ﴿ **أفلا يتدبّرون القرآنَ أم على قلوبٍ أقفالُها** ﴾ .

(محمد : ٢٤)

ومن هنا نعلم أن القرآن الكريم اشتمل على جملة ما اشتمل على ثقافة جنسية لابأس بها بما فتح من آفاق ، ووضح من معالم ..

وهذه الثقافة ينبغي أن يتفهمها الصغار والكبار ، والشيب والشبان ، والنساء والرجال ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يعلم مايحل ومايحرم ، ويعرف مايأتي ومايذر .. حينما يريد إشباع الوطر ، وقضاء الشهوة ..

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يزداد قناعة وايمانا بالابداع الإلٓهي حينما يمر على الآيات التي تتحدث عن خلق الانسان وتكوينه وعن تطوره وهو في رحم أمه من نطفة ثم إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى بشر سوي ...

ومن ثمرات هذه الثقافة أن المسلم يؤمن إيمانا جازما يوما بعد يوم بصلاحية هذا الإسلام ، وخلود مبادئه الشاملة على مدى الزمان والأيام .. وإنه الدين الوحيد الذي يلبي حاجات النفس الإنسانية ، ويواكب أطوار الحضارة والمدنية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها !! .

٢ – ومن الأدلة القوية التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر ضروري للولد تعليم الولد وهو في سن التمييز أحكام البلوغ ، وإرهاصات المراهقة .. حتى إذا ظهرت عليه الظواهر عرف ماوجب عليه فعله ، وماوجب عليه تركه .. بل عرف الحلال والحرام ..

ولقد فصلنا القول فيه – في بحث سبق ذكره – تحت عنوان : (تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ) .

ارجع إليه – أخي المربي – تجد فيه مايبلّ الصدى .

٣ – ومن الأدلة القوية أيضا التي تدل على أن المصارحة في قضايا الجنس أمر لازم للولد تعليمه حينما يشارف على البلوغ ويدخل عتبة الزواج (أصول الاتصال الجنسي ، وآداب الإشباع الغريزى) .

ولقد فصلنا القول فى هذه المسائل في بحث سبق ذكره قبل قليل تحت عنوان : (الزواج والاتصال الجنسى) .

ارجع إليه – أخى المربي – تجد مايشفي الغليل .

تلكم أظهر الأدلة في جواز مصارحة الولد وهو في سن التمييز عن قضايا الجنس ، ومسائل الغريزة .

فبعد هذا البيان قم – أخى المربي – بواجب التوعية الجنسية لأولادك . لأن الشرع يحتم عليك أن توضح لهم هذه الحقائق حتى لايقعوا في حبائل الجهل ، وموبقات الإثم ، ومتاهات الفوضى ..

ولكن أذكرك بشيئين هامين :

١ – أعط لكل مرحلة من مراحل السن حكمها فى التعليم ، فلا يعقل أبدا أن تعلمه مثلا أصول الاتصال الجنسي ، وهو في سن العاشرة ، وتهمل تعليمه أحكام المراهقة والبلوغ .

٢ - من الأفضل أن تشرف الأم على تعليم البنت في هذه القضايا الجنسية لأن أخذ البنت عن الأم آخذ وألقن وأوعى .. وفي حال عدم وجود الأم تقوم بالمهمة أية مرشدة أخرى تقوم مقامها .

* * *

تلكم - أيها المربون - أهم الخطوط الرئيسية التي وضعها الإسلام في تربية الولد جنسياً ، وتكوينه سلوكيا ، وضبطه غريزنا ..

فما أحوج أهل الفكر والتربية والإصلاح أن يأخذوا بمنهج الإسلام في التربية ، وأن يسيروا على هدى القرآن في الانضباط الغريزي .. عسى أن نجد أبناء **الجيل الإسلامي** وقد اكتملت شخصيتهم ، وصلحت سريرتهم ، وتقومت أخلاقهم ، وتحررت من الآفات النفسية والمفاسد الاجتماعية نفوسهم وقلوبهم .. وعندئذ يستطيعون أن ينهضوا برسالة ، ويقوموا بمسؤولية ، ويرفعوا في سماء الوجود الإنسانى راية التوحيد ، وشعار الإسلام ..

وأريد أن يفهم كل ذي عقل وبصيرة أن هذا الإسلام العظيم حين عالج مشاكل الانسان وآفات المجتمع كان العلاج شاملا لكل الجوانب ، ومهيمنا على كل النواحي .. لأن الاسلام شرع الله الخالد أنزله الله سبحانه ليكون للعالمين هاديا ومبشرا ونذيراً .. فمن حكم به عدل ، ومن اهتدى به سعد ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

ولن يُنْقِذ العالم من فوضى الغريزة المتفلتة ، والانحدار الخلقي الجارف .. إلا النظرة الإسلامية إلى الجنس ، لكونها تضع كل شيء موضعه . وتتيح للإنسان الحياة المتوازنة المتكاملة التي **تحقق معنى الإنسانية وترضي وتلَبيّ أشواق الإنسان** .

ولعل المسلمين يفقهون دينهم ، ويعيشون تحت ظلاله آمنين مطمئنين . عسى أن يستعيدوا مكانتهم بين الأمم ، وكرامتهم تحت الشمس وماذلك على الله بعزيز .

وبعد فيا أيها المربون :

أعرفتم مدى المسؤولية الشاقة الثقيلة الملقاة على عاتقكم ؟ .

أعرفتم أن مسئوولية التربية الإيمانية هي الركيزة الأساسية التي يجب أن توجهوا إليها اهتمامكم . ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الخلقية **هي من المسؤوليات الهامة** التي يجب أن تعيروها نظرتكم ورعايتكم ؟ .

أعرفتم : أن مسئولية التربية الجسمية هى من وسائل القوة التى يجب أن تركزوا عليها جهودكم وعزائمكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية العقلية هى من ركائز المجد والمدنية والحضارة فى أمتكم ووطنكم ؟ .

أعرفتم أن مسؤولية التربية النفسية هي من دعائم النضج والاتزان في إعداد أولادكم ؟

أعرفتم أن مسؤولية التربية الاجتماعية هى من أميز هذه المسؤوليات التي يجب أن تلقّنوها أفلاذ أكبادكم ؟ .

أعرفتم أن مسؤولية التربية الجنسية هى من القضايا الهامة الكبرى التى يجب أن تنشؤوا عليها من لهم حق التربية فى أعناقكم ؟ .

إذا عرفتم هذا كله فعليكم أن تنطلقوا في مضمار التربية ، وتحمل المسؤولية .. غير متوانين ولامتواكلين ، حتى تروا زهرات حياتكم ، وثمرات قلوبكم كالملائكة طهراً ، وكالصحابة عزائم ، وكالأسود شجاعة ، وكالبدور نوراً وإشراقاً ..

وبقدر العطاء الذي تعطونه ، والجهد الذي تبذلونه ، والعزيمة التي تطلقونها ، والمسؤولية التى تستشعرونها .. يتحقق الخير لأمتكم ، والصلاح لأبنائكم ، والتربية المثلى لذراريكم وأجيالكم !! ..

ثم أتدرون – يامعشر المربين – كيف يتحقق هذا كله ؟، وكيف يتم الوصول إلى قمة التربية الفاضلة ؟

بتقديري أن هذا يتحقق بأمرين أساسيين هامين :

الأول : بظاهرة المراقبة والملاحظة .

الثاني : بالاستفادة من الفراغ .

فبالمراقبة والملاحظة يتربى الولد ايمانياً ، ويتكون خلقياً ، ويقوى جسمياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويكتمل نفسياً واجتماعياً ..

وبالمراقبة والملاحظة ينجو الولد من رفاق السوء ، والخلطة الفاسدة ، وقرناء الفتنة والانحراف ..

وبالمراقبة والملاحظة يتحرر الولد من كل العوامل التي تؤدي إلى انحرافه وشقائه : يتحرر من مشاهدات السينما ، والرائي (التلفزيون) لما يعرضانه من أفلام جنسية خليعة ، وروايات بوليسية محرّضة ، وتمثليات موجهة ماجنة .. ويتحرر من قراءة المجلات الخلاعية المثيرة ، والقصص الجنسية المهيجة ، والمسرحيات اللاأخلاقية الهابطة .. التي تفتك بالفضيلة ، وتطعن الأخلاق الإسلامية في الصميم .

وبالمراقبة والملاحظة يصل الولد إلى قمة التربية الإسلامية الفاضلة ، ويكتمل روحاً وعقلاً وأخلاقاً وعلماً .. فيعطي لغيره القدوة الصالحة فى الأخلاق ، والأسوة الحسنة فى المعاملة .. بل يكون كتألق البدر في السماء ، وكالملك حين يمشي على الأرض .

أما الاستفادة من الفراغ فيتركز في بذل الجهد ، وتوجيه الطاقة حين يأوي المربي الي بيته ، ويجلس بين أهله وأولاده ، ففي هذه الأوقات من الفراغ يجب على المربي أن يضع البرنامج المناسب في إعداد الولد علمياً ، وتكوينه عقيدياً ، وتوجيهه خلقياً ..

فما أحسن الأب ، وما أجمل الأم ! .. حين يقضيان سهرتهما عند المساء مع أولادهما ، وينظمان البرامج الهادفة فى تلقين أفلاذ أكبادهما .. بل ماأعظم أجرهما عند الله عز وجل حين يجلسان مع الأولاد لسماع درس يحفظونه أو تفهيم مسألة يكتبونها ، أو عرض قصة يتعلمونها ، أو تلقين فضيلة يتوجهونها ، أو تحسين تلاوة يتلقّنونها ، أو إثارة مداعبة أدبية أو ممازحة ترفيهية يمرحون بها ويضحكون منها ...

وهذا المسلك الحق – والله – يحقق الخير كل الخير للولد ، ويرتفع به نحو مدارج العز ، ومكارم الأخلاق ، بل يجعل منه إنسانا سوياً ، ورجلا حكيما ، ومسلماً فاضلًا كريماً ...

وهذا هو في الحقيقة سبيل التربية المثلى في إعداد الولد للحياة ، وتهيئته ليكون اللبنة الصلبة المتينة في بناء المجتمع الفاضل ، وتكوين الأجيال الصالحة المؤمنة .. وكم يكون الأب أو الأم أو المربي .. ظالماً للولد ، مستهتراً في حقه ، قاتلا لإنسانيته ، حين يقضي أوقات فراغه في سهرة عابثة مع اصدقائه ، أو في مقهى لاغية مع اللاهين والفارغين من أبناء حيه وجيرانه ، أو في مسرح آثم خليع .. مع المنحرفين والمتحللين من أبناء بلده وأقرانه .. ؟ .

من لتربية الولد على الإيمان الحق والعقيدة الصحيحة الثابتة غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على الخلق الفاضل والأدب الرفيع غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على العقل السليم والجسم السليم والقوة المتينة غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على تحصيل العلم ، والثقافات النافعة غير الأب والأم ؟

ومن لتربية الولد على الأصول النفسية ومبادىء التعقل والاتزان .. غير الأب والأم ؟ .

ومن لتربية الولد على مراعاة حقوق الآخرين والتزام آداب المجتمع .. غير الأب والأم ؟ .

فمن يربي الولد على هذه الخصال ، ويغرس في نفسه هاتيك الفضائل إذا كان الأب لاهياً ، والأم عابثة ؟ ..

ورحم الله شوقي حين قال :

ليس اليتيم من انتهى أبواه من
هَمّ الحياة وخلّفاه ذليلا
إن اليتيم هو الذي تلقى له
أمّاً تخلّت أو أباً مشغولا

فالأبوان إذن هما المسؤولان أولا وآخرا في إعداد الولد على الإيمان والخلق ، وتكوينه على النضج العقلي ، والاتزان النفسي .. وتوجيهه إلى التزود بالعلوم النافعة ، والثقافات المفيدة المتنوعة ..

وصدق رسول الله ﷺ القائل : « والرجل راعٍ فى بيت أهله ومسؤول عن رعيته ... والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » . (البخاري ومسلم) .

والقائل : « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ... »
(ابن حبان)

والقائل : « مانحل والد ولداً أفضلَ من أدب حسن » .
(الترمذي)

فما على الأبوين إلا أن يستشعرا بمسؤوليتهما الكاملة ، وأن يستفيدا من أوقات فراغهما للنهوض بهذه الواجبات ، والقيام بهاتيك المسؤوليات ..

وعليهما أن يعلما أن أي تقصير في مسؤولية من هذه المسؤوليات التي سبق الحديث عنها ، والتفصيل فيها .. يعرضهما للعقوبة بين يدي الله سبحانه وتعالى في يوم لاينفع فيه مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وحسب الأبوين أن يضعا نصب أعينهما قوله تبارك وتعالى :

﴿ يأيها الذينَ آمنوا قُوا أنفُسَكُم وأهليكُم ناراً وقُودُها النَّاسُ والحِجارة عليها ملائِكةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لايعصُونَ الله ما أمرهُم ويفعَلُونَ مايُؤْمَرُونَ ﴾ .

(التحريم : ٦)

ولاشك أنهما إذا استذكرا هذه الآية ، واستشعرا مراقبة الله في نفسيهما .. يكون اندفاعهما للتربية أقوى ، ونهوضهما بهذه المسؤوليات أكبر .. ألا فليعلم المربون واجبهم ، وليستفيدوا من أوقات الفراغ فى تربية أولادهم ، وعليهم أن يعلموا أن لوقت كالسيف إن لم يقطعوه قطعهم ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن العمر ينقضي بالسرعة الفائقة .. فإذا لم يقدروا الأمانة الملقاة على عاتقهم حق قدرها ، وان لم يرعوا هذه المسؤوليات حق رعايتها .. فقد يفاجؤهم الموت بغتة وهم لايشعرون ، بل يأتيهم العذاب فجأة ثم لاينصرون . وصدق الله العظيم القائل في محكم التنزيل :

﴿ وأنِيبُوا إلى ربكُم وأسلِمُوا لهُ من قبلِ أن يأتِيكُم العَذَابُ ثُم لاتُنصَرُون ، واتبعوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من رَبكُم من قبلِ أن يأتِيكُم العَذَابُ بغتةً وأنتم لاتشْعُرُونَ ﴾

(الزمر : ٥٥)

وأخيرا أريد أن ألفت نظر المربين جميعاً على اختلاف درجاتهم . وتباين مسؤولياتهم . ولاسيما الآباء والأمهات منهم أن هذه المناهج التي وضعتها في التربية ولاسيما التربية الاجتماعية تصلح للكبار والصغار ، والشيب والشباب ، والرجال والنساء ..

فاحرصوا – أيها المربون – على التزام مناهج الإسلام في التربية لأنفسكم قبل أن تلقّنوها أولادكم ، لتعطوا في ذلك القدوة الحسنة لمن لهم في أعناقكم حق التربية والمسؤولية ، ثم بالتالي ابذلوا الجهد في تعليمها أولادكم ، وتلقينها أفلاذ أكبادكم .. حتى ينشؤوا على العقيدة الصحيحة والإسلام الكامل . والخلق الرفيع .. وبذلك تكونون قد **أعددتموهم لخوض غمار الحياة . وتحمل أشق المسؤوليات بقلوب مؤمنة ، ونفوس** صابرة ، وأرواح طاهرة زكية ، وعقول ناضجة متّزنة ، وأجسام جَلْدَة قوية ...

فأبذلوا جهدكم . واجمعوا أمركم ، وسيروا على بركة الله ، فعين الله ترعاكم ، والأجيال المقبلة تبارك لكم جهودكم وأعمالكم ، والله عز وجل يثيبكم خيراً ، ويدّخر لكم في القيامة أجراً .

﴿ وقُلْ اعمَلُوا فسيرى الله عملَكُم وَرسُولُه والمؤمنونَ وستُردُون إلى عَالمِ الغَيبِ والشهادةِ فينبئُكُم بما كنتم تعملُون ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

القِسْمُ الثَّالِث

ويشمل ثلاثة فصول

الفصل الأول : وَسَائِل التَّرْبِيَة المؤثِّرة في الوَلَد .

الفصل الثاني : القَواعِد الأساسِيّة في تَرْبِيَة الوَلَد .

الفصل الثالث : اقْتراحات تَرْبَوِيَّة لا بُدَّ مِنْها .

الفصل الأول

الأول : وَسَائِل التَربيَة المؤثّرَة في الولد

مر بك – أيها القارىء الكريم – في المجلد الأول من كتاب (تربية الأولاد) مسؤوليّات المربين الكبرى في تربية الولد . سواء أكانت إيمانية أم أخلاقية . عقلية أم جسدية . نفسية أم اجتماعية . ولاشك أن هذه المسؤوليات التى سبق الكلام عنها . والتفصيل فيها هي من أضخم المسؤوليات في مجال التربية . وإعداد الولد . وكم يكون الآباء في سعادة ، والمربون في سرور .. حين يحصدون في المستقبل ثمرات سعيهم . ويستظلون في ظلال غرسهم ؟ .

وكم تكون نفوسهم هنيئة ، وأعينهم قريرة . حين يرون أفلاذ أكبادهم ملائكة يمشون على الأرض . وثمرات فؤادهم مصاحف متحركة تسير في الناس ؟ .

ولكن هل يكفي المربي أن ينهض بهذه المسؤوليات . ويضطلع بهذه الواجبات .. وهو يظن أنه برّأ الذمة . وأدّى المهمة . واستنفد الجهد .. أم عليه أن يستزيد في الوسائل . ويبحث دائماً عن الكمال والأفضل ؟

لاشك أن المربي الواعي المنصف يستزيد دائماً في الوسائل المجدية . والقواعد التربوية المؤثرة في إعداد الولد عقيدياً وخلقياً ، وفي تكوينه علمياً ونفسياً واجتماعياً .. حتى يبلغ الولد أسمى آيات الكمال . وأعلى ذرى النضج ، وأزهى مظاهر التعقل والاتزّان !!..

ولكن ما هي هذه الوسائل المجدية ، والقواعد التربوية المؤثرة في تكوين الولد وإعداده ؟

في تقديرى أنها تتركز فى أمور خمسة :

١ – التربية بالقدوة .

٢ – التربية بالعادة .

٣ – التربية بالموعظة .

٤ – التربية بالملاحظة .

٥ – التربية بالعقوبة .

١ - التربيــة بالقُــدْوَة

القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقياً ، وتكوينه نفسياً واجتماعياً .. ذلك لأن المربي هو المثل الأعلى في نظر الطفل . والأسوة الصالحة في عين الولد . يقلده سلوكياً . ويحاكيه خلقياً من حيث يشعر أو لايشعر .. بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية والفعلية والحسية والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري !!..

ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الولد أو فساده : فإن كان المربي صادقاً أميناً كريماً عفيفاً .. نشأ الولد على الصدق والأمانة والخلق والكرم والشجاعة والعفة .. وإن كان المربي كاذباً خائناً متحللًا بخيلا جبانا نذلا .. نشأ الولد على الكذب والخيانة والتحلل والجبن والبخل والنذالة ..

إن الولد مهما كان استعداده للخير عظيماً . ومهما كانت فطرته نقيّةً سليمة .. فانه لا يستجيب لمبادىء الخير . وأصول التربية الفاضلة مالم ير المربي في ذروة الأخلاق . وقمة القيم ، والمُثل العليا .. ومن السهل على المربي أن يلقّن الولد منهجاً من مناهج التربية ، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته . ويقوم على توجيهه غير متحقّق بهذا المنهج ، وغير مطبق لأصوله ومبادئه !..

ومن هنا كان تقريع شاعرنا العربي أليماً في المعلم الذى يخالف فعلهُ قولَه :

يا أيها الرجُل المعلّم غيرَه
هلّا لنفسك كان ذا التعليمُ

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غيّها
فإذا انتهت عنه فأنتَ حكيم
فهناك يُقبَل ما وعظت ويُقتدى
بالعلم منك ويَنفع التعليم

ولقد علم الله سبحانه – وهو يضع لعباده المنهج السماوي المعجز – أن الرسول المبعوث من قبله بأداء الرسالة السماوية لأمة من الأمم . ينبغي أن يكون متصفاً بأعلى الكمالات النفسية والخُلقية والعقلية .. حتى يأخذ الناس عنه . ويقتدوا به . ويتعلموا منه . ويستجيبوا إليه . وينهجوا نهجه في المكارم والفضائل والخلق العظيم ..

ومن أجل هذا كانت النبوة تكليفية ولم تكن اكتسابية . لأن الله سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته . وهو أدرى بمن يصطفي من البشر ليكونوا رسلاً مبشرين ومنذرين !.

لذلك بعث الله محمداً (ﷺ) ليكون للمسلمين على مدار التاريخ القدوة الصالحة . وللبشرية في كل زمان ومكان السراج المنير . والقمر الهادي ..

﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ..** ﴾

(الأحزاب : ٢١) .

﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾

(الأحزاب : ٤٥ – ٤٦)

ووضع الله سبحانه في شخص محمد عليه الصلاة والسلام الصورة الكاملة للمنهج الإسلامي ، ليكون للأجيال المتعاقبة الصورة الحية الخالدة في كمال خلُقه وشمول عظمته ..

سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ، عن خُلُق رسول الله (ﷺ) ، فقالت : « كان خلقة القرآن » .

إنها لإجابة دقيقة مختصرة شاملة ، ضمّت في معانيها منهج القرآن الشامل ، ومبادىء الأخلاق الفاضلة .. حقاً إن النبي (ﷺ) كان الترجمان الحي لفضائل القرآن ، والصورة المتحركة لتوجيهاته الخالدة !..

من يستطع أن يحوم حول حماه ، أو يصل إلى نقطة من بحره العظيم ؟

يكفيه عليه الصلاة والسلام فخرا وشرفاً وخلوداً أن يعلن عن نفسه أن الله سبحانه صنعه على عينه ، وأدبّه فأحسن تأديبه ليكون دائماً كالعافية للأبدان ، والشمس للأكوان ، والبدر المتألق في بحار الظلمات .

روى العسكري وابن السمعاني عن النبي (ﷺ) أنه قال : « أدّبني ربي فأحسن تأديبي »[1] .

ومما يدل على تأديب الله له ، وأنه ﷺ محوط بالعناية الربانية اتصافه بصفات النبوة الأساسية قبل النبوة وبعدها .

فمن المعلوم يقيناً أنه ﷺ لم يقترف إثماً من آثام الجاهلية بل كان معروفاً بالمتعفف الطاهر .

أما من ناحية صدقه وأمانته فكانت الجاهلية تناديه بالصادق الأمين . وهي التي قالت له في مجمع كبير من الناس : ما جرّبنا عليك كذباً .

أما من ناحية ذكائه وفطانته فكان لا يدانيه أحد . ويكفيه عليه الصلاة والسلام شرفاً وفخراً وخلوداً أن استطاع بتدبيره وحكمته أن يضع لقومه الحل المناسب في وضع الحجر الأسود . وأن يخلّص الناس من حرب طاحنة مدمّرة لا يعلم مداها إلا الله وحده .

أما من ناحية تبليغ الدعوة فكان عليه الصلاة والسلام لا يطيب له نوم ، ولا يهنأ له عيش ، ولا يرتاح له بال .. حتى يرى الأمة قد استجابت لدعوة الإسلام .

---

(١) الحديث في سنده ضعف ولكن معناه صحيح .

ودخلت في دين الله . وكثيراً ما كانت الآيات تنزل حاضة النبي ﷺ على أن يخفف من همه وحزنه . ويهدّىء من حركته وتبليغه حتى لا تذهب نفسه حسرات . وحتى لا يتعرض جسمه للهلاك . فمن هذه الآيات :

- ﴿ فلعلك باخعٌ نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ (الكهف : ٦) .

- ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (القصص : ٥٥)

- ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ (فاطر : ٨)

ومع كل هذا كان عليه الصلاة والسلام مضرب المثل في صموده وثباته وصبره واحتماله ومثابرته وجهاده . وهكذا الرسل من أولي العزم يجهدون ويجاهدون حتى يروا أقوامهم دخلوا في دين الله أفواجاً !..

★ ★ ★

أما القدوة التي أعطاها النبى ﷺ في مجال العبادة والأخلاق فقد بلغت في مراتبها أعلاها . وكلما توالت الدهور . وتعاقبت العصور . وجد الناس في عبادة النبي ﷺ وأخلاقه الشاملة المثل الكامل ، والأسوة الصالحة ، والمنار الهادي .

أما عن **قدوة العبادة** فقد روى البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتورّم قدماه . ولما قيل له : أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ » .

وأخرج الشيخان عن علقمة قال : سألت عائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله ﷺ يخصّ شيئاً من الأيام (يقصد الزيادة في العبادة) قالت : لا ، كان عمله دِيْمَة (أي دائماً مستمراً) . وأيُّكم يطيق ما كان رسول الله (ﷺ) يطيق ..

وهكذا فقد تعلق قلب النبي (ﷺ) بالله . وشغف بالعبادة والمناجاة .. فهو يقوم الليل ، ويصرف فيها جزءاً من النهار . ويجد في الصلاة لذته . وفي العبادة قرّة عينه .. وينهى أصحابه أن يقلدوه ويتأسّوا به فيما لا طاقة لهم به .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله (ﷺ) يدع العمل وهو يجب أن يعمل به . خشية أن يعمل الناس به فيفرض عليهم .

ويروي أنس أن النبي (ﷺ) واصَلَ : أي صام مواصلا الليل بالنهار . والنهار بالليل يومين أو ثلاثة . وكان ذلك في آخر رمضان . فواصل الناس معه فبلغه ذلك . فقال : لو مُدَّ لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع له المتعمّقون (أي المبالغون) تعمّقهم . إني لست مثلكم . إني أظلّ يطعمني ربي ويسقيني (أى يعينني ويقويني) .

وكيف لا يكون (ﷺ) في أعلى مراتب العبادة وهو المنفّذ لكل ما أمره الله به من تهجّد وعبادة وتسبيح وذكر ودعاء ..

- **﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلّا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا ، أو زِدْ عليه ورتل القرآن ترتيلا ، إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ، إِن ناشئة الليل هي أشدّ وطئاً وأقوم قيـلا ﴾**

(المزمل : ١ - ٦)

- **﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾**

(الإسراء : ٧٩)

- **﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾**

(الدهر : ٢٦)

أما عن قدوة[١] **الأخلاق الفاضلة** : فحسبي أن أذكر ولو أنموذجاً واحدا عن كل ما يتصل بأخلاقه الشريفة ، وجوانب عظمته الشاملة سواء ما يتعلق بالكرم

---

(١) بحث القدوة في الاخلاق مقتبس معظمه من كتابنا « حتى يعلم الشباب » مع بعض التصرف .

والزهد ، أو ما يرتبط بالتواضع والحلم ، أو ما يختص بالقوة والشجاعة . أو ما يتصل بحسن السياسة والثبات على المبدأ ..

أما عن قدوة الكرم فكان عليه الصلاة والسلام يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة ، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة ، وكان أجود ما يكون في رمضان .

روى الحافظ أبو الشيخ عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لم يُسأل رسول الله ﷺ شيئاً قط على الإسلام إلا أعطاه . وإن رجلا أتاه فسأله ، فأعطاه غنما بين جبلين . فرجع إلى قومه . فقال : أسلموا ، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة .

وعن أنس : « ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط . قال : لا » .

أما عن قدوة الزهد : فيقول عبد الله بن مسعود : دخلت على الرسول ﷺ وقد قام على حصير ، وقد أثّر في جنبه الشريف ، فقلت : يا رسول الله ، لو اتخذنا لك وطاء تجعله بينك وبين الحصير يقيك منه ! ، فقال : « مالى وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها » . وهو القائل : « اللهم اجعل رزق آل محمد كفافاً » .

وروى ابن جرير عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله (ﷺ) من خبز بُرٍّ (حنطة) ثلاثة أيام تباعاً منذ قدم المدينة حتى مضى لسبيله » .

وأخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي ﷺ كسرة من خبز الشعير ، فقال لها عليه الصلاة والسلام : « هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيام » .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب الزهد ، وهو المنفّذ لما أراده الله منه ، وما خاطبه به :

﴿ ولا تمدن عينيك الى ما متّعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى ﴾

(طه : ١٣١)

وعلينا ألا نفهم أنه ﷺ كان زاهدا لفقر أو ضيق يد أو قلة طعام .. ولو أراد عليه الصلاة والسلام مباهج الحياة ، والإكثار من الطيبات ، والتمتع بزهرة الحياة الدنيا لجاءته الدنيا طائعة صاغرة راغمة .. ولكن أراد من زهده وتعففه عليه الصلاة والسلام أمورا وأمورا أذكر أظهرها وأهمها :

● أراد أن يعلم الأجيال المسلمة بزهده معنى التعاون والبذل والإيثار ..

روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية ولو شئنا شبعنا ولكنه يُؤْثِر على نفسه » وسبق أن ذكرنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يعطى عطاء من لا يخشى الفاقة .

● أراد أن تتأسى الأجيال المسلمة بالعيش الكفاف القنوع .. مخافة أن تقعدهم زهرة الحياة الدنيا وفتنتها عن واجب الدعوة وإعلاء كلمة الله . ومخافة أن تبسط عليهم الدنيا فتهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم .

● أراد أن يُفهم الذين في قلوبهم مرض من منافقين وأعداء وكفار .. أنه ما أراد من دعوته التي كان يدعو الناس اليها جمع المال . ولا المظاهر الفانية . ولا الدنيا الزائلة . ولا النعيم . ولا الترف . ولا أن يصطاد الدنيا باسم الدين .. وإنما أراد التماس الأجر من الله وحده . وأن يلقى الله عز وجل وليس عنده من حطام الدنيا شيء . وشعاره وشعار الأنبياء من قبل :

﴿ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله ﴾

(هود : ٢٩)

أما عن قدوة التواضع : فقد أجمع من عاصر النبى (ﷺ) واجتمع به أنه صلوات الله عليه كان يبدأ أصحابه بالسلام . وينصرف بكليته إلى محدثه صغيراً كان أو كبيراً ، وكان آخر من يسحب يده إذا صافح . وإذا أقبل جلس حيث ينتهى بأصحابه المجلس . وكان يذهب إلى السوق ، ويحمل بضاعته ويقول : أنا أولى بحملها . ولم يتكبر عن عمل الأجير والصانع سواء كان فى بناء مسجده الشريف أو فى حفر الخندق .. وكان يجيب دعوة الحر والعبد والأمة . ويقبل عذر المعتذر ، وكان

يرقع ثوبه ، ويخصف نعله . ويخدم في مهنة أهله . وكان يَعْقِل بعيره . ويأكل مع الخادم . ويقضي حاجة الضعيف والبائس . ويجلس على الأرض ...

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام بهذا التواضع الجمّ وقد أنزل الله عليه قوله :

﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾

(الشعراء : ٢١٥)

أما عن قدوة الحلم : فقد بلغ عليه الصلاة والسلام أعلاها سواء عن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب أم فيما عامل به – بعد النصر غطرسة الأعداء ..

أما عن حلمه فيما كان يلقاه من جفوة الأعراب فحسبي أن أذكر هذا المثل من أمثلة كثيرة لها في السيرة ذكر : روى الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه بُردٌ نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة ، فنظرت إلى صفحة عاتق(١) النبي ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال : يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء .

وأما عن حلمه فيما عامل به الأعداء بعد النّصر فحسبنا أن ننظر إلى معاملته لأهل مكة الذين أسرفوا في إيذائه ،وأمعنوا في اضطهاده ، وأخرجوه من بلده ، وتآمروا على قتله ، وقذفوه بكل بهتان من القول والزور .. لتتجلى لكل ذي عينين نفسه الكريمة في مرآة عفوه وصفحه الجميل .. (انظروا إليه فاتحاً في جيش كبير لم تر جزيرة العرب مثله يكتسح مكة . وتطؤها خيله .. انظروا إليه والبلاد في رحمته يشملها عفوه ، والسادة والزعماء الذين عتوا في الأرض ، وفعلوا مع الرسول ﷺ الأفاعيل يجزون بالبر والإحسان ، ويعاملون بالعفو والصفح الجميل ، وحكام الأرض لا تعرف لأمثالهم غير قطع الرؤوس)(٢) . فما كان منه عليه الصلاة والسلام إلا أن جمعهم ومنّاهم وأمنّهم .. وقال لهم قولته الخالدة : « ما ترون أني فاعل بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

---

(١) العاتق : ما بين العنق والكتف .

(٢) من كتاب بطل الأبطال لعبد الرحمن عزام ص ٥٥ .

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في هذه المنزلة العالية من الحِلم . وقد أنزل الله عليه في محكم تنزيله :

﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾

(الاعراف : ١٩٩)

﴿ **فاصفح الصفح الجميل** ﴾

(الحجر : ٨٥)

أما عن قدوة القوة الجسدية : فقد أعطى لأبطال المصارعة ، وأصحاب العزائم المتينة المثل الأعلى في القوة والبأس ومضاء العزم ..

وكيف لا . وقد صرع عليه الصلاة والسلام سيد المصارعين ركانة ثلاث مرات . وقال له بعد الثالثة أشهد أنك رسول الله ؟

وكيف لا . وقد تصدّى عليه الصلاة والسلام لأبي بن خلف في معركة أحد بحربة سددها على صدره . فسقط عن الفرس وهو يغالب الألم ويقول : لو بصق عليّ محمد - ﷺ - لقتلني ؟ وكيف لا ، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلجؤون إليه عند حفر الخندق لتفتيت صخرة كبيرة لم تعمل فيها السواعد ولا الفؤوس ؟

وكيف لا . وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يلوذون به ﷺ لما كانوا يعلمون من رباطة جأشه ، وقوة جسمه ، ومتانة أعصابه ..؟

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام في أعلى مراتب القوة وهو القائل : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ... » رواه مسلم .

وكيف لا يعطى عليه الصلاة والسلام لغيره جانب القدوة في قوة الجسم ورسوخ العزيمة ، وقد أنزل الله عليه فى صريح آياته :

﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾

(الانفال : ٦٠)

أما عن قدوة الشجاعة : فقد كان لا يضاهيه أحد ، (وهاكم حادثتين هما عندي المثل الأعلى في شجاعة المحارب :

(أ) فزع أهل المدينة ليلة . فانطلق ناس قِبَلَ صوتٍ ، فتلقاهم رسول الله ﷺ ، وقد سبقهم الى ذلك الصوت ، واستبرأ الخبر على فرس عُرْيٍ لأبي طلحة ، والسيف في عنقه وهو يقول لن تُرَاعُوا ..

(ب) ويوم حُنَيْن وقف عليه الصلاة والسلام على بغلته ، والناس يفرّون عنه وهو يقول :

أنا النبيّ لا كَذِبْ   أنا ابن عبد المطلب

فما رُئِي أحد يومئذ كان أثبت منه ولا أقرب للعدو .

ولقد اخترت هاتين الحادثتين من تاريخ طويل لأن الأولى منهما هبَّ فيها رسول الله ﷺ إلى مكان الخطر قبل أن يتحرك الناس ، وفي الثانية ثبت عليه الصلاة والسلام في مكان الخطر وقد فرّ عنه الناس ، والذين لهم علم بالحرب يعرفون أن بهذين الموقفين تمتحن الشجاعة ، ويعرف الأبطال ، فليس أصعب على النفس من السبق إلى الخطر ، ولا من الصبر عليه ، وقد استولى الخوف ، وغلب الرعب)(١) ...

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام شجاعاً مقداماً في أخطر المواقف وقد أنزل الله عليه في محكم آياته :

﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين** ... ﴾

(النساء : ٨٤)

﴿ **أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾ .

(التوبة : ١٣)

أما عن قدوة حسن السياسة : فقد كان فيها مضرب المثل للناس جميعاً صغيرهم وكبيرهم ، مؤمنهم وكافرهم ، عامتهم وخاصتهم .. ولقد أوتي عليه الصلاة

---

(١) من كتاب بطل الابطال « شجاعته » عليه الصلاة والسلام لعزام .

والسلام النجاح في كل شيء لما فُطر عليه من أخلاق كريمة ، وما أعطيه من حسن السياسة ، ووضع الأمور في نصابها .

وإليكم هذا المثل العظيم من أمثلة دوَّنها التاريخ في ثناياه لتعرفوا السياسة الحكيمة التى كانت تنساب من فطانته وخلقه العظيم عليه الصلاة والسلام :

لما أعطى النبي ﷺ بعد حنين قريشاً وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً كثرت من الأنصار القالة (الكلام) حتى قال بعضهم : لقي والله الرسول قومه ! فجمعهم النبي (ﷺ) ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني ، وَجِدة وجدتموها على أنفسكم ، ألم آتِكم ضلّالًا فهداكم الله ، وعالة (فقراء) فأغناكم الله ، وأعداء فألّف بين قلوبكم ؟ قالوا : بل الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل .. ثم قال : ألا تجيبون يا معشر الأنصار ؟ فقالوا : بماذا نجيب؟ لله ورسوله المنّ والفضل !.. قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصَدَقْتُم وصُدِّقتم : أتيتنا مكذَّباً فصدّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوَجِدْتُم يا معشر الأنصار من لعاعة (من بقية) من الدنيا ، تألّفتُ بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟! فوالذي نفس محمد بيده !، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الناس شِعباً ، وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار !. فبكى القوم حتى أخضَلُوا لِحاهم (أي ابتلّت بالدموع) وقالوا : رضينا برسول الله قَسْماً وحظاً !..

هذه الكلمات الصادقة المخلصة التي انبعثت من قلب رسول الله ﷺ وترجمها لسانه أخذت بمجامع قلوب الأنصار ، وصعدت بنفوسهم إلى مرتبة الملائكة ، وقتلت الفتنة في مهدها ، وحركت نفوسهم لمعرفة الحق ، وتبيان الحكمة .. تفسّر لنا هذه الكلمات كيف كان رسول الله ﷺ يجمع الناس إلى مصلحة الإسلام العليا ، وغرض نصر الإسلام وعزه ، وغاية تأليف القلوب ...، لتتحقق للمسلمين وحدتهم الكبرى تحت ظلال التوحيد وراية الإسلام .

ولو لم يتصف النبى ﷺ بهذه الصفات الفاضلة ، ولو لم يَهَبْه الله هذه الفطانة وحسن الذوق السياسي المؤلِّف لما استطاع عليه الصلاة والسلام أن يقيم في المدينة دولة الإسلام ، ولما دانت له الجزيرة العربية بالحب والولاء ..

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام قدوة طيبة في حسن سياسته ، وفي كريم معاملته .. وهو الممتثل لأمر ربه في هذه السياسة التي انتهجها ، وتلك المعاملة التي تميّز بها ...

اسمعوا إلى تذكير ربه له ومخاطبته إياه :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم ، وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾

(آل عمران : ١٥٩)

أما عن قدوة الثبات على المبدأ : فإنها كانت صفة بارزة من صفاته عليه الصلاة والسلام ، وخلقاً أصيلا من أخلاقه ﷺ ، ويكفي في هذا المجال أن نذكر موقفه العظيم مع عمه أبي طالب حين ظنّ عليه الصلاة والسلام أن عمه مُسْلِمُهُ ، وخاذله ، ومتخل عن نصرته .. وهنا نقف لحظة لنستمع إلى كلمات الحق والإيمان والثبات على المبدأ تتردد على لسان صاحب الرسالة الإسلامية الخالدة لتعلن إلى الدنيا كيف يكون اليقين والثبات ، وكيف تكون التضحية والفداء ، وكيف يجب أن يكون الدعاة إلى الله ؟ : (والله ياعم : لو وضعوا الشمس في يمني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركتُه حتى يظهره الله أو أهلك دونه) ، ثم قام عليه الصلاة والسلام واستعبر باكياً ، فلما رأى عمه عزمه الصادق ، وثباته الراسخ في المضيّ في طريق الدعوة غير مكترث بأحد ولا عابىء بإنسان ، ناداه وقال له : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً ثم أنشد :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
حتى أوسَّدَ في التراب دفينا

فاصدعْ بأمرِك ما عليك غضاضة
وابشِر بذاك وقَرَّ منه عيونا
ودعوتني وزعمت أنك ناصحي
ولقد صدقتَ وكنتَ ثَمَّ أمينا
وعرضت ديناً لا محالة أنه
من خير أديان البريةِ دينا
لولا الملامةُ أو حذارُ مَسَبّةٍ
لوجدتني سَمْحاً بذاك مُبينا

فأى ثبات على العقيدة والمبدأ أعظم من هذا الثبات ؟ وأي امتحان للإيمان أكبر من هذا الامتحان ؟ لو لم يكن لنبينا عليه الصلاة والسلام إِلا هذا الموقف لكفاه على مدى الزمان وتعاقب الأجيال فخراً وشرفاً وخلوداً !.

وكيف لا يكون عليه الصلاة والسلام متصفاً بهذه الصفة البارزة المتميزة من الصمود والثبات وقد أنزل الله عليه في محكم الآيات :

﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾

(الاحقاف : ٣٥)

وأنزل : « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ؟ ألا إن نصر الله قريب** » .

(البقرة : ٢١٤)

هذا الذي ذكرناه عن أخلاق النبي ﷺ وصفاته ، ما هو في الحقيقة إلا رشفة قليلة من فيض عظمته صلوات الله وسلامه عليه ، وغرفة يسيرة من بحر كمالاته عليه الصلاة والسلام !.

هل يستطيع أحد أن يحصي فضائل هذا النبي العظيم ، وأن يحيط بمزاياه الكريمة بعد أن وصفه الله سبحانه بهذا الوصف الرائع ، وخصّه بهذا النعت الخالد :

(وإنك لعلى خلق عظيم) .

ولله درّ من قال :

دع ما ادعته النصارى في نبيِّهم
واحكُمْ بما شئت مدحاً فيه واحتكِم
وانسُب إلى ذاته ما شئتَ من شرف
وانسب الى قدْره ما شئت من عِظَمِ
فإن فضْلَ رسول الله ليس له
حَدٌّ فيعْربَ عنه ناطق بفَمِ
فمبلغُ العلم فيه أنه بَشَر
وأنه خير خَلْق الله كلِّهم

★ ★ ★

وإذا كان الله سبحانه قد خصّ نبيه عليه الصلاة والسلام بهذا الخُلق العظيم ، وميّزه بهذه الأسوة الحسنة .. فمن الطبيعي أن تنجذب القلوب له ، وأن تتأسى النفوس به ، وأن يجد الناس في شخصية النبي ﷺ القدوة الكاملة ، والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية والاجتماعية .. بل كان الذين عاينوا عصر النبي ﷺ واجتمعوا بالرسول عليه الصلاة والسلام من أقوى الذين شغفوا به إيماناً وحباً ، بل لا صبر لهم إذا لم يشهدوا مُحيَّاه ولا تطيب نفوسهم اذا لم تكتحل عيونهم برؤياه ، لشدة شغفهم به ، ومحبتهم إياه ، روى الإمام البغوي عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ وكان شديد الحبّ لرسول لله ﷺ قليل الصبر عنه ، فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه ، فقال له رسول الله ﷺ : ما غيَّر لونك ؟ فقال : يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع ، غير أني إذا لم أرَكَ استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرتُ الآخرة فأخاف أن لا أراك ، لأنك ترفع مع النبيّين ، وإني إن دخلت الجنة فأنا في منزلة أدنى من منزلتك ، وإنْ لم أدخل الجنة لا أراك أبداً ، فنزلت الآية :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴾ .

(النساء : ٦٩)

وكان من نتيجة هذه المحبة القلبية المخلصة أن آثروا محبة النبي ﷺ على محبتهم لأنفسهم ، ومن ذلك : قصة زيد بن الدَّثِنَةَ كما رواها البيهقي عن عروة قال : لما أخرج المشركون زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه بالتنعيم ، وقد اجتمع في الطريق خبيب بن عديّ الأنصاري ، وزيد بن الدثنة ، فتواصيا بالصبر والثبات على ما يلحقهما من المكاره ، قال أبو سيفان – وهو يومئذ مشرك – قال لزيد بن الدثنة : أنشدك بالله يا زيد : أتحبّ أن محمداً الآن مكانك ، تُضْرَبُ عنقه ، وأنك في أهلك ، فقال له زيد : والله ما أحبّ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة ، وأني جالس في أهلي ! فقال أبو سفيان :

(ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)!.

فقد آثر زيد أن يُقتَل ، ولا يُصاب رسول الله ﷺ بأقل شيء من الأذى .

قال الحافظ الزرقاني : وفي رواية : أنهم ناشدوا خبُيباً ، فقال : والله ما أحبّ أن يفديني رسول الله ﷺ بشوكة في قدمه !.

ومن ذلك : ما رواه البيهقي وابن إسحق أن امرأة من الأنصار قد قُتل أبوها وأخوها وزوجها شهداء يوم أحد ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ (تسأل عن سلامته) قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تُحبين ! فقالت : أرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته قالت : (كلُّ مصيبة بعدك جلل) أي بعد سلامتك هيّنة .

من هذا المنطلق الوِجداني من الحب والولاء والتفاني .. تأسّى أصحاب رسول الله ﷺ بنبيهم لأنهم وجدوا فيه المثل الأعلى في العبادة والأخلاق ، وحسن القدوة في الملاطفة والمعاملة .. وهكذا تعمل الأسوة الحسنة عملها في النفوس ، وتترك أثرها الطيب في التكوين والتربية والإعداد ..

ومن آراد أن يعرف شيئاً عن تأسي أصحاب رسول الله ﷺ بنبيهم ، وعن أثره صلوات الله وسلامه عليه في نفوسهم ، وعن التحوّل الذى أحدثه في واقعهم .. فليستقْرِ التاريخ ليسمع الكثير عن جميل مآثرهم ، وكريم فضائلهم .. (فهل عرفت الدنيا أنبل منهم وأكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجلّ أو أعظم ، أو أرق أو أعلم ؟

يكفيهم شرفاً وفخراً وخلوداً أن يقول القرآن العظيم في حقهم :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم .. ﴾
(الفتح : ٢٩)

ويقول : ﴿ كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ﴾
(الذاريات : ١٧)

ويقول : ﴿ تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

(الفتح : ٢٩)

ويقول : ﴿ والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .. ﴾

(الحشر : ٩)

ويقول : ﴿ من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

(الاحزاب : ٢٣)

هذا غيض من فيض مما نزل في كريم مآثرهم ، وجميل محامدهم ، وقد تحقق بهم فعلا إقامة المجتمع الفاضل الذي كان حلم المفكرين ، وأمنية الفلاسفة منذ القدم .. وكيف لا والقاضي يجلس بينهم سنتين ولا يتخاصم إليه اثنان ؟ ولماذا يتخاصمون وبين أيديهم القرآن ؟ ولماذا يختلفون وهم يحبون لإخوانهم ما يحبون لأنفسهم ؟ ولماذا يتباغضون والرسول ﷺ أمرهم بالمحبة والإخاء ، وحضهم على التعاطف والإيثار ؟

وإليكم ما قاله الصحابي الجليل « عبد الله بن مسعود » رضى الله عنه في تعداد محامدهم وفضائلهم ، ووجوب التأسي بأفعالهم الحميدة ، وأخلاقهم الكريمة ..: « من كان متأسّياً فليْتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا .. اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » .

ومازالت الأجيال المسلمة في كل زمان ومكان يرون من صحابة رسول الله ﷺ القدوة الصالحة في العبادة والأخلاق ، والشجاعة والثبات ، والعزم والمضاء ، والتعاطف والإيثار ، والجهاد ونيل الشهادة .. ومازال شباب الإسلام في كل عصر يستقون من معين فضائلهم ، ويستضيئون بنور مكارمهم ، وينهجون في التربية نهجهم ، ويسيرون في بناء المجد سيرهم .. لكونهم خير القرون هدياً ، وأفضل العصور قدوة ..)[1] .

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه **البيهقي والديلمي** – : « أصحابي كالنجوم فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم »[1] .

* * *

(من هذه القدوة الصالحة التي تجسدت في صحابة رسول الله ﷺ ومَنْ تبعهم بإحسان .. انتشر الإسلام في كثير من الممالك النائية ، والبلاد الواسعة البعيدة في شرق الدنيا وغربها ..

والتاريخ يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان ، وجزر لكديف ومالاديف في المحيط الهندي ، وإلى التيبت وإلى سواحل الصين ، وإلى الفيليبين ، وجزر أندنوسيا ، وشبه جزيرة الملايو .. ووصل

---

(١) من مقدمة كتاب « تربية الاولاد في الاسلام » القسم الأول مع بعض التصرف .

(١) الحديث وإن كان في سنده ضعف إلا ان معناه صحيح لأن الصحابة-كما أجمع العلماء – كلهم عدول ، فبأيهم اقتدى المسلم اهتدى .

إلى أواسط أفريقيا في السنغال ، ونيجيريا ، والصومال ، وتنزانيا ، ومدغشقر ، وزنجبار ، وغيرها من البلاد ..

وصل الإسلام إلى كل هذه الأمم بواسطة تجار مسلمين ، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وأمانتهم ، وصدقهم ووفائهم .. ثم أعقب ذلك الكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة ، فدخل الناس في دين الإسلام أفواجاً ، وآمنوا بالدين الجديد عن اقتناع وإيمان ورغبة .. ولولا أن يتميز هؤلاء التجار الدعاة بأخلاقهم ، ويعطوا القدوة بين أولئك الأقوام بصدقهم وأمانتهم ، ويعرفوا لدى الغرباء بلطفهم وحسن معاملتهم لما اعتنق الملايين من البشر هذا الإسلام ، ولما دخلوا في هديه ورحمته !!..

ونخلص مما تقدم إلى أن التميز الخلقي المتمثل بالقدوة الصالحة هو من أكبر العوامل في التأثير على القلوب والنفوس .. ومن أعظم الأسباب في نشر الإسلام في البلاد البعيدة ، والأصقاع المعمورة ، وفي هداية البشرية إلى سبيل الايمان ، وطريق الإسلام ..

فما أجدر الجيل الإسلامي اليوم برجاله ونسائه ، وشيبه وشبّانه ، وكباره وصغاره ، أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن يعطوا لغيرهم القدوة الصالحة ، والأخلاق الفاضلة ، والسمعة الحسنة ، والمعاملة الطيبة ، والصفات الإسلامية النبيلة .. ليكونوا دائماً في العالمين أقمار هداية ، وشموس إصلاح ، ودعاة خير وحق ، وأسباب نشر وامتداد لرسالة الإسلام الخالدة !..)[١] .

إذن لا بد من قدوة صالحة لنجاح التربية ، ونشر الفكرة !..

ولا بد من مثل أعلى ترنو إليه الأعين ، وتنجذب لجماله النفوس !..

ولا بد من أخلاق فاضلة يستمد المجتمع منها الخير ، وتترك في الجيل أفضل الأثر !..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١١٩ مع بعض التصرف .

ومن هنا كان حرص النبي ﷺ على أن يظهر المربي أمام من يقوم على تربيته بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء حتى يتطبع الولد منذ نشأته على الخير ، ويتخلّق منذ نعومة أظفاره على الصفات الفاضلة النبيلة ..

وإليكم نماذج من هديه عليه الصلاة والسلام في تنبيه المربي بإعطاء القدوة :

● روى أبو داود والبيهقي عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : يا عبد الله تعالَ حتى أعْطِيكَ .

فقال لها عليه الصلاة والسلام : ما أردتِ أن تعطيه ؟

قالت : أردت أن أعطيه تمراً .

فقال : أما أنك لو لم تعطه شيئاً ، كتُبِتْ عليك كذبة .

وعنه عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أحمد وغيره – : « من قال لصبي تعال هاك (أي خذ) ثم لم يعطه فهي كذبة ! » .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام من له في عنقه حق التربية بمظهر الصدق ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟!

● وروى البخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا – أي أعطيته – غلاماً كان لي .

فقال رسول الله ﷺ : أكلّ ولد نحلته مثل هذا ؟

فقال : لا .

فقال رسول الله ﷺ : فارجعه .

وفي رواية : فقال رسول الله ﷺ : أفعلت هذا بولدك كلهم ؟

قال : لا .

قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم .

فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : يا بشير ، ألك ولد سوى هذا ؟

فقال : نعم .

قال : أكلَّهم وهبتَ له مثل ذلك ؟

قال : لا .

قال : فلا تشهدني إذن ، فإني لا أشهد على جور (أي ظلم) .

وفي رواية : أشهد على هذا غيري .

ثم قال : أيسرّك أن يكونوا إليك في البرّ سواء ؟

قال : بلى .

قال : فلا إذن .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام من له فى عنقه حق التربية بمظهر العدل ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

● وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني علي رضي الله عنهم ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة ما قبّلت منهم أحداً قط ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابيّ إلى رسول ﷺ فقال : إنكم تقبِّلون الصبيان ، وما نقبّلهم ! فقال رسول الله ﷺ : « أو أمْلِكُ أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! »

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام مَنْ له في عنقه حق التربية بمظهر الرحمة ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟

وإذا نُزعت الرحمة من قلب المربي فهل تنفع التربية مع الولد ؟ وهل تجدي معه وسائل التربية المؤثرة ؟ وهل يتقبل الموعظة ، وينشأ على مكارم الأخلاق ؟

الجواب : حتما . لا .

إذن فما على المربين إلا أن يسلكوا مع أبنائهم سبيل الرحمة ، وأن يتحققوا بها في حياتهم اليومية ، وواجباتهم الدعوية والتربوية ، لينشأ الولد على الأخلاق ، ويتربى على المكارم ، ويرضع لبان الأمجاد والبطولات ..

وفى تركيز نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه على خُلق الرحمة للأطفال أعطى للأجيال الإسلامية في كل زمان ومكان منها قدوة ، ليتأسى بها الدعاة إلى الله والآباء والمربون في كل مِصْرٍ وعَصْرٍ !..

وإليكم نماذج من رحمته (ﷺ) بالأطفال :

(أ) روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال : رأيت النبي ﷺ يخطب ، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وعليهما قميصان أحمران ، يمشيان ويعثران . فنزل النبي ﷺ ، فحملهما ، ووضعهما بين يديه ثم قال « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » ، نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران ، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ، ورفعتهما .

(ب) روى النسائي والحاكم : بينما كان رسول الله ﷺ يصلي بالناس ، إذ جاءه الحسين ، فركب عنقه وهو ساجد ، فأطال السجود بالناس ، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر . فلما قضى صلاته قالوا : قد أطلت السجود يا رسول الله حتى ظنَنّا أنه قد حدث أمر . فقال : إن ابني قد ارتَحَلَني – أي جعلني كالراحلة فركب على ظهري – فكرهتُ أن أعْجِله حتى يقضي حاجته .

(ج) وجاء في الإصابة : أنه ﷺ كان يداعب الحسن والحسين رضي الله عنهما فيمشي على يديه وركبتيه ، ويتعلّقان به من الجانبين ، فيمشي بهما ويقول :

« نعم الجملُ جملكُما ، ونعم العِدلان أنتما » .

(د) وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إِني لأدخل في الصلاة ، وأنا أريد إِطالتها ، فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوزّ في صلاتي (أي أختصر) مما أعلم من وَجْدِ أمه من بكائه .

(هـ) وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ على صبيان فسلّم عليهم ، وقال : كان رسول الله ﷺ يفعله .

(و) وروى مسلم أن الناس إذا رأوا أول الثمر جاءوا به إلى رسول الله ﷺ ، فإذا أخذه قال : « اللهم بارك لنا في ثمرنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مُدِّنا » .

ثم يدعو أصغر وليد له ، فيعطيه ذلك الثمر .

● وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم ، حتى أواهم المبيت إلى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار .

فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إِلا أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم : قال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران ، وكنتُ لا أغبِقُ أي لا أقدّم في الشرب – قبلهما أهلا ولا مالا .

فنأى بي طلب الشجر يوماً ، فلم أرحْ عليهما – أي لم أرجع إليهما – حتى ناما ، فكرهتُ أن أوقظهما ، وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا ، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر – أي ظهر ضوؤه – ، والصبْيَةُ يتضاغَوْن (أى يصيحون من الجوع) عند قدميّ . فاستيقظا فشربا غبوقهما .

« اللهم إِن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك ، ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة » ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه[١] ...

---

(١) النفر الثانى : صفته أنه عف عن الزنى ، والنفر الثالث : صفته أنه عف عن أكل أجرة الأجير ، فبفضل صالح أعمال النفر الثلاثة فرج الله عنهم الصخرة ، فخرجوا يمشون ، والحديث بتمامه موجود في « رياض الصالحين » باب الإخلاص وإحضار النية .

أليس يدل هذا الهدي النبوي على حرص النبي ﷺ في أن يظهر المربي أمام مَن له في عنقه حق التربية بمظهر البر للوالدين ، ليعطيهم في ذلك قدوة ؟.

وما معنى أن الصبية يتضاغون والقدح في يديه ؟ أليس معناه أن الأب صاحب قدوة في البر لأبويه أمام أولاده ؟

● وروى مسلم عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى بشرابٍ فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ .

فقال للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

فقال الغلام : لا والله لا أوثر بنصيبي منك أحداً.

أليس يدل هذا الهدى النبوي على أن النبي ﷺ كان يعطي من نفسه القدوة في الملاطفة مع الصغار ، والتزام منهج الإسلام في أدب الشراب .. حتى يتأسى بهديه صلوات الله وسلامه عليه جيل الإسلام ؟! .

وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يُعلّم من كان في عنقه حق التربية القدوة الصالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ، ويُتأسى بهم ، ويتأثر الأولاد بأفعالهم الحميدة ، ومواعظهم المؤثرة ، وملاحظاتهم السديدة ، وتأديبهم الحكيم الشامل !...

* * *

والذى نخلص إليه بعدما تقدم أن القدوة – في نظر الإسلام – هي من أعظم وسائل التربية ترسيخاً وتأثيراً .

فالطفل حين يجد من أبويه ومربّيه القدوة الصالحة في كل شيء فإنه يتشرب مبادىء الخير ، ويتطبع على أخلاق الإسلام ...

وحين يريد الأبوان أن يتدرج طفلهما على خلق الصدق والأمانة والعفة والرحمة ومجانبة الباطل .. فعليهما أن يعطيا من أنفسهما القدوة الصالحة في فعل الخير ، والابتعاد عن الشر ، في التحلي بالفضائل ، والتخلي عن الرذائل ، في اتباع الحق ومجانبة الباطل ، في الإقدام نحو معالي الأمور والترفع عن سفاسفها ..

إن الولد الذى يرى أبويه يكذبان .. لا يمكن أن يتعلم الصدق !.. وإن الولد الذي يرى أبويه يغشّان أو يخونان .. لا يمكن أن يتعلم الأمانة !

والولد الذي يري أبويه في ميوعة واستهتار .. لا يمكن أن يتعلم الفضيلة !

والولد الذي يسمع من أبويه كلمات الكفر والسب والشتيمة لا يمكن أن يتعلم حلاوة اللسان !

والولد الذي يرى من أبويه الغضب والعصبية والانفعال .. لا يمكن أن يتعلم الاتزان !.

والولد الذي يرى من أبويه القسوة والجفاء .. لا يمكن أن يتعلم الرحمة والمودة !..

وهكذا ينشأ الولد على الخير ، ويتربى على الفضيلة والأخلاق .. إذا وجد من أبويه القدوة الصالحة .. وبالتالى فإن الولد يتدرّج نحو الانحراف ، ويمشي في طريق الكفر والفسوق والعصيان .. إذا وجد من أبويه القدوة الفاسقة ..

وهل يُرجى لأطفالٍ كمالٌ
إذا ارتضعوا ثُدِيَّ الناقصاتِ ؟

ولا يكفي أن يعطي الأبوان للولد القدوة الصالحة ، وهما يظنان أنهما أدّيا ما عليهما ، وقاما بواجبهما .. بل ينبغي أن يربطا ولدهما بصاحب القدوة عليه الصلاة والسلام ، وذلك بتعليم الولد مغازي النبي ﷺ ، وسيرته العطرة ، وأخلاقه الكريمة تحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الطبراني – : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : – منها – حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ... » .

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « كنا نعلّم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلّمهم السورة من القرآن » . ليتطبع الولد بصفات المكارم والكمال ، ويشبّ على خلق الشجاعة والإقدام .. حتى إذا تعقل وبلغ سن الرشد ما عرف قائداً ولا قدوة ولا زعيماً ولا مثلا أعلى .. سوى محمد عليه الصلاة والسلام .

وينبغى على الابوين كذلك أن يربطا ولدهما بقدوة الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، والسلف الصالح ، ومن تبعهم بإحسان تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

(الأنعام : ٩٠)

وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البيهقي والديلمي : « أصحابي كالنجوم فبأيّهم اقتديتم اهتديتم » .

وسبق أن ذكرنا كلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه القائل : « من كان متأسياً فلْيتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ... » .

ليتخلّق الولد بأخلاق هذه الصفوة المختارة (الذين كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلّفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا ..) حتى يعرف لهم فضلهم ، ويتّبعهم في آثارهم ، ويتعلق قلبه بمحبتهم ..

وينبغي علي الأبوين أيضا أن يهيئا لولدهما المدرسة الصالحة ، والرفقة الصالحة ، والجماعة الصالحة ، ليكتسب الولد التربية الإيمانية ، والتربية الخلقية ، والتربية الجسمية ، والتربية النفسية ، والتربية العقلية .. فلا يعقل – وهو في هذه الأجواء الصالحة – أن ينحرف الولد عقيدياً ، وأن يتحلل خلقياً ، وأن يتعقد نفسياً ، وأن يضعف جسمياً ، وأن يتخلف علمياً وثقافياً !.. بل يصل إلى ذروة الكمال في رسوخ عقيدته ، وسمو أخلاقه ، ومتانة أعصابه ، وقوة بدنه ، ونضج عقله وعلمه !..

ونحن مع الأب في أن المجتمع فاسد ، والبيئة جاهلية ، ومن الصعوبة بمكان تهيئة الأجواء الصالحة للولد .. هذا حق ، ولكن إذا بذل الأب أقصى الجهد ، وأخذ بالأسباب الكاملة في إعداد الولد إيمانياً وخلقياً ...وتكوينه فكرياً ونفسياً واجتماعيا .. يكون الأب – ولا شك – معذوراً أمام الله عز وجل إذا انحرف الولد ، وسار في متاهات الفسوق والضلال !..

وفي تقديري أن التربية بالقدوة : قدوة الأبوين ، وقدوة الرفقة الصالحة ، وقدوة المعلم ، وقدوة الأخ الأكبر .. هذه التربية من أعظم العوامل المؤثرة في إصلاح الولد ، وهدايته ، وإعداده لعضوية المجتمع والحياة .. وهذا كله يمكن أن يوفره الأبوان للولد ، ويمكن كذلك أن يهيئا له الأجواء الصالحة إذا صمّما على التحرك في إصلاح فلذة الكبد ، وعقدا العزم على أن يكون ولدهما مَلَكاً يمشي في الناس !.

وينبغي إلا يغرب عن بال الأبوين أن التركيز على إصلاح ولدهما الأكبر هو من أبرز المؤثرات في إصلاح باقي الأولاد ، لأن الولد الأصغر يحاكي عادة ما يفعله الأكبر ، بل ينظر إليه أنه المثل الأعلي في كل شيء ، ويقتبس الكثير والكثير من صفاته الخلقية . وعاداته الاجتماعية .

وهنا تكون الطامة أكبر إذا وجد الولد من يكبره سناً في تميّع وانحلال . واذا رأى من ولْدَ قبله يتقلب في متاهات الرذيلة والفساد .. فلا شك أن الأولاد به يتأثرون ، وعلى طريقته يمشون .. وعنه يأخذون !..

ولهذا كله وجب على الأبوين أن يركزوا جهودهم على الولد الأكبر ثم من يليه .. ليكونوا لمن بعدهم قدوة ، وللباقين من الأولاد أسوة ، والله يتولى الصالحين .

وفي ختام بحثنا هذا نستعرض استنكار القرآن الكريم للذين يخالف أفعالهم أقوالهم ، ويشمل ذلك الآباء والأمهات وجميع المربّين ، وجميع من لهم في أعناقهم حق التربية :

- ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾

(الصف : ٢- ٤)

- ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ ؟

(البقرة : ٤٤)

هل رأيتم في آيات الله زجراً واستنكاراً أعظم من هذا الزجر والاستنكار في حق مَن ؟ ، في حق أولئك الذين يعطون لغيرهم القدوة السيئة ، والفعل القبيح ؟ .

« وما أعظم موقف عمر رضي الله عنه حين كان يجمع أهل بيته ليقول لهم : (أما بعد ، فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا ، وأنهاهم عن كذا وكذا ، وإني أقسم بالله العظيم لا أجد واحدا منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه ، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكّلتُ به نكالا شديداً) ، ثم يخرج رضي الله عنه ويدعو إلى الخير فلم يتأخر أحد عن السمع والطاعة ، لإعطائهم القدوة بفعله ، قبل إعطائهم إياها بقوله .

ومن هنا كان التنكيل بالذي يأمر غيره بالمعروف ولا يأتيه شديداً وعظيماً يوم القيامة ، ومن هنا كانت الفضيحة في جهنم مخزية أمام الأشهاد !! .

روى البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « يُجاء بالرجل يوم القيامة ، فيُلقى في النار ، فتندلق أقتابه[1] ،فيدور بها كما يدور الحمار برحاه ، فتجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : يا فلان ، ما شأنك ؟ ألست كنت تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه ، وأنهاكم عن الشر وآتيه . قال : وإني سمعته يقول : - يعني النبي ﷺ - مررت ليلة أُسريَ بي بأقوام تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ، قلت : مَن هؤلاء يا جبريل ؟ قال : خطباء أمتك الذين يقولون مالا يفعلون .

أما الفضيحة المخزية أمام الأشهاد فلما روى أحمد والبيهقي عن منصور بن زازان قال : نُبئت (أخبرت) أن بعض من يُلْقى في النار تتأذى أهل النار بريحه ، فيقال له ويلك ! ما كنت تعمل ؟ ما يكفينا ما نحن فيه من الشر حتى ابتلينا بك وبِنَتْن ريحك ؟ ، فيقول : كنت عالماً فلم أنتفع بعلمي))[2] .

---

(١) أقتابه : أمعاؤه تخرج من بطنه .

(٢) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١١٧ - ١١٨ بحث « التميز في الأخلاق » .

فليعلم الآباء والأمهات والمربون جميعا أن التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم اعوجاج الولد ، بل هي الأساس في ترقيّه نحو المكرمات والفضائل والآداب الاجتماعية النبيلة ..

وبدون هذه القدوة لا ينفع مع أولادكم تأديب ، ولا تؤثر بهم موعظة !. فاتقوا الله– أيها المربون – بأولادكم ، وكونوا معهم على مستوى المسؤولية لتروا أفلاذ الأكباد شموس إصلاح ، وأقمار هداية .. يستضيء أبناء المجتمع بنورهم ، ويتأسون بمحاسن أخلاقهم ، ويرتشفون من معين آدابهم .. ويصدق عليهم قوله تبارك وتعالى :

﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾

(الأنعام : ٩٠)

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ..

٢ – التربيَة بالعَـادة

من الأمور المقررة في شريعة الإسلام أن الولد مفطور منذ خلقته على التوحيد الخالص ، والدين القيّم ، والإيمان بالله ..

مصداقاً لقولة تبارك وتعالى : « **فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** » .

ومصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري :

(كل مولود يولد على الفطرة ...) أي يولد على فطرة التوحيد والإيمان بالله ..

.. **ومن هنا يأتي دور التعويد والتلقين والتأديب** في نشأة الولد ، وترعرعه على التوحيد الخالص ، والمكارم الخلقية ، والفضائل النفسية وآداب الشرع الحنيف ..

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الولد اذا تيسر له عاملان : **عامل التربية الإسلامية الفاضلة ، وعامل البيئة الصالحة فإن الولد – لا شك – ينشأ على الإيمان الحق ، ويتخلّق بأخلاق الإسلام ، ويصل إلى قمة الفضائل النفسية ، والمكارم الذاتية ...**

أما عامل التربية الإسلامية الفاضلة فالرسول صلوات الله وسلامه عليه أكده في أكثر من حديث :

– « لأن يؤدِّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » رواه الترمذي .

– « ما نحلَ والدٌ ولداً أفضل من أدب حسن » . رواه الترمذي .

– « علمّوا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » .

رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

– « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن .. » رواه الطبراني .

وأما عامل البيئة الصالحة فالرسول (ﷺ) قد وجه إليه في أكثر من مناسبة :

– « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه » . رواه البخاري .

ويفهم من هذا الحديث أن الولد إذا تيسر له أبوان مسلمان صالحان ، لقناه مبادىء الإيمان والإسلام نشأ الولد على عقيدة الإيمان والإسلام ، وهذا هو معناه عامل البيئة المنزلية .

– « المرء على دين خليله فلينظُر أحدكم من يخالِلْ » رواه الترمذي .

ويفهم من هذا الحديث أن الصديق للصديق إن كان صالحاً تقياً فيكتسب منه الصلاح والتقوى ، وهذا هو معناه عامل البيئة الاجتماعية سواء أكانت مدرسية أم محلية ..

ومما يؤكد أن للبيئة الصالحة أكبر الأثر في تربية المسلم على الصلاح والتقوى ، وتكوينه على أسس الإيمان والعقيدة والأخلاق الفاضلة حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين قتيلا كما رواه البخاري ومسلم ، وإليكم الحديث بكامله :

(عن أبي سعيد بن سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال : « كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً ، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُلَّ على راهب (أي عابد) ، فأتاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمّل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ، فدُلّ على رجل عالم ، فقال : إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال نعم ، ومن يحول بينه وبين التوبة ، **انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء** ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ،

وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاءنا تائباً مقبلا بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط ، فأتاهم ملَك في صورة آدمي فجعلوه بينهم – أي حكماً – فقال : قيسوا ما بين الأرضين ، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضتهُ ملائكة الرحمة) .

وفي رواية : « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدي ، وإلى هذه أن تقرّبي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبرٍ فغُفر له » .

فيؤخذ من هذه النصوص التي أوردناها أن الولد حينما تتوفر له تربية صالحة من قبل آباء صالحين ، ومعلمين مخلصين .. وتتوفّر له بيئة صالحة من قبل أصدقاء صالحين ، ورفقاء مؤمنين مخلصين .. فإن الولد – ولا شك – يتربى على الفضيلة والإيمان والتقوى ، ويعتاد كل أدب رفيع ، وخُلق جميل وعادة كريمة ..

وعلى هذه الأسس وهاتيك المبادىء درج السلف الصالح في انتقاء المربين لأولادهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة في تنشئتهم على الخير ، وتحلّيهم بأكمل الأخلاق ، وأجمل الصفات ..

● روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان لما دفع ولده إلى المؤدب قال له : « ليكُنْ أول ما تبدأ به من إصلاح بَنِيَّ إِصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنتَ ، والقبيح عندهم ما استقبحت وعلّمهم سِيَرَ الحكماء ، وأخلاق الأدباء ، وتهدّدهم بي ، وأدّبهم دوني ، وكن لهم كالطبيب الذي لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء ، ولا تتكلنّ على عذر مني ، فإني قد اتكلت على كفاية منك » .

● وذكر الراغب الأصفهاني أن المنصور بعث إلى مَن في الحبس من بني أمية من يقول لهم : « ما أشد ما مرّ بكم في هذا الحبس ؟ » ، فقالوا : « **ما فقدنا من تربية أبنائنا** » .

● ومن وصية ابن سيناء في تربية الولد : « أن يكون مع الصبي في مكتبه صِبْية حسنة آدابهم ، مرضيّة عاداتهم ، لأن الصبي ألْقَن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنَس » .

ومن أراد المزيد من الشواهد في اهتمام السلف بتربية أبنائهم ، وتهيئة الأجواء الصالحة لهم فليرجع إلى ما استشهدنا به في (مقدمة البحث) من « القسم الثاني » من « كتاب تربية الأولاد » ، فإنه يجد ما يبل الصدى ، ويشفي الغليل !..

★ ★ ★

ومن الخطأ الفادح أن يتوهم البعض أن الناس يولدون أخياراً أو أشراراً ، كما يولد الحَمَل (أي الخروف) وديعاً ، والنمر مفترساً ، وأنه لا يمكن تغيير الشر الكامل في الإنسان ، كما أنه لا يمكن تغيير الخير المتأصل فيه[1] ..

وهذه الدعوة الباطلة منقوضة شرعاً ، ومنقوضة عقلًا ، ومنقوضة تجربة ..

أما إنها منقوضة شرعاً فلقوله تعالى : « **وهديناه النجدين** » .

(البلد : ١٠)

أي عرّفناه طريق الخير والشر .

وقوله كذلك : « **ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها** » .

(الشمس : ٦ – ١٠)

– وقوله أيضا : « **إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً** » .

(الدهر : ٣)

ولقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي سبق ذكره : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » .

أما انها منقوضة عقلا فلأن الله سبحانه لما أنزل الكتب وأرسل الرسل .. لأجل ماذا ، أليس في سبيل إصلاح الإنسان وسعادته في دنياه وآخرته ؟ ثم لماذا تهتم

---

(١) الذي قال بهذا الرأي « شوبنهار » الفيلسوف الألماني ، و « وسبينوزا » الفيلسوف الهندي ، و « ليفي بريل » الفرنسي ... ولكن أكثر الفلاسفة الاخلاقيين في الشرق والغرب قد ردوا هذا الرأي ، واعتبروه من شذوذ الأقاويل والآراء ..

الحكومات في وضع المناهج والقوانين ؟ ولماذا تشرف على تأسيس المدارس والمعاهد والجامعات ؟ ولماذا تقوم على تعيين المعلمين والمختصين من علماء التربية والأخلاق والاجتماع ؟ أليس ذلك لأجل التعليم والتأديب والتخليق ، وقمع الفاسد ، وتأسيس الصالح ، وتقويم الاعوجاج ؟ وإلا .. ففيم إذن كان إنزال الكتب ، وإرسال الرسل ؟ وفيم إذن وضعت الشرائع والقوانين ؟ وفيم كان ويكون عمل المؤدّبين ؟ ألا يكون ذلك عناء ومشقة بغير جدوى ؟ أولا يكون دراسة الأخلاق نفسها ملهاة وعبثاً ؟

فنستنتج بعد هذه التساؤلات والمحاكمات العقلية أن الإنسان خلق مستعداً للخير والشر جميعاً ، فإذا تيسرت له التربية الصالحة ، والبيئة الصالحة نشأ على خير ما ينشأ من الإيمان الخالص ، والأخلاق الفاضلة ، وحب الفضيلة والخير .. وكان في المجتمع إنساناً مؤمناً فاضلا كريماً !..

أما إنها منقوضة تجربة ومشاهدة فللأمور التالية :

١ً — من الملاحظ في عالم الإنسان أن إنساناً ما ، عاش طويلا في بيئة الضلال والفساد ، وبلغ فيه الإجرام والشقاء كل مبلغ .. وقد أذاق المجتمع من وبال شروره وآثامه ، وأقضّ مضجعه من ويلات شقائه وإجرامه .. وإذ برفيق صالح ، أو مربٍّ مؤثر ، أو داعية مخلص .. نقله من وهدة الشقاء إلى روضة السعادة ، ومن بيئة الإجرام إلى عالم البَررَة .. فيصبح بعد هذا الشقاء الطويل والإجرام العريق من كبار الأتقياء ، ومن أعلام الأبرار السعداء ...

وهذا كثير وكثير في عالمنا اليوم الذي يموج بالفتن ، ويزخر بالآثام ، ويتخبط بالفجور والمنكر .. ولا يمكن أن ينكره إلا مكابر أو في عينيه غشاوة ! ..

٢ً — ومن الملاحظ في عالم الحيوان أن الإنسان وُفِّق في كل عصوره إلى نقل طباع الحيوان من النفور إلى الإلف ، ومن الصعوبة والحُرونة إلى السلاسة والانقياد ، ومن اعوجاج السير واضطرابه إلى اعتداله وانتظامه .. حتى إن الإنسان ليرقّص الخيل ، ويلاعب الطير ، ويعلّم الجوارح .. فإذا كان هذا هو الشأن في غرائز العجماوات ، فكيف بالغرائز الإنسانية التى أثبت (علم النفس المقارن) أنها أسلس قياداً ، وأعظم مرونة بسبب تعارضها وتنوعها ، وقبولها للمزج والتعديل والتقويم ..

٣ً – ومن الملاحظ في عالم النبات أن البذرة حين يضعها الزارع في أرض خصبة ، ويتعهدها بالماء والسماد ، ويحميها من الحشرات والطفيليات .. ثم لا يزال يلاحقها في تهذيب أشواكها ، وتقويم أغصانها ، فإن هذه البذرة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، ويقطف الإنسان من ثمارها ، ويتفيأ ظلالها ، ويستغل خيراتها على مدى الزمان والأيام ..

أما إذا كتب لهذه البذرة نصيبها من التقصير والإهمال ، لاتُغذّيها تربة ، ولا يُرويها ماء ، ولا تلاحق بالتهذيب لأشواكها ، والتقويم لأغصانها .. فإنها لا تؤتي أُكُلًا ، ولا تعطي زهراً ولا ثمراً .. بل تصبح عما قليل هشيماً تذروه الرياح ، وتتقاذفه الأعاصير ...

فكذلك النفس الإنسانية وما فيها من قابليات واستعدادات ، وسجايا وجبِلّات ، حينما تتعهدها بالأخلاق الفاضلة ، وتمدّها بماء العلوم والمعارف ، وترفدها بالعمل الصالح .. فإنها تنشأ على الخير ، وتدرج على الكمال ، ويكون صاحبها كالملك يمشي في الناس .

أما إذا أهملها وتركها للأيام حتى علاها صدأ الجهل ، وغشيها عدوى خلطاء السوء ، وتراكم عليها أنقاض العادات الذميمة .. فإنها – ولاشك – تنشأ على الشر والفساد ، وتتقلب في مستنقع التحلّل والإباحية .. ويكون صاحبها كالوحش الأعجم يمشي في الناس ، ويظن نفسه من الأناسيّ الكرام .

والذي نخلص إليه بعدما تقدم أن دعوى الذين يقولون إن الطباع الإنسانية من شر أو خير لا يمكن تغييرها ولا تعديلها هي في الحقيقة دعوى باطلة ينقضها الشرع ، ويردها العقل ، وتكذبها التجربة والمشاهدة ، ويبطلها الجمهرة الغالبة من علماء النفس والتربية والأخلاق !..

ونجتزيء في هذا المجال بعض ما قاله الغزالي - في إحيائه - في تعويد الولد خصال الخير أو مبادىء الشر باعتبار قابليته وفطرته ، يقول رحمه الله : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عَوّد الخير وعُلّمه نشأ عليه ، وسَعِدَ في الدنيا والآخرة ، وإن عوّد الشّر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك .. وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ، ويعلمه محاسن الأخلاق... ».

وذهب ابن خلدون – فى مقدمته – مذهب الغزالي في قابلية الولد واستعداده ، وإمكانية إصلاحه بعد فساده .. بل كثير من فلاسفة الغرب أو الشرق ذهبوا هذا المذهب ، وسلكوا ذلك الاتجاه .

ورحم الله من قال :

وينشأ ناشيءُ الفتيان فينا
على ما كان عوّده أبوهُ
وما دان الفتى بحجى ولكنْ
يعوّده التديّن أقربوهُ

★ ★ ★

وعلى المربي أن يميّز في إصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه بين عُمْرَين ، وأن يفرق في تعويده وتأديبه بين سنّين :

فالكبار لهم منهجهم وطريقتهم ..

والصغار كذلك لهم منهجهم وطريقتهم ..

فمنهج الإسلام وطريقته في إصلاح الكبار – وهم سنّ ما بعد البلوغ – يعتمد على ثلاثة أمور أساسية :

١ – الربط بالعقيدة .

٢ – تعرية الشرّ .

٣ – تغيير البيئة .

أما الربط بالعقيدة فهو من أعظم الأسس في استمرار المؤمن على مراقبة الله تعالى ، واستشعاره عظمته وخشيته في كل الظروف والأحوال ، وهذا من شأنه أن يقوي القوة النفسية ، والإرادة الذاتية لدى الفرد المؤمن ، فلا يكون عبداً لشهوته ، ولا أسيراً لأطماعه وأهوائه .. بل يندفع بكليته إلى تطبيق المنهج الرباني كما أنزل الله وكما أوحى إلى رسوله عليه الصلاة والسلام .. دون تردّد أو حرج ، وشعاره في هذا قوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾ .

(المائدة : ٥٠)

﴿ وماءاتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ .

(الحشر : ٧)

لأن من مقتضيات هذا الإيمان الأخذ بالشريعة بلا حرج ، والاستسلام الكامل لتعاليم الإسلام :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ .

(النساء : ٦٥)

ولا شك أن العبادات بكليتها ، والأذكار والأوراد بجملتها ، وتلاوة القرآن الكريم وتدبّره في آناء الليل ، وأطراف النهار ، واستشعار العظمة الإلهية في كل الظروف والأحوال ، والإيقان بالموت وما بعده ، والإيمان بعذاب القبر وسؤال ملكين ، والاعتقاد بعوالم الآخرة ، وأهوال يوم القيامة ... كل ذلك يولِّد فى المؤمن استمرارية المراقبة لله عز وجل ، وتجعل منه الإنسان المستقيم المتوازن الذي يبني توازنه في الحياة على التوفيق بين مطالب الروح ، ومطالب الجسد ، وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة .. فيؤدي كل ذي حق حقه بلا إهمال ولا تقصير .. وشعاره في ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « إن لله عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً .. فأعط كل ذي حقٍّ حقه » .

ومن الأمور المسلّمة أن الفرد المؤمن حين يقوى في نفسه جانب المراقبة لله عز وجل ، وحين تتولد لديه الإرادة الذاتية للسيطرة على النفس الأمارة ونزعات الهوى .. فإن هذا الفرد ينصلح من داخله ، ويقيم لأموره ميزاناً من عقيدته وضميره .. فلا يضل ولا يفسق ، ولا ينحرف ولا يشقى .. لاعتقاده الجازم أن عين الله الساهرة ترقبه وتراه ، وتعلم سرّه ونجواه ، وتعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

ومن هنا كان السر حين وقف الصحابة الكرام هذا الموقف العظيم المشرف من تحريم الخمر لما قالوا بصوت واحد (انتهينا ربّنا) ، وأتبعوا هذا القول بالفعل لمّا أراقوا دِنَان الخمر وقِلالها في طُرُق المدينة ..

ومن هنا كان السر في انصلاح المجتمع الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه حتى أن القاضى عمر بن الخطاب في خلافة أبي بكر رضي الله عنهما ظل سنتين في مجلس القضاء ولم يختصم إليه اثنان ، وقد قيل : إن عمر جاء الى الخليفة أبي بكر ليعفيه من منصبه لكونه قاعداً في هذه السنوات بلا عمل ولا فصل فى الخصومات !..

ولا شك أن السر فى هذا استشعار الصحابة رضوان الله عليهم رقابة الله في كل أمورهم وأحوالهم ، فلماذا يختصمون والمنهج الرباني بين أيديهم ؟ ولماذا يختلفون وخشية الله ملأت قلوبهم وجوارحهم ؟ ولماذا ينحرفون وهم يؤدون كلّ ذي حق حقه في الحياة ... ؟

ألا فليعتبر أولو الأبصار !..

أما تعرية الشر فهو من أعظم السبل في **إقناع الكبار على** ترك المنكر ، والنفور من الفساد والإثم ..

وهذه التعرية للشر ، والانفضاح للباطل هي الطريقة التي اتبعها القرآن الكريم في إقناع الجاهلية بنبذ تقاليدها وعاداتها ، وهجر شرورها وآثامها ، ولنضرب على ذلك مثلًا : الإسلام حين حرم الخمر كان التحريم بآيات قرآنية تتنزل بين كل فترة وفترة تكشف عن آثام الخمرة ، وعن أثرها السيىء في الإنسان ، وعن مضارها الخلقية والاجتماعية والدينية ..

– فأول ما نزل قوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ .

(النحل : ٦٧)

فقابل بين السكر وبين الرزق الحسن ليشعر أهل العقول الراجحة أن الخمر شيء ، والرزق الحسن شيء آخر حتى تتنبّه أحاسيسهم على التحريم فيما بعد .

– وثاني ما نزل :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قلْ فيهما إِثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ ، وإِثمُهُما أكبر من نفعهما ﴾

(البقرة : ٢١٩)

فرجّح جانب الإثم على جانب النفع التجاري .. لتتزحزح النفس عن إِلفها المتأصل ، وتتحول عن عادتها المستحكمة .

– وثالث ما نزل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ .

(النساء : ٤٣)

فذكر أثرها السيىء على العقول ، وما تحدثه من تشويشات وأخلاط عدا عن الامتناع عن تناول الخمر وتعاطيها في أوقات الصلاة .

- ورابع ما نزل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ .

(المائدة : ٩٠ – ٩١)

فما معنى أن القرآن أشرك الخمر بالميسر والأصنام ، ثم وصفها بأنها رجس ، ثم نبّه أنها من عمل الشيطان ، ثم ذكر مضارها الخلقية بكونها توقع بين الناس العداوة والبغضاء ، وأعقب ذلك مضارها الدينية بكونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ؟ فما معنى كل هذا ؟ أليس معناه أن الخمر قدتعرّت على حقيقتها ، وبانَ لأهل الحجى

والعقول مساؤوها وخطرها ؟فهل يستنكف ـ بعد هذا البيان والتعرية ـ أحد عن تحريمها والابتعاد عنها ؟ فلا شك أن المؤمن العاقل المنصف يقول : انتهيتُ يا رب بعد أن بيّنت وفصّلتَ وحرّمتَ .. وهذا ما فعله الصحابة رضوان الله عنهم بعد أن أنفضحت الخمر ، ونزلت آية التحريم !..

وقس على ذلك تحريم القرآن الكريم لكل المعتقدات الجاهلية ، والمفاسد الاجتماعية كالإشراك بالله ، والزنى ، والربا ، والميسر ، وقتل النفس ، ووأد البنات ، وأكل مال اليتيم .. وغيرها ، فإن القرآن الكريم لم يحرمها إلا بعد أن عرّاها علَى حقيقتها ، وذكر الكثير من مساوئها ، وأهاب بأصحاب العقول الراجحة أن ينفروا منها ، ويبتعدوا عنها لكونها **تؤدي** بالفرد والمجتمع إلى أسوأ النتائج ، وأفدح الأخطار !..

أما تغيير البيئة فهو لا يقل أهمية عن الأسس الأخرى في إصلاح الفرد وهدايته ، وتربيته وإعداده ..

وإلا .. فلماذا أذِنَ الله سبحانه لرسوله عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى المدينة المنورة ؟ ولماذا أمر النبي (ﷺ) أصحابه بأن يهاجروا ؟ .

أليس من أجل التكوين والإعداد في بيئة صالحة لا يباح في نواديها المنكر ، ولا تُقترف في ربوعها الآثام والمحرمات ؟

أليس من أجل إقامة دولة تحت ظل التشريع المنزّل ، وتحت راية الوحدة الشاملة ؟

أليس من أجل إصلاح الفرد المسلم في مجتمع يحكمه الإسلام ، ويتنزل عليه القرآن ؟.

وسبق أن ذكرنا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس ، وجاء يسأل أعلم أهل الأرض هل له من توبة ؟ فكان جواب السائل :

« انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ، ولا ترجع إلى أرض قومك فإنها أرض سوء ... » .

أليس يدل هذا الحديث على أن للبيئة الصالحة سلطاناً كبيراً في إصلاح الفرد ، وتقويم اعوجاجه ، وتخليصه من أرذل العادات ، وأقبح الصفات ؟

وسبق أن ذكرنا أيضاً حديث الرسول عليه الصلاة والسلام فيما تتركه الصحبة من أثر حسن أو سيء في نفس الفرد المصاحب لكون المرء على دين خليله .. ولكون الخلطة لها أكبر الأثر في الصلاح أو الفساد !..

ومن هنا نعلم أن نقطة بدء إصلاح الفرد – ولو كان كبيراً – هو تغيير البيئة الفاسدة من محيط متحلل ، وخلطاء أشقياء ، وعشيرة جاهلة ..

والذي نخلص إليه بعدما تقدم :

أن منهج الإسلام في إصلاح الكبار يقوم على أسس ثلاثة لها أكبر الأثر في تعديل الأخلاق ، وتقويم الاعوجاج :

فبالربط بالعقيدة يتولد عند الكبير الشعور بالمراقبة ، والخشية من الله في السر والعلن ، وهذا ما يقوي في نفسه الإرادة الذاتية ليكف عن المحرمات ، ويتحلى بأكرم الأخلاق وأنبل الصفات ..

وبتعرية المنكر والشر يقتنع الكبير بترك المفاسد ، ويعزم كل العزم على التخلي عن الرذائل .. بل يكون عنده الطمأنينة النفسية والقلبية لهجر كل ما هو آثم وفاجر ..

وبتغيير البيئة الاجتماعية يتهيأ لإصلاح الكبير الوسط الخيّر ، والجو الصالح ، وحياة الشرف والكرامة .. بل تنصلح مع الأيام أحواله ، وتزدان مع الزمن أفعاله وأخلاقه ..

فما على المربّين الاجتماعيين إلا أن يأخذوا بمنهج الإسلام في إصلاح الكبار إن أرادوا لأفراد الأمة أمناً وخيراً ، ولأبناء المجتمع سلامة واستقراراً ..

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

(يوسف : ١٠٨)

أما منهج الإسلام في إصلاح الصغار فيعتمد على شيئين أساسيين :

١ - التلقين .

٢ - التعويد .

ونقصد بالتلقين الجانب النظري في الإصلاح والتربية .

ونقصد بالتعويد الجانب العملي في التكوين والإعداد .

ولما كانت قابلية الطفل وفطرته في التلقين والتعويد أكثر قابلية من أي سن آخر أو من أية مرحلة أخرى .. كان لزاماً على المربين من آباء وأمهات ومعلمين .. أن يركّزوا على تلقين الولد الخير وتعويده إياه منذ أن يعقل ويفهم حقائق الحياة ..

وسبق أن ذكرنا ما قاله الإمام الغزالي : « والصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، فإن عُوّد الخير وعُلمّه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة ... » .

وأريد في هذا المجال أن أضرب للمربين بعض الأمثلة في تلقين الصغار وتعويدهم مبادىء الخير عسى أن تكون لهم نبراساً وبصائر :

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم كلمة « لا إله إلا الله » لِما روى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) أنه قال : « افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله » وهذا هو الجانب النظري ..

أما الجانب **العملي لهذا التلقين** فهو تهيئة الولد وتعويده أن يؤمن بقرارة نفسه وأعماق وجدانه أن لا خالق ولا مبدع ولا إله إلا الله سبحانه .. ولا يكون ذلك إلا عن طريق الآثار التي يراها الطفل كالزهرة ، والسماء ، والأرض ، والبحر ، والإنسان .. وغيرها من المخلوقات ليستنتج ذهنياً ، ويستدل عقلياً على المؤثّر وهو الله سبحانه ..

إذن فالحقيقة التى يصل إليها المربي مع الطفل أن هذا الكون مليء بالموجودات التي تقع تحت نطاق السمع والبصر وأن هذه الموجودات لا يمكنها أن توجد نفسها

باعتبار أنها جامدة وباعتبار أنها لا تتصف بعقل ولا تدبير ، ولا علم ولا إرادة .. إذن لابد لها من مُوجِد أوجدها وهو الله سبحانه .

وهكذا يمكن أن يصل المربي بالطفل إلى الإيمان بالله الواحد المبدع عن طريق التأمل والتفكر في خلق السموات والأرض .. وعن طريق التدرج معه من المحسوس إلى المعقول .. ومن الجزئي الى الكلي .. ومن البسيط إلى المركب .. حتى يقتنع الولد وجدانياً وعقلياً في قضية الإيمان بالله عز وجل عن حجة وبرهان[١] ..

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة لما روى الحاكم وأبو دواد عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » ، وهذا هو الجانب النظري ..

أما الجانب العملى فهو تعليم الولد أحكامها ، وعدد ركعاتها ، وكيفيتها ، ثم تعويده إياها بالملاحقة والمثابرة ، وأدائها في المسجد بجماعة .. حتى تصبح الصلاة في حقه خُلقاً وعادة .

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم أحكام الحلال والحرام ، لما أخرج ابن جرير ، وابن المنذر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال : « ... ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

وهذا هو الجانب النظري .

أما الجانب العملي فهو ترويض الولد وتدريبه على امتثال أوامر الله ، واجتناب نواهيه ، فإذا وجد المربي الولد فعل منكراً أو اقترف إثماً .. من سرقة أو شتيمة .. يحذره ويقول له : إن هذا منكر وهو حرام ..

---

(١) وسبق أن فصلنا القول عن قضية الإيمان بالله في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » فارجع إليه .

وإذا وجده فعل خيراً أو صنع معروفاً .. من صدقة أو تعاون .. يرغّبه ويقول له : إن هذا معروف وهو حلال .. وهكذا يلاحظه ويلاحقه حتى يصبح الخير في حقه خُلقاً وعادة ..

● الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المربين بأن يلقنوا أولادهم محبة نبيهم ، ومحبة آل بيته وأصحابه وتلاوة القرآن الكريم ، لما روى الطبراني عن عليٍّ كرم الله وجهه أنه (ﷺ) قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم وحبّ آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

وهذا هو الجانب النظري .

أما الجانب العملي فهو أن يجمع المربي أولاده ويقرأ عليهم مغازي رسول الله (ﷺ) وسيرة آل بيته وأصحابه ، وشخصيات القادة والعظماء في التاريخ .. ويعلمهم تلاوة القرآن .

حتى يتأسى الأولاد بسِير الأوّلين بطولة وجهاداً ..

وحتى يرتبطوا بالتاريخ الإسلامي شعوراً ووجداناً ..

وحتى يرتبطوا بالقرآن الكريم دستوراً ومنهاجاً ..

وسبق أن ذكرنا ما روته كتب التاريخ والأدب أن المفضل بن زيد رأى مرة ابن أمرأة من الأعراب ، فأعجب بمنظره ، فسألها عنه فقالت : « إذا أتم خمس سنوات أسلمتُه إلى المؤدب ، فحفظ القرآن فتلاه ، وعلمه الشعر فرواه ، ورُغّب في مفاخر قومه ، ولقّن مآثر آبائه وأجداده ، فلما بلغ الحُلم حملتهُ على أعناق الخيل ، فتمرس وتفرس ، ولبس السلاح ، ومشى بين بيوت الحي ، وأصغى إلى صوت الصارخ .. » .

وهذا هو التلقين والتعويد بمعناهما المرادَين ، أو إن شئت فقل هذان هما الجانبان : النظري والعملي في تكوين الولد وإعداده وتأديبه ، وتهيئته ليكون رجل العقيدة والعمل والجهاد ..

هذه بعض الصور والنماذج في تلقين الولد وتعويده ، وضع أصولها ومبادئها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وهي تدخل في إطار المنهج العام الذي رسمه الإسلام في تكوين الولد عقيدياً ، وإعداده إيمانياً .. ولا شك أن المربي حين يسعى جهده ، ويبذل كل ما في وسعه في تربية الصغير وتأديبه ، وتلقينه وتعويده .. فإنه سيكون على الغالب من جنود الإسلام ، ومن رجال العقيدة والدعوة والجهاد .. تفتخر الأمة بوجوده ، ويسعد المجتمع باتزانه وأخلاقه ..

ومن **الأمور الهامة** التي ينبغي أن يعلمها المربون في تأديب الولد على خصال الخير ، وتعويده على مكارم الاخلاق :

هو اتباع أسلوب التشجيع بالكلمة الطيبة حيناً ، وبمنح الهدايا أحياناً ، وانتهاج أسلوب الترغيب تارة ، واستعمال طريقة الترهيب تارة أخرى ، وقد يضطر المربي في بعض الحالات أن يلجأ الى العقوبة الزاجرة إذا رأى فيها مصلحة الولد فى تقويم الانحراف والاعوجاج ..

كل هذه الأساليب تنفع في تعويد الولد على الفضائل النفسية ، والمكارم الخلقية ، والآداب الاجتماعية .. وتجعل منه إنساناً فاضلا كريماً متوازناً مستقيماً .. له في القلوب محبة ، وفي النفوس إجلال واحترام ..

★ ★ ★

وأخيراً أقول : إن المربين على اختلاف أشكالهم وأحوالهم إذا أخذوا بمنهج الإسلام في تربية العادة ، وبأسلوبه في تكوين العقيدة والخلق .. فإن الأولاد على الأغلب سينشئون على العقيدة الإسلامية الراسخة ، والخلق القرآني الرفيع .. بل يعطون لغيرهم القدوة الصالحة ، في كريم فعالهم ، وجميل صفاتهم ..

فما على المربين إلا أن يشمروا عن ساعد الجد والعمل ، ويعطوا لتربية أولادهم حقها من التلقين والتعويد ، والتهذيب .. فإذا فعلوا ذلك .. فيكونون قد اضطلعوا بمسؤلياتهم وقاموا بواجباتهم ، وبرّؤوا ذمتّهم أمام الله ، ودفعوا بعجلة التقدم التربوي إلى الأمام ، ورسخوا في المجتمع دعائم الأمن والاستقرار ، وعندئذ يفرح المؤمنون بالجيل المؤمن ، والمجتمع المسلم ، والأمة الصالحة .. وما ذلك على الله بعزيز !!..

وفي تقديري أن التربية بالعادة والتأديب هي من أقوم دعائم التربية ، ومن أمتن وسائلها في تنشئة الولد إيمانياً ، وتقويمه خلقياً .. ذلك لأنها تعتمد على الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على الترغيب والترهيب ، وتنطلق من منطلقات إرشادية وتوجيهية ، فما أحوجنا الى مربين يؤدون رسالتهم على الوجه الأكمل ، ويعطون للتربية الإسلامية حقها من الاهتمام والعمل ، والدأب والمصابرة ، والتلقين والتأديب .. ليروا أفلاذ أكبادهم في المستقبل القريب ، دعاة رسالة ، ورجال إصلاح ، وشباب دعوة ، وجنود جهاد ..

ولا شك أن تأديب الولد وملاحقته منذ الصغر هي التي تعطي أفضل النتائج ، وأطيب الثمرات .. بينما التأديب في الكبر فيه من المشقة لمن يريد الكمال والأثر .. ورحم الله من قال :

قد ينفعِ الأدب الأوْلاد في صغرٍ
وليس ينفعهم من بعده أدب
إن الغصون إذا عدّلتها اعتدلتْ
ولا تلين – ولو ليَّنته – الخشبُ

★ ★ ★

٣ - التربيـــة بالمَوعِظَـــة

من أهم وسائل التربية المؤثرة في تكوين الولد إيمانياً ، وإعداده خلقياً ونفسياً واجتماعياً .. تربيته بالموعظة ، وتذكيره بالنصيحة ، لما للموعظة والنصيحة من أثر كبير في تبصير الولد حقائق الأشياء ، ودفعه إلى معالي الأمور ، وتحليّه بمكارم الأخلاق ، وتوعيته بمبادىء الإسلام .. فلا عجب أن نجد القرآن الكريم قد انتهجها ، وخاطب النفوس بها ، وكررها في كثير من آياته ، وفي مواطن عدّة من توجيهاته وعظاته ..

وإليكم بعض النماذج في تكرار القرآن العظيم لكلمات الوعظ والنصيحة والانتفاع بالذكر :

- قال الله تعالى في سورة لقمان :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ، ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير ، وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به عِلمٌ فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ، يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إنَّ اللهَ لطيف خبير ، يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور .. ﴾ .

(١٢ - ١٩)

وقال تعالى في سورة سبأ على لسان الأنبياء عليهم السلام :

﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكّروا ما بصاحبكم من جِنَّة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، قل ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم إن أجْرِيَ إلا على الله وهو على كل شيء شهيد ، قل إن ربي يقذف بالحق علّام الغيوب ، قل جاء الحق وما يُبْدىء الباطل وما يُعيد ... ﴾ .

(٤٥ – ٤٩)

– وقال الله تعالى في سورة هود على لسان نوح عليه السلام :

﴿ قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تَعِدُنا إن كنت من الصادقين ، قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ، ولا ينفعكم نُصحي إن أردتُ أن انْصحَ لكم إن كان الله يريد أن يُغْوِيكُم هو ربكم وإليه تُرجعون .. ﴾

(٣٢ – ٣٤)

– وقال الله تعالى في سورة الأعراف على لسان هود عليه السلام :

﴿ وإلى عادٍ أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون ، قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين ، قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكنّي رسولٌ من ربّ العالمين ، أبلغكُمْ رسالات ربي وأنا لكم ناصحٌ أمين ... ﴾

(٦٥ – ٦٨)

وأسلوب القرآن الكريم متنوع في الدعوة إلى الله ، وفي التذكير بالله ، وفي إلقاء الموعظة ، والإرشاد بالنصيحة .. حيث جرى ذلك كله على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وتردّد على أفواه الدعاة من جماعتهم وأتباعهم ..

ولا يختلف اثنان أن الموعظة المخلصة ، والنصيحة المؤثرة إذا وجدت لها نفساً صافية ، وقلباً متفتحاً ، وعقلا حكيماً متدبّراً .. فإنها أسرع للاستجابة ، وأبلغ في التأثير ..

والقرآن الكريم قد أكد هذا المعنى في كثير من آياته ، **وكرر الانتفاع بالذكرى ، والتأثير بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة :**

- ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ .
(ق : ٣٧)

- ﴿ **وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ .
(الذاريات : ٥٥)

- ﴿ **وما يدريك لعله يزكّى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى** ﴾ .
(عبس : ٢ – ٣)

- ﴿ (**تبصرةً وذكرى لكل عبد منيب** ﴾ .
(ق : ٨)

- ﴿ **ذلك ذكرى للذاكرين** ﴾ .
(هود : ١١٤)

- ﴿ **ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ .
(الطلاق : ٢)

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تتخذ أسلوب الوعظ أساساً لمنهج الدعوة ، وطريقاً إلى الوصول لإصلاح الأفراد ، وهداية الجماعات .. ومن استعرض صفحات القرآن الكريم يجد ظاهرة الأسلوب الوعظي حقيقة ملموسة في كثير من آياته .. تارة بالتذكير بالتقوى ، وأخرى بالتنويه بالتذكرة ، وثالثة بالتعبير بالموعظة ، ورابعة بالحض على النصح ، وخامسة باتباع سبيل الرشاد ، وسادسة بالإغراء بالترغيب ، وسابعة باستعمال أسلوب التهديد .. وهكذا يجد القارىء ظاهرة الوعظ مناسبة في ألفاظ

القرآن الكريم ومعانيه بقوالب متعددة ، وأساليب متنوعة .. مما يؤكد لكل ذي بصر وبصيرة أن للوعظ في القرآن الكريم أهمية بالغة في تربية النفوس على الخير ، وحملها على الحق ، واستجابتها للهدى ..

وسبق أن ذكرنا جملة من الاستشهادات القرآنية التي تُفصح بشكل قاطع لا يقبل الشك أن النفوس الصافية ، والقلوب ، المتفتحة ، والعقول الواعية المتدبِّرة .. إذا تراءى لها الحق منساباً بالكلمة المؤثرة ، والموعظة البليغة ، والنصيحة الرشيدة ، والتذكرة المخلصة .. فإنها سرعان ما تستجيب في غير تردّد ، وتتأثر من غير توقف .. بل سرعان ما تخضع للحق ، وتتقبل هدى الله الذي أنزله !..

هذا في الكبير .. **فكيف بالمولود الصغير** الذي ولد على الفطرة وقلبه الطاهر البريء لم يتلوث بعد ، ونفسه البيضاء الصافية لم تتدنس بمفاسد الجاهلية ، ولم تتقلبّ في مدارج الإثم والعدوان .. ؟

فلا شك أن تأثره بالموعظة أبلغ ، وقبوله للتذكرة أقوى !..

فما على المربين إلا أن يفهموا هذه الحقيقة ، وأن ينهجوا منهج القرآن الكريم في مواعظه وإرشاداته في إعداد أولادهم الصغار – قبل سن التمييز وبعده – إيمانياً وخلقياً ، وتكوينهم نفسياً واجتماعياً .. إذا أرادوا لأولادهم الخير والكمال ، والنضج الخلقي والعقلي والاتزّان !..

* * *

ولابد في هذا المضمار إلا أن نلمح طريقة القرآن الكريم في الموعظة والنصح عسى أن ينتهجها من كان له في عنقه حق التربية ، ليصلوا بأولادهم أو تلامذتهم إلى الغاية المثلى في الإعداد والتكوين ، والتهذيب والتعليم ..

وفي تقديري أن طريقة القرآن في الموعظة تتميز بالأساليب التالية :

١ – النداء الإقناعي : مصحوباً بالاستعطاف أو الاستنكار :

وهذا الأسلوب له إيحاءاته المؤثرة على المشاعر ، وتأثيره البالغ في القلوب ..

وهذا الأسلوب من الإقناع الاستنكاري أو الاستعطافي ظاهر واضح في مخاطبة القرآن الكريم لقلوب الناس وعقولهم على اختلاف أشكالهم وأجناسهم وطبقاتهم على ألسنة الأنبياء والدعاة ..

وإليكم نماذج من هذه النداءات بأساليبها المتنوعة :

● **نداؤه للأبناء :**

– **﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تشرك بالله ... ﴾ .**

وعلى لسان نوح عليه السلام :

﴿ يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ... ﴾ .

(هود : ٤٢)

– وعلى لسان يعقوب عليه السلام :

﴿ يا بُنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين ﴾ .

(يوسف : ٥)

– وعلى لسان ابراهيم ويعقوب عليهما السلام :

﴿ يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ .

(البقرة : ١٣٢)

● **نداؤه للنساء :**

على لسان الملائكة لمريم عليها السلام :

﴿ يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين .. ﴾ .

(آل عمران : ٤٢ – ٤٣)

– ﴿ يا نساء النبي لستُنَّ كأحد من النساء إِن اتقيتنّ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً ﴾ .

(الاحزاب : ٣٢)

● نداؤه للأقوام :

– على لسان موسى عليه السلام :

﴿ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ .

(البقرة : ٥٤)

– وعلى لسان موسى عليه السلام كذلك :

﴿ يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فِيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم مالم يؤت أحداً من العالمين ﴾ .

(المائدة : ٢٠)

– وعلى لسان الداعية الذي آمن من قوم موسى :

﴿ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار .. ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار ... ﴾ .

(المؤمن : ٣٨ – ٤١)

– وعلى لسان الجن الدعاة :

﴿ يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم ﴾ .

(الأحقاف : ٣٠ – ٣١)

● ندؤاه للمؤمنين :

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين .. ﴾ .

(البقرة : ١٥٣)

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. ﴾ .

(ال عمران : ١٠٢)

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم .. ﴾ .

(الأنفال : ٢٤)

● نداؤه لأهل الكتاب :

- ﴿ ... يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعْبُدَ إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

(آل عمران : ٦٤)

- ﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تُخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ... ﴾ .

(المائدة : ٦٨)

● نداؤه للناس أجمعين :

- ﴿ يا أيها الناس اعبدو ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ .

(البقرة : ٢٠ - ٢٢)

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً .. ﴾ .
(النساء : ١٧٤)

- ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .. ﴾ .
(الحج : ١ - ٢)

وهذا النداء كثير في القرآن الكريم .

٢ - الأسلوب القصصي مصحوبا بالعبرة والموعظة :

وهذا الأسلوب له تأثيراته النفسية ، وانطباعاته الذهنية ، وحججه المنطقية والعقلية .. وقد استعمله القرآن الكريم في كثير من المواطن ولاسيما في أخبار الرسل مع أقوامهم ، وقد مَنّ الله سبحانه على رسوله عليه الصلاة والسلام بأن قصّ عليه أحسن القصص ، ونزّل عليه أحسن الحديث .. ليكون للناس آية وعبرة ، وللرسول عليه الصلاة والسلام عزماً وتثبيتاً :

- ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ... ﴾ .
(يوسف : ٣)

﴿ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ... ﴾ .
(الأعراف : ١٠١)

- ﴿ وكلًّا نقصّ عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... ﴾ .
(هود : ١٢٠)

- ﴿ فاقصص القصصَ لعلهم يتفكرون ... ﴾ .
(الاعراف : ١٧٦)

- ﴿ هل أتاك حديث موسى ... ﴾ .

(النازعات : ١٥)

- ﴿ هل أتاك حديث ضيفِ إبراهيم المكرمين .. ﴾ .

(الذاريات : ٢٤)

- ﴿ هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ... ﴾ .

(البروج : ١٧ - ١٨)

والقرآن الكريم مليء بقصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم ، وأحياناً تكون القصة مكررة في سور عِدّة من القرآن ، لإظهار القصة في كل مرة بأسلوب جديد يختلف عن أسلوبها في المرات السابقة ، لتذوّق الإعجاز القرآني في أسلوبه الرائع ، وبيانه الفريد من ناحية ، ومن ناحية أخرى لإظهار عبرة أخرى تكمن وراء الآيات ، وتتراءى خلال الألفاظ والمعاني التي لا يدركها إلا الراسخون في العلم ، والمتذوقون لبلاغة القرآن الكريم !..

ولنضرب على ذلك مثلا :

قصة موسى عليه السلام مع فرعون مذكورة مرات ومرات في القرآن ، فلنختر قصتين من هذه القصص ، ثم نقارن بينهما ليعلم القارىء سر هذا التكرار :

القصة الأولى في سورة الأعراف

﴿ .. وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين ، حقيقٌ على أن لا أقول على الله إلا الحقَّ قد جئتكم ببينةٍ من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل ، قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ... ﴾ . (١٠٤ - ١٠٧) وانظر ما بعدها ....

القصة الثانية من سورة النازعات

﴿ هل أتاك حديث موسى ، إذ ناداه ربه بالوادِ المقدس طوى ، إذهب الى فرعون إنه طغى ، فقل هل لك إلىْ أن تزكى ، وأهديك إلى ربك فتخشى ، فأراه الآية الكبرى ، فكذب وعصى ، ثم أدبر يسعى ، فحشر فنادى ، فقال أنا ربُّكُم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ، إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ .

من المقارنه بين القصتين يتبين الأمور التالية :

١ – الأولى مفصلة وطويلة ، والثانية مختصرة وقصيرة .

٢ – فرق كبير بين الأسلوبين ، سواء ما يتعلق بالآيات وفواصلها في طولها وقصرها ، أو معانيها وتراكيبها ، أو صيغ الأمر والنهي فيها ...

٣ – التركيز على العبرة في سورة الأعراف يتناول :

(أ) إقامة الحجة على فرعون .

(ب) إظهار المعجزات الدالة على صدق موسى عليه السلام .

(ج) الحوار الذي جرى بين موسى والسحرة .

(د) إيمان السحرة بعد قيام الحجة .

(هـ) تهديد فرعون ووعيده .

(و) عدم اكتراث السحرة بالتهديد بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلوبهم .

(ز) أخذ آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات ..

(ح) انتقام الله منهم بالغرق .

أما التركيز في سورة النازعات فيتناول :

(أ) إهلاك الله لفرعون لادعائه الألوهية .

(ب) أخذ العبرة لمن يريد أن يتذكر أو يخشى .

بعد هذا البيان تبين لك الفرق الكبير ما بين القصتين ، سواء ما يتعلق بالتذوق البلاغي ، أو بأخذ العبرة والعظة ، إذن لا يجوز أن نرى في القصص المعادة مجرد تكرار ، لأن القصص التي كررها القرآن الكريم ليست كذلك كما رأيت من الفارق الكبير من عرض القصتين !..

٣ – التوجيه القرآني مصحوباً بالوصايا والمواعظ :

القرآن الكريم مليء بالآيات المصحوبة بالوصايا ، وبالنصوص المقرونة بالمواعظ لتوجيه القارىء إلى ما ينفعه في دينه ودنياه وآخرته ، وتكوينه في روحه وعقله وجسمه ، وإعداده ليكون رجل دعوة ، وبطل جهاد ..

وللقرآن الكريم تأثيره البالغ على الأرواح والقلوب ، فحينما يسمع المسلم آيات الله تتلى ، يتخشّع لها قلبه ، وتتوق إليها نفسه ، وتتحرك لجَرْسِها روحه .. فيعاهد الله سبحانه على أن يعمل بمواعظها ، ويستجيب لوصاياها ، ويمتثل أوامرها ، ويجتنب نواهيها .. لأنها تنزيل من حكم حميد ، فيها البلسم الشافي لأسقامه . والعلاج الواقي لأمراض الأجسام ، وآفات القلوب ..

وإليكم بعض هذه النماذج التوجيهية من القرآن الكريم :

(أ) **من سورة لقمان : « وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ... »** . (آية : ١٣)

(ب) **﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ، والذين يبيتون لربهم سجّداً وقياماً ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومُقاماً ، والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواماً ، والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون ومَن يفعل ذلك يلق أثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مُهاناً ، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ، ومَن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً ، والذين لا يشهدون الزورَ وإذا مروا باللغو مروا كراماً ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يَخروا عليها صُمًّا وعمياناً ، والذين يقولون ربنا هَبْ لنا من أزواجنا وذرياتنا قُرَّة أعينٍ واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزون الغُرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً ، خالدين فيها حسُنت مستقراً ومُقاماً ، قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذّبتم فسوف يكون لزاماً ﴾** .

(الفرقان : ٦٣ – ٧٧)

(ج) ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجارِ ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب مَن كان مختالا فخوراً ، الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مُهيناً ، والذين ينفقون أموالهم رِئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساءَ قريناً ﴾ .

(النساء : ٣٦ – ٣٨)

(د) ﴿ ليس البر : أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمنَ بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حُبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .

(البقرة : ١٧٧)

هـ) ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذُّلِ من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ، ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً ، وآتِ ذا القربى حقَّه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطانُ لربه كفوراً ، وإما تُعْرِضَنَّ عنهم ابتغاء رحمةٍ من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسوراً ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِرُ إنه كان بعباده خبيراً بصيراً ، ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إملاقٍ نحن نرزقهم وإياكم إنَّ قتلهم كان خطْئاً كبيراً ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ومَن قُتلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليِّه سلطاناً

فلا يُسرِف في القتل إنه كان منصوراً ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتي يبلُغ أشدَّهُ وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا ، وأوفوا الكيل إذا كِلتُم وزِنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ وأحسنُ تأويلا ، ولا تقف ما ليس لك به عِلم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا ، ولا تمش في الأرضِ مرحاً إِنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئةُ عند ربك مكروهاً ﴾ .

(الاسراء : ٢٣ - ٣٨)

إلى غير ذلك من هذه الوصايا ، والمواعظ ، والتوجيهات ، والأوامر ، والنواهي .. التي تفيض فيها آيات الله ، ويدعو إِليها قرآنه المجيد !!..

ويتفرع من هذا :

(أ) التوجيه القرآني المصحوب بادوات التوكيد : كقوله تعالى :

﴿ إِن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ ، وقوله : ﴿ إن في ذلك لآياتٓ لقوم يتفكرون ﴾ ، وقوله : ﴿ إن في ذلك لايات لقوم يسمعون ﴾ وقوله : ﴿ إِن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ ...

(ب) التوجيه القرآني المصحوب بأدوات الاستفهام الإنكاري :

كقوله تعالي :

﴿ أم يقولون شاعر نتربصُ به ريب المنون ؟ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴾ .

﴿ أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون ؟. ﴾

﴿ أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون ؟. فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين . ﴾

﴿ أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟. ﴾

﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ؟. ﴾

﴿ أم عندهم خزائن ربِّك أم هم المصيطرون ؟. ﴾

﴿ أم هم سلم يستمعون فيه فليأت مستمِعُهم بسلطان مبين ؟. ﴾
﴿ أم له البنات ولكم البنون ؟ ﴾
﴿ أم تسألهم أجراً فهم من مغْرم مُثقَلون ؟. ﴾
﴿ أم عندهم الغيب فهم يكتبون ؟. ﴾
﴿ أم يُريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون ؟. ﴾
﴿ أم لهم إِله غير الله سبحان الله عما يشركون ؟. ﴾

(الطور : ٣٠ — ٤٣ »

(هـ) **التوجيه القرآني المصحوب بالأدلة العقلية** : كقوله تعالى :

﴿ إِن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبثّ فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ .

(البقرة : ١٦٤)

— ﴿ لو كان فيهما آلهة إِلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾.

(الأنبياء : ٢٢)

— ﴿ أم خُلِقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟ ﴾.

(الطور : ٣٦)

— ﴿ وفي الأرض آياتٌ للموقنين ، وفي أنفسكم أفلا تبصرون ؟ ﴾ .

(الذاريات : ٢٠ — ٢١)

(د) **التوجيه القرآني المصحوب بشمولية الإسلام** : كقوله تعالى :

— ﴿ ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرَّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام

الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ .
(البقرة : ١٧٧)

-- في سورة النحل : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ .
(النحل : ٨٩)

-- في سورة الأنعام : ﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء ﴾ .
(الأنعام : ٣٨)

(هـ) التوجيه القرآني المصحوب بقواعد التشريع : كقوله تعالى :

-- في قاعدة العدل القضائية : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نِعِمَّا يعظكم به إِن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ .
(النساء : ٥٨)

-- وكقوله في قاعدة الشورى الدستورية : ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إِن الله يحب المتوكلين ﴾ .
(آل عمران : ١٥٩)

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾
(الشورى : ٣٨)

– وكقوله في قاعدة المساواة الإنسانية : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إِن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .
(الحجرات : ١٣)

تلكم أهم الأساليب التي سلكها القرآن الكريم في نصائحه ومواعظه .. وهي أساليب متنوعة لها إيحاءاتها المؤثرة ، وحساسياتها البالغة ، واهتزازاتها الضاربة على أوتار القلوب !.. ومن بدهيّات القول أن المربين جميعاً لو سلكوا هذه الأساليب

التي انتهجها القرآن الكريم في تأديب أولادهم ، وتهذيب أفلاذ أكبادهم .. لتنشأ الأولاد – ولا شك – على خير ما ينشؤون من التربية الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، والسلوك الإنساني القويم ، والوعي الإسلامي الشامل ..

★ ★ ★

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد اهتم للنصيحة ، ووجه المربين والدعاة .. إلى إلقاء الموعظة ، وأهاب بكلّ مسلم في الحياة أن يكون الداعية إلى الله في كل مكان يحل فيه ، وفي كل بيئة يوجد فيها .. عسى أن يتأثر بمواعظه وإرشاداته من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، وعسى أن يقوم بمهمة الإنقاذ – عن طريق الدعوة والموعظة – لرجال توحَّلوا في مستنقع الجاهلية ، وتعثروا فى دروب الانحلال ، وضاعوا في متاهات الزيغ والضلال ..

وإليكم أهم توجيهاته عليه الصلاة والسلام في بث النصيحة ، وإلقاء الموعظة ، والدعوة إلى الله :

– روى مسلم عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمَنْ ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » .

– وروى الشيخان عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله (ﷺ) على إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » .

– وروى مسلم عن أبي مسعود الأنصارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » .

– وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ دعا الى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تَبعهُ لا ينقُص ذلك من أجورهم شيئاً ... » .

– وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال لعليّ كرم الله وجهه لما وجهه الى فتح خيبر : انْفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى ، فوالله لأنْ يهديَ الله بك رجلا واحداً خير لك من حُمرِ النَّعَمِ[1] » .

والأحاديث في هذا الشأن كثيرة ومستفيضة ، فعلى المربين أن يأخذوا بتوجيهاتها ، وأن يكونوا محققين لما جاء فيها .. ولا سيما الأمور التي تخص أولادهم وتلامذتهم ومريديهم ..

* * *

ومعلمنا الأول : عليه الصلاة والسلام له منهجه الأفضل ، وطريقته المثلى في إلقاء الموعظة ، وتجدد أسلوبها ، وتنوع عرضها ..

وإليكم أهم ما في هذا المنهج وهذه الطريقة[2]:

(أ) **انتهاج أسلوب القصة** : ولنذكر بعض الأمثلة :

١ – قصة الأبرص والأقرع والأعمى :

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول : إن ثلاثة من بني إسرائيل : « أبرص ، وأقرع ، وأعمى » ، أراد الله أن يبتليهم (يختبرهم) ، فبعث إليهم ملكاً ، **فأتى الأبرص** :

المـلك : أيُّ شيء أحب إليك ؟

الأبرص : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس ، فمسحه فذهب عنه قذره ، وأعطي لونا حسنا .

---

(١) أي خير من أن تكون لك حمر النعم ، والنعم : الإبل ، والحمر منها أنفسها .

(٢) استفدت كثيراً من بحث « الرسول المعلم » لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ، المنشور في « محاضرات الموسم الثقافي العاشر » للكليات والمعاهد ص٣ .

الملك : فإي المال أحب إليك ؟
الأبرص : الإبل ، فأعطي ناقة عُشَراء (حاملًا) .
الملك : بارك الله لك فيها ..

فأتى الأقرع :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟
الأقرع : شعر حسن ، ويذهب عني هذا الذي قَذرني الناس . فمسحه فذهب عنه وأعطي شعراً حسناً ...
الملك : فأي المال أحب إليك ؟
الأقرع : البقر ، فأعطي بقرة حاملًا .
الملك : بارك الله لك فيها ..

فأتى الأعمى :

الملك : أي شيء أحب إليك ؟
الأعمى : أن يردّ الله بصري ، فأبصِرَ الناس ، فردّ إليه بصره .
الملك : فأي المال أحب إليك ؟
الأعمى : الغنم ، فأعطي شاة والداً (حاملًا) .

فأنتجَ هذان وولّد هذا ، فكان لهذا وادٍ من الإبل ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا وادٍ من الغنم .

ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته :

الملَك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم (أي معونة من مال) إلا بالله ثمْ بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن ، والجلد الحسن والمال ، بعيراً أتبلَّغ به في سفري .
الأبرص : الحقوق كثيرة !!..
الملك : كأني أعرفك ألم تكن أبرص تَقذَرُك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟.

الأبـــرص : إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر (أباً عن جد) !!
المـــلك : إن كنت كاذباً فصيَّرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأقرع في صورته وهيئته :

المـــلك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك الشعر الحسن ، والمنظر الحسن ، والمال ، بقرة أتبلَّغ بها في سفري .
الأقـــرع : الحقوق كثيرة !!..
المـــلك : كأني أعرفك ، ألم تكن أقرع يقذرك الناس ؟ فقيراً فأعطاك الله ؟
الأقـــرع : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر !!.
المـــلك : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت .

وأتى الأعمى في صورته وهيئته :

المـــلك : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي ردّ عليك بَصرك ، شاة أتبلَّغ بها في سفري .
الأعمـــي : قد كنتُ أعمى فرد الله إليّ بصري ، فخذ ما شئت ، ودعْ ما شئت ، فوالله لا أجهدك (لا أعارضك) بشيء أخذتَه لله عز وجل .
المـــلكَ : أمسك مالَك فإنما ابتُليتُم (اختبرتُم) ، فقد رضي الله عنك ، وسخط على صاحبيك) ..

٢ - قصة الخشبة العجيبة :

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسلِفَه (يُقرضه) ألف دينار .

المقـــرِض : ائتني بالشهداء أُشهدهم .

المقتـــرِض : كفى بالله شهيداً !.
المقـــرِض : فائتني بالكفيل .
المقتـــرِض : كفى بالله كفيلًا !
المقـــرِض : صدقت !، فدفعها إليه إلى أجل مسمى ، فخرج فى البحر ، فقضى حاجته ، ثم التمس مركباً يركبها يقدمُ عليه للأجل الذى أجّله ، فلم يجد مركباً ، فأخذ خشبة فنقرها ، فأدخل فيها ألف دينار ... وصحيفة منه إلى صاحبه ، ثم زَجَّجَ موضعها (أي سدّه) ثم أتى بها البحرْ .
المقتـــرِض : « اللهم إنك تعلم أني كنت تسلَّفتُ فلاناً (اقترضت منه) ألف دينار ، فسألني كفيلا ، فقلت : كفى بالله كفيلا ، فرضي بك ، وسألني شهيداً ، فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضي بك ، وإني جَهدْتُ (بذلت جهدي) أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له ، فلم أقدر ، وإني أستودعُكهَا (أي أجعلها في أمانتك) ، فرمى بها في البحرِ !!. حتى ولجَتْ فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذي كان أسلفه (أقرضه) ينظر : لعل مركباً قد جاء بماله فإذا بالخشبة التي فيها المال !!! فأخذها لأهله حطباً ! فلما نشرها وجد المال والصحيفة !!!.. ثم قَدِمَ الذي كان أسلفه ، فأتى بألف الدينار .
المقتـــرِض : والله مازلتُ جاهداً في طلب مركبٍ لآتيك بمالك ، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه .
المقـــرِض : هل كنتَ بعثتَ إلي بشيء ؟ .
المقتـــرِض : أخُبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه .
المقـــرِض : فإن الله أدى عنك الذي بعثتَ في الخشبة ، فانصرف بألف الدينار راشداً » .

٣ - قصة هاجر وإسماعيل :

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل (هاجر) ، وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دَوحَة (شجرة) فوق زمزم من أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هناك ، ووضع عندهما جراباً (كيساً) فيه تمر ، وسقاء فيه ماء .

ثم قفّى (رجع) إبراهيم عليه السلام منطلقاً ، فتبعته أم اسماعيل ، فقالت : يا ابراهيم أين تذهب ، وتتركنا بهذا الوادي الذى ليس فيه أنيس ولا شيء !!..

قالت له ذلك مراراً ، وهو لا يلتفت إليها !!.

هاجر : آلله أمرك بهذا ؟

إبراهيم : نعمْ .

هاجر : إذاً لا يضيّعنا !!..

ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم عليه السلام حتى إذا كان عند الثّنيَّة (مكان بمكة) حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهذه الدعوات ، فرفع يديه فقال : ﴿ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ، ربنا ليقيموا الصّلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون﴾ .

(إبراهيم : ٣٧)

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل ، وتشرب من ذلك الماء ، حتى إذا نَفِدَ ما في السقاء عطشت وعطش ولدها ، وجعلت تنظر إليه يتلوى ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه ، فوجدت (الصفا) أقرب جبل في الأرض يليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً ؟ فلم تَرَ أحداً ، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طَرَفَ دِرعِها (ثوبها) ثم سعَت سعي الإنسان المجهود (المتعب) حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة ، فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً ، فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس رضي الله عنهما إنّ رسول الله ﷺ قال :
« **فلذلك سعى الناس بينهما** » .

فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صهْ !!– تريد نفسها – ثم تسمعت فسمعت أيضاً ، فقالت : قد أسمعتَ إن كان عندك غُواث (إغاثة) فأغِثْ .

إذا هي بملك عند موضع زمزم ، فبحث بعقَبهِ أو قال : بجناحه حتى فجر الماء ، فجعلت تُحوّضهُ (تجعله حوضاً) ، وتقول بيدها هكذا ، وجعلت تغرفُ بسقائها وهو يفور بعدما تغرف ، فشربت وأرضعتْ ولدها .

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي ﷺ :
« **رحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم عيناً مَعيناً** » .

فقال لها الملك : « لا تخافوا ضيعةً (هلاكاً) ، فإن ههنا بيتاً لله يبنيه هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله » .

وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وعن شماله .

فكانت كذلك حتى مرت بهم رُفقة من جُرْهُم (اسم قبيلة) مقبلين من طريق كَداء (اسم موضع) ، فنزلوا في أسفل مكة ، فرأوا طائراً عائفاً (حائماً) فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء !!. لعهدُنا بهذا الوادي وما فيه ماء !، فأرسلوا جَرِيّاً (رائداً) فإذا هم بالماء ، فرجعوا فأخبروهم ، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء .

جرهم : أتأذنينَ لنا أنْ ننزل عندك ؟
هاجر : نعم ، ولكن لا حقّ لكم بالماء .
جرهم : نعم .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ :

« **فألفى ذلك (وجد الحيّ) أم إسماعيل وهي تُحب الأنس** » .

فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا معهم ، حتى إذا كانوا بها أهل أبيات وشبّ الغلام ، وتعلم العربية منهم وأنْفسَهُمْ (أي سبقهم) ، وأعجبهم حين شبّ ، فلما أدرك زوّجوه امرأة منهم ، وماتت أم إسماعيل .

فجاء إبراهيم عليه السلام بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركتَهُ (يتَفقّد أسرته) فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه .

الكنّـــة : خرج يصيد لنا ، ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم .

الكنّـــة : نحن بشرٍّ !! نحن في ضيق وشدة ، وشكت إليه !!.

إبـــراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ، وقولي له : يُغَيّر عتبة بابه (كناية عن الطلاق) .

إسماعيـــل : هل جاءكم من أحد ؟

زوجتـــه : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا (وصفته له) ، فسألنا عنك ، فأخبرتُه ، فسألني كيف عيشُنا ؟ فأخبرته إنّا في جهد وشدة .

إسماعيـــل : فهل أوصاك بشيء ؟

زوجتـــه : نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول « غيّرْ عتبة بابك » .

إسماعيـــل : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك ، إلحقي بأهلك ، فطلقها . وتزوج إسماعيل منهم مرة أخرى ، فلبث عنهم إبراهيم عليه السلام ما شاء الله ، ثم أتاهم بعدُ فلم يجده ، فدخل على امرأته فسأل عنه :

إبـــراهيم : أين إسماعيل ؟ وكيف أنتم ؟

الكنّـــة : ذهب يصيد لنا ونحن بخير وسعة ، ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟

إبـــراهيم : وما طعامكم وشرابكم ؟

الكنّـــة : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء .

إبـــراهيم : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم ..

فقال أبو القاسم ﷺ .

« **بركة دعوة إبراهيم** » .

إبـــراهيم : فإذا جاء زوجك فاقرئي عليه السلام ومُريه « يثبِّت عتبة بابه » .

جاء إسماعيل وهو يقول : هل أتاكم من أحد ؟

الزوجـــة : نعم أتانا شيخ حسن الهيئة ، (وأثنت عليه) ، فسألني عنك فأخبرتُه أنا بخير .

إسماعيـــل : فأوصاكِ بشيء ؟

الزوجـــة : نعم : يقرأ عليك السلام ، ويأمرك أن تثبت عتبة بابك .

إسماعيـــل : ذاك أبي وأنت العتبة ، أمرني أن أمْسِكَكِ .

ثم لبث عنهم ما شاء الله ، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري نَبْلًا له (قوساً) تحت دوحة (شجرة) قريبة من زمزم . فلما رآه قام إليه ، وصنع كما يصنع الوالد بالولد (أي تعانقا) .

إبـــراهيم : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر .

إسماعيـــل : فاصنع ما أمرك ربُّك .

إبـــراهيم : وتعينني ؟

إسماعيـــل : وأعينك .

إبـــراهيم : فإن الله أمرني أن أبني بيتاً ههنا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة إلى ما حولها .

فعندَ ذلك رفع القواعد من البيت .

فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة ، وابراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (المقام) فوضعه له ، فقام عليه وهو يبني ، وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان :

(ربنا تقبَّل منا إنك أنت السميع العليم)

(البقرة : ١٢٧)

إلى غير ذلك من هذه القصص الواردة ..

فالواعظ البارع ، والمربي الحكيم ، والداعية الموفق .. يستطيعون أن يكيفوا عرض القصة بالأسلوب الملائم الذي يتناسب مع عقلية المخاطبين ، كما أنهم يستطيعون أن يستخرجوا من القصة أهم مواطن العبرة والعظة .. ليكون التأثير أبلغ ، والاستجابة أقوى ..

إذاً فما على المربي إلا أن يستغل انفعال العاطفة ، ومثار الانتباه في عرض القصة لدى السامع حتى إذا تفاعل روحياً ، وتفتح ذهنياً .. صبّ في مشاعره وأحاسيسه وأعماق قلبه من معين العبرة ، وسلسبيل العظة .. وإذا هو مذعن ملتزم خاشع مُخْبِتٌ لله رب العالمين .. وعندئذ يأخذ المربى عليه العهد ليلتزم الإسلام منهاجاً وتشريعاً . ويتخلّق بمبادىء هذا الدين سلوكاً ومعاملة ..

وهكذا يستطيع المربي الواعظ أن يُضفي - بأسلوبه الشيِّق واستجلائه مواطن العبرة - على القصة جلالها ، وأن يترك في النفوس أثرها ، وأن ينقل السامع الى أجواء الطهر والروحانية والخشوع ..

(ب) انتهاج أسلوب الحوار والاستجواب :

وذلك بطرح الأسئلة على أصحابه ، ليثير انتباههم ، ويحرك ذكاءهم ، ويقدح فطنتهم ، ويسقيهم المواعظ المؤثرة في قالب الإقناع والمحاجاة ..

ولنضرب على ذلك أمثلة :

١ - روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أتدرون من المسلم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

قال : أتدرون من المؤمن ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : المؤمن من أمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم .

ثم ذكر المهاجر فقال : والمهاجر من هجر السوء فاجتنبه .

٢ – وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء »؟

قالوا : لا يبقى من درنه شيء .

قال : ذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا » .

٣ – وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع .

قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطي هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طُرح في النار .

(ج) بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى :

وذلك لتنبيه السامع على أهمية المقسم عليه لفعله أو اجتنابه :

– روى مسلم في صحيحه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا .. أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم » .

– وروى البخاري من حديث أبي شريح رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال :

الذي لا يأمن جاره بوائقه » أي شروره ، وهذا كثير في توجيهاته عليه الصلاة والسلام .

(د) دمج الموعظة بالمداعبة :

وذلك لتحريك الذهن ، وإذهاب الملل ، وتشويق النفس ..

من هذا :

ما رواه أبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : إن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ يستحمله بعيراً من الصدقة ليحمل عليه متاع بيته ، فقال رسول الله ﷺ : إني حاملك على ولد الناقة ، فقال الرجل : يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ : وهل تلد الإبل إلا النوق ؟

فأفهمه ﷺ عن طريق هذه المداعبة أن الجمل ولو كان كبيراً يحمل الأثقال ما يزال ولد الناقة .

وهذا كثير في مداعباته عليه الصلاة والسلام .

(هـ) الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة :

– روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كنت أصلي مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصداً » أي وسطاً .

– وروى أبو داود عن جابر بن سمرة : كان رسول الله ﷺ لا يُطيل الموعظة يوم الجمعة ، إنما هي كلمات يسيرات » .

– ومما يُروى عنه عليه الصلاة والسلام « أنه إذا خطب لا يُخلّ ولا يمل » . وأيضا : « كان رسول الله ﷺ يتخوّلنا بالموعظة مخافة السآمة » .

(و) الهيمنة بالتأثير الوعظي على الحاضرين :

روى الترمذي عن العرباض بن سارية أنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة مضّت – احترقت – منها الجلود ، وذرفت منها العيون . ووجلت منها القلوب ،

فقلنا : كأن هذه موعظة مودّع يا رسول الله ، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : « أن اتقوا الله وأن تتبعوا سنّتي وسنة الخلفاء الهادية المهدية من بعدي ، وعضّوا عليها بالنواجذ ، فإن كل بدعة ضلالة » .

– جاء في المسند ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر : « وما قدروا الله حقّ قدرة ، والأرض جميعاً قبضتُه يوم القيامة ، والسموات مطويّات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون » ، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده : يحركها ، يقبل بها ويدبر : يمجّد الربَّ نفسه : أنا الجبار ، أنا المتكبر أنا الملك ، أنا العزيز ، أنا الكريم ، فرجف برسول الله ﷺ المنبر ، حتى قلنا ليخرّن به ، أساقطٌ هو برسول الله ﷺ ؟

ولا يتصف الواعظ الداعية بهذه الهيمنة والتأثير إلا ان يكون مخلص النية ، رقيق القلب ، خاشع النفس ، طاهر السريرة ، مشرق الروح .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة عند رب العالمين ..

روى ابن أبي الدنيا والبيهقي مرسلا بإرسال جيد عنَ مالك بن دينار عن الحسَن رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبدٍ يخطب خطبة إلا الله سائله عنها يوم القيامة ما أراد بها ؟» ، فكان مالك إذا حدَّث بهذا الحديث بكى ثم يقول : تحسبون أن عينى تقَرّ بكلامي عليكم ، وأنا أعلم أن الله عز وجل سائلي عنه يوم القيامة : ما أَرَدْتَ به ؟ فأقول : أنت الشهيد على قلبي ، لو لم أعلم أنه أحبّ إليك ، لم أقرأ به على اثنين أبداً .

وفرق كبير بين داعية يتكلم بلسانه وهو متصنّع بالكلام ليسبِيَ به قلوب الرجال ، وبين داعية مؤمن مخلص مكلوم القلب على الإسلام يتكلم بنبضات قلبه ، ولواعج حزنه وأساه ، لما آل إليه حال المسلمين !.. فلا شك أن تأثير الثاني أبلغ ، والاستجابة إليه أقوى ، والاتعاظ بكلامه أعظم !!..

قال عمر بن ذرّ لأبيه : يا أبت : مالك إذا تكلمتَ أبكيتَ الناس ، وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟، فقال : يا بني ، ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة .

روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلّم صرْفَ الكلام لَيسْبي به قلوب الرجال لم يقبل الله منه يوم القيامة صرْفاً ولا عدْلًا(١) » .

(ز) **الموعظة بضرب المثل :**

كان عليه الصلاة والسلام يستعين على توضيح مواعظه بضرب المثل مما يشهده الناس بأم أعينهم ، ويقع تحت حواسهم وفي متناول أيديهم ، ليكون وقع الموعظة في النفس أشد ، وفي الذهن أرسخ !!..

– روى النسائي في سننه عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترُجّة (فاكهة تشبه البرتقال) ريحها طَيّب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها ، ومثل جليس السوء كصاحب الكير (كمثل الحداد النافخ في النار) إن لم يصبْك من سواده أصابك من دخانه » .

وفي هذه التشبيهات النبوية أبلغ ترغيب في الخير ، وأزجر تحذير عن الشر ، بأوضح أسلوب يدركه المخاطبون ..

(ح) **الموعظة بالتمثيل باليد :**

وكان ﷺ إذا أراد أن يؤكد أمراً هاماً يمثل بكلتي يديه إشارة منه إلى الأمر الهام الذي يجب أن يهتموا به ويمتثلوه ..

– روى البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك رسول الله بين أصابعه » .

---

(١) الصرف : التوبة ، والعَدْل : الفدية .

روى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى (رضى الله عنهم) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين » ، وإشار بالسبابة والوسطى

– وروى الترمذي في سننه عن سفيان بن عبد الله البَجلي رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال : « قل ربي الله ثم استقم » « قلتُ : يارسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ ؟ فأخذ عليه الصلاة والسلام بلسان نفسه ثم قال : (هذا) .

والأمثلة على هذا – في السنة – كثيرة ومستفيضة .

(ط) **الموعظة بالرسم والإيضاح :**

وكان صلى الله عليه وسلم يخط أمام أصحابه خطوطاً ليوضح لهم بعض المفاهيم الهامة ، ويقرّب إلى أذهانهم بعض التصورات المفيدة ..

– روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : خطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً مربعاً ، وخط خطاً خارجاً منه ، وخط خطوطاً صغاراً الى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ، فقال : « هذا الإنسان ، وهذا أجله محيط به ، وهذا الذي خارج (أي عن الخط) أمله ، وهذه الخطوط الصغار والأعراض هي الحوادث والنوائب المفاجئة ، فإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأ هذا نهشه هذا ، وإن أخطأه كلها أصابه الهرم) ، وهذا هو المخطط الذي خطه عليه الصلاة والسلام :

أجله

الحوادث والنوائب

الانسان

الحوادث والنوائب

أجله

أجله

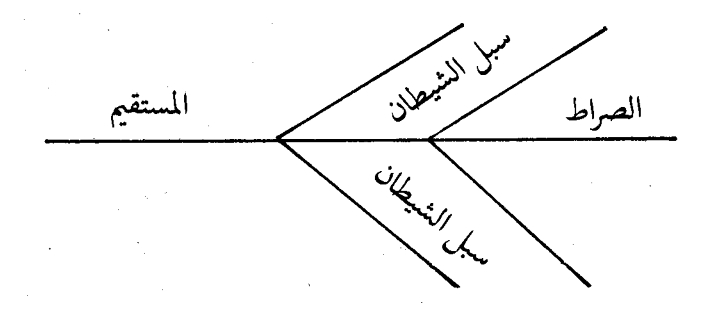
الحوادث والنوائب

أجله

أمله

فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه على الأرض كيف يحال بين الإنسان والآمال الواسعة بالموت المباغت أو الحوادث النازلة ، أو الهرم المضني المقعد ... وهذا توضيح جميل من المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .

– وروى الإمام أحمد في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخطّ بيده فى الأرض خطاً – هكذا – فقال : هذا سبيل الله وخط خطين عن يمينه ، وخطين عن شماله ، وقال : هذه سُبُل الشيطان ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية : ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ ، وأنموذج الخطوط كما يلى :



فبين لهم عليه الصلاة والسلام بما رسمه لهم على الأرض أن منهج الإسلام هو الصراط المستقيم الموصل الى العزّة والجنة ، وأن ما عداه من المبادىء والنظم والأفكار .. هي سبُل الشيطان ، وطُرُقه الموصلة إلى الدمار والنار ..

(ى) الموعظة بالفعل التطبيقي :

وكان ﷺ يُعطي لأصحابه الأنموذج الحي في أسلوب التعليم والتربية والتكوين .. وإليكم بعض الأمثلة :

- روى أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله كيف الطهور ؟ (أي الوضوء) ، فدعا رسول الله ﷺ بماءٍ في إناء فغسل كفيه ثلاثاً حتى استوفى ثم قال : « فمن زاد عن هذا أو نقص فقد تعدى وظلم » .

- وروى البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ توضأ أمام جمع من الناس ثم قال : « مَن توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

- وروى البخاري حديثاً ذكر فيه أنه ﷺ صلى مرة بالناس إماماً وهو على المنبر ليروا صلاته كلهم ، وليتعلموها من أفعاله ومشاهداته .. فلما فرغ أقبل الناس فقال : « يا أيها الناسِ إنما صنعت هذا لتأتمّوا بى ، ولتُعلمّوا صلاتي » .

(ك) الموعظة بانتهاز المناسبة :

وكان ﷺ كثيراً ما ينتهز المناسبة لمن يريد وعظهم وإرشادهم ، لتكون أبلغ في التأثير ، وأفضل للفهم والمعرفة ، **ومن ذلك** :

- روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مرَّ بالسوق داخلا من بعض العالية والناس كِنَفَتَيْه (أي عن جانبيه) ، فمر بجدي أسَكّ (أي صغير الأذنين) ميت ، فتناوله بأذنه ثم قال : أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟ قالوا : ما نحب أنه بشيء أو مَا نصنع به ؟ قال : أتحبّون أنه لكم ؟ قالوا : والله لو كان حياً كان هذا السّك عيباً فكيف وهو ميت ؟ فقال : فوالله ، للدنيا أهون على الله من هذا عليكم !!..

- وروى البخاري ومسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قدم رسول الله بسبي فإذا امرأة من السبي (الأسرى) قد تحلبّ ثديها إذ وجدت صبياً في السبي ، فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته ، فقال رسول الله ﷺ : « أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ - وهي تقدر على أن لا تطرحه - قلنا : لا والله ، قال : « فالله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » .

(ل) الموعظة بالالتفات إلى الأهم :

وكان ﷺ يلفت السؤال عن سؤال إلى شيء أهم ، **من ذلك** :

ما روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ فقال : متى الساعة يا رسول الله ؟ فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : ماذا أعددت لها ؟ قال : حبّ الله ورسوله ، فقال : أنت مع من أحببت .

فلفته ﷺ عن سؤاله عن قيام الساعة – التي اختص الله بعلمها – إلى شيء آخر هو أحوج ما يكون إليه ، وهو إعداد العمل الصالح لهذا اليوم الذي يقوم فيه الناس لله رب العالمين .

(م) الموعظة بإظهار المحرم الذي ينهى عنه :

وكان ﷺ يحمل بيده الشيء المحرم الذي ينهى عنه ، ويرفعه أمام المخاطبين ، ليقرّر لهم الشيء المنهي عنه بالقول والمشاهدة ، ليكون ذلك أزجر للنفوس ، وأقطع في الدلالة على التحريم ، من ذلك :

ما روى أبو داود والنسائي وابن ماجه في « سننهم » عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « أخذ رسول الله ﷺ حريراً بشماله ، وذهباً بيمينه ، ثم رفع بهما يديه ، فقال : إن هذين حرام على ذكور أمتي ، حلّ لإناثهم » .

تلكم أهم الأساليب التي كان يتبعها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام في توجيه الكبار ، وتعليم الصغار ، وإرشاد الخاصة ، وهداية العامة ، وتثبيت الفضائل ، وتقويم الاعوجاج .. وهي – كما رأيتم أيها المربون – طرائق متنوعة ، ووسائل مختلفة .. بل كان عليه الصلاة والسلام – كما ألمحنا – لا يختص بأسلوب واحد في إرشاد الناس وهدايتهم ، وإصلاحهم وتوجيههم .. وإنما كان ينتقل بهم من القصة إلى الحوار والاستجواب ، ومن التأثير الخاشع إلى المداعبة اللطيفة ، ومن ضرب الأمثال الى التوضيح بالرسم أو التمثيل باليد ..، ومن الموعظة بالكلمة إلى الاقتداء بالفعل ، ومن التذكير بالقرآن الكريم إلى استجلاء العبرة بانتهاز المناسبة ..، ومن السؤال المهم إلى السؤال الأهم ، ومن النهي بالقول إلى النهي بالمشاهدة ..

ولا يخفى ما في هذا التنوع من الأساليب من أثر كبير في ترسيخ المعلومات ، وإثارة الفهم وتحريك الذكاء ، وقبول الموعظة ، وقدح الفطنة والانتباه لدى المخاطب والولد ..

فالمربي حين يحسن عرض هذه الأساليب في إلقاء مواعظه وإرشاداته على من يقوم بإعدادهم وتربيتهم من أهل وولد وتلاميذ .. فإنهم - لا شك - يتعلمون ويطبقون ويتأثرون .. ويكونون دعاة خير وأئمة هدى ، وجنود رسالة ، وأبطال جهاد .. بل يكونون القاعدة الصلبة في بناء المجتمع الفاضل ، وإقامة دولة الإسلام ..

فما على المربين إلا أن يأخذوا بطُرق الرسول صلوات الله وسلامه عليه في التوجيه ، وأساليبه في الموعظة لكونها أحسن الطرق وأفضل الأساليب .. لأن الرسول ﷺ لا ينطق عن الهوى ، وقد أدّبه ربه فأحسن تأديبه ، وهو مصنوع على عين الله ، ومشمول دائماً برعايته وعنايته .. وإذا كان الأمر كذلك فكل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتقريرات .. فهي تشريع للإنسانية وهداية لها على مدى الزمان والأيام ..

ويكفيه عليه الصلاة والسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله سبحانه فيه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾

(الأحزاب : ٢١)

وأن يقول أيضاً : ﴿ مَنْ يطع الرسولَ فقد أطاع الله .. ﴾

(النساء : ٨٠)

★ ★ ★

وعلينا أن نعلم أن المربي إن لم يتحقق بما يقول ، وإن لم يطبق ما يعظ الناس به .. فلا أحد يقبل كلامه ، ولا إنسان يتأثر بموعظته ، ولا مخاطب يستجيب لندائه .. بل يكون محل نقد العامة ، واستهزاء الخاصة ، واستهجان الناس أجمعين ..

لأن الكلمة التي لا تنبعث من القلب ، لا تنفذ إلى القلب .. والموعظة التي لا تمتزج بالروح لا تؤثر في النفس .. ولقد سمعتُم قبل قليل ما أجاب الأب ولده حين سأله : مالك إذا تكلمت أبكيت الناس وإذا تكلم غيرك لم يُبكهم ؟ أجاب : (يا بني ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة) .

ويقصد : ليس الداعية المكلوم على الاسلام ، والمتحقق بالايمان .. مثل الواعظ المنافق المهرّج !!..

وسبق أن فصلنا القول عن الذين تخالف أفعالهم أقوالهم ، وتتناقض مواعظهم مع أعمالهم في مبحث (**التربية بالقدوة**) ، **فارجع إليه -- أخي القاريء -- تجد فيه ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل بعونه تعالى** .

★ ★ ★

وأخيراً أخي المربي :

بعد أن علمتَ منهجية الإسلام المتمثّلة بالقرآن الكريم ، والسنة المطهرة في طرائق الموعظة ، وأساليب النصح ، ووسائل الإرشاد ..

فما عليك إلا أن تشحذ الهمة ، وتضاعف العزم في تنفيذ ما استوعبته من منهجية ، وتطبيق ما استفدته من طرائق .. حتى ترى ولدك أو تلميذك أو مريدك .. قد فتح قلبه للموعظة ، وخضع بكليته إلى سنن الهدى والرشاد .. واستجاب للحق والإسلام ..

فما أحسن الأب المربي ، والأم المربية حين يجتمعون مع أولادهم في كل أمسية .. وقد ملؤوا سهرتهم بأنواع الطرائف ، وأصناف الحكمة ، ولطائف الموعظة.. فحيناً بعرض قصة ، وأحياناً بتوجيه موعظة ، وتارة بإنشاد شعر ، وأخرى بسماع تلاوة .. ورابعة بإلقاء طرفة ، وخامسة بإجراء مسابقة .. وهكذا يعددون في الأساليب ، وينوّعون بالبرامج .. حتى تؤدي السهرة غرضها في تكوينهم روحياً ، وإعدادهم نفسياً وخلقياً .. على ألّا ينسوا الوقت المخصص لمراجعة دروسهم ، وكتابة وظائفهم .. وهكذا يستطيع المربي أن يجمع ما بين الجد والمرح ، ويمزج ما بين

الموعظة والطرفة ، ويوازن ما بين الحقيقة والتسلية .. حتى يطمئن قلبيا ، ويقتنع وجدانياً بأن الاولأد قضوا جل وقتهم في الأمور النافعة ، والأشياء المفيدة ..

وإذا سار المربي كل يوم على هذا المضمار .. فلم يمض عليه وقت غير طويل حتى يرى الأولاد الذين اهتم بهم ، وأشرف عليهم في إعداد الهادين المهديين ، وفي زمرة عباد الله الصالحين .. الذين بهم تعقد الآمال . وعلى أيديهم يتحقق نصر الإسلام !!..

وكم يكون المربي موفقاً حين ينهج مع أولاده طريقة القرآن الكريم في ظاهرة أسلوبه الوعظي ؟ فيذكر تارة بالتقوى ، وينوّه أخرى بالموعظة ويحضّ حيناً على النصح ، ويغري أحياناً بالترغيب . ويستعمل في موطن آخر أسلوب التهديد .. وهكذا يتجدد الأسلوب على حسب الظروف ، ومقتضيات الأحوال ..

هذا عدا عن النداءات المتكررة للولد المبدوءة بياء كقول المربي : يا بنّي ، يا ولدي .. لكونها عاملا كبيراً في تحريك العاطفة ، وإثارة الوجدان !!.. وكم بدأ بها القرآن ؟ .

وعــدا عن الأسلوب القصصي المقرون بمواطن العبرة والعظة . وكم استعمله القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه الخلقي المصحوب بالوصايا والمواعظ .. وكم أتى به القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه الإسلامي المبدوء بأدوات التوكيد .. وكم كرّره القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه الاجتماعي المقرون بأدوات الاستفهام الإنكاري .. وكم جاء على ذكره القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه الإقناعي المدعوم بالأدلة العقلية ، وكم استطرده القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه التصوري الشمولي المقرون بالشواهد .. وكم نوهّ به القرآن ؟

وعــدا عن التوجيه المنهجي المدلّل بقواعد التشريع ، وكم ذكره القرآن ؟

إلى غير ذلك من هذه التوجيهات المتنوعة ، والأساليب المتجددة .. وكلها مستفادة من القرآن !!..

وكم يكون المربي موفقاً كذلك حين ينهج نهج الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظه ، ويتبع أسلوبه في نصائحه وإرشاداته ؟

وكم يكون موفقاً حين يستخرج بعد عرض القصة عِبَرها ، ويشير الى مواطن العظة فيها ؟

وكم يكون موفقاً حين ينتهج مع أولاده أسلوب الحوار والاستجواب كطرح سؤال ، أو إلقاء استفهام .. ليشربوا من معين الهدى بقالب الإقناع والمحاجحة ؟

وكم يكون موفقاً حين يقتصد موعظته في الجلسة . ويقصرها على الأهم مخافة السآمة والملل ؟

وكم يكون موفقاً حين يبدأ موعظته بالقسم تأكيداً . ويمزجها بالمداعبة تشويقاً وتحبيباً ؟ .

وكم يكون موفقاً حين يبذل الجهد في الهيمنة بالوعظ على أولاده ، ليتأثر الجميع بكلامه ؟

وكم يكون موفقا حين يستعين على توضيح الموعظة بالتمثيل ، والرسم . وضرب المثل .. وبكل ما يشهده الناس بأمّ أعينهم . ويقع تحت حواسهم .. ليكون للتفهيم أوضح .. وللتثبيت في الذهن أرسخ ؟.

وكم يكون موفقاً حين يعطيهم من نفسه الأنموذج العملي في التعليم والمشهد الفعلي فى التطبيق ؟

وكم يكون موفقاً حين ينتهز وقوع الحادثة في الوعظ ، أو وجود المناسبة فى النصح .. ليكون التأثير أفضل ، والاستجابة أقوى ؟

إلى غير ذلك من أساليب الوعظ التي ينتهجها ، وطرائق الإرشاد التي يتعلمها !!..

حيث يجدها مبثوثة في رياض القرآن الكريم ، ومنشورة في دوحات الحديث الشريف ..

فما على المربين إلا أن يتخذوا من القرآن الكريم أسلوبه العظيم في مخاطبة الناس ، ودعوتهم إلى الخير .. لأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. كما عليهم ان يتأسوا بصاحب الرسالة الخالدة صلوات الله وسلامه عليه في طرائق مواعظه ، وأساليب إرشاداته .. لأنه النبي المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا يمكن أن يصل إلى كماله بشر ، ولا يبلغ مرتبته إنسان ..

ويكفيه فخراً على مدى الزمان والأيام أن يخاطبه الله سبحانه بهذا الخطاب الخالد ، وأن يصفه بهذا الوصف الرائع حين قال :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . (القلم : ٤)

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ . (الأنبياء : ١٠٧)

ويكفيه عليه الصلاة والسلام تكريماً وشرفاً أن يقول عن نفسه « أدّبني ربي فأحسن تأديبي » .

★ ★ ★

٤ – التربيـــة بالملاحَظــة

المقصود بالتربية بالملاحظة ملاحقة الولد وملازمته في التكوين العقيدي والأخلاقي ، ومراقبته وملاحظته في الإعداد النفسي والاجتماعي ، والسؤال المستمر عن وضعه وحاله في تربيته الجسمية وتحصيله العلمي ...

ولا شك أن هذه التربية تعد من أقوى الأسس في إيجاد الإنسان المتوازن المتكامل الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي تدفعه إلى أن ينهض بمسؤولياته ، ويضطلع بواجباته على أكمل وجه وأنبل معنى ، والذي تجعل منه مسلماً حقيقياً يكون الحجر الأساس لبناء القاعدة الإسلامية الصلبة التي بها يتحقق عز الإسلام ، وبالاعتماد عليها تقوم الدولة الاسلامية قوية عتيدة ، تضاهي الأمم بحضارتها ومكانتها وكيانها ..

والإسلام بمبادئه الشاملة ، وأنظمته الخالدة .. حض الآباء والأمهات والمربين جميعاً الى أن يهتموا بملازمة أولادهم ، ومراقبة أفلاذ أكبادهم .. في كل ناحية من نواحي الحياة ، وفي كل جانب من جوانب التربية الشاملة ..

وإليك – أخي المربي – أهم هذه النصوص في هذه الملازمة والملاحظة .

– قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

(التحريم : ٦)

وكيف يقي المربي أهله وأولاده ناراً إذا هو لم يأمرهم وينهاهم ، ولم يراقبهم ويلاحظهم ..؟

قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (قوا أنفسكم ..) أدبوهم وعلموهم ، وقال عمر رضي الله عنه : « تنهونهم عما نهاكم الله عنه ، وتأمرونهم بما أمركم الله به ، فيكون بذلك وقاية بينهم وبين النار » .

– **وقال عز من قائل : ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ .**
(طه : ١٣٢ »

وهل يكون الأمر بالصلاة إلا في حالة التقصير والإهمال في حق الله تعالى ؟

– **وقال سبحانه : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ .**
(البقرة : ٢٢٣)

وكيف يقوم الأب برزق الأهل والأولاد وكسوتهم إذا لم يراقب أحوالهم من الناحية الجسمية والصحية ؟

والأحاديث التي تحض على الملازمة والملاحظة أكثر من أن تحصى :

– من هذه الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما « ... والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راْعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها .. » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه أبو داود والترمذي عن أبيْ مسبْرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « علموا الصبيّ الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين » .

– ومن هذه الأحاديث مارواه الترمذي عنه عليه الصلاة والسلام : « لأن يؤدّب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه الطبراني عن عليّ كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ... » .

– ومن هذه الأحاديث ما رواه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سليمان مالك بن الحويرث قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، فظنّ أنا اشتهينا أهلينا ، فسألنا عمّن تركنا في أهلينا فأخبرناه ، وكان رفيقاً رحيماً ، فقال : « ارجعوا إلى أهليكم فعلّموهم ومروهم . وصلّوا كما رأيتموني أصلي . فإذا حضرت الصلاة فليؤذّن أحدكم ، وليؤمّكم أكبركم » .

ما معنى الرجل مسؤول ؟ وما معنى المرأة مسؤولة ، وما معنى علّموا واضربوا ؟ وما معنى التأديب في الحديثين ؟، وما معنى ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم ومروهم ؟.

أليس معنى هذا كله ؟ أن يلحظ المربّي الولد ، ويلاحقه ، ويلزم أدبه ، ويراقب حركاته وسكناته .. حتى إذا أهمل حقاً أرشده إليه ، وإذا قصر في واجب حضّه عليه ، وإذا رأى منكراً نهاه عنه ، وإذا فعل معروفاً شكر له صنيعه .. ؟ .

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن ملاحظة الولد ومراقبته لدى المربي هي من أفضل أسس التربية وأظهرها .. ذلك لأن الولد دائماً موضوع تحت مجهر الملاحظة والملازمة حيث المربي يرصد عليه جميع تحركاته وأقواله وأفعاله واتجاهاته .. فإن رأى خيراً أكرمه وشجعه عليه ، وإن رأى منه شراً نهاه عنه ، وحذّره منه ، وبين له عواقبه الوخيمة ، ونتائجه الخطيرة .. وبمجرد أن يغفل المربي أو يتغافل عن الولد ، فإنه سينزع لا محالة إلى الانحراف ، ويتوجه – ولا شك – نحو الزيغ والانحلال .. فعندئذ يكون هلاكه المحقق ، ودماره المحتوم !!..

★ ★ ★

ومعلمنا الأول ، وهادينا الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم كان يعطي لأمته القدوة الصالحة في حسن رعايته لأصحابه ، وتفقده لهم ، وسؤاله عنهم ، ومراقبة أحوالهم ، ومحاذرة مقصّريهم ، وتشجيع محسنيهم ، والعطف على فقرائهم ومساكينهم ، وتأديب الصغار منهم ، وتعليم الجَهلةَ فيهم ..

وإليكم نماذج من ملاحظاته وتفقداته .. عليه الصلاة والسلام :

● **من ملاحظاته في التربية الاجتماعية** ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » ، فقالوا يا رسول الله : مالنا من مجالسنا بُدّ نتحدث فيها ، فقال رسول الله ﷺ : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقَّه » ، قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « غضّ البصر وكف الأذى . ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر » .

● **من ملاحظاته في التحذير من الحرام** ما رواه النووي في رياض الصالحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال : « يَعْمِدُ أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده ! » فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتَمَك وانتفع به ، قال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ .

● **من ملاحظاته في تأديب الصغار** ما رواه البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنتُ غلامًا في حِجْرِ رسول الله ﷺ (أي تحت نظره) ، وكانت يدي تطيش (تتحرك) في الصحْفَة (في وعاء الطعام) ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غُلام سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

● **من ملاحظاته في إرشاد الكبار** ، ما رواه أبو داود والبيهقي عند عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال : دعتني أمي يوماً ، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا ، فقالت : ها تعالَ أعطك ، فقال رسول الله ﷺ : ما أردتِ أن تعطيه ؟ قالت : أردتُ أن أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله ﷺ :

« أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كَذبه »

● **من ملاحظاته في التربية الخلقية** ما رواه البخاري ومسلم عن أبي بكرة رضي الله عنه أن رجلا ذُكِرَ عند النبي ﷺ فأثنى عليه رجلٌ خيراً ، فقال النبي ﷺ : « ويْحَك ! قَطَعْتَ عنق صاحبك » يقوله مراراً : « إِن كان أحدكم مادحاً

لا محالة فليقل : أحسِب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ، وحسيبُه الله ، ولا يُزكّى على الله أحد »(١) .

● **من ملاحظاته في التربية النفسية** ما رواه الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال : إني نحلتُ (أعطيتُ) ابني غلاماً كان لي ، فقال رسول الله ﷺ : « أكُلَّ ولدك نحلته مثل هذا ؟ » فقال : لا ، فقال : فأرجعه .. وفي رواية : فقال رسول الله : « أفعلتَ هذا بوَلَدَك كلهم ؟ » قال : لا ، قال : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » ، فرجع أبي فردّ تلك الصدقة .. وفي رواية : قال عليه الصلاة والسلام : « فلا تشهدني إذاً فإني لا أشهد على جور » .

● **من ملاحظاته في التربية الجسمية** حين رأى عليه الصلاة والسلام من يشرب شرباً واحداً كشرب البعير (الجمل) فقال لهم :- كما روى الترمذي - « لا تشربوا شرباً واحداً كشرب البعير ، ولكن اشربوا مثنى وثلاث ، وسمّوا إذا أنتم شربتم ، واحمَدوا اذا أنتم رفعتم » .

وروى البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

● **من ملاحظاته في التربية الدعوية وأخذ الناس بالرفق** ، ما رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه قال : مشيتُ مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ (أى ثوب) نجراني غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابي ، فجبَذه (أي جذب الثوب) جَبذةً شديدة حتى نظرتُ إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثّر فيه حاشية البُرد من شدة جبذته ، ثم قال الأعرابي يا محمد : مُرْ لي من مال الله الذي عندك ، فالتفت إليه النبي ﷺ وضحك ، ثم أمر له بعطاء !!..

---

(١) الحديث محمول على كراهية المدح في الوجه إذا خيف منه مفسدة العجب ، أما إذا لم يخف فلا بأس في ذلك ، لمدحه عليه الصلاة أصحابه في وجوههم ، كقوله لعمر رضي الله عنه : « ما رآك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فَجّك » .

تلكم بعض النماذج في مراقبة النبي ﷺ لأبناء المجتمع الذي كان يقوم على هدايته وإصلاحه ، وهي نماذج حيه واقعية تؤكد حرص الرسول عليه الصلاة والسلام في تربية الناس ، ومعالجة أمورهم وإصلاح أحوالهم ، والرفع من مستواهم ..

ولقد رأيت – أخي القارىء – أن هذه الملاحظات والتوجيهات لم تقتصر على الكبار وإنما كانت تتعدى الصغار ، ولم تختص بجانب معين في إصلاح النفس الإنسانية ، وإنما كانت تشمل جميع جوانبها من إيمانية ، وعلمية ، ونفسية واجتماعية ، وجسمية ..

وإليكم بعض ملاحظاته وتوجيهاته في الرفع من مستوى النساء وإعطاء حقوقهن :

١ – روى النسائي وابن ماجه أن فتاةً جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : « إن أبي زوّجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته (ليغطي نقصه) وإنا كارهة ، فأرسل النبي ﷺ إلى أبيها وأمره أن يجعل الأمر إليها ، فقالت الفتاة : قد أجزتُ ما صنع أبي ، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء » .

٢ – وروى البخاري أن زوجة ثابت بن قيس – وكان مسلماً صالحاً أسود دميما – جاءت إلى رسول الله ﷺ تقول له : إن ثابت بن قيس لا أعتب عليه في خُلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر[1] فى الإسلام ، قال ﷺ : « أتردّين ، عليه حديقته ؟ » – أي ما كان أمهرها من حديقة – فقالت : نعم ، فأرسل رسول الله ﷺ إليه فقال له : « طلّقها طلقة » ، فطلقها ثابت[2] .

٣ – وروى البزار والطبراني أن امرأة – اسمها زينب وكانت تلقب بخطيبة النساء – جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال ، فإن أصيبوا أثيبوا (أُجروا) ، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم

---

(١) أي أكره كفران نعمة الزوج وعدم إعطائه حقه لشدة بغضي له .

(٢) وهذه هي المخالعة : وهي تنازل من المرأة عن بعض مالها مقابل تطليق زوجها لها ولا تكون إلا باتفاق الطرفين .

يرزقون ، ونحن معشر النساء نقوم عليهم !!.. فمالنا من ذلك الأجر ؟ فقال ﷺ : « أبلغي مَن لقيت من النساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك – أي يعدل أجر المجاهدين في سبيل الله –، وقليل منكنّ من يفعله » .

وهذه الظاهرة من الملاحظة والمراقبة من نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام لأفراد المجتمع .. تخطّ للمربين جميعاً المنهج العملي في التربية ، والطريقة المجدية المؤثرة في الإصلاح .. وتهيب بكل مَن كان في عنقه حق التربية ، ومسؤولية التوجيه .. أن يبذل قصارى جهده ، وأن يوجه غاية اهتمامه في سبيل إسعاد الولد وإصلاحه ، والرفع من مستواه العقلي والنفسي والأخلاقي ..

وإذا كانت ظاهرة الملاحظة والمراقبة مجدية ونافعة في حق الكبار – كما مرّ – فإنها في الصغار أجدى وأنفع ، لأن الولد الصغير عنده قابلية الخير ، واستعداد الفطرة ، وصفاء النفس ، وبراءة الطفولة .. ماليس عند الكبير ، فمن السهولة بمكان أن ينصلح الولد ، وأن يتكوّن إيمانياً وخلقياً ونفسياً .. إذا تيسرت له عوامل البيئة الصالحة ، والتربية الفاضلة سواء أكانت منزلية أم مدرسية أم اجتماعية .. بينما يجد المربي في إصلاح الكبير صعوبة وأيه صعوبة إن كان من المتعنّتين والسادرين في الغواية !!.. وهذا ما عناه الشاعر بقوله حين قال :

وينفع الأدب الأحداث في صغر
وليس ينفع عند الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت
ولن يلينَ إذا قومتها الخشبُ

★ ★ ★

ومن هذا المنطلق الذي وضع أصوله عليه الصلاة والسلام في ملاحظة الفرد في المجتمع ، والمرأة في الأمة ، والولد في الأسرة .. وجب على المربين جميعاً من آباء وأمهات ومعلمين .. أن يحرّكوا هممهم . ويثيروا عزائمهم ، ويضاعفوا من جهودهم .. ليقوموا بمهمة المراقبة والملاحظة والملاحقة في سبيل إعداد الجيل المسلم ، وتكوين المجتمع الفاضل ، وإيجاد الدولة المسلمة !!.

ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعلمها المربي أن التربية بالملاحظة لم تقتصر على جانب أو جانبين من جوانب الإصلاح في تكوين النفس الإنسانية ، وإنما ينبغي أن تشمل جميع الجوانب من إيمانية ، وعقلية ، وخلقية ، وجسمية ، ونفسية ، واجتماعية .. حتى تعطي هذه التربية ثمارها في إيجاد الفرد المسلم المتوازن المتكامل السوي الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ..

● **فمن ملاحظة الجانب الإيماني في الولد :**

– **أن يلاحظ** المربي ما يتلقنه الولد من مبادىء وأفكار واعتقادات .. على يد من يشرفون على توجيهه وتعليمه في المدرسة أو غير المدرسة ، فإن وجد خيرا فليحمد الله ، وإن وجد غير ذلك فليقم بمهمته الكبيرة في غرس مبادىء التوحيد ، وترسيخ قواعد الإيمان .. ليكون الولد بمنجاة من التلقين الإلحادى الآثم ، والتوجيه العلماني الخطير ..

– **وأن يلاحظ** ما يطالعه الولد من كتب ومجلات ونشرات فإن وجد أنها تحوي في طياتها أفكار الزيغ ، ومبادىء الإلحاد ، ودسائس التبشير .. فليقم بمهمة المصادرة ، ثم إقناع الولد أن هذه الكتب وغيرها .. تفسد عليه إيمانه الصافي ، وإسلامه العظيم !!..

وأن يلاحظ من يصاحب الولد من رفقاء وقرناء .. فإن وجد أن الرفقة التي يصحبها هي رفقة إلحاد ، وقرناء زيغ وضلال .. فعلى المربي أن يقطع الصلة بينه وبينهم ، وأن يهيىء له من رفاق الخير ، وأخلاء التقوى .. ما بهم ينصلح . وما بصحبتهم يتثبّت ويُسعد ..

– **وأن يلاحظ** إلى ما ينتمي إليه من أحزاب ومنظمات فإن وجد أن هذه الأحزاب إلحادية في مبادئها وتوجيهها ، وأن هذه المنظمات لا دينية في أهدافها واتجاهاتها .. فعلى المربي أن يحزم في منعه ، وأن يكثر من مراقبته ، وأن ينتهز الفرصة تلو الفرصة في إقناعه وتوجيهه .. حتى يراه قد مال إلى الحق ، ورجع إلى الهدى ، ومشى على الصراط المستقيم ..

● **ومن ملاحظة الجانب الأخلاقي في الولد :**

– **أن يلاحظ** المربي ظاهرة **الصدق** فيه ، فإن وجد الولد ينتحل الكذب في أقواله ووعوده ، ويتلاعب بالألفاظ والكلمات ، ويظهر في المجتمع بمظهر المنافقين والكذّابين .. فعليه أن يتولى أمر الولد في أول كذبة كذبها ، وأن يبصرّه طريق الحق والهدى ، وأن يبيّن بشيءٍ من الإسهاب مغبة الكذب والكذابين والنفاق والمنافقين .. حتى لا يعود لمثلها أبداً ، أما إذا ترك حبله على غاربة ، وأهمل ملاحظته وتوجهه ، فلا شك أن الولد درج على الكذب ، وأصبح عند الله وعند الناس كذاباً !!..

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك ظاهرة **الأمانة في الولد** ، فإن وجد الولد يمشي في طريق السرقة – ولو في الأشياء التافهة كسرقة القروش لأخوته ، أو القلم لرفيقه – فعليه أن يعالج ذلك بسرعة زائدة ، وأن يفهمه أن هذا حرام ، وهو من أخذ الأموال بغير حق .. كما عليه أن يغرس بذور المراقبة لله ، والخشية منه .. عسى أن يرعوي ، وينصلح حاله ، وتستقيم أخلاقه .. وإلا .. فان الولد – لا شك – سيدرج على الخيانة ، ويعتاد على الغش والسرقة ، بل يصبح شقياً خائناً مجرماً ، يستجير من سوء فعاله الناس والمجتمع !!.

– **وأن يلاحظ** المربي أيضا ظاهرة **حفظ اللسان في** الولد ، فإن وجده يتلفظ بالسباب ، ويتفوهّ بالشتائم ، وتصدر من لسانه الكلمات الشنيعة ، والألفاظ القبيحة .. فعليه أن يعالج هذه الظاهرة بحكمته ، وأن يعيرها جهده واهتمامه ، وأن يتعرف على الأسباب التي جعلت من ولده سليط اللسان ، بذيء الألفاظ .. ليقطع بينه وبينها ، ثم يبين له بأسلوب جذاب صفات الولد الخلوق ، ومزايا الإنسان الأديب .. عسى أن ينجذب إلى فضائل النفوس ، ومكارم الأخلاق ..

وأهم ما ينبغي أن يهتم له المربي في تهذيب لسان ولده إبعاد رفقة السوء عنه ، لأن منهم يأخذ ، ومن طباعهم يتأثر ويكتسب !!..

– **وأن يلاحظ** المربي أيضا ظاهرة **الخلق النفسي والإرادي** في الولد .. فإن وجد الولد يقلد غيره تقليداً أعمى ويُمعن في التنعّم والترف ، ويستمع إلى الموسيقى والغناء

الخليع ، ويتخنث في مظهره ، ويقف مواقف التهم ، ويخالط غير المحارم من النساء ويجلس إلى سهرات الرائي (التلفزيون) الداعرة ، ويذهب إلى دور السينما ، ويقرأ المجلات الخلاعية ، ويقتني الصور الجنسية والقصص الغرامية .. إذا وجد الولد يفعل شيئاً من هذا فعليه أن يعالج فيه هذه الظاهرة من التميع والانحلال ، بالموعظة الحسنة حيناً ، وبالتهديد أحياناً ، وبالترغيب تارة ، وبالعقوبة تارة أخرى .. وعليه أن يتّبع كل سبيل في إنقاذه وإصلاحه ، حتى يرى ولده في مصاف الأتقياء الأبرار ، وفي زمرة الصالحين الأخيار !!..

وكم يكون الأب مهتماً وحكيماً حين يدخل مكتب ولده فجأة على حين غرّةٍ منه ، لينظر ماذا يدرس ؟ وماذا يكتب ؟ ، وماذا يطالع ، أو بالأحرى ماذا يُفاجأ ؟... فقد يدخل ويرى ولده ينظر إلى صورة عارية ، أو يقلبّ صفحات مجلة خلاعية ، أو يقرأ في قصة مثيرة ، أو يدبّج رسالة لفتاة أحبها ، أو غير ذلك من المفاجآت غير المستحسنة ؟

وكم يكون الأب مهتماً وحكيماً حين يتأكد من ذهاب ابنته إلى المدرسة والرجوع منها ، فربما يتبيّن له أن ابنته تذهب الى أماكن موبوءة فيها سلب العرض ، وضياع الشرف .. أو لها علاقات غير شريفة مع شاب منحل مائع ؟!!.

وكم طالما سمعنا عن حوادث خلقية مؤسفة ، وعلاقات ذميمة مؤلمة .. يندى لها الجبين ، وتترك في النفس آهات مسعورة ما أقساها !!..

فظاهرة الملاحظة إذن من أعظم الظواهر في كشف الحقائق المستورة عن الولد ، وفي إزاحة السِّتار عما كان يفعله من شر ، ويقترفه من منكر .. بل تعطي للمربي الصورة الحقيقية الكاملة عن أخلاقية الولد وسلوكيته في الحياة ..

وبعد هذا كله يستطيع المربي أن يعالج انحراف الولد بالأسلوب المجدي ، والطريقة الملائمة .. ولا بد أن يصل في نهاية المطاف إلى حل تربوي حاسم ، فيه صلاح الولد ، وفيه إنقاذه وتوازنه وهدايته !!..

● **ومن ملاحظة الجانب العقلي والعلمي بالولد :**

– **ان يلاحظ** المربي ظاهرة **تحصيل الولد العلمي** ، وتكوينه الثقافي .. سواء أكان هذا التعليم في حقه فرض عين ، أو كان فرض كفاية ؟

فعلى المربي أن يلاحظ الولد هل تعلم ما كان في حقه فرض عين ؟ هل تعلم تلاوة القرآن الكريم ؟ هل تعلم ما يلزمه من أحكام العبادات ؟ هل تعلم أمور الحلال والحرام ؟ هل تعلم مغازي رسول الله ﷺ ؟ هل تعلم ما يجب تعليمه من أمور دينه ودنياه وآداب الإسلام ؟

فهذه الأمور مسؤول عن تعليمها ، وأن الله سبحانه سيسأله إن قصر فيها ..

ولن يعدم المربي الوسائل التي توصل الولد إلى هذا الإعداد الشرعي والتكوين الإسلامي ..

أما إذا كان الولد يتعلم ما كان تعلمه من قبيل الكفاية كأن يتعلم علم الطب أو الهندسة مثلا فعلى المربي أن يلاحظ مثابرته وتفوّقه ونضجه .. حتى إذا تخرج أفاد أمة الإسلام باختصاصه ، وأقام دعائم الحضارة فى المجتمع المسلم بعلمه وموهبته ..

ولن يعدم المربي أيضا الوسائل التي تجعل منه آيه في العلم والنبوغ والاختصاص !!. ونلفت نظر المربي في هذا الصدد أن لا يتهاون في فرض العين على حساب فرض الكفاية ، بل يجب التركيز على الأولى ثم الاهتمام بالثانية أو على الأقل الموازنة بين الفرضين ، ليتعلم الاثنين معاً .. وإلا .. فالمسؤولية كبيرة .

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك **توعية الولد الفكرية** من ناحية ارتباطه بالإسلام ديناً ودولة .. وبالقرآن الكريم ديناً وتشريعاً ، وبالرسول ﷺ إماماً وقدوة ، وبالتاريخ الإسلامي اعتزازاً وافتخاراً ، وبالثقافه الإسلامية روحاً وفكراً ، وبالتحرك الدعوي اندفاعاً وحماساً .. ولا يتأتى هذا إلا بملازمة الولد وتوجيهه وتشويقه إلى قراءة الكتب الفكرية ، والمجلات الدعوية ، والنشرات الإسلامية .. بين كل فترة وفترة .. ثم بتوجيهه إلى سماع المحاضرات الاسلامية المفيدة ، والخطب الحماسية المؤثرة .. ولا بأس أن

يضع بين يدي الولد مكتبة تجمع بين طياتها كل ما كتب عن الإسلام ، والدفاع عنه ، والرد على أعداء الله ..

ولا شك أن هذه الوسائل تجعل الولد فى مناعة حصينة من كل ما يكتبه المبشرون وشراذم الكفر والإلحاد .. بل تدفعه لينطلق للعمل الإسلامي بكل بسالة وإيمان ، وجرأة وشجاعة .. ليكون عضواً نافعاً في بناء المجتمع المسلم ، وإقامة دولة الإسلام !!..

وكم يتفطر قلب المربي ألما حين يجد ولده يحفظ في المدرسة سِيَرَ أولئك الفلاسفة الغربيين ، ويعلم الكثير عن شخصيات العظماء الشرقيين وآرائهم ونظرياتهم .. ولا يعلم عن تاريخ المسلمين ، وحياة العظماء ، وأخبار الفاتحين ، ونوابغ العلماء الإسلاميين .. سوى النزر القليل ؟

وكم يتألم المربي ويحزن حين يجد الولد قبل التخرج وبعده ، وقد مسخته الثقافات الأجنبية ، والأفكار الغربية أو الشرقية ، والمذاهب الاجتماعية والإلحادية .. حتى جعلت منه عدواً لدينه وتاريخه وأمجاده ؟!!..

فالتوعية الفكرية إذاً لها أهميتها ، وأثرها البالغ في تثبيت العقيدة الإسلامية ، وفي تكوين المسلم الحقيقي ، وفي إعطاء التصور الكامل عن الإسلام على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وباعث عزة ، ورائد مجد وقوة ..

وأن يلاحظ المربي أيضاً **الصحة العقلية** في الولد ، فكل ما يؤثر على عقل الولد وذاكرته واتزّانه فعليه أن يجنّبه إياه ، وأن ينهاه عنه ، وأن يبين له خطره المحدق على الجسم والعقل والنفس ..

وبناء على هذا وَجَبَ على المربي أن يلاحظ في الولد **مفسدة تناول الخمور والمخدرات** .. لكونها تفتك بالجسم ، وتورث الهستريا أو الجنون !!..

وعليه أن يلاحظ أيضاً **مفسدة العادة السرية** لكونها تورث السل ، وتضعف الذاكره ، وتسبب الخمول الذهني ، والشرود العقلي ، والقلق ، والانطوائية ، والخوف !!..

ويمكن أن يلاحظ كذلك مفسدة التدخين لكونه **يهيِّج الأعصاب ، ويؤثر على** الذاكرة ، ويضعف ملكة إحضار الذهن والتفكير ..

وعليه أن يلاحظ أخيراً **مفسدة النظر إلى مشاهد الخلاعة** من أفلام وتمثيليات وصور عارية .. لكونها تعطل وظيفة العقل ، وتقضي بشكل تدريجي على ملكة الاستذكار ، والتفكير الصافي .. فالصحة العقلية للولد هي من أهم ما يجب على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويؤكد عليها .. لأن العقل هو زينة الإنسان ، وتصرفاته الحكيمة المتزنة .. هي من أظهر ما يتميز بها .. وبقدر العناية والملاحظة والاهتمام .. يتحقق للولد الوقار والتعقّل والاتزان !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الجسمي بالولد :**

أن يلاحظ المربي في الولد **النفقة الواجبة عليه** من غذاء صالح ، ومسكن صالح ، وكساء صالح .. حتى لا تتعرض أجسامهم للأسقام ، وتنهك أبدانهم الأوبئة والأمراض ..

- **وأن يلاحظ القواعد الصحية** التي أمر بها الإسلام من مأكل ومشرب ومنام ..

فبالنسبة **للمأكل** فعلى المربي أن يلحظ في الولد احتماءه من التخمة وتناوله من الطعام والشراب فوق الاعتياد والحاجة ، وإدخاله الطعام على الطعام ..

وبالنسبة للمشرب فعليه أن يلحظ في الولد الشرب مثنى وثلاث .. ونهيه عن التنفس في الإناء ، ونهيه عن الشراب قائماً ...

وبالنسبة **للمنام** فعليه أن يلحظ في الولد النوم على الجانب الأيمن ، وعدم النوم بعد الطعام مباشرة ..

- **وأن يلاحظ** المربي - ولاسيما الأم - **التحرز من المرض الساري المعدي** في حالة الإصابة ، وذلك بعزل المريض المصاب عن بقية الأولاد حتى لا ينتشر المرض : ويستفحل الوباء ..

– **وأن يلاحظ** المربي **الوسائل الوقائية** في الحفاظ على صحة الولد ، وذلك بإرشاده ألا يأكل الفواكه فجّة ، والخضار قبل غسلها ، وأن يغسل يديه قبل الطعام ، وألا ينفخ في الإناء .. إلى غير ذلك من هذه التعاليم الصحية التي أمر بها الإسلام !!.

– **وأن يلاحظ تعويده على ممارسة الرياضة ، وألعاب الفروسية ، وعلى الأخذ بأسباب التقشف ، وعلى حياة الجد والرجولة ، وعدم الإغراق في التنعم** .. لينشأ الولد على القوة في الجسم ، والقوة في الإرادة ، والقوة في العدة والاستعداد ..

– **وأن يلاحظ** المربي أخيراً جميع الظواهر التي تفتك بالجسم ، وتضر بالصحة ، وتسبب الأمراض .. كظاهرة المسكرات والمخدرات ، وظاهرة التدخين ، وظاهرة العادة السرية ، وظاهرة الزنى واللواط .. فإنها في مجموعها تسبب أمراض السرطان ، وأمراض القلب ، وأمراض القرحة ، وأمراض تشمع الكبد ، وأمراض العقم ، وأمراض تصلُّب الشرايين .. وأمراض خطيرة أخرى أبان عنها الأطباء ، وحذر منها المختصون !!..

وفي حين ملاحظة أن المرض بدأ يظهر في الولد ، وتبدو للأعين أغراضه وآثاره .. على المربي أن يسارع إلى طبيب مختص لمعالجته امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الإمام أحمد والنسائي : –

« يا عباد الله تداووا ، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء » .

وفي هذا يكون المربي قد أخذ بأوامر الإسلام في المعالجة والاستشفاء ، ووسائل الوقاية ، واتباع الإرشادات الصحية والطبية .. وبهذا يسلم الجسم من الأمراض ، ويكون في مأمن من كل خطر طارىء ، ومرض عارض !!..

● **ومن ملاحظة الجانب النفسي بالولد :**

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **ظاهرة الخجل** ، فإن وجد فيه الانكماش والانطوائية ، والابتعاد عن مواجهة الناس والمجتمع .. فعليه أن ينمّي فيه الجرأة وحب الاجتماع بالآخرين ، وأنبل معاني الفهم والوعي والنضج الفكري والاجتماعي !!..

– **وأن يلاحظ** في الولد ظاهرة الخوف ، فإن وجد فيه الجبن والخوف ، والانهزام من الأحداث ، والهروب من الشدائد .. فعليه أن ينمي فيه جانب الثقة والثبات ، وناحية الإقدام والشجاعة .. حتى يستطيع أن يواجه الحياة بمشاكلها وأخطارها بنفسٍ رضيّةٍ ، ووجه بسّام ..

وواجب الأم على الخصوص ألّا تخوّف ولدها بالأشباح أو الظلام أو المخلوقات الغريبة ، وذكر الجنّ والعفاريت .. حتى لا يعتاد الولد الخوف ، ولا يجد إلى نفسه سبيلا !!..

– **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الشعور بالنقص** ، فإن وجد في الولد بعض هذا الشعور فعليه أن يعالجه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وبإزالة الأسباب التي أدت إليه ..

فإن كان من أسباب هذا الشعور **التحقير والإهانة** فعلى المربي أن يخاطب الولد بالنداء الطيب ، والخطاب الجميل ..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **اليُتم** فعلى المربي أن ينفخ في نفسية الولد روح الصبر والمصابرة والاعتماد على النفس في بناء الشخصية الإسلامية ، حتى يشق الولد طريقة ، ويحقق ما حققه غيره من الرجال الكبار ، والأغنياء العظام !!..

وإن كان من أسباب هذا الشعور **الحسد** فعلى المربي أن يعالج هذه الظاهرة بمحبة الولد . وتحقيق عدل المعاملة بينه وبين إخوته ، وإزالة كل سبب يؤدي إلى الحسد ..

– **وأن يلاحظ** في الولد **ظاهرة الغضب** ، فإن وجد المربي أن الولد يغضب لأتفه سبب فعليه أن يعالج ذلك بإزالة أسبابه :

فإن كان من أسباب الغضب **المرض** فعلى المربي أن يسارع إلى معالجته طبياً ..

وإن كان من أسباب الغضب **الجوع** فعلى المربي أن يسارع إلى إطعامه في الوقت المناسب .

وإن كان من أسبابه **التقريع** من غير حق فعليه أن ينّزه لسانه عن كلمات الإهانة والتوبيخ .

وإن كان من أسبابه **الدلال والتنعم** فعليه أن يعامله بالمعاملة العادية ، ويعوّده على التقشف ..

وإن كان من أسبابه الهزء والسخرية .. فعليه تجنيب الولد كل انفعال وإثارة ..

كما على المربين جميعاً أن يأخذوا بقواعد الإسلام في تسكين الغضب[1] ، وأن يعلّموه أولادهم حتى يسكن غضبهم إذا غضبوا ، وتخفّ حدّتهم إذا ثاروا !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الاجتماعي بالولد :**

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **أداء حقوقه للآخرين** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في حق نفسه أو أمه ، أو في حق إخوته وأقربائه ، أو في حق جاره ، أو في حق معلمه ، أو في حق الكبير .. فعليه أن يبين له مغبة هذا التقصير ، ونتائج هذه المعاملة .. لعله يفهم ويسمع ويرعوي ، ويكف عما هو فيه من إخلالٍ في الحقوق ، وتهاونٍ في الآداب ، وتقصير في المسؤوليات .. ولا شك أن الملازمة التامة ، والملاحظة ، والتنبيه الدائم .. تجعل من الولد إنساناً يَقِظاً فَطناً أديباً خلوقا يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة من غير تهاون أو تواكل أو تقصير !!.

– **وأن يلاحظ** المربي في الولد أيضاً **آداب الاجتماع مع الآخرين** .. فإذا وجد في الولد تقصيراً في أدب الطعام ، أو أدب المزاح ، أو أدب الحديث ، أو أدب العطاس ، أو أدب التعزية .. أو غيرها من الآداب الاجتماعية الأخرى .. فعلى المربي أن يبذل أقصى جهده ، وكل ما في وسعه ليؤدّب الولد بأدب الإسلام ، ويعوده على أفضل العادات ، وأكرم الخصال ..

---

(١) وقد سبق بيانه في بحث « ظاهرة الغضب » في مبحث « مسؤولية التربية النفسية » فارجع إليه في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » .

ولا شك أن هذا التأديب المستمر ، والتعويد الدائم .. يجعل من الولد انساناً يقوم بواجبه الأكمل في احترام الآخرين ، والتأدب معهم ، وإعطائهم حقهم من غير تواكل ولا تقصير !!..

– **وأن يلاحظ** المربي في الولد كذلك **المشاعر النبيلة مع الآخرين** فإذا وجد الولد يتصف بالأنانية أرشده إلى الإيثار ، وإذا وجده يميل الى نزعة التباغض غرس فيه بذور المحبة والصفاء ، وإذا وجده لا يحل حلالًا ، ولا يحرم حراماً .. أمره بالتقوى ، وذكّره بعذاب الله والآخرة .. حتى تتأصل في نفسه عقيدة المراقبة لله ، والخشية منه .. وإذا وجد الولد قد ناله أذىً من مكروه أو مرض رسّخ في جنانه وأعماق قلبه عقيدة الرضى بالقضاء والقدر .. وهكذا يستطيع المربي أن يغرس في نفسيه الولد هذه الأصول النفسية من الإيمان والتقوى والمراقبة ، وأن يزرع في قلبه الطاهر مشاعر الإيثار والمحبة والتعاطف والصفاء .. حتى إذا شبّ وترعرع وبلغ سن التكليف أدى حق الله ، وحق نفسه ، وحق العباد .. وأصبح إنساناً سوياً ، ورجلًا عاقلا حكيماً .. يُشار إليه بالبنان ، بل يكون له في القلوب احترام ، وفي النفوس إعزاز وإجلال !!..

● **ومن ملاحظة الجانب الروحي بالولد :**

– **أن يلاحظ** المربي في الولد **جانب المراقبة لله سبحانه** وذلك بإشعاره دائماً أن الله سبحانه يسمعه ويراه ، ويعلم سره ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ..

وبإشعاره أن الله سبحانه لا تخفى عليه خافية من أمر السموات والأرض .. ولا يتأتى هذا إلا بإرشاده الى الإيمان بالله ، وقدرته المعجزة ، وإبداعه الرائع ، والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع .. فعندئذ يستشعر هذه المراقبة وهو يعمل ، ويستشعرها وهو يفكر ، ويستشعرها وهو يحس .. بل تصبح المراقبة أصلا مترسخاً في كيانه ، ودعامة مستولية على قلبه وأحاسيسه ومشاعره .. وما أحوج الولد وهو صغير إلى مثل هذا التوجيه الهادف ، والتربية الإيمانية النافعة !!..

– **وأن يلاحظ** المربي ايضاً جانب **الخشوع والتقوى والعبودية** لله ربّ العالمين ، وذلك بتفتيح بصيرة الولد على عظمة الله الشاملة .. في الصغير والكبير ، في الجامد والحي ، في النبتة النابتة ، والشجرة النامية ، في الزهرة الفوّاحة الزاهية الألوان ، في ملايين الملايين من الخلائق المتنوعة العجيبة الصنع ، البديعة الخلق .. **فما يملك القلب** إزاء هذا .. إلا أن يخشع لعظمة الله ، وما تملك النفس الإنسانية تجاه هذا .. إلا أن تستشعر تقوى الله وعبوديته .. بل تجد في ذلك لذة الطاعة ، وحلاوة العبادة لله رب العالمين .

ومما يقوّي في الولد جانب هذا الخشوع ، ويرسّخ في كيانه حقيقة هذه التقوى ترويضه وهو في سن التعقّل والتمييز على التخشّع في الصلاة ، والتحزّن والبكاء أو التباكي عند السماع لآيات القرآن .. وهذه الصفات إذا درج عليها ، وقام على تطبيقها .. أصبح لا شك من الربانيين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. بل دخل روضة الصالحين ، وأصبح من الذين قال الله عنهم .

﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .

(يونس : ٦٢ ـ ٦٣)

– **وأن يلاحظ** المربي كذلك **جانب التطبيق للعبادة** وذلك بأمره بالصلاة وهو في سن السابعة امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام : « **مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين** ... » . ويقاس على الصلاة ترويضه وهو صغير على صيام بعض الأيام في رمضان إذا كان الولد يطيقه ، وأخذه لأداء مناسك الحج إذا كان المربي يستطيعه ، وكذلك تعويده على الإنفاق في سبيل الله ولو دراهم معدودات بين كل فترة وفترة .. ليعتاد فريضة الزكاة حين يصبح في نظر الشريعة مكلفاً ، وفي أعين المسلمين مسؤولًا .. ومع هذا وهذا وجب على المربي أن يصحب الولد إلى مجالس العبادة والذكر ، وأن يحضر معه حلقات العلم والفقه ، وأن يهيىء له من يعلمه التلاوة وتفسير القرآن الكريم ، وأن يسمعه كلام العلماء الربانيين المخلصين .. يفعل المربي

كل هذا .. حتى تصفو نفس الولد بالعبادة ، وينجلي قلبه بذكر الله ، ويرقّ فؤاده بأخبار العارفين الصالحين ، ويتحرك وجدانه بسِير الرعيل الأول من أصحاب رسول الله أجمعين ..

وعلى المربي أن يركز في الولد **ظاهرة المجاهدة النفسية والروحية** ، وأن يلاحظ الولد إلى أية حالة يصل ، وإلى أي مدى يتأثر .. كما أن عليه أن يوازن في تربية الولد بين المجاهدة الروحية والمجاهدة الدعوية والسياسية .. حيث يهتم لجهاد الظلم والكفر كما يهتم لجهاد النفس الأمارة .. لأن المربي إذا أهمل فى الولد واجب الدعوة الى الله ، وواجب الجهاد السياسي والقتالي .. وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..فإن الولد – لا شك – يتربى على العزلة والانطوائية والتواكل .. والرضى بالأمر الواقع ، والفرار يوم الزحف ، والخضوع لسلطان المستبدين والظالمين !!..

فهذه الموازنة بين جهاد النفس ، وجهاد السياسة هي التي تدفع الولد الى أن يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، يؤدي حق الله في المراقبة والعبادة .. ويؤدي حق الإسلام في إقامة حكمه في الأرض ، والإطاحة بالطواغيت الذين يناهضون حكم الإسلام .. وفي هذا يكون الولد قد جمع بين المصحف والسيف ، والدين والدولة ، والعبادة والسياسة .. وصدق في حقه قول القائل :

شبابٌ ذلّلوا سبل المعالي
وما عرفوا سوى الإسلام دينا
إذا شهدوا الوغى كانوا كماةً
يدكّون المعاقل والحصونا
وإن جنّ الظلام فلا تراهُمْ
من الإشفاق إلا ساجدينا
كذلك أخرج الإسلام قومي
شباباً طاهراً حرّاً أمينا

– **وأن يلاحظ** المربي أخيراً **جانب التطبيق للأدعية المأثورة**[١] .. وذلك بتحفيظ الولد أهم ما ينبغي أن يحفظه من أدعية الصباح والمساء ، والنوم واليقظة ، والطعام والشبع ، والدخول الى البيت والخروج منه ، ولبس الثوب وخلعه ، وكذلك أدعية السفر ، والاستخارة ، والمطر ، والهلال ، والأرق ، والمرض ، والحزن .. الى غير ذلك من هذه الأدعية الواردة ، والمأثورات الثابتة الصحيحة ..

ولا شك أن المربي إذا لاحظ تعليم الولد لهذه المأثورات ، وراقب جانب حفظه لها ، وتطبيقه إياها .. فإن الولد يزداد خشية من الله ، وتقوى في نفسه ظاهرة التقوى والمحاسبة .. وهذا من العوامل المؤثرة في تربية الولد إيمانيا وخلقيا ، وفي تكوينه روحيا ونفسيا واجتماعيا .. وعندئذ يستقيم أمر الولد ، وتنصلح أقواله وأفعاله ، ويصبح كالملك يمشي على الأرض طهرا وبراءة وصفاء ..

وما أحسن ما قال بعضهم في إيقاظ الضمير ، ومراقبة الله عز وجل :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
خلوتُ ولكن قل : عليّ رقيبُ
ولا تحسبنّ الله يغفل ساعةً
ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

★ ★ ★

تلك – أخي المربي – منهج الإسلام في التربية بالملاحظة ، وإنه – كما رأيت – لمنهج قويم .. لو أخذت بأسسه وتعاليمه ، وسرت على هديه وقواعده .. لأصبح ولدك قرة عين لك ، ولبنةً صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هاماً نافعاً في جسم الأمة الإسلامية الواحدة .. فاحرص – أيها المربي – على ملاحظة ولدك ، وكن معه أينما توجّه ، كن معه بنفسك ، وكن معه بفكرك ، وكن معه باهتمامك ، وكن معه بملازمتك ومراقبتك ...

---

(١) ارجع إلى كتاب « الأذكار » للامام النووي ، وكتاب « الأدعية والاذكار » للشيخ العالم عبد الله سراج الدين ، وكتاب « المأثورات » للامام الشهيد حسن البنا فإن فيها كل ما يريد تعليمه المربي من أدعية ومأثورات .

لاحظه في إيمانه ، لا حظه في روحه ، لاحظه في أخلاقه ، لاحظه في عمله ، لاحظه في اجتماعه مع غيره ، لاحظه في وضعه النفسي ، وفي مزاجه العصبي .. لاحظه في كل شيء ...، ليكون ولدك رجلا ، مؤمناً تقياً .. له في القلوب احترام ، وفي النفوس إجلال ، وبين الناس مقام محمود .. وما ذلك ببعيد ، إن أحسنت تربيته ، وقمت على أمره ، وأديت ما عليك نحوه من حقوق ومسؤوليات !!..

★ ★ ★

٥ – التربيـة بالعُقُوبَـة

إن أحكام الشريعة الإسلامية الغراء بعدلها القويم ، ومبادئها الشاملة تدور حول صيانة الضرورات الأساسية التي لا يستطيع الإنسان أن يستغني عنها ، ويعيش بدونها .. وقد حصرها أئمة الاجتهاد ، وعلماء أصول الفقه بخمسة أمور ، وسمّوها (الضروريات الخمس) ، أو الكليات الخمس وهي : (حفظ الدين ، وحفظ النفس ، وحفظ العرض ، وحفظ العقل ، وحفظ المال) ، وقالوا : إن كل ما جاء في نظام الإسلام من أحكام ومبادىء وتشريعات .. ترمي إلى صيانة هذا الكليات ، وتهدف إلى رعايتها وحفظها ..

ووضعت الشريعة في سبيل المحافظة على هذه الكليات عقوبات زاجرة وأليمة لكل من يتعدّى عليها ، وينتهك حرمتها ..

وهذه العقوبات تعرف بالشريعة **باسم الحدود** ، **وباسم التعزيرات** .

أما الحدود :

فإنها عقوبات مقدّرة بتقدير الشرع تجب حقاً لله تعالى ، وهي :

١ – حد الارتداد : القتل إن أصرّ على ترك الدين أو الإلحاد بعد الاستتابة ، وإذا قُتل لا يغسل ولا يكفّن ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين .

والأصل في هذه العقوبة ما رواه الستة والإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « لا يحل دم أمرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيبّ الزاني (المتزوج الزاني) ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، والمفارق للجماعة » ، وعنه أيضاً : « مَنْ بدّل دينه فاقتلوه » .

٢ – **حد قتل النفس** : القتل إن كان القتل عمداً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلي الحرّ بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى .. ﴾

(البقرة : ١٧٨)

٣ ـ **حد السرقة :** قطع يد السارق من الرسغ إن كانت من غير حاجة أو اضطراب لقوله تبارك وتعالى :

﴿ السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم ﴾

(المائدة : ٣٦)

٤ – **حد القذف** : الجلد ثمانون جلدة ، وعدم قبول الشهادة لقوله تبارك وتعالى :

﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون ﴾ .

(النور : ٤)

٥ ـ **حد الزنى :** الجلد مئة جلدة إذا كان الزاني غير محصن (أي غير متزوج) ، والرجم حتى الموت إن كان الزاني محصناً[1] .

أما الجلد مئة فلقوله تبارك تعالى :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ .

(النور : ٢)

وعند الإمام الشافعي يجب التغريب لمدة عام لكل من الزاني والزانية بلا تفرقة ، لما ثبت في السنة . وعند الإمام أبي حنيفة التغريب لمدة عام غير واجب وهو عنده من باب السياسة الشرعية إذا رأى الامام ذلك .

---

(١) المحصن : وهو الذي أصاب زوجته بعقد نكاح .

أما الرجم حتى الموت فلحديث ما عز بن مالك ، والمرأة الغامدية ، فإن الرسول ﷺ أمر برجمهما لكونهما محصنين .

٦ – **حد الإفساد في الأرض** : القتل ، أو الصلب ، أو قطع الأيدي والأرجل من خلاف ، أو النفي من الأرض . عند جمهور الفقهاء : – منهم الشافعي والإمام أحمد – أن قُطّاع الطريق إذا قتلوا وأخذوا المال قُتلوا ولم يُصلبوا ، وإذا أخذوا المال ولم يقتُلوا قُطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف(١) . وإذا أخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نُفوا من الأرض ، وهذا القول قريب من قول أبي حنيفة ، وقال البعض : إن الامام مخير بالعقوبة التي يراها زاجرة ومحقّقة للمصلحة . والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يُقتَلوا أو يُصلبُوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خِزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ .

(المائدة : ٣٣)

٧ – **حد شرب الخمر** : وحدُّه من الأربعين إلى الثمانين جلدة .

لما روي أن الصحابة رضوان الله عليهم قدّروا ضرب الخمر على عهد رسول الله ﷺ بأربعين ، وروى الشوكاني : أن النبي ﷺ جلد شارب الخمر بجريدتين نحو أربعين ، وروى أبو سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ضرب في الخمر أربعين ..

أما الثمانون جلدة فهي من اقتراح عمر ، وقد استشار الصحابة فأشاروا إليه بأن يجعلها ثمانين لما رأوا البعض قد تمادوا في شرب الخمر ، ولهم في ذلك حجة ، فقد أثر عن علي كرم الله وجهه قوله : « إنه إذا شرب الخمر سكر ، وإذا سكر هذى ، وإذا هذى افترى » ، فقاسوا ذلك على حد القذف ، فجعل عمر رضي الله عنه – بعد هذه الاستشارة – الحدّ بقية أيامه ثمانين بعد أن كان يجلد أربعين .

---

(١) القطع من خلاف : قطع يد اليمين مع رجل الشمال .

فحدّ الخمر إذن أربعون جلدة ، وللإمام أن يزيد إلى الثمانين إذا لم تكن الأربعون رادعة للبعض كما فعل عمر رضي الله عنه .

أما التعزيرات :

فهي عقوبات غير مقدّرة تجب حقاً لله أو لآدمي في كل معصية ليس فيها حدّ ولا كفارة وهي كالحدود في الزجر والتأديب الاستصلاحي للأمة ..

وإذا كانت العقوبة التعزيرية غير مقدرة فللحاكم أن يفرض العقوبة التي يراها مناسبة فقد تكون توبيخاً ، وقد تكون ضرباً ، وقد تكون حبساً ، وقد تكون مصادرة .. على ألّا تبلغ حداً من الحدود .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن الإسلام شرع هذه العقوبات من الحدود والتعزيرات لأجل تحقيق حياة هانئة رضية من الأمن والاستقرار .. فلا يتعدى ظالم على مظلوم ، ولا يستبد قوي بضعيف ، ولا يتحكم غني بفقير .. وإنما الكل أمام الحق سواء لا فضل لعربي على أعجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى ، وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ .

(البقرة : ١٧٩)

وهذا هو المقصود من قوله عليه الصلاة والسلام : « والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » ..

■ ■ ■

والعقوبة مهما كانت سواء أكانت عقوبة قصاص أو عقوبة تعزير .. فهي العلاج الحاسم الحازم لمعالجة الشعوب ، وإصلاح الأمم ، وتثبيت دعائم الأمن والاستقرار في ربوع الإنسانية جمعاء .. والأمة التي تعيش بلا عقوبة لمجرميها فهي أمة منحلة متميّعة متفككة الكيان ، متقطعة الروابط والأوصال ، تعيش في فوضى اجتماعية دائمة ، وفي تخبّط من الإجرام مستمر ، وأكبر مثل نضربه على هذا

أمريكا ، فإن علماء التربية الحديثة عند معظمهم ينفّرون من العقوبة ، ويكرهون ذكرها على اللسان ! بل نشروا من التوعية ، ووضعوا من النظم ما يكفل هذا الاتجاه ، وما يحقق هذه الرغبة .. فكان من نتيجة ذلك أن نشأ عندهم جيل منحل مائع متفلّت من المسؤولية ، متعطِّش للفساد والإجرام .. وهذا ما حدا بالرئيس السابق « **كنيدي** » بأن يصرح عام /١٩٦٢/ : (بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحل غارق في الشهوات . لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه . وإن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات والتفلت من قيود المسؤولية والأخلاق أفسدت عليهم لياقتهم الطبية والنفسية)[١] .

وقد صرحت المربية الاجتماعية الأمريكية (مرغريت سميث) مثل هذا التصريح في جريدة الأحد اللبنانية في العدد ذي الرقم /٦٥٠/ : (إن الطالبة لا تفكر إلا بعواطفها ، والوسائل التي تتجاوب مع هذه العاطفة ، إن أكثر من ستين بالمئة من الطالبات سقطن في الامتحانات ، وتعود أسباب الفشل إلى أنهن يفكرن في الجنس ، وتعاطي المخدرات .. أكثر من دروسهن وحتى مستقبلهن . وإن /١٠/ بالمئة منهن فقط مازلن محافظات ..) .

هذا عدا عن العصابات الإجرامية المنتشرة في أمريكا هنا وهناك ، وكلها خطر على الأنفس ، وخطر على الأموال ، وخطر على الأعراض ، وخطر بشكل عام على الأمن والاستقرار .. كل ذلك للتهاون في العقاب ، والاتجاه في التربية نحو اللين والتسامح ، وعدم أخذ المجرمين بالعلاج الحاسم ، والعقوبة الرادعة ، والشدة الزاجرة الصارمة !!..

فالله سبحانه حين سنّ لعباده قانون العقوبات هو أعلم بما سنّ لهم ، فلولا أنه يعلم أن العقوبة تحقق للفرد الأمن ، وللمجتمع الاستقرار لما شرع لهم هذه الحدود ، ولما وضع في تشريعه الخالد هذه العقوبات الزاجرة .. وما هي في الحقيقة إلا علاج

(١) عن كتاب « الثورة الجنسية » لجورج بالوشي .

ناجع ، وبلسم شاف لتطهير المجتمع من إجرام المفسدين ، ومن غدر الخائنين ، ومن ظلم المستبدين !!..

وفي **تطبيقات الخلفاء** لقانون العقوبات الإسلامية عبر العصور أكبر شاهد على انحسار الجرائم الاجتماعية عن المجتمع الإسلامي ، ونادر جداً أن تسمع عن حادثة قتل ، أو وقوع سرقة ، أو انتهاك عرض ، أو تجرع خمرة . أو الدعوة الصريحة السافرة إلى عقيدة باطنية أو مبدأ هدّام .. لماذا ؟ لأن عين الدولة ساهرة ، والحدود الشرعية مطبقة ، والتعاون على إزالة المنكر قائم ، والأخذ على يد المفسدين متحقق .. بل كان القاضي في هذه العصور – ولاسيما عصر الراشدين – يجلس على منصة القضاء سنتين ولم يحتكم إليه اثنان ، لأن المجرم الذي يريد أن يرتكب الجريمة إذا لم يكن عنده من الايمان الذي يردع ، والخشية من الله التي تزجر .. فإنه كان يحسب ألف حساب للعقوبة الزاجرة التي فرضها الإسلام .. فكان يكف عن القتل لعلمه أنه سيُقتل ، ويكف عن السرقة لعلمه أن سيُقطع ، ويكف عن الفاحشة لعلمه أنه سيُرجم أو يجلد . ويكف عن الدعوة إلى الإلحاد وعقائد الكفر لعلمه أنه سيبتر ويُعدم .. وهكذا يكف عن جميع الجرائم الاجتماعية لما يتحسّبه من عقوبة رادعة ، وأخذ بالذنب كبير !!..

وعلينا أن نميز بين العقوبات التي هي من اختصاص الدولة ، وبين العقوبات التي يجب أن ينتهجها الأبوان في الأسرة ، أو المربون في المدرسة ..

فالعقوبة التي يصل خبرها للدولة ان كانت من قبيل الحدود ، لا يجوز للحاكم أن يتغاضى عنها ، ولا يتساهل فيها ، ولا يقبل أيه شفاعة أو وساطة للحيلولة دون تنفيذها .. والدليل على هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام ردّ بحزم شفاعة أسامة ابن زيد حين جاءه ليشفع في المرأة المخزومية التي سرقت ، ثم خطب في الناس ونبههم الى أن طريق انحطاط الأمم وانقراضها إنما هو سلوك سبيل الظلم ، وعدم تطبيق مبدأ العدل ، فمما قاله عليه الصلاة والسلام : « أما بعد ، فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ،

وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمه بنت محمد سرقت لقطعتُ يدَها » ، ثم أمر بقطع يدها فقُطعت .

وإن كانت من قبيل التعزيرات فالعقوبة واجبة لابد منها ، وأمر تقديرها يرجع إلى رأي الحاكم يفعل ما يراه المصلحة ، وهي تتراوح ما بين التحذير إلى التوبيخ إلى الضرب إلى الحبس إلى المصادرة ...

وهي تتفاوت على حسب الشخص سناً وثقافة ومنزلة ...، فمنهم من تكفيهم الموعظة الرقيقة ، ومنهم من يكفيهم التوبيخ ، ومنهم لا يصلح ردعهم إلا بالعصا ، ومنهم لا ينحجب شرهم إلا بالسجن .. ومنهم .. ومنهم ... وصدق من قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة

أما العقوبات التي ينتهجها المربون في البيت أو المدرسة فإنها تختلف كمّاً وكيفية وطريقة عن عقوبات عامة للناس .

وإليك – أخي المربي – الطريقة التي انتهجها الإسلام في عقوبة الولد :

١ – معاملة الولد باللين والرحمة هي الأصل :

– روى البخاري في الأدب المفرد : « عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش » .

– وروى الآجري : « عرّفوا ولا تعنّفوا » .

– وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ بعثه ومعاذاً إلى اليمن وقال لهما : « يسّرا ولا تعسّرا وعلّما ولا تنفّرا » .

– وروى الحارث والطيالسي والبيهقي : « علّموا ولا تعنّفوا فإن المعلم خير من المعنّف » .

فيدخل الولد بهذه التوجيهات النبوية دخولا أولياً باعتبار أنه محط الرعاية ، ومحل العطف ..

ومما يؤكد أن المعاملة بالرفق واللين هي الأصل ملاطفة الرسول ﷺ للأولاد ، وسبق أن ذكرنا الكثير من الأمثلة والشواهد فى مبحث « التربية بالقدوة » عن اهتمامه عليه الصلاة والسلام بالأطفال ، ورحمته بهم ، وملاطفته لهم ، وممازحته إياهم ، فارجع اليه تجد ما يشبع الفكر ، ويشفي الغليل !!..

٢ – مراعاة طبيعة الطفل المخطىء في استعمال العقوبة :

الأولاد يتفاوتون فيما بينهم ذكاء ، ومرونة واستجابة .. كما أن أمزجتهم تختلف على حسب الأشخاص ، فمنهم صاحب المزاج الهادىء المسالم ، ومنهم صاحب المزاج المعتدل ، ومنهم صاحب المزاج العصبي الشديد .. وكل ذلك يعود إلى الوراثة ، وإلى مؤثرات البيئة ، وإلى عوامل النشأة والتربية ..

فبعض الأطفال ينفع معهم النظرة العابسة للزجر والإصلاح ، وقد يحتاج طفل آخر إلى استعمال التوبيخ في عقوبته ، وقد يلجأ المربي الى استعمال العصا في حالة اليأس من نجاح الموعظة ، واستعمال طريقة التوبيخ والتأنيب ..

وعند كثير من علماء التربية الإسلاميين – ومنهم ابن سينا والعبدري وابن خلدون – أنه لا يجوز للمربي أن يلجأ إلى العقوبة إلا عند الضرورة القصوى ، وأن لا يلجأ إلى الضرب إلا بعد التهديد والوعيد وتوسط الشفعاء .. لإحداث الأثر المطلوب في إصلاح الطفل ، وتكوينه خلقياً ونفسياً ..

وقد قرر ابن خلدون في مقدمته أن القسوة المتناهية مع الطفل تعوده الخور ، والجبن ، والهروب عن تكاليف الحياة .. فمما قاله : (من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم .. سطا به القهر ، وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له) .

وقد أسهب ابن خلدون فى توضيح ما ينشأ من الأثر السيء ، والنتائج الوخيمة .. بسبب القهر واستعمال الشدة والعنف في الولد فقال : (إن من يعامل

بالقهر يصبح حِمْلا على غيره ، إذ هو يصبح عاجزاً عن الذود عن شرفه وأسرته لخلوّه من الحماسة والحميّة على حين يقعد عن اكتساب الفضائل ، والخلق الجميل .. وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى إنسانيتها) . وهذا الذي ذكره ابن خلدون يتفق كل الاتفاق مع التوجيه النّبوي الذي سبق ذكره في الملاطفة والرفق واللين ، وينسجم تماماً مع المعاملة الرفيقة الرحيمة التي كان النبي ﷺ يعامل عليها الأولاد جميعاً ، ويتلاءم أيضاً مع المعالجة الحكيمة التي كان عليه الصلاة والسلام يعالج بأسلوبها مشاكل الناس ، وأبناء المجتمع على اختلاف أعمارهم ، وتباين طبقاتهم .. بل كان رجال السلف وأصحاب المناصب العالية يأخذون أولادهم بالحكمة والرفق واللين .. ولا يلجؤون الى العقوبة الشديدة إلا بعد اليأس من استعمال أسلوب الموعظة والتأنيب . ومما ترويه كتب التاريخ أن الخليفة الرشيد طلب إلى « الأحمر » مؤدب ولده ألا يدع ساعة تمرّ دون أن يغتنم فائدة تفيده من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ، وألّا يمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، ويقوّمه ما استطاع بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليه بالشدة والغلظة .. والأمثلة على **ذلك كثيرة ومستفيضة قد نثرناها في ثنايا كتاب التربية في أقسامه الثلاثة** .

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن على المربي أن يكون حكيماً في استعمال العقوبة الملائمة التي تتفق مع ذكاء الطفل وثقافته ومزاجه ، كما عليه ألاّ يلجأ إلى العقوبة إلا في مرحلتها الأخيرة .

٣ – التدرج في المعالجة من الأخف إلى الأشد :

مما نوهنا عنه قبل قليل أن العقوبة التي يجريها المربي للولد يجب أن تكون في مرحلتها الأخيرة ، ومعنى هذا أن هناك مراحل من المعالجة والتأديب يجب أن يمر عليها المربي قبل اللجوء إلى الضرب لعلها تؤدي الغرض في تقويم اعوجاج الطفل ، ولعلها تصلح من شأنه ، وترفع من مستواه الأخلاقي والاجتماعي . وتجعله إنساناً سوياً !!..

لأن المربي كالطبيب – كما يقول الإمام الغزالي –، كما أن الطبيب لا يجوز أن يعالج المرضى بعلاج واحد مخافة الضرر . كذلك المربي لا يجوز أن يعالج مشاكل الأولاد ،

ويقوّم اعوجاجهم بعلاج التوبيخ وحده مثلًا مخافة ازدياد الانحراف عند البعض ، أو الشذوذ عند الآخرين .. ومعنى هذا أن يعامل كل طفل المعاملة التي تلائمه ، ويبحث عن الباعث الذى أدى إلى الخطأ وعن عُمُر المخطىء ، وثقافته ، والبيئة التى يكتسب منها .. كل ذلك مما يساعد المربي على فحص علة الانحراف في الولد ، وتشخيص مرضه .. ليصف له العلاج الذي يناسبه . ومتى عرف المربي مكمن الداء ، وشخّص موضع العلّة يستطيع أن يصف له العلاج الملائم ، ويسلك معه الأسلوب الأفضل .. حتى يصل بالولد في نهاية الشوط إلى روضة الأصحاء ، وشاطىء المتّقين .

والرسول عليه الصلاة والسلام قد وضع أمام المربين طرقاً واضحة المعالم لمعالجة انحراف الولد ، وتأديبه ، وتقويم اعوجاجه ، وتكوينه الخلقي والنفسي .. حتى يأخذ المربون بأحسنها ، ويختاروا أفضلها في التأديب والمعالجة ، ولابدّ أن يصلوا في نهاية المطاف إلى إصلاح الولد وتهذيبه ، وجعله إنساناً مؤمناً تقياً !!.

والطرق التي فتح معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام هي :

١ - الإرشاد إلى الخطأ بالتوجيه :

روى البخاري ومسلم عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال : كنت غلاماً في حِجْر رسول الله ﷺ (إي تحت رعايته) ، وكانت يدي تطيش في الصّحْفَة (أي تتحرك هنا وهناك في القصعة) ، فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلامُ سمِّ الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أرشد عمر بن أبي سلمة إلى الخطأ بالموعظة الحسنة ، والتوجيه المؤثر المختصر البليغ ..

٢ - الإرشاد إلى الخطأ بالملاطفة :

روى البخاري ومسلم عن سهل بن سعد رضي الله عنه :

أن رسول الله ﷺ أتي بشراب فشرب منه ، وعن يمينه غلام ، وعن يساره أشياخ ، فقال الرسول ﷺ للغلام : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟ - وهذه هي

الملاطفة وأسلوب التوجيه -- ، فقال الغلام : لا والله ، لا أوثر بنصيبي منك أحداً ، فتلّه رسول الله ﷺ في يده (أي وضع الشراب في يده) ، وهذا الغلام هو عبد الله بن عباس .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلّم الغلام التأدب مع الكبار في إيثار حقه في الشراب لهم ، وهذا هو أفضل ، وقد قال له مستأذناً وملاطفاً وموجهّاً : أتأذن لي أن أعطي هؤلاء ؟

٣ - الإرشاد إلى الخطأ بالإشارة :

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان الفضل رديف رسول الله ﷺ ، فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه ، وجعل رسول الله ﷺ ، يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت : يارسول الله ، إن فريضة الله تعالى على عباده فى الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ، أفأحجّ عنه ؟، قال نعم ، وذلك في حجة الوداع .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ النظر إلى الأجنبيات بتحويل الوجه إلى الشق الآخر ، وقد أثر ذلك في الفضل .

٤ - الإرشاد إلى الخطأ بالتوبيخ :

روى البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : سابَبْتُ رجلًا ، فعيّرتُه بأمّه (قال له يا ابن السوداء) ، فقال رسول الله ﷺ يا أبا ذر : « أعيّرتَه بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولاتكلفوهم من العمل مالا يطيقون ، وإن كلفتموهم فأعينوهم » .

فلقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام عالج خطأ أبي ذر حين عيّر الرجل بسواده بالتوبيخ والتأنيب : وذلك في قوله : يا أبا ذر (إنك امرؤ فيك جاهلية) . ثم وعظه بما يلائم المقام ، وما يناسب التوجيه !!.

٥ – الإرشاد إلى الخطأ بالهجر :

– روى البخاري ومسلم عن ابي سعيدرضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الخَذْف (أي رمي الحصى بالسبّابة والإبهام) ، وقال : « إنه لا يقتل الصيد ، ولا ينكأ العدوّ ، وإنه يفقأ العين ويكسر السنّ » ، وفي رواية : أن قريباً لابن مُغفّل خَذَف ، فنهاه وقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ، وقال « إنها لا تصيد صيداً ... » ، ثم عاد ، فقال : أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، ثم عدت تخذف ؟ لا أكلمك أبداً !!.

وروى البخاري أن كعب بن مالك حين تخلّف عن النبي ﷺ في تبوك قال : « نهى النبي ﷺ عن كلامنا ، وذكر خمسين ليلة .. » حتى أنزل الله توبتهم في القرآن الكريم .

وروى السيوطي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما هجر ابناً له إلى أن مات ، لأنه لم يَنْقد لحديث ذكره له أبوه عن رسول الله ﷺ : « نهى فيه الرجال أن يمنعوا النساء من الذهاب إلى المساجد » .

لقد رأيت أنه عليه الصلاة والسلام والرعيل الأول من أصحابه كانوا يعاقبون بالهجر في إصلاح الخطأ ، وتقويم الاعوجاج ، حتى يرجع المنحرف إلى جادة الصواب ..

٦ – الإرشاد إلى الخطأ بالضرب :

– روى أبو داود والحاكم عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرّقوا بينهم في المضاجع » .

– وفي سورة النساء :

﴿ واللاتي تخافون نشوزهنّ فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ﴾

(آية : ٣٤)

لقد رأيت أن العقوبة بالضرب أمر أقره الإسلام ، وهو يأتي بالمرحلة الأخيرة بعد الوعظ والهجر ، وهذا الترتيب يفيد أن المربي لا يجوز له أن يلجأ إلى الأشد إذا كان ينفع الأخف ، ليكون الضرب هو أقسى العقوبات على الإطلاق ، ولا يجوز اللجوء إليه إلا بعد اليأس من كل وسيلة للتقويم والإصلاح !!.. علماً أنه عليه الصلاة والسلام ما ضرب امرأة من نسائه قط .

٧ – الإرشاد إلى الخطأ بالعقوبة الواعظة :

القرآن الكريم قرر مبدأ العقوبة الواعظة فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة ... ﴾ إلى قوله : « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » .

(النور : ٢)

وجه هذه العقوبة أن العذاب حين يكون أمام مشهد من الناس ، وبمحضر من أبناء المجتمع .. فإن العبرة تكون أبلغ ، والعظة تكون أقوى .. ذلك أن الطائفة التي ترى العذاب تتصور في خيالها كأن العذاب واقع بها ، فهي تتألم كما لو كان التأثير حقيقياً .. وهي بالتالي تخشى العقاب وترهبه خشية أن يصيبها ما أصاب هؤلاء المعذبين المعاقبين !!.. فانطلاقاً من هذا المبدأ القرآني (وليشهد عذابهما ...) كان النبي ﷺ يأمر أصحابه بتنفيذ الحدود الشرعية أمام مجتمعات الناس ، وتحت سمعهم وبصرهم ..

وقديماً قيل : (السعيد من اتعظ بغيره) .

وهذا هو المراد من قوله تبارك وتعالى :

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) .

(البقرة : ١٧٩)

لأن في هذا القصاص انتشاراً للأمن والسلام ، وتحقيقاً لمعنى الطمأنينة والاستقرار ، وزجراً للنفوس الشريرة عن أن تتمادى في الظلم ، وتتوغّل في الإجرام ..

ولا شك أن المربي حين يعاقب الولد المسيء أمام إخوته أو أقرانه .. فإن هذه العقوبة تترك الأثر الأكبر في نفوس الأولاد جميعاً ، ويحسبون ألف حساب لعقوبات تنالهم ، أو إساءات يفعلونها !!.. وبهذا يعتبرون ويتّعظون ..

★ ★ ★

فانطلاقاً من هذه الطُرق والأساليب التي خط معالمها المعلم الأول عليه الصلاة والسلام .. يستطيع المربي أن يختار منها ما يلائم تأديب الولد ، وما يعالج انحرافه .. وقد تكفي المعالجة في بعض الأحيان موعظة بليغة ، أو نظرة خاطفة ، أو ملاطفة رقيقة ، أو إشارة عابرة ، أو كلمة زاجرة ..

وإذا عرف المربي أن الإرشاد إلى الخطأ بواحدة من هذه الأساليب لا تُجدي فتيلًا في إصلاح الولد ، واستقامة أمره .. فعندئذ يتدرج معه إلى الأشد ، ويأتى دور التوبيخ ، فإذا لم يُجْدِ فيأتى دور الضرب غير المبرّح .. فإذا لم يُجْدِ فيأتى دور الضرب المؤلم الموجع .. ومن الأفضل أن تكون العقوبة الأخيرة أمام طائفة من الأهل أو الزملاء ، عسى أن تكون لهم زاجرة وواعظة !!..

وإذا رأى المربي أن الولد – بعد إنزال العقوبة – قد انصلح أمره ، واستقام خُلُقه .. **فعليه أن ينبسط له ، ويتلطف معه ، ويبش في وجهه** ، ويشعره أنه ما قصد من العقوبة إلّا خيره وسعادته ، وصلاح أمره في دينه وآخرته .. وهذه هي طريقة الرسول صلوات الله وسلامه عليه في تأديبه لأصحابه ، ومعاملته لهم بعد إنزال العقوبة بهم .. روى البخاري ومسلم أن كعب بن مالك لما تخلّف عن غزوة تبوك من غير عذر أمر النبي ﷺ بمقاطعته خمسين يوماً ، وبقي في هذه الفترة في مقاطعة تامة .. فلا أحد يجالسه ولا يسلم عليه .. حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وبعد أن أعلن النبي ﷺ توبة الله عليه ، قال كعب : « وانطلقت أتأمم (أقصد) رسول الله ﷺ ، يتلقّاني الناس فوجاً فوجاً يهنئوني بالتوبة . **ويقولون لي : لِتَهنِكَ توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله** ﷺ جالس حوله الناس ، فقام طلحةُ بن عُبَيْد رضي الله عنه يهرول حتى صافحني وهنّأني .. قال كعب : فلما سلمّت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرُق وجهه من

السرور : أبشر بخير يومٍ مرّ عليك مُذْ ولدتك أمُّك ، فقلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله عز وجل ، وكان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر وكنّا نعرف منه ..

والولد حين يستشعر أن المربي – بعد إجراء العقوبة – يحن إليه ، ويعطف عليه ، وينبسط له ، ويتلطف معه ، وأنه ما أراد من ذلك إلا تربيته وإصلاحه .. فلا يمكنه بحال أن يتعقّد نفسياً ، وأن ينحرف خلقياً .. وأن يتخبط في ردود الفعل ، وأن يسبح في خضمّ من مركبات النقص .. بل يقدّر لهذه المعاملة الرحيمة قدرها ، ويؤديها حقها ، ويسير في مواكب المتقين الأبرار ، ويكون دائماً في مجمع من المصطفين الأخيار ..

★ ★ ★

ولكنّ الاسلام حين أقر عقوبة الضرب – كما سبق بيانه – فإنه أحاط هذه العقوبة بدائرة من الحدود ، وبسياج من الشروط .. حتى لا يخرج الضرب من الزجر والإصلاح إلى التشفّي والانتقام !!..

وهذه الشروط في عقوبة الضرب نرتبها فيما يلي :

١ – ألا يلجأ المربي إلى الضرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل التأديبية والزجرية التي سبق بيانها .

٢ – ألّا يضرب وهو في حالة غضبية شديدة مخافة إلحاق الضرر بالولد ، أخذاً بوصية النبي ﷺ : « لا تغضب » كما روى البخاري .

٣ – أن يتجنب في الضرر الأماكن المؤذية كالرأس ، والوجه ، والصدر ، والبطن .. لقوله عليه الصلاة والسلام – كما روى أبو داود – : « .. ولا تضرب الوجه .. » ، ومما يؤكد هذا أن النبي ﷺ لما أمر برجم الغامديّة .. أخذ حصاة كالحمصة ورماها بها ، ثم قال للناس : « ارموها واتقوا الوجه .. » ، وإذا كان عليه الصلاة والسلام منع الضرب على الوجه في الرجم الذي فيه إتلاف النفس وإهلاكها .. فإن ضرب الوجه على حالة ليس فيها إتلاف للنفس – كالتعزير

والتأديب — يكون ممنوعاً من باب أولى ، ولأن الوجه أو الرأس موضع الحواس ، وفي الضرب عليه إذهاب لبعض الحواس ، وهو يعتبر إِيذاءً وإتلافاً ..

أما الضرب على الصدر أو البطن فإنه ممنوع أيضاً لكونه يؤدي إلى أضرار بالغة قد تفضي إلى الوفاة أحياناً ، ويدخل المنع تحت عموم قوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » .

٤ — أن يكون الضرب في المرات الأولى من العقوبة غير شديد وغير مؤلم ، وأن يكون على اليدين أو الرجلين بعصا غير غليظة .. وأن تكون الضربات من واحدة إلى ثلاثة إذا كان الولد دون الحُلمُ . وإذا شارف الولد على البلوغ ورأى المربي أن الضربات الثلاثة لا تردع .. فله أن يزيد حتى العشرة لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يَجْلِدُ أحدٌ فوق عشرة أسواط إلا في حدٍّ من حدود الله تعالى »[1] .

٥ — ألّا يضرب الطفل قبل أن يبلغ العاشرة من السن أخذاً بالحديث الذي سبق بيانه « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ... » .

٦ — إذا كانت الهفوة من الولد لأول مرة .. فيُعطى له الفرصة أن يتوب عما اقترف ، ويعتذر عما فعل ، ويُتاح له المجال لتوسط الشفعاء ليحولوا — ظاهراً — دون العقوبة مع أخذ العهد عليه .. حتى لا يعود للخطأ مرة ثانية ، وهذا أولى من الالتجاء إلى الضرب أو التشهير به أمام الناس .

٧ — أن يقوم المربي بضرب الولد بنفسه ، ولا يترك هذا الأمر لأحد من الإخوة ، أو من الرفقاء .. حتى لا تتأجج بينهم نيران الأحقاد والمنازعات ..

٨ — إذا ناهز الولد سن البلوغ والاحتلام ، ورأى المربي أن العشر ضربات غير كافية في الردع فله أن يزيد ، وله أن يوجع ، وله أن يكرر .. حتى يرى الولد قد استقام على الجادة ، ومشى في الحياة على هدىً وصراط مستقيم ..

---

(١) رواه ابن تيمة ، وذكره صاحب الإقناع والمغني .

ومن هذا يتضح أن التربية الإسلامية قد عنيت بموضوع العقوبة عناية فائقة سواء أكانت عقوبة معنوية أم عقوبة مادية .. وقد أحاطت هذه العقوبة بسياج من الشروط والقيود ، فعلى المربين ألا يتجاوزها وألا يتغاضوا عنها .. إن أرادوا لأولادهم التربية المثلى ، ولأجيالهم الإصلاح العظيم ..

وكم يكون المربي موفقاً وحكيماً حينما يضع العقوبة موضعها المناسب ، كما يضع الملاطفة واللين في المكان الملائم ..؟

وكم يكون المربي أحمق جاهلًا حينما يحلُم في موضع الشدة والحزم ، ويقسو في مواطن الرحمة والعفو ؟

ورحم الله من قال :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
فوضع النَدى في موضع السيف بالعلا
مضرّ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالعفو عنهمو
ومَن لك بالحر الذي يحفظ اليدا ؟

وجزى الله الأستاذ العالم الشيخ كامل بدر بما أوصى به المربين : من ملاطفة ولين في معاملة الولد حين قال :

إن المربّي في شرع الهدى رَحِمٌ
بَرٌّ بمرعيّه لا عاتيَ الخُلُقِ
يدمي بسوط الأذى القطعان وهو يرى
في نفسه ضيغماً قد صال في غَسقَ
أطفالنا يا رعاة الجيل عندكمُ
وديعة لا دُمى حَطْمٍ لدى النّزَقِ

والولد منذ الصغر حين يتربّى على العقيدة الربانية محاسبة ومراقبة ، ويتكوّن على الإيمان بالله ، والاستعانه به ، واللجوء إليه ، والخشية منه ، والاعتماد عليه .. في كل مراحل الحياة ، وأطوارها المختلفة .. وحين يستشعر من أعماق وجدانه أن الله سبحانه معه يرقبه ويراه ، ويعلم سرّه ونجواه ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .. فالولد حين يتكوّن على هاتيك المعاني .. فإن التخويف الأخروي ، والتهديد الدنيوي .. يبلغ من قلبه كل مبلغ ، واللمسات الترهيبية والزجرية تترك أثرها في نفسه ، وفي سلوكه ، وفي معاملته .. وعندئذ ينصلح أمره ، وتستقيم أخلاقه !!.

والقرآن الكريم قد استعمل **هذه العقوبة التخويفية والرهيبية فى** كثير من الآيات البيّنات ، واستخدمها في إصلاح النفوس المؤمنه ، وفي إعدادها الخلقي والنفسي .. وكم تركت أثراً في النفوس ، ونتائج حسنة في السلوك ، وعواقب حميدة في التربية والأخلاق ؟..

- **فهو مرة** يهدد ويخوّف بقساوة القلوب .. إذا ظلت النفوس سادرة في غيّها :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ .

(الحديد : ١٦)

- ومرّة يهدد بغضب الله وعذابه صراحة (كما جاء في حديث الإفك » وتلك درجة أشد :

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسّكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم . إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم . ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ؟ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين ﴾

(النور : ١٤ — ١٧)

– ومرة يهدّد بحرب الله ورسوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ... ﴾

(البقرة : ٢٧٩)

– ومرَة يهدّد بعقاب الآخرة :

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ، ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له العذابُ يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً ﴾ .

(الفرقان : ٦٨ – ٦٩)

– وتارة يهدد بالعقاب في الدنيا :

﴿ إلّا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوما غيركم ﴾ .

(التوبة : ٢٩)

﴿ وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ .

(الفتح : ١٦)

﴿ وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ﴾ .

(التوبة : ٧٤)

﴿ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ .

(التوبة : ٥٥)

وفي تقديري أن المربي إذا اعتنى بتربية الولد إيمانياً ، وكوّنه على مراقبة الله والخشية منه .. فإن تهديدات القرآن الكريم . وتخويفات السنة المطهرة .. لها أكبر الأثر في إصلاح الولد وكفه عن كثير من المحرمات .. وقد ألمحنا في (مسؤولية التربية الإيمانية) عن الدور الذي يجب أن يقوم به المربي في تربية الولد عقيدياً . وتكوينه إيمانياً .. حتى ينشأ على الاستقامة ، ويتربى على الأخلاق .. وهذه هي العقوبة الترهيبية والتخويفية التي فصلنا فيها القول قبل قليل ..

وفي الختام أقول :

إن المربي لا يعدم الوسيلة المجدية في زجر الولد وردعه ، وهذه الوسائل التي سبق ذكرها هي من أهم الوسائل الزجرية في التأديب والإصلاح .. وهنا تتجلى حكمة المربي في استعمالها ، واختيار الأصلح منها ...

ولا شك أن هذه الوسائل تتفاوت بتفاوت الأولاد ذكاءً وثقافة وحساسية ومزاجاً .. فمنهم من تكفيه الإشارة البعيدة ويرتجف لها قلبه . ويهتز من التلميح بها وجدانه ، ومنهم من لا يردعه إلا النظرة العابسة والغضب الجاهر الصريح .. ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ .. ومنهم من يصلحه الهجر ، ومنهم من ينفعه التأنيب والتوبيخ ، ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحسّ لدغ العقوبة على جسمه لكي يستقيم ..

والإسلام – كما مر – شرع هذه العقوبات بأسرها ، وأرشد المربين إليها .. وهنا تظهر البراعة في استخدامها ، واختيار الصالح منها بقدر ما يحقق مصلحة الولد .. وعلى الله قصد السبيل .

* * *

أخي المربي :

هذه هي وسائل التربية المؤثرة في الولد .. وهي -- كما رأيت -- وسائل هامة وعملية ومجدية .. إن استطعت أن تنفذها ، وتسهر على تحقيقها ، وتأخذ بوسائل تطبيقها .. فإن الولد -- لاشك -- سيكون له شأن وأي شأن ، بل سيكون المشار إليه بالبنان ، والمعروف بين قومه وعشيرته بالتقى والورع والإحسان !!..

ويخطىء من يظن أن التربية في الإسلام تقوم على غير هذه الأسس ، وتتكوّن على غير هذه الوسائل .. اللهم إلا إذا كانت التربية ربانية .. كتربية الأنبياء .. فإنها -- لاشك - محوطة بعناية الله ، مصنوعة على عينه ، مشتملة على رعايته وتأديبه .. بل لا يمكنها بحال أن يعتريها نقص ، أو يطرأ عليها انحراف !!..

أما تربية الدولة للأمة ، وتربية ذوي الاختصاص للمجتمع ، وتربية الأبوين للأسرة .. فإنها مرتبطة بأسباب تربوية ، ووسائل توجيهية .. إن أخذ بها المسؤولون ، ومشى على منهجها المربون .. فإن الأمة تنصلح ، والأسرة تستقيم ، والفرد يهتدي .. والمجتمعات تصل الى قمة الفلاح ، وذروة السعادة والاستقرار .. ولقد رأيت -- أخي المربي -- الوسائل التي رسم معالمها الإسلام في تربية الولد إيمانياً وخلقياً وتكوينه نفسياً واجتماعياً ..

فبالتربية بالقدوة يكتسب الولد أفضل الصفات ، وأكمل الأخلاق ، ويترقى نحو الفضائل والمكرمات ، وبدونها لا ينفع مع الولد تأديب ، ولا تؤثر به موعظة !!..

وبالتربية بالعادة يصل الولد في التكوين التربوي إلى أفضل النتائج . وأطيب الثمرات .. لأنها تعتمد على وسيلة الملاحظة والملاحقة ، وتقوم على أساس من الترغيب والترهيب ، وتنطلق من منطلقات الإرشاد والتوجيه .. وبدونها يكون المربي كالذي يرقم على ماء . ويصرخ في واد ، وينفخ في رماد بلا فائدة ولا جدوى ..

وبالتربية بالموعظة يتأثر الولد بالكلمة الهادية ، والنصيحة الراشدة ، والقصة الهادفة ، والحوار المشوّق ، والأسلوب الحكيم ، والتوجيه المؤثر .. وبدونها لا يهتزّ وجدان الولد ، ولا يرقّ قلبه ، ولا تتحرك عاطفته .. وتكون التربية جافة ، والأمل في إصلاحه ضعيفاً !!..

وبالتربية بالملاحظة ينصلح الولد ، وتسمو نفسه ، وتكتمل آدابه وأخلاقه .. ويصبح لبنة صالحة في كيان المجتمع ، وعضواً هاماً نافعاً في جسم الأمة المسلمة .. وبدونها ينحدر الولد إلى أرذل العادات ، ويهبط إلى أسفل الدركات ، ويكون في المجتمع مجرماً شقياً !!..

وبالتربية بالعقوبة ينزجر الولد ، ويكفّ عن أسوأ الأخلاق ، وأقبح الصفات .. ويكون عنده من الحساسية والشعور ما يردعه عن الاسترسال في الشهوات ، وارتكاب المحرمات واقتراف الموبقات .. وبدونها يتمادى الولد في الفاحشة ، ويتوغل في حمأة الإجرام ، ويتقلب في متاهات المفاسد والمنكرات !!..

فاحرص – أخي المربي – على أن تكون لهذه الوسائل من المحققين ، ولهذه الأسس من العاملين المطبقين .. إن أردت لولدك إصلاحاً ، ولمجتمعك خيراً وسعادة ، ولدولتك المسلمة نصراً وسيادة .. وما ذلك على الله بعزيز .

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ .

(التوبة : ١٠٥)

★ ★ ★

الفصل الثاني

القواعد الأساسية في التربية

الإسلام بقواعده التشريعية الشاملة ، ومبادئه التربوية الخالدة .. وضع حلولا ومناهج في تنمية شخصية الولد سواء أكانت هذه التنمية عقيدية أوأخلاقية أو جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية ..

وهذه الاصول والمناهج – كما ترى أخي المربي – هي مبادىء واضحة المعالم ، سهلة التنفيذ ، نبيلة المقصد .. لو انتهجها المربون في تكوين الأجيال ، وتربية المجتمعات والأمم .. لتبدلت الأمة غير الأمة ، والأجيال غير الأجيال .. ولبلغت الذروة في متانة العقيدة ، وسمو الأخلاق ، وقوة الجسم ، ونضج العقل ، وجمال الأدب .. ولاستعادت في العظمة والمجد والخلود سيرة الآباء الاولين ، وتاريخ الغرّ المحجلين ، وعزة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين ..

وقبل أن نخوض في تبيان القواعد التي يجب أن يعتمدها المربون في تكوين شخصية الولد ، وإعداده إنساناً سوياً متزناً في الحياة .. يحسن أن نتطرق – ولو باختصار – للصفات الأساسية التي يجب أن تتوفر في المربي ليكون تأثيره في الأولاد أبلغ ، والاستجابة إلى مناصحته أقوى !! ..

صفات المربّي الأساسية

١ – الإخلاص

على المربي أن يحرر نيته ، ويخلص لله في كل عمل تربوي يقوم به سواء أكان هذا العمل أمراً أو نهياً أو نصحاً أو ملاحظة أو عقوبة ..

والثمرة التي يجنيها تنفيذ منهج التربية على الدوام ، وملاحقة الولد تربوياً باستمرار .. عدا عن أنه يحظى بثواب الله ورضوانه ، ويظفر بدار المقامة في جنات خلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر ..

والإخلاص في القول والعمل هو من أسس الإيمان ، ومن مقتضيات الإسلام ، لا يقبل الله العمل إلا به ، جاء الأمر به جزماً وتأكيداً في كتاب الله عز وجل ، وعلى لسان نبينا عليه الصلاة والسلام :

– قال تعالى :

﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ .

(البينة : ٥)

– وقال أيضاً :

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ .
(الكهف : ١١٠)

– وقال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان – : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى ... » .

– وقال صلوات الله وسلامه عليه – فيما رواه أبو داود والنسائي –:« إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً ، وابتُغي به وجهه » .

فما على المربي – بعد الذي علمه – إلا أن يحرر النية ، ويقصد وجه الله في كل عمل يقوم به ، ليكون عند الله من المقبولين ، وبين أولاده أو تلامذته من المحبوبين والمؤثرين !!..

٢ – التقوىٰ

من أميز ما يجب أن يتصف به المربي صفة التقوى ، وهي كما عرفها العلماء الربانيون : « **أن لا يراك الله حيث نهاك ، وأن لايفقدك حيث أمرك** » ، أو هي كما قال البعض :

« **اتقاء عذاب الله بصالح العمل ، والخشية منه في السر والعلن** » .

وكلا التعريفين ينصبّان حول مفهوم واحد ألا وهو اتقاء عذاب الله بالمراقبة الدائمة لله ، والتزام المنهج الرباني في السر والعلن ، وبذل الجهد دوماً لتحري الحلال واجتناب الحرام ..

ومما يؤكد هذا تلك المحاورة التي جرت بين عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنهما وذلك أن عمر بن الخطاب سأل أبي بن كعب عن التقوى فقال له : أما سلكت طريقاً ذا شوك ؟ قال : بلى ، قال : فما عملت ؟ قال : شمرت واجتهدت ، قال : فذلك التقوى .

لهذا كان الحض على التقوى والأمر بها في كثير من آيات الله سبحانه :

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ..** ﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً** ﴾ .

(الاحزاب : ٧٠)

- ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ .
(الحشر : ١٨)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ .
(الحج : ١)

- ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ .
(الطلاق : ٢ - ٣)

وفى كثير من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

. روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قيل يا رسول الله من أكرم الناس ؟ قال : « أتقاهم » ..

- وروى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : ﴿ إن الدنيا حلوة خَضِرةَ ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ؟ فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء » .

- وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يُدخل الناس الجنة ، قال : « تقوى الله ، وحسن الخلق .. » .

- وروى أحمد والحاكم والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخُلق حسن » .

- وروى الطبراني عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبّون أن يبرّوكم » .

والمربي يدخل في مضمون هذه الأوامر والتوجيهات دخولا أولياً لكونه القدوة الذي يؤخذ منه وينظر إليه ، ولكونه المسؤول الأول عن تربية الولد على أسس الإيمان ، ومعالم الإسلام ..

ومن المؤكد حقاً أن المربي إذا لم يكن متحققاً بالتقوى ، وملتزماً في سلوكه ومعاملته منهج الإسلام .. فإن الولد – لا شك – ينشأ على الانحراف ، ويتقلب في حمأة الفساد والانحلال ، ويتيه في بيداء الضلال والجهالة .. لماذا ؟ لأنه وجد الذي يشرف على تربيته وتوجيهه قد تلوث في أوحال المنكرات ، وتخبط في خضم الشهوات ، وانطلق في بيئة الإباحية .. فينشأ الولد وليس له من الله رادع ، وليس له من مراقبته زاجر ، وليس له من ضميره اعتصام .. فمن الطبيعي أن يلتاث الولد ، وأن يشذّ وينحرف في بيئات الجاهلية ، وعصور الانتكاس والضلال ..

فعلى المربين أن يفهموا هذه الحقيقة إن أرادوا لأولادهم أو تلامذتهم .. الخير والهدى والإصلاح .. في عالم من الطهر ، ودنيا من الصفاء ..

ولقد فصلنا القول عن أثر القدوة في تربية الولد في مبحث (التربية بالقدوة) فارجع إليه – أخي القارىء – تجد ما فيه الكفاية ، وما يشفي الغليل ..

٣ – العِلْم

ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن المربي ينبغي أن يكون عالماً في أصول التربية التي جاءت بها شريعة الإسلام ، وأن يكون محيطاً بأمور الحلال والحرام ، وأن يكون على دراية تامة بمبادىء الأخلاق ، وأن يكون متفهماً على العموم أنظمة الإسلام ، وقواعد الشريعة .. لماذا ؟ لأن العلم بهذا كله يجعل من المربي عالماً حكيماً يضع الأشياء في موضعها ، ويربي الولد على أصولها ومقتضاها ، ويسير في طريق الإصلاح والتربية على أسس متينة من تعاليم القرآن ، وهدي محمد ﷺ ، وأسوة كريمة من سير الرعيل **الأول من صحابة رسول الله** ﷺ ومن تبعهم بإحسان ..

وأما إذا كان المربي جاهلا – ولا سيما في القواعد الأساسية في تربية الولد – فإن الولد يتعقّد نفسياً ، وينحرف خلقياً ، ويضعف اجتماعيا .. ويكون إنساناً من سقط المتاع لا وزن له ولا اعتبار فى أى مجال من مجالات الحياة لأن فاقد الشيء لا يعطيه أبداً ، والحوض الفارغ من الماء لا يمكن أن يفيض على غيره ، والمصباح الخالي من الوقود لا يمكن أن ينير على من حوله ، وكم يجني الأب على أولاده إذا كان جاهلا ؟ وكم

يتقلب الولد في الشقاء إذا كان المربي عن علم الشريعة حائداً ؟ ولا شك أن المسؤولية أمام الله خطيرة ، والوقفة يوم العرض الأكبر جسيمة (وقفوهم إنهم مسؤولون) وذلك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون !!..

ورحم الله من قال :

لا تأخذ العلم إلا عن جهابذة
بالعلم نحيا وبالأرواح نفديه
أما ذوو الجهل فارغب عن مجالسهم
قد ضل من كانت العميان تهديه

ومن أجل هذا كان اهتمام شريعة الإسلام في الحض على العلم عظيماً ، وكانت العناية في التكوين العلمي فائقة كبيرة .

والآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالعلم وتحضهم عليه وتسوقهم إليه أعظم من أن تحصى وأكبر من أن تستقصى .. وها نحن أولاء نقتطف طاقات منها عسى أن تكون ذكرى وعبرة لمن يريد أن يتذكر ويعتبر :

من هذه الآيات :

- ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ .
(الزمر : ٩)

- ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .
(المجادلة : ١١)

- ﴿ **وقل ربّ زدني علماً** ﴾ .
(طه : ١١٤)

من هذه الأحاديث :

- « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً الى الجنة » (مسلم) .

- « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله تعالى وما والاه[1] وعالماً أو متعلماً » (الترمذي) .
- « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » (الترمذي) .
- « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (ابن ماجه) .

فما على المربين بعد هذه التوجيهات القرآنية ، والتوصيات النبوية إلا أن يتزودوا بالعلوم النافعة ، والمناهج التربوية الصالحة .. من أجل تربية جيل إسلامي ، بجهوده وعزائمه يتحقق عز الإسلام ، وتقوم في العالمين دولته القوية المنيعة .. وما ذلك على الله بعزيز .

٤ - الحِلْم

من الصفات الأساسية التي تساعد على إنجاح المربي في مهمتة التربوية ، ومسؤوليته التكوينية والإصلاحية .. هي صفة الاتزان والحلم ، فبها ينجذب الولد نحو معلمه ، وبسببها يستجيب لأقوال مربيه ، وبواسطتها يتحلى بالآداب المحمودة ، ويتخلى عن الأخلاق المرذولة .. ويكون كالمَلَك حين يمشي على الأرض ، وكالبدر حين يظهر في الناس .

من أجل هذا حض الإسلام على الحلم ورغّب فيه في كثير من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية .. ليعلم الناس - وبالأخص المربون والدعاة - أن الحلم هو من أعظم الفضائل النفسية والخلقية التي تجعل الإنسان في قمة الأدب ، وفي ذروة الكمال ، وفي أعلى مراتب الأخلاق ..

من هذه الآيات :

﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ .
(آل عمران : ١٣٤)

---

(١) وما والاه : أي أطاع الله .

- ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ .

(الأعراف : ١٩٩)

- ﴿ **ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور** ﴾ .

(الشورى : ٤٣)

- ﴿ **ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم** ﴾ .

(فصلت : ٣٤)

من هذه الأحاديث :

- قال عليه الصلاة والسلام لأشجّ عبد القيس : « إن فيك خصلتين يحبهما الله : الحلم والأناة » مسلم .

- روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني . قال : « لا تغضب » ، فردده مراراً ، قال : « لا تغضب » البخاري .

- « ليس الشديد بالصُرعَة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » متفق عليه .

- « يسّروا ولا تعسّروا ، وبشّروا ولا تنفرّوا » متفق عليه .

ويتفرع عن الحلم الرفق في الأمور كلها :

- عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إن الله رفيق يحبّ الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

- وعنها : « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويُعطي على الرفق ، مالا يُعطي على العنف ، ومالا يعطي على سواه » مسلم .

- وعنها : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا يُنْزَع من شيء إلا شانه » مسلم .

فما على المربين إلا أن يتحلوا بالحلم والرفق والأناة إن أرادوا للأمة إصلاحها ، وللجيل هدايته ، وللأولاد تربيتهم وتقويم اعوجاجهم ..

وليس معنى هذا أن يسلك المربي دائماً طريق الحلم والرفق في تربية الولد ، وإعداده للحياة .. وإنما المراد أن يضبط المربي نفسه دونما غضب ولا انفعال في تقويم الاعوجاج ، وإصلاح الأخلاق .. وإذا رأى من المصلحة معاقبته بعقوبة التوبيخ أو الضرب مثلا ، فعليه ألا يتأخر عن معاقبته حتى ينصلح أمره ، وتستقيم أخلاقه .. ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

وقد سبق أن فصلنا القول في مبحث (التربية بالعقوبة) فارجع اليه – أخي القارىء – تجد ما فيه الكفاية إن شاء الله .

٥ – الاسْتِشعَار بالمَسؤلية

ومن الأمور التي يجب أن يدركها المربي جيداً ، وتتأصل في بؤرة شعوره ووجدانه .. استشعاره بمسؤوليته الكبرى في تربية الولد إيمانياً وسلوكياً ، وتكوينه جسمياً ونفسياً ، وإعداده عقليا واجتماعيا .. هذا الاستشعار يدفعه دائماً لأن ينطلق بكليته في مراقبة الولد وملاحظته ، وفي توجيهه وملاحقته ، وفي تعويده وتأديبه .. وعليه أن يعتقد أنه إذا غفل عنه فترة ، وإذا تساهل عن ملاحظته مرة .. فإن الولد سيتدرج في الفساد خطوة خطوة .. وفي حال الغفلة الدائمة ، والتساهل المتكرر .. فإنه سيكون لا محالة من زمرة الأولاد الشاذّين ، ومن عداد الشباب المنحرفين .. فعندئذ يصعب على المربي إصلاحه ، وعلى كل مصلح علاجه وتربيته .. فيندم الأب على ما فرط ولكن لات حين مندم ، ويبكي على ما جنت يداه ولكن هل ينفع البكاء ؟.

أتبكى على لُبنى وأنت قتلتهَا
وقد ذهبت لُبنى فما أنت صانع

لهذا كله نجد الإسلام حمّل الآباء والأمهات والمربين جميعاً مسؤولية التربية في أبعد حدودها ، وفي أوسع مراميها .. وحذرهم وأنذرهم أن الله سبحانه مسائلهم في

يوم العرض عليه عن هذه الأمانة هل أدّوها ؟ ، وعن هذه الرسالة هلى بلغوها ؟، وعن هذه المسؤولية هل تحمّلوها ؟

وإليك – أخي المربي – ما يقوله الاسلام في تحملك المسؤولية أو تفريطك فيها :

قال تعالى :

– ﴿ **وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها** ﴾ .

(طه : ١٣٢)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً ..** ﴾ .

(التحريم : ٦)

– ﴿ **ولتسئلن عما كنتم تعملون** ﴾ .

(النحل : ٩٣)

– ﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ .

(الصافات : ٢٤)

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « الرجل راعٍ ومسؤول عن رعيته .. » متفق عليه .

– « .. والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها .. » متفق عليه .

– « علّموا أولادكم وأهليكم الخير وأدّبوهم » رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور .

– « ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن » الترمذي .

– « إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » ابن حبان .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني ، والتوجيه النبوي .. وجب على كل مربّ مؤمن عاقل بصير حكيم .. أن ينهض بهذه المسؤولية على أكمل وجه ، وأتم استعداد ، وأقوى عزيمة .. واضعاً نصب عينيه غضب الله إذا هو فرطّ ، وعذاب جهنم إذا هو قصّر .. لأن المسؤولية يوم العرض الأكبرْ ثقيلة ، والمحاسبة عسيرة ، والهول عظيم ، وجهنم تقول : هل من مزيد ؟

وفي مضمار التحدث عن (الاستشعار بالمسؤولية) أريد أن أضع بين يديك – أخي المربي – هذه المخططات – ولو اختصاراً – لإفساد الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والمجتمع المسلم .. لتكون على بينة وبصيرة من أمرك ، ولتضاعف الجهود في إنقاذ ولدك ، وإصلاح أسرتك ..

وأقصد بالمخططات قرارات التآمر التي تتخذ في **أوكار الصهيونية** ، **والماسونية** ، **والصليبية** ، **والشيوعية** .. والتي تستهدف إفساد عقيدة الأمة الاسلامية وتدمير أخلاقها الأصيلة عن طريق المبادىء الإلحادية الضالة ، وعن طريق الخمر والجنس ، وإطلاق عنان الغرائز والشهوات ، والجري وراء المظاهر المغرية ، والتقليد الأعمى ..

والمرأة – عند هؤلاء – هي أول الأهداف في هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر ، فهي العنصر الضعيف العاطفي التي تنساق وراء الدعاية والفتنة بلا روية ولا تفكير ، وهي ذو الفعالية الكبيرة ، والتأثير المباشر في إفساد الأخلاق ..

وإليك – أخي المربي – مخططات التآمر واحدة بعد واحدة بالوقائع والأرقام :

(أ) مخططات الشيوعية :

في إحدي « الوثائق السرية الخطيرة » التي نشرتها مجلة « كلمة الحق » في شهر المحرم سنة (١٣٨٧) هـ الموافق شهر نيسان سنة (١٩٦٧) م ، المخطط الرهيب للقضاء على الإسلام ، وقد أعده الشيوعيون في « موسكو » ، وقدّموه لعبيدهم المسخّرين في أحد بلدان الشرق العربي المسلم لينفّذوه ، وقد أخذوا في تنفيذه بدقة .

وها نحن أولاء ننقل من مجلة « كلمة الحق » بعض ما يحويه المخطط الشيوعي لضرب الاسلام في دياره .

تقول الوثيقة :

(برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ، وبرغم الضربات العنيفة التي وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفياتي صرحوا كما تذكر مجلة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في أول يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ بما نصه) :

(إننا نواجه في الاتحاد السوفياتي تحدّيات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادىء (لينين) لم تتشربها دماء المسلمين » .

(وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين ، فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً ، وما يزال يتفجر بالقوة بدليل أن الملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الحزب ، ومفكري المذهب ، لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفياتي الذي أشار في (دائرة معارف الثقافة الشيوعية) إلى أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية ، ويبذل أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين ، والإقطاعيين ، والرأسماليين ، ويقدم كل العون للاستغلال ، وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم ، وخصم عنيد للاشتراكية ، ويناهض التحركات التحررية) .

وتقول الوثيقة :

(ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه ، وقررنا ما يلي :

١ – مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه لأجل ، حتى نضمن أيضاً السيطرة ، ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية .

٢ – تشويه سمعة رجال الدين ، والحكام المتدينين ، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية .

٣ – تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل .. ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية .

وتقول الوثيقة :

٦ – الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنهاضعيفاً ، والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني ، والضرب بعنف لا رحمة فيه كل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت .

٧ – ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات ، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان ، وإلصاق التهم به ، وتنفير الناس منه بالأسلوب الذى لا ينم عن معاداة الإسلام .

٨ – تشجيع الكتّاب الملحدين وإعطاؤهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني ، والضمير الديني ، والعبقرية الدينية ، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره ، وهذا هو الواقع ، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم ، والصلاة ، والحج ، وعقود الزواج والطلاق ، وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية ..

٩ – قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً ، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية ..

١٠ – إن فصم روابط الدين ، ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس ، لأن الدين يكمن في الضمير ، المعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية ، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ، ولم يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية .. ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات التي تروج للإلحاد ، وتدعو إليه ، وتهزأ بالدين ورجاله ، وتدعو للعلم وحده ، وجعله الإله المسيطر .

١١ – مزاحمة الوعي الديني ، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي .

١٢ – خداع الجماهير بأن نزعم لهم أن المسيح اشتراكي ، وإمام الاشتراكية ، فهو فقير ، ومن أسرة فقيرة ، وأتباعه فقراء كادحون ، ودعا إلى محاربة الأغنياء .

ونقول عن محمد : إنه إمام الاشتراكيين ، فهو فقير ، وتبعه فقراء ، وحارب الأغنياء المحتكرين ، والاقطاعيين ، والمرابين ، وثار عليهم ، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل ، ونبعد القداسات الروحية ، والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التى أوجدوها لأنفسهم ، وأوجدها لهم أتباعهم المهوّسون .

١٣ – في القرآن والتوراة والأناجيل قصص ، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً تاريخياً ، فقصة يوسف على سبيل المثال يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين ، والإقطاعيين ، والنساء الشريفات ، والحكام الرجعيين ..

١٤ – إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكى ، وتجريد هذه القوى تدريجيا من موجداتها ..

١٥ – إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية ، وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير ، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية ، والأغاني الوطنية ، والشؤون العسكرية ، والتنظيمات الحزبية ، والمحاضرات المذهبية ، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة ، وإلقاء مسؤولية التأخر الاقتصادى ، والجوع ، والفقر ، والمرض .. على الرجعية والاستعمار ، والصهيونية ، والإقطاع ، ورجال الدين .

١٦ – تحطيم القيم الدينية ، والروحية ، بإظهار مافيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة .

وتقول الوثيقة :

١٧ – الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة ، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حكامها الرجعيين ، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود

بها جماهير الشعوب الكادحة .

١٨ - نشر الأفكار الإلحادية ، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية ، وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي .

١٩ - لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين ، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألّا يطول زمن ذلك ، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر ، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها فالثورة قبل كل شيء هدم للقديم والمواريث الدينية جميعها .

٢٠ - الإعلان بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين الزائف الذي يعتنقه الناس لجهلهم ، والدين الصحيح هو الاشتراكية ، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخّر لخدمة طبقة معينة ، وإلصاق كل عيوب الدراويش ، وخطايا رجال الدين بالدين نفسه ، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة ، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا الدين الصحيح الذى هو الاشتراكية .

٢١ - تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مأربها ، وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح ، والدين الثوري ، والدين المتطور ، ودين المستقبل .. حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه ، والاحتفاظ منه بالاسم فقط ، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم ، فليكونوا الآن مسلمين اسماً ، اشتراكيين فعلا ، حتى يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى .

وتقول الوثيقة :

٢٣ - أخذنا بتعاليم « لينين » ووصيته بأن يكون الحزب الاشتراكي خصماً عنيداً للدين ، ويحارب فكرته في المنتظر ما بعد الموت بالفردوس الذي تحققه الاشتراكية العلمية التي تحقق العدالة الاجتماعية التي هي الفردوس ، وإذا وجد من الضروري مهادنة الدين وتأييده وجب أن تكون المهادنة لأجل ، والتأييد بحذر ، على أن يستخدم التأييد والمهادنة لمحو الدين .

٢٥ – الاهتمام بالإسلام مقصود منه – أولًا – استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام .. ثانياً – استخدام الإسلام للدخول في شعوب العالم الإسلامي .

ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا إن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام .

٢٦ – وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية ، وتنقيتها من الشوائب ، وتحت ستار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية .

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول :

(وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد ، وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسية في الوزارات ، والإدارات الحكومية ، والشركات ، والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، ووفّقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة ، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يحمل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي .. ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفعال في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري ، وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها ، ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين ...)[1] .

هل عرفت – أخي المربي – ما تريده الشيوعية الحاقدة من إلحاد وتضليل واستئصال شأفة الإسلام والمسلمين من المجتمعات الإسلامية ؟

---

(١) نص الوثيقة من كتاب « الشيوعية والإسلام » للمؤلفين : عباس محمود العقاد ، وأحمد عبد الغفور العطار صفحة : ١٢٣ .

وهل عرفت أنها تريد أن تنزع عقيدة الإسلام من كل مسلم يقول ربي الله ، ونبيي محمد ﷺ ، وديني الإسلام ، لتحل محلها عقيدة الكفر والضلال والمروق من الإسلام ؟

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرين ﴾ .

(التوبة : ٣٣)

(ب) مخططات الصليبية :

بعد فشل الحروب الصليبية الأولى التى استمرت قرنين في استئصال الإسلام ، قام الصليبيون بدراسة واعية ، وخطة ماكرة ، ومؤامرة لئيمة للقضاء على أمة الإسلام ، وتدمير أهله ، وكانت خطواتهم كما يلي :

أولا – القضاء على الحكم الإسلامي بإنهاء الخلافة الإسلامية المتمثلة بالدولة العثمانية ، وقد انتهزت الصليبية المتمثلة بالإنكليزية ، واليونانية ، والإيطالية ، والفرنسية .. فرصة ضعف الدولة العثمانية وتخلخلها ، وخلافاتها بين بعضها .. فانقضّت كالذئب الكاسر بجيوشها الضخمة الكبيرة ، وسيطرت على جميع أراضيها ، ومنها العاصمة « استانبول » ، ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر (لوزان) لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت انكلترا على خائن تركيا الأكبر (أتاتورك) أنها لن تنسحب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ الشروط التالية :

(أ) إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ، ومصادرة أمواله ..
(ب) أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .
(ج) أن تقطع تركيا صلتها بالاسلام .
(د) أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلا من دستورها الذي هو مستمد من أحكام الإسلام ..

عدا عن إلغاء المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، وعطلة يوم الجمعة بالأحد .. وانتهى ذلك كله عام (١٩٢٨ م) .

فنفذ (الخائن أتاتورك) هذه الشروط ، واعترف الإنكليز والحلفاء باستقلال تركيا ، وباركوا جهود أتاتورك في إلغاء الخلافة ، وعَلْمنة الدولة ، ومحاربة الإسلام ..

ولما وقف « كرزون » وزير خارجية انكلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنكليز بعنف على (كرزون) ، واستغربوا كيف اعترفت انكلترا باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية وتهجم على الغرب . فأجاب (كرزون) : لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم .. لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين : الإسلام ، والخلافة .

فصفق النواب الإنكليز كلهم وسكتت المعارضة[١] .

ثانياً – القضاء على القرآن ومحوه لأن الصليبية تعتبر أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسى لقوة المسلمين ، وعودتهم إلى سالف عزهم ، وماضي قوتهم وحضارتهم ..

١ – يقول (غلادستون) في مجلس العموم البريطاني وقد رفع المصحف **أمام المجتمعين** :

(ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين ، فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان[٢]) .

٢ – ويقول المبشر الصليبي (وليم جيفورد بالكراف) : (متى توارى القرآن ، ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيدا عن محمد وكتابه)[٣] .

---

(١) من كتاب « الأرض والشعب » ص ٤٦ ، ج ١ ، وكتاب « كيف هدمت الخلافة » ص ١٩٠ .
(٢) الإسلام على مفترق الطرق ص : ٣٩ .
(٣) جذور البلاء ص ٢٠١ .

٣ – ويقول المبشر الحقود (كاتلي) : (يجب أن نستخدم القرآن ، وهو أمضى سلاح في الإسلام ، ضد الإسلام نفسه ، حتى نقضي عليه تماماً ، يجب أن نبين للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديداً ، وأن الجديد ليس صحيحاً)(١) .

٤ – ويقول (الحاكم الفرنسي) للجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها : « يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم .. ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم ، حتى ننتصر عليهم)(٢) .

وقد أثار هذا المعنى حادثة طريفة جرت في فرنسا ، وهي أنها من أجل القضاء على القرآن في نفوس شباب الجزائر ، قامت بتجربة عملية ، قامت بانتقاء عشر فتيات مسلمات جزائريات ، أدخلتهن الحكومة الفرنسية في المدارس الفرنسية ، وألبستهن الثياب الفرنسية ، ولقنتهن الثقافة الفرنسية ، وعلمتهن اللغة الفرنسية ، فأصبحن كالفرنسيات تماماً .

وبعد أحد عشر عاماً من الجهود هيأت لهن حفلة تخريج رائعة دُعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون .. ولما ابتدأت الحفلة ، فوجىء الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري ..

فثارت ثائرة الصحف الفرنسية وتساءلت : ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذن بعد مرور مائة وثمانية وعشرين عاماً !!؟

أجاب (لاكوست) وزير المستعمرات الفرنسي : (وماذا أصنع إذا كان القرآن أقوى من فرنسا ؟!! .)(٣) .

ثالثاً – تدمير الفكر الإسلامي في المسلمين وقطع صلتهم بالله ..

لتحللّوا من نظام الاسلام ، ويسيروا في الإلحاد والإباحية ، وبهذا يكونون قد تخلوا عن الاسلام ..

---

(١) التبشير والاستعمار ص : ٤٠ .

(٢) المنار : عدد ٩ – ١١ – ١٩٦٢ .

(٣) جريدة الأيام عدد : (٧٧٨٠) عام ١٩٦٢

١ - يقول (صموئيل زويمر) رئيس جمعيات التبشير في مؤتمر القدس للمبشرين المنعقد عام /١٩٣٥ / :

(إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً .

إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ، لقد هيأتم جميع العقول في الممالك الإسلامية لقبول السير في الطريق الذي سعيتم له ، ألا وهو إخراج المسلم من الإسلام ..

إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية ، وبالتالي جاء النّشئ الإسلامي طبقاً لما أراد له الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإذا جمع المال فللشهوات ، وإذا تبوّأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات ، إنه يجود بكل شيء للوصول إلى الشهوات ..

أيها المبشرون : إن مهمتكم تتم على أكمل الوجوه)[١] .

٢ - ويقول (زويمر) نفسه في كتاب الغارة على العالم الإسلامي : (إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين : مزية هدم ، ومزية بناء . أما الهدم فنعني به انتزاع المسلم من دينه ، ولو بدفعه إلى الإلحاد . وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه)[٢] .

---

(١) جذور البلاء - ص : (٢٧٥) .
(٢) الغارة على العالم الإسلامي ص : (١١) .

٣ – ويقول المبشر (تكلي) : (يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني ، لأن كثيراً من المسلمين قد زُعزع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب المدرسية الغربية ، وتعلموا اللغات الأجنبية)(١) .

رابعاً – القضاء على وحدة المسلمين ليظل المسلمون ضعفاء أذلاء بلا قوة ولا عزة ولا كيان ..

١ – يقول القس (سيمون) : (إن الوحدة العربية الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية ، وتساعد على التملص من السيطرة الأوربية ، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة هذه الحركة ، من أجل ذلك يجب أن نحوّل بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)(٢) .

٢ – ويقول المبشر (لورانس براون) : (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية ، أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً ، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نعمة له ، أما إذا بقوا متفرقين ، فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير ..)(٣) .

٣ – في سنة /١٩٠٧/ عقد مؤتمر أوربي كبير ، ضم أضخم نخبة من المفكرين والسياسيين الأوربيين برئاسة وزير خارجية بريطانيا الذي قال في خطاب الافتتاح :

(إن الحضارة الأوربية مهددة بالانحلال والفناء ، والواجب يقضي علينا أن نبحث في هذا المؤتمر عن وسيلة فعالة تحول دون انهيار حضارتنا) .

واستمر المؤتمر شهراً من الدراسات والنقاش ، واستعرض المؤتمرون الأخطار الخارجية التي يمكن أن تقضي على الحضارة الغربية الآفلة ، فوجدوا أن المسلمين هم أعظم خطراً يهدد أوربة . فقرر المؤتمرون وضع خطة تقضي ببذل جهودهم كلها لمنع إيجاد أي اتحاد أو اتفاق بين دول الشرق الأوسط ، لأن الشرق الأوسط المسلم المتحد يشكل الخطر الوحيد على مستقبل أوربة .

---

(١) التبشير والاستعمار ص : ٨٨ .
(٢) كيف هدمت الخلافة ص : ١٩٠ .
(٣) جذور البلاء ص : ٢٠٢ .

وأخيراً قرروا إنشاء قومية غربية يهودية معادية للعرب والمسلمين شرقي قناة السويس ليبقى المسلمون متفرقين . وبذا أرست بريطانيا أسس التعاون والتحالف مع الصهيونية العالمية التي كانت تدعو إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين(١) .

خامساً – **إفساد المرأة المسلمة** وذلك بالاهتمام بحركات تحرير المرأة ، وإثارة المناقشات حول حقوقها ومساواتها بالرجل ، ونقض النظام الإسلامي في تعدد الزوجات ، وإباحة الطلاق .. كل ذلك لإلقاء الشبه ، وإثارة الشكوك حول صلاحية الشريعة الإسلامية ومسايرتها للحياة .. لقد ألف القسّ (زويمر) رئيس إرسالية التبشير رسالة بعنوان (العالم الإسلامي اليوم) قال فيها : (لم يسبق وجود عقيدة مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي ، الذي اقتحم قارتي آسيا وافريقيا الواسعتين ، وبث في مائتى مليون من البشر عقائده وشرائعه وتقاليده .. وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية ، فأصبحوا كالأنقاض والآثار القديمة المتراكمة على جبل المقطم أو هم كسلسلة جبال تناطح السحاب ، وتطاول السماء مستنيرة ذرواتها بنور التوحيد ، ومسترسلة سفوحها في مهاوي تعدد الزوجات ، وانحطاط المرأة ..)(٢) .

ثم اختتم عدو الإسلام كلامه بنصيحة للمبشرين بعدم اليأس ، لأن سوس (تحرير المرأة) ينخر في عظام المجتمع الإسلامي ، فقال : (ينبغي للمبشرين أن لا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وتحرير المرأة ..)(٣) .

ونشر الكاتب الفرنسي الشهير « مسيو اتين لامي » مقالا في مجلة « العالمين » القرنسية بالعدد الصادر في ١٥ سبتمبر ١٩٠١ رسم فيه هذه الخطة المثلى لهدم الإسلام .

---

(١) المؤامرة ومعركة المصير ص : ٢٥ .

(٢) من كتاب (الغارة على العالم الإسلامي)ص : ٣٣ .

(٣) من كتاب « الغارة على العالم الاسلامي » ص : ٤٧ .

فقال بالحرف الواحد : (إن طريقة تربية أولاد المسلمين وإن كان لها من التأثير ما بيناه ، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى نفس الغاية التي وراءها نسعى ، بل أقول : إن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله) .

وتقول المبشرة (آن ميليغان) : (لقد استطعنا أن نجمع في صفوف كلية البنات في القاهرة بنات آباؤهن باشوات وبكوات ، ولا يوجد مكان آخر يمكن أن يجتمع فيه مثل هذا العدد من البنات المسلمات تحت النفوذ المسيحي ، وبالتالي ليس هناك من طريق أقرب إلى تقويض حصن الإسلام من هذه المدرسة)(١) .

هل عرفت – أخي المربي – بعض هذه المخططات الصليبية اللئيمة في محو العقيدة الإسلامية من نفوس شبابنا وشاباتنا ، وقطع الأواصر بينهم وبين الإسلام ؟

هل عرفت أن جُلّ غايتهم تمزيق الوحدة الاسلامية في ربوع المجتمع الإسلامي حتى يحققوا في المسلمين آمالهم ومآربهم ؟

هل عرفت أن قصارى همهم إفساد الأسرة المسلمة .. لينطلق أفرادها من بنين وبنات في أتون الانحلال الآثم ، ومتاهات الإباحية الفاجرة ؟

إذا عرفت هذا .. فقدّر هذه المسئولية التي حمّلكَ الله إياها حق قدرها ، لتنهض بها على الوجه الصحيح لتصل في نهاية الشوط إلى أفضل الثمرات في تربية ولدك ، وإصلاح أسرتك !!..

(ج) مخططات اليهودية والماسونية :

لجأ اليهود لعنهم الله إلى طرق ملتوية من الحيلة والمكر سعياً لما تصبو إليه آمالهم وأهدافهم من بسط نفوذهم في الأرض ، ومد سلطانهم على العالمين ، ووضعوا نصب أعينهم هدفين رئيسيين ليصلوا إلى ما يريدون :

الهدف الأول : (تجزئة أمم الأرض ، وإغراء بعضها ببعض ، وإثارة الحروب بينها ، وإيقاد نيران الفتن بين شعوبها .

الهدف الثاني : إفساد عقائد الأمم ، وتحطيم مفاهيمها وأخلاقها ونظمها وإبعادها عن صراط الله) ..

والغاية المتوخاة من هذا كله هو فقد هذه الأمم عوامل قوتها ومجدها ، ثم بالتالي لتكون دائماً تحت سيطرة اليهود ونفوذهم .. حتى لا تقوم لأي أمة قائمة كيان وقوة في العالم . ومن حيلهم التي اتخذوها لتجزئة الأمم وإفسادها تأسيس الجمعيات السرية ، ولعل من أهم هذه الجمعيات ، وفي مركز القمة منها (الجمعية الماسونية) .

يقول الأستاذ عبد الرحمن حبنكه في كتابه (مكائد يهودية) صفحة ، ٢١٩ : (لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية - المحاطة أهدافها الحقيقية بسرية عظيمة - أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدواراً خطيرة في تاريخ الأمم ، وأثرت تأثيراً مباشراً على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لن تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت إليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء السجوف أصابع المكر اليهودي الذي يحكم إخفاء نفسه ، في الوقت الذي يكون فيه هو المدير الحقيقي للعمليات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والحربية وغيرها .. في البلد الذي تنتشر فيه المحافل الماسونية ، ولو لم يكن لليهود في هذا البلد عدد كبير من عملائهم لما استطاعوا أن يفعلوا شئياً لصالح الدهاة من أحبار اليهود وحكمائهم هي التي تخدم أغراضهم خدمة آلية ، يتحرك فيها الأفراد دون أن يشعروا إلى أين يسيرون ، ولمن يعملون ؟..

ولقد يبلغ الدهش عندما تعلم أن اليهود هم العاملون على إثارتها وإشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم ...

ومن المؤسف أن الماسونية تغلغلت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية ، واعتنق مبادئها كثير من أهل الغنى والجاه ، والنفوذ والسلطان .. ولا ندري ماذا تكشف عنه الأيام المقبلة عن الدور التي ستلعبه الماسونية العالمية على يد المنتمين إليها من أهل النفوذ والسلطان في الاعتراف بإسرائيل ، والخضوع إلى الحل السلمي الذي تنادي به دول كبرى في العصر الحاضر لإنهاء قضية فلسطين .

وإذا كان أمر الاعتراف بإسرائيل قد تحقق في المستقبل – كما ظهرت بوادره الآن – علمنا جيداً أن المخطط اليهودي الماسوني هو من وراء هذه الأحداث الخطيرة في إنهاء القضية الفلسطينية .. وأن المنفّذين لهذا المخطط هم حكام أجراء وعملاء باعوا ضمائرهم للشيطان ، وخانوا العهود والذمم ، وقد برهنوا بتصرفهم الآثم هذا أن لهم الارتباط الأكبر بالماسونية العالمية أو أنهم مدفوعون من قبلها من حيث يعلمون أو لا يعلمون .. وعلى كل الأحوال فإن التاريخ سيدمغهم بالخيانة العظمى ، وأن لعنة الله ، والتاريخ ، والأجيال المسلمة ستحل عليهم إلى يوم يبعثون .

ولسنا الآن بصدد الكلام عن تأسيس الماسونية ، وبيان مراتبها ، والكشف عن رموزها وأسرارها وطريقتها .. فمن أراد التوسعة في هذا كله .. فليرجع إلى كتاب « مكائد يهودية » للأستاذ حبنكه ، فإن فيها ما يشفي الغليل .

ولكن الذي نحن بصدده الآن هو إزاحة الستار عن مخططات الماسونية اليهودية في حرب الأديان ، وانهيار الاخلاق ، وإفساد المجتمعات الإنسانية هنا وهناك ..

وإليك أخي المربي أهم هذه المخططات[١] :

● لقد أعلن اليهود في بروتوكولاتهم هذه الآراء الضالة ليفسدوا على الناس عقائدهم وضمائرهم وعقولهم ، وتبنوا أفكار شخصيات يهودية وغير يهودية تدعو إلى هدم العقيدة الدينية ، وتحطيم مبادىء الأخلاق الفاضلة ..

● إنهم يعلنون أنهم تبنوا آراء (فرويد) الذى يفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية والاسترسال في طريق الشهوات والملذات ..

---

(١) المرجع في هذه المخططات كتاب « مكائد صهيونية » للأستاذ عبد الرحمن حبنكة ص : (٢٣٣ – ٢٣٨) .

● وإنهم تبنوا آراء (كارل ماركس) الذي أفسد على الكثير قلوبهم وضمائرهم وعقولهم ، وألغى الأديان ، وهاجم عقيدة الألوهية ؟ ولما قيل لكارل ماركس : ما هو البديل عن عقيدة الألوهية ؟ قال : البديل هو المسرح أشغلوهم عن عقيدة الألوهية بالمسرح ..

● وتبنوا آراء « نيتشه » الذي ألغى الأخلاق ، وأباح لكل إنسان أن يفعل ما يؤدي إلى استمتاعه ، ولو كان القتل أو الدماء أو التخريب ..

● وتبنوا آراء « دارون » الذي أعلن عن نظرية التطور التى نقضها العلم ، وألقاها في سلة المهملات[1] .

● بل وقد وصل الأمر باليهود أن رسموا لإفساد الإنسانية منهجاً أخذوا في تنفيذه عن طريق وسائل الإعلام ، ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسينما ، والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .. وعن طريق المنظمات الماسونية التي أوجدوها ، وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور ... واستطاعوا بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون ، والملاهي ، ودور الدعارة وأشباهها .. كما أنهم استطاعوا بدهائهم وتلاعبهم أن يستولوا على كراسي علم النفس ، وعلم الاجتماع في جامعات أوروبا ، وأمريكا ، وفي أكثر جامعات الشرق .. وذلك ليفسدوا عن طريق هذين العلمين على الناس عقائدهم وأخلاقهم ، ولقد نفذوا مخططهم الخبيث فاستولوا على ما يقرب من ٩٠٪ من هذه الكراسي .. لتتم لهم القيادة الفكرية ، والنفسية ، والفلسفية في العالم كله ..

وإليكم ما يقولون في **البروتوكول التاسع** : (وقد تمكنا من تضليل من غير اليهود ، وإفسادهم خلقياً ، وحملهم على البلادة عن طريق تعليمهم المبادىء التي نعتبرها نحن باطلة على الرغم من إيماننا بها) .

---

(١) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيه الرد الكافي على نظرية دارون وبطلانها .

- ويقولون أيضاً في **البروتوكول الثالث عشر** : (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهي ، والألعاب ، وهلمّ جراً .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس إلى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات ، كالفن ، والرياضة ، وما إليها .. إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا ، لسبب واحد هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلاً لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيّبة حين يحين ذلك الوقت) .

- ومما جاء في هذه **البروتوكولات ما يلي** : (يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن « فرويد » منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه) .

- وجاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ م قولهم : (ويجب ألا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهداً في القضاء على مظاهرها) .

- وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم : (سوف تتخذ الانسانية غاية من دون الله) .

- وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم : (إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود) .

- وفي مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم : (إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة) ، (ستحل الماسونية محل الأديان ، وأن محافلها ستقوم مقام المعابد) .

هل عرفت – أخي المربي – ماذا تهدف اليهودية الماسونية من وراء هذه المخططات الماكرة الخبيثة ؟ إنها تهدف ولا شك إلى إعادة مجد بني إسرائيل وتأسيس دولتهم الكبرى من الفرات إلى النيل .. ثم السيطرة على العالم أجمع ، ومن وسائلهم في الوصول إلى هذا الهدف هدم جميع الأديان السماوية ، والمذاهب الأخلاقية ، والاجتماعية ، والاقتصادية .. في الأرض ، ورفع لواء اليهودية وحدها ، وما الدولة الإسرائيلية في فلسطين إلا صنيعة هذه المخططات الماكرة التى استخدمت المحافل الماسونية وسيلة لغايتها ..

إذا عرفت هذا – أخي المربي – فضاعف جهودك ، واشحذ عزيمتك في تكوين أولادك إيمانياً وخلقياً ، وفي إعدادهم فكرياً ونفسياً .. حتى لا تلفحهم مكائد يهود في زعزعة العقيدة ، وانهدام الأخلاق !!..

* * *

(د) المخططات الاستعمارية :

أعني بالمخططات الاستعمارية هي التي ترتبط بالصليبية والاستشراق ارتباطاً وثيقاً في محاربة الإسلام ، وتحويل المسلمين عن الهدف الأسمى ألا وهو الجهاد في سبيل الله ، وإغراق المجتمع الإسلامي في الانحلال والشهوات .. حتى ينسلخ المسلم من عقيدة الإسلام ، ولا يعرف في الحياة شيئاً مقدساً سوى إشباع الغريزة ، والانطلاق في حمأة الرذيلة .. ولا يسعى إلى مجد مؤثل ، ولا إلى رسالة سامية في الحياة !!..

– يقول أحد أقطاب هؤلاء المستعمرين : (كأس وغانية ، تعملان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها في حب المادة والشهوات) .

– وسبق أن ذكرنا ما قاله القس « زويمر » في مؤتمر المبشرين : (... إنكم أعددتم نشئاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية .. وبالتالي جاء النّشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار ، لا يهتم بالعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في

دنياه إلا في الشهوات ، فإذا تعلم فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات) .

- قال « راندولف تشرشل » عام ١٩٦٧ م بعد سقوط القدس : (لقد كان إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم اليهود والمسيحيين على السواء ، إن سرور المسيحين لا يقل عن سرور اليهود ، إن القدس قد خرجت من أيدي المسلمين ، وقد أصدر الكنيست اليهودي ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود إلى المسلمين في أية مفاوضات مقبلة ما بين المسلمين واليهود) .

ولقد نقلنا من أقوال المستعمرين ما فيه الكفاية في البحث الذي سبق ذكره عن المخططات الصليبية والاستشراق .. فالكل يدٌ واحدة في تنفيذ وسائل التدمير والإبادة لمقدسات الإسلام ، ومبادىء الإسلام .. ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

* * *

واخيراً أخي المربي :

عليك ألا تتغافل عن **نشاطات العملاء** في بلاد الإسلام .. الذين لهم الارتباط الأكبر بالشيوعية الملحدة ، أو الصليبية الحاقدة ، أو الماسونية الماكرة ، أو المذاهب الاستعمارية المضللة .. والذين لا يفتؤون ليل نهار في بثّ مبادىء الكفر والإباحية على أرض الإسلام ، وفي المجتمعات الإسلامية في كل مكان ..

وعليك أن تعلم - أخي المربي - أن لكل فئة عميلة خائنة من هؤلاء عناصرها التي تعمل ، وأساليبها التي تتنوع ، ومبادئها التي تتغلغل ، ومنظماتها التي تتجدد ..

وهذه الفئات من الأذناب والعبيد متكاتفة متضامنة متعاونة .. في سرقة عقيدة الإيمان والإسلام ، وقيم الفضائل والخلق .. من ولدك وابنتك .. حتى لا يبقى عند الولد شيء اسمه إيمان ، أو فضيلة اسمها خُلق .. وهذا لا يتأتّى عند هذه الفئات الخائنة إلا أن يمر الولد على مراحل التشكيك والتحرر والإباحية .. فعندئذ ينبذ كل شيء مقدس كريم جاءت به الأديان والشرائع ..

وهؤلاء الذين باعوا نفوسهم للشيطان متمركزون منتشرون في طول البلاد وعرضها هنا وهناك .. في الوظائف ، في الوزارات ، في الإذاعة ، في التلفزيون ، في أجهزة التعليم ، في المعامل ، في المؤسسات ، في كل مكان .

ووسائلهم في بث الفساد والتضليل والإلحاد كثيرة ومتنوعة .. في الصحف تارة ، والبث الإذاعي أخرى ، في التمثيليات التلفزيونية حيناً ، وفي المسرحيات الشعبية أحياناً .. وفي الندوات والمراكز الثقافية مرة ، وفي افتتاح المنظمات المتعددة مرات ..

عدا عن الدس المركز الكافر الدائم في أجهزة التعليم والجامعات ..

عدا عن اللقاءات الخاصة في أوكار التآمر والفساد ..

ولا يخفى عليك – أخي المربي – أن هؤلاء العملاء عندهم من أسلوب المنطق والإغراء والتضليل .. ما يستطيعون التأثير به على عقيدة الولد ، وأفكار الولد ، وأخلاق الولد ..

– فمن أساليبهم تمنية الولد عند التخرج بالوظيفة والجاه والمنصب .. وفي حال انتمائه إلى إحدى منظماتهم سيصل إلى أعلى المراتب !!..

– ومن أساليبهم تضليل الولد بالحضارة الغربية ، أو المبادىء الشرقية .. وأن أصحاب هذه الحضارات والمبادىء .. ما وصلوا إلى قمة النصر والعزة .. إلا بعد أن طرحوا الدين جانباً !!..

– ومن أساليبهم تشكيك الولد بالاعتقاد الإلهي كقولهم : إذا كان الله هو الخالق فمن خلقه ؟، أو إذا كان الله لا نراه فهو إذن غير موجود .. إلى غير ذلك من التشكيكات الباطلة التي يثيرونها ، ويركزّون عليها[1] !!..

– ومن أساليبهم تشكيك الولد بالنظام الإسلامي .. كقولهم : إن مبادىء الإسلام قد انتهى دور العمل بها ، واستنفدت في وقتٍ ما أغراضها ، فلم تعد صالحة لعصر الذرة والكهرباء والعلم ..

---

(١) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الأدلة القاطعة في الرد على هذه الشبهات التي تثار .

– ومن أساليبهم إقناع الولد بأن الإسلام فرض على المرأة الحجاب والقعود في البيت ، وجعلها ذليلة مستعبدة للرجل ، ولا يمكن أن تصل إلى قمة الحقوق والكرامة ..! إلا أن تتحرر من كل قيد جاء به الإسلام ، وأن تطرح كل عرف جاء به الدين !!..[١] .

– ومن أساليبهم توجيه الولد في الاسترسال وراء الإباحية والشهوات واقتراف جريمة الخنا والزنى .. بحجة الاستجابة لدواعي الغريزة الشهوانية ، والتخلص من الكبت الجنسي ، والانضباط النفسي .. إلى غير ذلك من هذه الأساليب الملتوية ، والتشكيكات الباطلة ، والتضليلات العفنة ..

﴿ ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾ .

أعرفت – أخي المربي – ماذا يريد هؤلاء العملاء الخائنون من هذه الشبهات التي يلقونها ، ومن هذه التشكيكات التي يثيرونها ..؟ إنهم – ولا شك – يريدون أن يربطوا مصير الأجيال المؤمنة ، والمجتمعات الإسلامية الحاضرة بعجلات أسيادهم من أصحاب العقائد الكافرة ، والمذاهب الضالة ، والدعوات المخربة .. حتى لا يبقى عند الشاب المسلم ، والمرأة المسلمة .. شيء اسمه إسلام ، أو شيء اسمه عيب أو حياء أو حرام ..

وإذا تمكن أولئك الأوغاد العملاء في غيّهم وضلالهم .. وفسح لهم المجال في أن يكيدوا كيدهم ، ويجمعوا أمرهم ، وينفثوا كفرهم وسمومهم .. دونما مقاومة ، ولا استشعار بمسؤولية ، ولا اهتمام بتوجيه ولا تلقين ولا تربية .. فإن المجتمعات الإسلامية – لا سمح الله – ستسير حتماً نحو الإباحية والإلحاد ، وسترتبط لا محالة – بشكل سافر – بعجلات الغرب أو الشرق ، أو إن شئت قل : بالنظام الشيوعي أو بالنظام الرأسمالي .. عندئذ نكون قد أصبنا بخزي الأبد ، وغمرت أمتنا

(١) ارجع الى الكتابين : « ماذ عن المرأة » للأستاذ الدكتور نور الدين عتر ، و« المرأة المسلمة » للأستاذ وهبي سليمان الغاوجي فإن فيهما ما يشفي الغليل في الرد على هذه الترّهات .

الذلة والعبودية في عصور الانتكاس والضلال .. ونكون من الذين استحقوا لعنة الله ، ولعنة الأجيال ، ولعنة التاريخ .. الى يوم البعث والنشور !!..

* * *

فإذا عرفت – أخي المربي – هذه المخططات التي تصممها الشيوعية ، وتصمّمها الصليبية ، وتصممها الماسونية اليهودية ، وتصممها المذاهب الاستعمارية ، وتصممها الفئات العميلة الخائنة .. فما عليك – بعد هذا البيان – إلا أن تضاعف جهودك الجبارة ، وتستنفر عزيمتك المتينة ، وتستنهض إرادتك القوية .. لتؤدي الواجب الذي يمليه عليك الإسلام نحو تربية أولادك ، وتلقين أسرتك ، وتوجيه من لهم حق التربية في عنقك .. إن مسؤوليتك أمام أسرتك أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه فيها ..

فأدِّ هذا الحق على وجهه الصحيح قبل المحاسبة والسؤال ، لتحظى بمرضاة الله في جنات صدق عند مليك مقتدر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً(١) .

قال تعالى :

﴿ **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾ .

(الصافات : ٢٤)

وقال ايضاً :

﴿ **فوربِّك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ .

(الحجر : ٩٢ ، ٩٣)

* * *

(١) لقد أفضنا القول في القسم الثاني من المجلد الأول من كتاب « تربية الأولاد » في مبحث مسؤوليات المربين فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ..

الثاني : القَواعد الأساسية في تربية الوَلد

أما القواعد الأساسية في التربية فتتركز في قاعدتين :

الأولى : قاعدة الربط

الثانية : قاعدة التحذير

١ – قاعدَة الرّبط :

من المؤكد يقيناً أن الولد إذا ارتبط وهو في سن الوعي والتمييز بروابط اعتقادية ، وروابط روحية ، وروابط فكرية ، وروابط تاريخية ، وروابط اجتماعية ، وروابط رياضية .. إلى أن تدرّج يافعاً ، الى أن ترعرع شاباً ، إلى أن أصبح رجلا ، إلى أن انحدر كهلا .. فإن الولد – ولا شك – يصبح عنده من مناعة الإيمان ، وبرد اليقين ، وحصانة التقوى .. ما يجعله أن يستعلي على الجاهلية ، ويهزأ بها .. بكل تصوراتها واعتقاداتها ومبادئها وأضاليلها .. بل يكون ثورة شعواء على كل من يقف من نظام الإسلام موقفا معاديا ، أو ينال من مبادئه الخالدة نيلا حاقداً !!.. لماذا ؟

لأن الولد ارتبط بالاسلام عقيدة ، وارتبط به عبادة ، وارتبط به خلقاً ، وارتبط به نظاماً وتشريعاً ، وارتبط به عملًا وتطبيقاً ، وارتبط به جهاداً ودعوة ، وارتبط به ديناً ودولة ، وارتبط به مصحفاً وسيفاً ، وارتبط به فكرة وثقافة .

وإليك – أخي المربي – أهم هذه الروابط التي تحقّق الخير كل الخير لولدك ، فاحرص على تنفيذها ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، عسى أن ترى الولد فى عداد

المؤمنين الأبرار ، ومن زمرة المتقين الأطهار ، ومن جماعة المجاهدين الأحرار .. وما ذلك على الله بعزيز .

والرَّوابط هي على الوجه التالي :

أولًا : الرَبط الاعتقَادي

سبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » أن الولد يجب أن يرتبط منذ تعقله بأركان الإيمان الاساسية ، والحقائق الغيبية ، وبكل ما ثبت يقيناً عن طريق الخبر الصادق من اعتقادات وغيبيات .. وبناء على هذا وجب على المربي أن يغرس في الولد حقيقة الإيمان بالله عز وجل ، والإيمان بالملائكة ، والإيمان بالكتب ، والايمان بالرسل ، والإيمان بالقضاء والقدر ، والايمان بسؤال ملكين ، وعذاب القبر .. والإيمان بأحوال الآخرة من بعث ، وحساب وجنة ، ونار .. وسائر الغيبيات .

ولا يخفى عليك – أخي المربي – أنك إذا عمقت في ولدك حقيقة الإيمان بالله ، ورسخت في قلبه وتصوره هذه المعالم الإيمانية .. وسعيْتَ جهدك دائماً في أن تربطه بالعقيدة الإلهية .. فإن ولدك ينشأ على المراقبة لله ، والخشية منه والتسليم لجنابه فيما ينوب ويروع ، والتزام منهجه في كل ما يأمر وينهى ، بل يكون عنده من حساسية الإيمان ، وإرهاف الضمير .. ما يكف عن المفاسد الاجتماعية ، والوساوس النفسية ، والمساوىء الخلقية .. وبهذا ينصلح روحياً وخلقياً .. ويكتمل عقلياً وسلوكياً .. **بل يكون من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين والحق والصراط المستقيم ..**

ولا أراني في حاجة – أخي المربي – أن أعيد إليك حدود مسؤوليتك في تربية ولدك إيمانياً باعتبار أن البحث قد عولج من جميع جوانبه في بحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد» .

فإذا أردت معرفة ذلك كله فارجع إلى البحث المذكور تجد فيه إن شاء الله ما يبل الصدى ، ويشفي الغليل ..

ثانياً : الرَّبط الرُّوحي

أقصد بالربط الروحي أن تتصف روح الولد بالصفاء والإشراق ، وأن يتفجر قلبه بالإيمان والإخلاص ، وأن تسمو نفسه في أجواء الطهر والروحانية .. وللإسلام منهجه في ربط المسلم بارتباطات روحية متنوعة ، ليظل دائماً محافظاً على صفائه وإشراقه ، وطهره وإخلاصه ..

والمنهج هو كما يلي :

(أ) ربط الولد بالعبادة :

لما روى الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » .

ويقاس على الصلاة ربط الولد بعبادة الصوم إذا كان الولد يطيقها ، وبعبادة الحج إذا كان الأب يستطيعها ، وبعبادة الزكاة إذا كان المربي يقدر عليها ..

وعليك – أخي المربي – أن تفهم الولد أن العبادة في الإسلام ليست مقصورة على هذه الأركان الأربعة من العبادات ، وإنما تشمل كل عمل صالح يكون المسلم ملتزماً فيه منهج الله ، ومبتغياً به وجهه ، ويتحصل من هذا المعنى العام للعبادة أن التاجر في متجره مثلا إذا انتهج منهج الله في تجارته ، وراعى في بيعه أمور الحلال والحرام ، وابتغى بعمله هذا وجه الله سبحانه فيكون هذا التاجر من العبّاد المؤمنين ..

لهذا كان لزاماً على كل مربٍّ أن يبصر الولد وهو صغير مبادىء الخير والشر ، ومسائل الحلال والحرام ، ومعالم الحق والباطل .. يفعل الولد ما يحل ، ويجتنب ما يحرم ، وهذا التوجيه للولد هو من إرشادات النبي ﷺ للمربين – فيما رواه ابن جرير وابن المنذر – حين قال :

« اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم ولكم من النار » .

فالولد - أخي المربي - حين يرتبط بالعبادة بمفهومها الخاص والعام منذ نشأته ، ويعتاد أداءها ، والقيام بوظائفها منذ نعومة أظافره ، وحين يتربى كذلك على طاعة الله ، والقيام بحقة ، والشكر له ، والتزام منهجه .. عندئذ يكون الإنسان المتوازن المستقيم العامل المخلص .. الذي يؤدي كل ذي حق حقه في الحياة ، والذي يعطي للناس القدوة الصالحة في سلوكه وأخلاقه ومعاملته . **بل يكون من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم** .

(ب) ربط الولد بالقرآن الكريم :

لما روى الطبراني عن علي كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال : « أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيّكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » .

- وأشار **ابن خلدون** في مقدمته إلى أهمية تعليم القرآن الكريم للأطفال وتحفيظه ، وأوضح أن تعليم القرآن الكريم هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار من شعائر الدين يؤدي إلى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الإيمان ..

- ولقد نصح **ابن سينا** فى كتاب السياسة بالبدء بتعليم الولد القرآن الكريم بمجرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع منذ الصغر اللغة العربية الأصيلة ، وترسخ فى نفسه معالم الإيمان .

وأوصى **الإمام الغزالي** في إحيائه : « بتعليم الطفل القرآن الكريم وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية » .

وسبق أن ذكرنا في فصل « مسئولية التربية الإيمانية » « **اهتمام الأولين بتربية أبنائهم** » وكيف كان الآباء الأولون من سلفنا الصالح الواعي يدفعون أبناءهم إلى

المؤدب ؟ فأول شيء كانوا ينصحون به ، ويشيرون إليه .. تعليم أولادهم القرآن الكريم ، وتحفيظهم إياه .. حتى تتقوّم ألسنتهم ، وتسمو أرواحهم ، وتخشع قلوبهم ، وتدمع عيونهم ، ويترسخ الإيمان والإسلام في نفوسهم ، ثم بالتالي لا يعرفون سوى القرآن والإسلام دستوراً ومنهاجاً وتشريعاً !! ..

فعليك أن تعلم – أخي المربي – أنه لا يصلح آخر هذه الأمـة إلا بما صلح عليه أولها فإذا كان صلاح أول هذه الأمة بالقرآن تلاوة وعملًا وتطبيقاً ، وعزتها بالإسلام فكرة وسلوكاً وتحقيقاً .. فآخر هذه الأمة لا تصل إلى مراتب الصلاح . ولا تتحقق بظاهرة العزة إلا أن نربط أولادنا بهذا القرآن الكريم فهماً وحفظاً وتلاوة وتفسيراً وتخشعاً وعملا وسلوكاً وأحكاما .. وبهذا نكون قد كونا في عصرنا الحاضر جيلا قرآنياً مؤمناً صالحاً تقياً .. على يديه تقوم عزة الإسلام ، وبفضل همته العالية الجبارة يرتفع في العالمين صرح الدولة الإسلامية ، لتناهض الأمم في عزتها وقوتها وحضارتها !!..

فاحرص – أخي المربي – أن تهيىء لأولادك وبناتك من يعلمهم القرآن الكريم سواء أكان التعليم لهم في البيت ، أو في المسجد ، أو في مراكز تعليم القرآن الكريم ..

واعلم أنك إذا قمت بهذه المهمة على وجهها الصحيح فتكون قد قمت بواجب المسؤولية نحو ولدك ، وربطته بالقرآن روحاً وفكراً وتلاوة وعملا وأحكاماً ..

فإذا فعلت هذا .. فالولد حين يفتح عينيه فلا يعرف مبدءاً يعتقده سوى مبادىء القرآن الكريم ، ولا يعرف تشريعاً يستقي منه سوى تشريع القرآن ، ولا يعرف بلسماً لروحه ، وشفاءً لنفسه سوى التخشع بآيات القرآن .. فعندئذ تصل إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ، **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والحق والصراط المستقيم .**

(ج) ربط الولد ببيوت الله :

لما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » ، وقال الله عز وجل :

﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة .. ﴾ ، الآية ..

إِعلم – أخي المربي – أن المسجد في الإسلام من أهم الدعائم التي قام عليها تكوين الفرد المسلم ، وبناء المجتمع الاسلامي في جميع العصور السالفة عبر التاريخ .. ولا يزال المسجد من أقوى الأركان الأساسية في بناء الفرد والمجتمع فى حاضر المسلمين ومستقبلهم .. إِذ بغير المسجد لا يمكن أن يتربى ولدك روحياً وإِيمانياً ، وأن يتكون خلقياً واجتماعياً .. وبغير المسجد لا تسمع أنت ومن بكنفك صوت النداء العلوى « الله أكبر » ، يجلجل في سماء الدنيا ، فيهزّ المشاعر ، ويحرك أوتار القلوب ..

وبغير المسجد لا ينصت المسلم إلى سماع كلمة الموعظة والحق ، فتتفاعل بها روحه ونفسه ، وتتأجج بتأثيرها مشاعره وأحاسيسه ..

وبغير المسجد لا يتعلم المسلم أحكام الدين ، وتنظيم الدنيا ، وأمور الحلال والحرام ، ومناهج الحياة ، ودقائق التشريع ..

وبغير المسجد لا يتلقن المسلم تعليم القرآن الكريم ، ويعرف أسباب النزول ، ويفهم لطائف التفسير ..

وبغير المسجد لا يمكن لعامة المسلمين أن يعرفوا شيئاً عن أحوال المسلمين وآلامهم وآمالهم في شرق الدنيا وغربها ..

وبغير المسجد لا يمكن للمسلم أن يتعاطف مع أخيه المسلم ، وأن تتفاعل نفساهما على أسس من المحبة والرحمة والتعاون والتكافل ..

وبغير المسجد لا يجد المسلم لنفسه موئل عزاء إِذا أصيب ، وموطن طمأنينة وسلوى إِذا جزع ..

هذه هي بعض وظائف المسجد كما كان عليه أمره في بعثة النبي ﷺ ، وفي عهود من جاؤوا بعده من خلفائه وحكامه على مر العصور ..

وهكذا ينبغي أن يظل المسجد أبد الدهر .. إذا أراد المسلمون أن يبنوا في مجتمعاتهم الإسلامية في كل مكان القاعدة الصلبة المتينة ، وأن يظلوا على المحجّة البيضاء ، وأن يكونوا خير الأمم قوة وعلماً وحضارة ، وأن يبنوا في الآخرين ما حققه الأوائل من عز ورفعة ودولة وكيان ..

- أتعلم - أخي المربي - أن من مهام المسجد اطمئنان القلوب بذكر الله ؟ اسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الترمذي - : « إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا ، قالوا : يا رسول الله : وما رياض الجنة ؟، قال : حِلَقُ الذكر » .

- أتعلم - أخي المربي - أن من مهام المسجد مدارسة القرآن الكريم ؟ اسمع الى ما يقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم - : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عندهَ » .

- أتعلم - أخي المربي - أن من مهام المسجد صلاة الجماعة ؟ إسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ، ويرفع به الدرجات ؟، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

- عدا ما لارتياد المساجد ، والسعي إليها - أخي المربي - من رفع في الدرجات ، وحط للخطيئات .. إسمع إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم :- « من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » .

- عدا ما للمشي إليها من البشارة بالنور التام يوم القيامة ، إسمع - أخي المربي - إلى ما يقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه أبو داود والترمذي - : « بشّر المشّائين في الظُلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

انطلاقاً - أخي المربي - من التوجيهات النبوية في فضل المشائين إلى المساجد والساعين إليها ، اعقد الهمة ، واشحذ العزم ، لتربط أولادك ببيوت الله عز وجل ،

ليربّوا فى المسجد أرواحهم ، ويثقفوا عقولهم ، ويهذبوا نفوسهم ، ويحققوا مع ابناء المجتمع الإسلامي وحدتهم وتماسكهم ..

فإذا نفذت ذلك ، وحرصت على هذا الربط المستمر ، والصلة الدائمة بين البيت والمسجد ، فعندئذ تكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً وإيمانياً وخلقياً .. **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى والدين الحق والصراط المستقيم ..**

(د) ربط الولد بذكر الله عز وجل :

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فأذكروني أذكركم .. ﴾

(البقرة : ١٥٢)

– وقوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبّحوه بكرة وأصيلًا ﴾

(الأحزاب : ٤١)

– وقوله :

﴿ فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم ﴾ .

(النساء : ٢٣)

إلى غير ذلك من هذه الآيات الكثيرة المستفيضة .

– ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري –: « مثل الذي يذكر ربه ، والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت » .

– وقوله – فيما رواه الطبراني –: « ليبعثنّ الله أقواماً يوم القيامة في وجوههم النور على منابر اللؤلؤ ، يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، فجثا أعرابي على

ركبتيه فقال : يا رسول الله حِلْهم لنا (صفهم) نعرفهم !، قال : هم المتحابون في الله من قبائل شتى ، وبلاد شتى ، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه » .

– وقوله – فيما رواه الشيخان –: « أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خير منهم ، وإن تقرّب مني شبراً تقربتُ إليه ذراعاً ، وإن تقرّب اليّ ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة » .

والذكر معناه استحضار عظمة الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال التي يكون عليها المؤمن سواء أكان هذا الاستحضار ذهنياً أو قلبياً أو نفسياً أو لسانياً أو فعلياً .. أو كان في حال القيام أو القعود أو الاضطجاع أو السعي في مناكب الأرض أو تدبر آيات القرآن ، أو سماع الموعظة ، أو الاحتكام إلى شريعة الله ، أو ابتغاء أي عمل يقصد به المؤمن وجه الله . وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم في مناسبات كثيرة .

– **ففي المعنى الذهني والنفسي** يقول القرآن الكريم :

﴿ رجال لا تُلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ﴾ .

(النور : ٣٧)

ـ وفي المعنى القلبي يقول القرآن الكريم :

﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

(الرعد : ٣٨)

ـ **وفي المعنى اللساني** فكل الآيات القرآنية التي تأمر بذكر الله عز وجل يدخل في مضمونها ذكر اللسان دخولا أولياً لأن اللفظ هو أول ما يحتمله ، والأمر هو أول ما يشمله .. ومما يؤكد هذا حديث أبي هريرة – فيما رواه ابن ماجه وابن حبان – عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدى إذا هو

ذكرني وتحركت بي شفتاه » ، وروى الترمذي عن عبد الله بن بسر أن رجلا قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبث به ؟ قال : « لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » .

ويدخل في الذكر اللساني كل الأدعية والمأثورات التي صحت عن النبي ﷺ ، وأُثِرَت عن أصحابه الكرام ، والسلف الصالح رضي الله عنهم .. سواء ما يتعلق بأدعية الصباح والمساء ، أو أدعية الطعام والشبع ، أو أدعية السفر والإقامة ، أو أدعية الدخول والخروج ، أو أدعية النوم واليقظة ، أو أدعية التهجد والظواهر الكونية .. كما يدخل فى الذكر اللسانى كل الاستغاثات الإلهية ، والاستغفارات الربانية .. التي ذكرها القرآن ، وأثرت عن نبينا عليه الصلاة والسلام[1] .

– وفي **المعنى الفعلي** يقول القرآن الكريم :

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ﴾ .

(الجمعة : ١١) .

– وفي **المعنى الكلي** يقول القرآن الكريم :

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

(آل عمران : ١٩١)

● أما أن الذكر يشمل **تلاوة القرآن الكريم** فلقوله تعالى :

﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

(الحجر : ٩)

---

(١) من المراجع للأدعية والأذكار : ١ – كتاب « الأذكار للإمام النووي » ، ٢ – « المأثورات » للامام الشهيد حسن البنا ، ٣ – « الأدعية والأذكار » للشيخ العالم الأستاذ عبد الله سراج الدين .

● أما أنه يشمل السؤال **عن العلم ومدارسة العلماء** فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ﴾ .

(الأنبياء : ٧)

● أما أنه يقصد به **العبادة** لله فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ .

(الجمعة : ٩)

أعرفت-أخي المربي – ماذا يقصد بمعني الذكر ؟ أعلمت أن الذكر لا يتصف بحالة واحدة ، وأن معانيه لا تختص بطقوس معينة ؟ أأدركت أن الذكر حالة نفسية واعية تنتهي بالمؤمن إلى أن يستحضر عظمة الله سبحانه على الدوام ؟

فإذا عرفت هذا وعلمته .. فاسع جهدك على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني من استحضار عظمة الله في نفسه ، ليخشاه في السر والجهر ، والمتقلب والمثوى ، والحل والترحال ، والسفر والحضر ، والسلم والحرب ، والبيت والسوق ، والنوم واليقظة . وفي كل مكان .. ليكون من عداد أولئك الذين عناهم الله بقوله حين قال :

﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذُكرِ اللهُ وجِلت قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ﴾ .

(الأنفال : ٢)

ولا شك أن الولد إذا تأصلت نفسه على ذكر الله سبحانه ، وترسخ قلبه على مراقبته نشأ الولد مُخْبِتاً عابداً ذاكراً صالحاً مستقيماً متزناً خلوقاً .. فلا يقع في معصية ، ولا يرتكب فاحشة ، ولا يعمل ذنباً .. وهذا – والله – غاية الصلاح والتقوى في الولد ..

ألا ما أعظم منهج الإسلام في التربية حينما يسير على هداه المربون ، ويلتزم قواعده الآباء والمعلمون ؟!! ..

فاحرص - أخي المربي - على أن تربي ولدك على هاتيك المعاني التي سبق ذكرها من أنواع الذكر .. لينشأ ولدك على الإخلاص ، والتقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، واستحضار عظمته في كل الأحوال .. فإذا فعلت هذا فعندئذ تكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في تكوين ولدك روحياً ، وإعداده إيمانياً وخلقياً ..

بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !!.

(هـ) ربط الولد بالنوافل :

لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ .
(الإسراء : ٧٩)

- ولقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه الشيخان - : « .. ومَنْ تقرّب إلي شبراً تقرّبت إليه ذراعاً ، ومن تقرّب إلي ذراعاً تقرّبت إليه باعاً ، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلتُ إليه أهرول » .

- ولقوله ﷺ - فيما رواه مسلم -: « ما من عبد مسلم يصلي لله تعالى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة تطوعاً غير الفريضة إلا بنى الله له بيتاً في الجنة » .

والمقصود بالنافلة عبادة التطوع من غير الفريضة ، وهي في المناسبات كثيرة ، ولا بأس أن أذكرك - أخي المربي - بأهم أنواعها صلاة وصياماً ، عسى أن تنتهجها لنفسك ، وتعوّدها أهلك وأولادك :

(أ) نافلة الصلاة :

١ - **صلاة الضحى** : لما روى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « يصبح على كل سُلامى من أحدكم صدقة ، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يصلى الضحى أربعاً ، ويزيد ما شاء » .

وروى مسلم عن أم هانىء رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ صلى ثماني ركعات » . فيؤخذ من هذه الروايات الثلاثة أن أقلها ركعتان وأوسطها أربع ، وأفضلها ثمان ، فليختر المتنفل ما شاء .

ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة إلى ما قبيل الظهر بساعة تقريباً .

٢ – **صلاة الأوّابين** : وهي ست ركعات بعد صلاة المغرب لما روى ابن ماجه عن ابي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَن صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء عدلن له بعبادة اثنتيْ عشرة سنة » . وتجزىء ركعتين .

٣ – **ركعتا تحية المسجد** : لما روى مسلم عن أبي قتادة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين » .

٤ – **ركعتا سنة الوضوء** : لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه : « حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام ، فإني سمعت دفّ[1] نعليك بين يدي في الجنة » ، فقال : « ما عملت عملًا أرجى عندي من أنّي لم أتطهر طُهوراً في ساعة ليلٍ أو نهارٍ إلا صليت بذلك الطُهور ما كُتب لي أن أصلي » .

٥ – **صلاة الليل** : لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن في الليل لساعةً لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين ، وهو قُرْبَةٌ إلى ربكم ، ومكفّرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم » .

---

(١) الدفّ : صوت النعل وحركته على الأرض .

وأقل صلاة الليل ركعتان ، ولا حدّ للأكثر ، وهي أفضل النوافل لأنها أقرب الى الإخلاص .

٦ - **صلاة التراويح** : وهي عشرون ركعة بعشر تسليمات في كل ليلة من ليالي رمضان ، تصلى بجماعة بعد صلاة فرض العشاء . لما روى البيهقي عن السائب بن يزيد الصحابي رضي الله عنه قال : « كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر رمضان بعشرين ركعة ، وكانوا يقومون بالمئين ، وكانوا يتوكّؤون على عصيّهم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه من شدة القيام » .

٧ - **صلاة الاستخارة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بالدعاء الذي رواه جابر - كما جاء في صحيح البخاري -: « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدِرُ ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن « هذا الأمر » خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاقدُره لي ، ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن « هذا الأمر » شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفة عني ، واصرفني عنه ، واقدُر لي الخير حيث كان ، ثم رضّني به » .

ويسمي حاجته مكان قوله في الدعاء : « هذا الأمر » .

ثم يمضي لما ينشرح صدره له من فعل أو ترك .

٨ - **صلاة الحاجة** : وهي ركعتان ثم يدعو بعدهما بهذه الأدعية المأثورة :

« لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله ربّ العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرّجته ، ولا حاجة هي لك رضى إلا قضيتها يا أرحم الراحمين » . رواه الترمذي .

« اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيّك محمد نبيّ الرحمة ، يا محمد إني توجهتُ بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم فشفّعه فيّ » .

إلى غير ذلك من هذه الصلوات التى ثبتت في السنة .

(ب) نافلة الصوم :

الأصل في صيام النفل ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » .

والصوم أنواع :

١ - **صوم يوم عرفة** : لما روى مسلم عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال : « صيام يوم عرفة احتسب على الله أن يكفّر السنة التي قبله ، والسنة التي بعده » .

٢ - **صيام يوم عاشوراء وتاسوعاء** : وهما التاسع والعاشر من شهر محرم ، لما روى مسلم عن قتادة : « صيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التى بعده » .

وروى ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لئن بقيت إلى قابل لأصومنّ التاسع » . ويصح أن يضم إلى عاشوراء اليوم الحادي عشر كما سيأتي في رواية الإمام أحمد . والحكمة في هذا مخالفة لليهود ، لتتميز هذه الأمة الإسلامية بعبادتها ، روى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده » .

٣ - **صيام ست من شوال** : لما روى مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « من صام رمضان ، ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر ».

٤ - **صيام ثلاثة أيام البيض**[1] : لما روى الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة » .

---

(١) هى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر من كل شهر قمري ، وسميت بيضاً لاستضاءة السماء فيها بنور القمر .

٥ - **صيام الاثنين والخميس** : لما روى الترمذي أنه ﷺ كان يصومهما وسئل عن ذلك فقال : تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس ، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم » .

٦ - **صيام يوم وإفطار يوم** : وهو صيام داود عليه السلام ، لما روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال له : « صم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أفضل الصيام » .

إلى غير ذلك من هذه الأيام والشهور التي ثبت صيامها في السُّنة النبوية .

ويجوز لمن صام متنفّلا أن يفطر ، ولكن يجب عليه القضاء .

هذه أهم النوافل التي ثبتت مشروعيتها في السنة النبوية ، وهي من أعظم الأعمال الصالحة التي تقرّب العبد من الله عز وجل ، وترسخ في نفسه حساسية التقوى ، وطمأنينة اليقين ، وحلاوة الإيمان ..

فاحرص - أخي المربي - أن تعطي لأهلك وأولادك .. القدوة الصالحة في تنفيذ نوافل الصلاة والصيام على نفسك .. ليكتسبوا منك ، ويأخذوا عنك ، ويقتدوا بك .. ثم أتبع هذه القدوة بالكلمة الطيبة ، والموعظة الحسنة .. في الدعوة إلى الأخذ بفضيلة النافلة ، والعمل بعبادة التطوع . كي ترى من أهلك وأولادك من اعتاد تلقائياً نافلة الصلاة ونافلة الصوم .. فيحرصوا على العمل والتطبيق فى الأوقات المخصصة ، والأيام المتعينّة ..

وهذا الربط التنفّلي هو - والله - من أعظم العوامل في تكوين الولد روحياً وإيمانياً ، وإعدادة خلقياً ونفسياً .. بل هو الذي ينشىء الولد على الإخلاص ، والتقوى ، ومراقبة الله عز وجل ، واستحضار العظمة الربانية في كل الاحوال ..

فإذا فعلت هذا - أخي المربي - فتكون قد وصلت إلى الغاية المرجوة في الربط الروحي ، والتكوين الرباني ، بل **يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ، ودين الحق والصراط المستقيم** .

(و) ربط الولد بمراقبة الله تعالى :

– لقوله تبارك وتعالى :

﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين ﴾ .

(الشعراء : ٢١٩)

– وقوله :

﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .

(الحديد : ٤)

– وقوله :

﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا في السماء ﴾ .

(آل عمران : ٥)

– ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم –: « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .

– وقوله – فيما رواه الترمذي –: « اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها ، وخالق الناس بخُلقٍ حسن » .

– وقوله – فيما رواه الترمذي : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

فيؤخذ من مجموع هذه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية أن الاسلام اعتنى بتربية الفرد المسلم على أساس المراقبة لله في السر والعلن ، ومحاسبة النفس الإنسانية في المتقلب والمثوى ، والاستشعار بتقوى الله في الحلّ والترحال ..

فحينما تسلك – أخي المربي – مع ولدك هذا المسلك ، وتغرس في أعماق قلبه بنور المراقبة ، والمحاسبة ، والتقوى .. وتروضّه على مراقبة الله وهو يعمل ، ومحاسبة نفسه وهو يفكر ، والاستشعار بالتقوى وهو يُحسّ .. فعندئذ يتربى على الإخلاص لله رب العالمين في كل أقواله وأعماله وسائر تصرفاته .. فلا ينوي نية ولا يعمل عملا إلا ابتغاء مرضاة الله .

وكذلك سيتربى على كل شعور طاهر نظيف بل ينجو من آفات النفوس .. فلا يحسد ، ولا يحقد ، ولا ينمّ ولا يتمتع المتاع الدنس .. وإذا أصابه نزغ من الشيطان ، أو هاجسة من النفس الأمارة تذكر أن الله سبحانه معه يسمعه ويراه .. فإذا هو متذكّر مبصر ..

﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ .

(الاعراف : ٢٠١)

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الإيمانية » في القسم الثاني من كتاب الأولاد : أن هذه الظاهرة من الترويض على مراقبة الله عز وجل كانت ديدن السلف الصالح ، وإليكم ما ذكرناه سابقاً من شأن « سهل بن عبد الله التستري » ، كما قصه علينا الإمام الغزالي في إحيائه ، قال سهل بن عبد الله التستري .. « كنتُ أنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل ، فأنظر إلى صلاة خالي « محمد ابن سوار » فقال لي يوماً : ألا تذكر الله الذي خلقك ؟ فقلت : كيف أذكره ؟ قال : قل بقلبك عند تقلبّك في فراشك ثلاث مرات من غير أن تحرّك لسانك : « الله معي ، الله ناظري ، الله شاهدي » فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل ذلك كل ليلة سبع مرات ، فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه ، فقال : قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة ، فقلتُه ، فوقع في قلبي حلاوته .. فلما كان بعد سنة ، قال لي خالي : احفظ ما علمتك ، ودُم عليه الى أن تدخل القبر ، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة ، فلم أزل على ذلك سنيْن ، فوجدتُ لذلك حلاوة في سرّي ، ثم قال لي خالي يوماً : يا سهل مَن كان الله معه ، وناظراً اليه ، وشاهده .. أيعصيه ؟ إياك والمعصية .. » .

وبهذا التوجيه السديد ، والترويض المستمر ، والتربية الربانية الحقة .. أصبح سهلٌ رحمه الله من كبار العارفين ، ومن رجال الله الصالحين .

يقول الإمام احمد الرفاعي رحمه الله في كتابه البرهان المؤيد : « من الخشية تكون المحاسبة ، ومن المحاسبة تكون المراقبة ، ومن المراقبة ، يكون دوام الشغل بالله تعالى » .

فاحرص - أخي المربي - أن تروضّ نفسك وأهلك وأولادك على مراقبة الله عز وجل ، وأن تعودّهم على محاسبة أنفسهم ، وأن تغرس في نفوسهم أصول التقوى والخشية .. فإذا فعلت ذلك فتكون قد وصلت بالعيال والأولاد إلى الغاية المرجوّة في التربية الروحية ، والتكوين الرباني .. **بل يكون ولدك من الذين يشار إليهم بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم .**

* * *

تلكم أهم بنود المنهج الإسلامي في ربط المسلم روحياً ، وتكوينه إيمانياً وخلقياً .. ومن المؤكد أن الولد منذ نعومة أظافره إذا ارتبط بعبادة الله قولا وعملًا ، وبالقرآن الكريم تلاوة وتدبراً ، وبالمساجد ملازمة واعتياداً ، وبذكر الله مداومة واستمراراً ، وبالنوافل تنفيذاً وتطبيقاً ، وبالمراقبة الربانية استشعاراً ومحاسبة .. فإن الولد سيتصف - لا محالة - بالصفاء والإشراق ، ويوسم بالإيمان والإخلاص ، ويُعرف بالورع والتقوى ، ويتميز بمسحة التخشّع والإخبات لله رب العالمين !!..

فعلى المربين جميعاً أن يسلكوا مع أولادهم منهج الإسلام في التربية الروحية حتى يكونوا شامات في الناس ، وكالملائكة يمشون على الأرض .. لكونهم غرسوا في نفوسهم أصول الإيمان والتقوى والمراقبة .. ورسخوا في قلوبهم دعائم الخشية والتوكل والمحاسبة .. وبتقديري أن هذه الأصول ، وهاتيك الدعائم .. من أهم العوامل فى إصلاح الولد خلقياً ، وفي تهذيبه اجتماعياً ، وفي تقويمه نفسياً وعقلياً ..

وعلى مثل هذا فليعمل العاملون !!..

ثالثاً : الرَّبط الفِكري(١)

المقصود بالربط الفكري هو ارتباط المسلم منذ أن يعقل ويميز إلى أن يترعرع يافعاً إلى أن يصبح شاباً إلى أن يتدرّج رجلا .. بنظام الإسلام ديناً ودولة .. وبتعاليم

---

(١) يدخل في الربط الفكري الربط التاريخي وستجد - أخي القاريء - هذا الارتباط جلياً واضحاً خلال كلامنا عن الربط الفكرى للصله الوثيقة بينهما .

القرآن دستوراً وتشريعاً .. وبالعلوم الشرعية منهاجاً وأحكاماً .. وبالتاريخ الإسلامي روحا وقدوة .. وبالثقافة الإسلامية مدنيّة وحضارة .. وبمنهجية الدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماساً .

وسبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية العقلية » بعض الحقائق في توعية المربين أبناءهم فكرياً . والآن ألخص ما سبق أن كتبناه مع إضافة بعض النقاط للارتباط الوثيق بين ما كتبناه سابقاً ، وبين ما سنذكره الآن .

وهذه الحقائق مرتبة كما يلي :

١ – خلود هذا الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان .. لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار ..

٢ – الآباء الأولون ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عزة وقوة وحضارة .. إلا بفضل اعتزازهم بهذا الإسلام ، وتطبيقهم لأنظمة القرآن ..

٣ – الكشف عن الحضارة الإسلامية التي كانت ومازالت مناراً للدنيا . يهتدي الأنام بنورها ، ويرتشفون من معينها على مر العصور والتاريخ .

٤ – الكشف عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام :

- المخططات اليهودية الماكرة .
- والمخططات الاستعمارية الغاشمة .
- والمخططات الشيوعية الملحدة .
- والمخططات الصليبية الحاقدة .

هذه المخططات تستهدف طمس معالم العقيدة الإسلامية في الأرض ، وغرس بذور الإلحاد في المجتمع الإسلامي ، وإشاعة الإباحية والانحلال في الأسرة المسلمة . وإخماد روح المقاومة والجهاد في الشباب المسلم ، واستغلال ثروات البلاد الإسلامية لمصالحهم الذاتية ، وغاياتهم الشخصية ، ثم السيطرة على العالمين العربي والاسلامي .. لتكون دائماً تحت حكمهم ، وجزءاً لا يتجزّأ من بلادهم ..

٥ – التذكير الدائم بأن أمة الإسلام لن تستعيد مكانتها تحت الشمس ، ولا يمكنها بحال أن تصل إلى ذروة العزة والمجد .. إلا أن تتخذ الإسلام منهاجاً وتشريعاً ، والقرآن الكريم دستوراً وأحكاماً .. وأن تضع قول عمر رضي الله عنه نصب أعينها مبدءاً وشعاراً :

« نحن قوم أعزنا الله بالاسلام ، فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله » .

وما أحسن ما قال بعضهم : « نحن أمة الإسلام .. لم ندخل التاريخ بأبي جهل ، وأبي لهب ، وأبيّ بن خلف .. ولكن دخلناه بالرسول العربي صلوات الله وسلامه عليه وأبي بكر وعمر . ولم نفتح الفتوح بحرب البسوس وداحس والغبراء ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك .. ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع ، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد .. ولم نحمل إلى الناس رسالة اللات والعزّى ، ولكن حملنا إليهم رسالة الإسلام ، ومبادىء القرآن .. »[1] .

٦ – التذكير الدائم أن هذا التخلف والتمزق والانقسام الذي أصاب المجتمع الإسلامى من أقصاه إلى أقصاه ، وهذا التسلط اليهودي الاستعماري الذي فرض وجوده على فلسطين والمسجد الأقصى .. ما هو إلا نتيجة بُعْد المسلمين عن الله ، وتعطيل الحكم بما أنزل الله ، واستجداء النظم الأرضية ، والقوانين الوضعية من دول لا تقيم للديانات السماوية ، ولا للقيم الخلقية اعتباراً ولا وزناً !!.. وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه البيهقي والحاكم – : « ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيّه إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

٧ – التذكير الدائم أن المستقبل للإسلام مهما تآمر الأعداء ، وخطّط الكافرون .. للحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد والبزار والطيالسي عن النبي

---

(١) من خطبة للأستاذ الداعية عصام العطار حفظه الله .

ﷺ أنه قال : « إن أول دينكم نبوة ورحمة ، وتكون فيكم ما شاء ألله أن تكون ثم يرفعها الله جلّ جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تكون فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله ، ثم تكون ملكاً عاضًّا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة تعمل في الناس بسنّة النبي ، ويُلقي الإسلام بجرانه في الأرض يرضى عنها ساكن السماء ، وساكن الأرض ، لا تدع السماء من قطر إلا صبّته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها ولا بركاتها شيئاً إلا أخرجته » .

فالذي يبدو من الحديث أن الملك الجبري قد جاء دوره الآن ومظهره تلك الانقلابات الكثيرة التي توصل أصحابها إلى الحكم دون رأي الأمة ، وغصباً عن إرادة الشعب ، دكتاتوريات بدأها « أتاتورك » في تركيا ، وتتابعت في كل مكان .. ولكن دلائل اليقظة الاسلامية تبشر بأن ذلك لن يطول ، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الخلافة على منهاج النبوة ، والحياة العامة على سنن الإسلام .. ولعل ذلك يكون قريباً إن شاء الله(١) .

٨ – التحذير الدائم من وجهة النظر اليائسة القاتلة التي تقول : « انتهى كل شيء وعجزنا » « إلزم حِلس بيتك فليس في العمل ولا الجهاد فائدة » ..

وها هو ذا **القرآن الكريم** يحذرنا من هذه الزمرة المعوّقة الميئّسة المتهالكة حين يقول :

﴿ قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ، ولا يأتون البأس إلا قليلا ، أشحَّة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت ، فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحةً على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ﴾ .

(الأحزاب : ٩)

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » آخر بحث الجهاد السياسي .

وها هو ذا الرسول عليه الصلاة والسلام يحذرنا من هذه الطائفة التي تعيق المسلمين في تقدمهم السياسي والجهادي .. فيقول :

« **من قال هلك المسلمون فهو أهلكهم** » .

وها هو ذا التاريخ ينطق بالحق ، ويتكلّم عن الهزّات المدمرة التي أصابت المسلمين عبر العصور فماذا كانت النتيجة ؟.

(أ) من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة حين **استولى الصليبيون** على كثير من البلاد الإسلامية والمسجد الأقصى ما يقارب قرناً من الزمان ؟

من كان يظن أن هذه البلاد ستتحرر على يد البطل **المغوار صلاح الدين** في معركة حطين الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من الكيان والقوة والعزة ما شرّف التاريخ !.

(ب) من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب المغول والتتار العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأموال والأعراض .. فتكاً ذريعاً ؟

حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين !!..

من كان يظن أن بلاد الإسلام ستتحرر على يد البطل المقدام « **قطز** » في معركة عين جالوت الحاسمة .. ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والرفعة والسيادة .. ما فخرت به للأجيال ؟ ..

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع أجيالها وشبابها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة[1] !!.. والتاريخ أكبر شاهد على ما نقول !!..

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » مبحث « الجهاد السياسي » .

هذه الحقائق – أخي المربي – :

يجب أن تلقّنها أهلك وأولادك ليل نهار ، وأن تطرق بها أسماعهم على الدوام .. حتى يندفع الجميع إلى الإسلام بنفوس متوثّبة متفائلة ، وهمم عالية متينة ، وقلوب مؤمنة راسخة ..

وأبشرك – ياأخي – أنك إذا ثابرت معهم في هذه التوعية الإسلامية ، والربط الفكري والروحي .. والتذكير الحضاري والتاريخي .. أبشرك بأنّ الأولاد ارتبطوا فكرياً بالإسلام ، وانساقوا شعورياً ووجدانياً في زمرة الداعين إلى الله ، ولم يعرفوا سوى شريعة الاسلام دستوراً ومنهاجاً ، ولم يتخذوا سوى النبي عليه الصلاة والسلام قدوة وإماماً ، ولم يتأثروا بحال من الأحوال بالدعايات المغرضة ، والشعارات الزائفة ، والمبادىء الضالّة ، والعقائد الكافرة والملحدة ..

وهذا لا يتأتى – أخي المربي – إلا أن تهيّىء لمن له حق التربية عليك مكتبة منزلية تجمع بين طياتها متنوعات من الكتب الشرعية ، والفكرية والتاريخية ، والأدبية والقصصية ، والدعوية ، لأعلام الكتّاب الإسلاميين ، والعلماء الشرعيين في العالم الإسلامي ، هذه المتنوعات من الكتب تعرض الإسلام على حقيقته الصافية الناصعة .. كما جاء به نبينّا عليه الصلاة والسلام ، وكما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم ، وكما درج عليه سلفنا الصالح ، ومن تبعهم بإحسان !!..

وعليك – أخي المربي – حين تريد اقتناء أي كتاب أن تستعين بآراء العلماء المخلصين ، والدعاة الصادقين من حملة الدعوة الإسلامية ، في العصر الحديث .. مخافة أن يدخل إلى البيت كتاب يحمل اسم الإسلام ، وبحوث الإسلام ، وعاطفة الاسلام .. ولكن المؤلف صاحب الكتاب متأثر بأفكار أصحاب الغزو الفكري من المستغربين والمستشرقين ، فيظن أن ما قالوه هو الحقيقة في ذاتها ، فيكتبها على أنها حقائق ولكنها في الواقع ونفس الأمر أباطيل ليست من الاسلام .. وهو يظن أنه يحسن صنعاً !!.. كأمثال : أحمد أمين ، طه حسين ، حسين هيكل ، خالد محمد خالد ، محمد فريد وجدي ، جلال الدين الكشك ، وعشرات غيرهم ..

ومن الوسائل التي تربط ولدك - أخي المربي - بالإسلام فكرياً ووجدانياً السماع إلى الخطبة الواعية ، والمحاضرة الناضجة القيّمة ، والمسرحية التاريخة الهادفة ..

• فاحرص - أخي المربي - أن تختار المسجد المناسب **لصلاة الجمعة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان الخطيب على درجة من الإخلاص والتقوى ، والوعي الناضج ، والفهم الإسلامي الكامل ، والأسلوب الجذاب ، والثقافة الشاملة ، والعلم المحيط بأحداث الحياة .. لتكون الاستفادة في التأثير بالغة ، والثمرة في الوعي مرجوّة !!..

• واحرص - أخي المربي - أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المحاضرة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المحاضر على درجة عظيمة من العقيدة الإسلامية الراسخة ، والخلق الإسلامي الكامل ، ليربط ما يقول بالإسلام العظيم عقيدة وعلماً وحضارة وفكراً !!..

• واحرص - أخي المربي - أن تختار الجهة المناسبة **لسماع المسرحية الهادفة** ، ولن تحسن الاختيار إلا إذا كان المكان الذي تقام فيه المسرحية بعيداً عن الدنايا وسفاسف الأمور والمنكرات .. ولن تحسن الاختيار إلا إذا كانت المسرحية ترتبط بالأمجاد والتاريخ ، أو تعالج الواقع الجاهلي الذي يتخبط فيه المسلمون بشرط أن يكون المشرفون على المسرحية ممن يشهد لهم بالتقوى والأخلاق والكفاءة والاختصاص .. لتؤدي المسرحية رسالتها ، وتصل بالجمهور إلى الهدف المنشود !!..

هذه أهم الوسائل التي أقترحها عليك - أخي المربي - في ارتباط ولدك فكرياً وفي إعداده عقيدياً وإيمانياً ..

ولعمر الحق أنك إذا سلكت بولدك هذا المسلك ، واتجهت به هذا الاتجاه .. فإن الولد سيكون عنده من حصانة الإيمان ، ورسوخ العقيدة ما يجعله قادراً بأن يواجه تحدّي الجاهلية بتصوراتها وأفكارها ، وتحدي المبادىء الضالة بضلالها وإلحادها .. بل يستعلي عل كل المقاييس الأرضية **التي هي من مبتكرات الناس ..** لأن دين الله أصبح في اعتقاده وتصوره فوق كل اعتقاد وتصور (**ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**) ومعنى هذا أن ولدك أصبح يشار إليه بالبنان لأنه على الهدى ودين الحق والصراط المستقيم !!..

* * *

رابعاً : الربط الاجتماعي

سبق أن ذكرنا في مبحث « مسؤولية التربية الاجتماعية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أن على المربي مسؤولية كبرى في تأديب الولد منذ نعومة أظفارة على التزام آداب اجتماعية فاضلة ، وعلى تعويده أصول نفسية نبيلة تنبع من العقيدة الإسلامية الخالدة ، وتنبعث من الشعور الأخوي العميق .. ليظهر الولد في المجتمع الإسلامي على خير ما يظهر به من حسن الأخلاق ، والتعامل الاخوي والأدب الاجتماعي ، والاتزان العقلي ، والتصرف الانساني الحكيم ..

ولقد حصرنا الوسائل التى تؤدي إلى التربية الاجتماعية الفاضلة في أمور أربعة :

١ – غرس الأصول النفسية النبيلة .
٢ – مراعاة حقوق الآخرين .
٣ – التزام الآداب الاجتماعية العامة .
٤ – المراقبة والنقد الاجتماعي .

ولا يخفى عليك ــ أخي المربي ــ ما في هذه الوسائل من تقويم أخلاق الولد سلوكياً ، ومن إعداده اجتماعياً ، ومن تكوينه نفسياً ... ليكون اللبنة الصالحة في تكوين المجتمع الفاضل ، وإيجاد الأمة المثالية الصالحة ... وهذا هو منطلق الإسلام في الإصلاح والبناء !! . ولكن ما المقصود بالربط الإجتماعي بعد أن فصلنا القول عن التربية الاجتماعية ووسائلها ؟ وما المراد بربط الولد اجتماعياً ؟ وما هو علاقة هذا الربط بالتربية؟ . كل ذلك سنجيب عنه في هذا البحث ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون .

المقصود بربط الولد اجتماعياً هو أن يسعى المربي جهده في ربط ولده منذ أن يتفهم حقائق الأشياء .. ببيئة اجتماعية نظيفة صالحة .. يكتسب منها التزكية لنفسه ، والطهر لقلبه ، والتثبيت لإيمانه ، والعلم النافع لعقله ، والأخلاق الفاضلة الصحية لجسمه ، والتوعية الاسلامية لفكره ، والجهاد الصادق لدعوته ، والإشراق الرباني لروحه ، والاندفاع الإيماني لدينه ..

ولكن ما هي هذه **البيئة الاجتماعية الصالحة** التي تكسب الولد هذه الصفات المكريمة ، وتجعل منه هذا الإنسان المثالي الواعي الصالح ..

أرى أنها متحققة في ارتباطات ثلاثة :

١ – ربط الولد بالمرشد .

٢ – ربط الولد بالصحبة الصالحة .

٣ – ربط الولد بالدعوة وبالداعية .

★ ★ ★

١ – رَبْط الَولد بالمُرشد :

مما لا يختلف فيه أثنان أن الولد إذا ارتبط بعالم مرشد مخلص صالح ، فاهم للإسلام على حقيقته ، مندفع له مجاهد في سبيله ، مطبّق لحدوده وأحكامه . وقّاف عند أوامره وزواجره ، لا تأخذه في الحق لومة لائم .. لا يختلف اثنان في أن هذا الولد يكتمل إيمانياً وخلقياً ، وينضج عقلياً وعلمياً ، ويتكون جهاديا ودعويا ، ويتربى بشكل عام على العقيدة الراسخة ، والإسلام الكامل ..

ولكن لو أجلنا النظر يميناً وشمالًا وتتبعنا أحوال من يتصدون للإرشاد ، وتربية النفوس فماذا نجد ؟

نجد الأكثر – ويا للأسف – يعطون لتلامذتهم ومريديهم الصورة المقلوبة المشوّهة عن الإسلام ، أو يعطون جانباً معيناً من الإسلام ، ويهملون الجوانب الأخرى ..

فمن أمثلة إعطاء الصورة المقلوبة عن الإسلام قولهم :

– « إن الاسلام ليس فيه نظام حكم .. » .
– « لا يجوز للمسلم السالك أن يتدخل في السياسة » .
– « إذا رأيت شيخك متلبساً بالمعصية فعليك – أيها المريد – أن تعتقدها طاعة » .
– « الشيخ منزّة عن الوقوع في المعصية لكونه متصفاً بالحفظ والعصمة » .
– « المريد لا يتخلى عن الرذائل ولا يتحلى بالفضائل ، ولا يصل إلى الله حتى يعترف لشيخه عن كل موبقة ارتكبها ، وعن كل ذنب اقترفه » .
– « المريد إذا لم يقر لشيخه بكل شيء حتى عن خاطرة السوء يكون مناقضاً للبيعة » .

إلى غير ذلك من هذه الأقوال التي تناهض شريعة الله تعالى ، وتخالف نظام الإسلام .

ومن أمثلة من يأمر بجانب من الإسلام ويهمل الجوانب الأخرى :

● منهم من يركّز توجيهه وعنايته على إصلاح النفس وتزكيتها ، ويهمل واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومناهضة الظلم والظالمين ..

● ومنهم من يهتم للمظهر الإسلامي ، والتكوين الروحي والعبادي .. ويهمل جانب العمل الحركي ، والتجمع الإسلامي .. لإقامة حكم الله في الأرض ..

● ومنهم من يوجه كل اهتمامه بتبليغ الدعوة إلى الله تعالى ، ولا يكترث من قريب أو بعيد بأي تحرك أو نشاط أو عمل يؤدي إلى إقامة دولة الإسلام .. ومنهم .. ومنهم .. علماً بأن الإسلام كل لا يتجزأ ، وأن أحكامه التشريعية لا تقبل التجزئة والانفصال .. يقول الله سبحانه :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب ﴾ .

(البقرة : ٨٥)

فالمرشد الرباني ، والعالم الواعي الناضج هو الذي يعطي القدوة الكاملة عن الإسلام ، فلا يجوز له في دين الله أن يكتم علماً ، أو يسكت عن حق ، أو يتغاضى عن منكر ، أو يتساهل في واجب ، أو يحرف الكلم عن بعض مواضعه ، أو يخشى أحداً من الناس ، أو يحابي أحداً من ذوي الجاه والسلطان ، أو يجد في حق الله مقالًا ثم يسكت عنه .. وإذا فعل شيئاً من هذا .. فيكون كاتماً لما أنزل الله من البينات والهدى ، بل كان من الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكّيهم يوم القيامة .. بل كان ممن يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . قال الله تعالى :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم ﴾ .

(البقرة : ١٥٩ — ١٦٠)

وقال أيضاً :

﴿ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلًا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلّمهم اللهُ يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .. ﴾ .

(البقرة : ١٧٤)

والرسول صلوات الله وسلامه عليه قد أنذر بجهنم وساءت مصيراً كل من يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن حق معلوم من الدين بالضرورة ..

فقد روى ابن ماجه عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال : « من كتم علماً مما ينفع الله به في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

★ ★ ★

إن المرشدين المخلصين والعلماء الربانيين . الذين حملوا في الماضي إمامة الإصلاح والتربية والإرشاد ، وتزكية النفوس .. كانوا في الحقيقة على جانب عظيم من الفهم الإسلامي الكامل ، وكانوا على درجة كبيرة من الورع والتقوى ، والتزام المنهج الإسلامي المتمثل في كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، بل كانوا يعطون الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم الاجتماعي ، وفهمهم الإسلامي ، ومهمتهم الإرشادية ، وتوجيههم التربوي .. بل كانوا لا يسكتون عن منكر رأوا من الواجب تغييره ، ولا يتغاضون عن حقّ وجدوا من المصلحة أن يتكلموا فيه ، ولا يتقاعسون عن جهاد مقدس دعت الحاجة إليه ...

أما تمسكهم بالشريعة والتزامهم للقرآن والسنة فلنستمع إلى ما يقوله كبار هؤلاء الأئمة المرشدين ، والعلماء الربانيين :

– يقول الإمام العارف الشيخ عبد القادر الكيلاني في كتابه « الفتح الرباني » ص ٢٩ : « كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة ، طِرْ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة ، ادخُل عليه ويدُكَ في يد الرسول ﷺ » .

ويقول : « ترك العبادات زندقة ، وارتكاب المحظورات معصية ، لا تسقط الفرائض في حال من الأحوال » .

– ويقول الإمام سهل التستري رحمه الله : « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكفّ الأذى ، وتجنّب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق »(١) .

– ويقول الإمام أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى : « إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة ، فتمسك بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف ، ولا الإلهام ، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة »(٢) .

– ويقول الإمام أبو سعيد الخراز رحمه الله تعالى : « كل باطن خلاف الظاهر فهو باطل »(٣) .

ـ ومما نسب إلى ابن العربي قوله : (لقد أجمع رجال التصوف جميعاً على أنه لاتحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله ﷺ ، وخاتم النبيين ، وإنما هو فهم (٤) يُعطى في القرآن لرجال الله ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أضاعه فألهمه ، ويجعل له نوراً) (٥) .

بل نجد من هؤلاء الأئمة الربانيين من ينبه إلى خطر أولئك الأدعياء الباطنيين الذين يسقطون عن أنفسهم وأتباعهم التكاليف ، ويعطّلون أحكام الشريعة ، ويؤوّلون النصوص على خلاف ما تحتمل ، ويسيرون في سلوكهم وتوجيههم على غير سنن

---

(١) ، (٢) : التصوف الإسلامى والإمام الشعراني لطه عبد الباق سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

(٣) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباقي سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

(٤) سئل الإمام علي رضي الله عنه : « هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء دون الناس ؟ فقال : لا ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه الله عبداً في كتابه » رواه البخاري وأبو دواد والنسائي .

(٥) التصوف الإسلامي والإمام الشعراني لطه عبد الباق سرور ص : (٧٠ – ٧٥) .

الإسلام .. بل نجدهم يحذّرون من مصاحبتهم ومجالستهم ، ويتبرّؤون من ضلالاتهم وانحرافاتهم ، ويشهرون بآرائهم وأباطيلهم :

- يقول أبو يزيد البسطامي رحمه الله لبعض أصحابه : « قم بنا حتى ننظر إلى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية ، وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد ، فمضينا إليه ، فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة ، فانصرف أبو يزيد ولم يسلّم عليه ، وقال : هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه » .

ويقول أبو يزيد أيضاً : « لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات حتى تربّع في الهواء فلا تغترّوا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة »(١) .

- ويقول سهل بن عبد الله التستري : « احذر صحبة ثلاثه أصناف من أصناف الناس : الجبابرة الغافلين ، والقراء المداهنين ، والمتصوّفة الجاهلين »(٢) .

- ويقول الإمام الرباني الجنيد رحمه الله : « مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة . الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ .. »(٣) .

- ويقول الإمام الشعراني في كتابه « اليواقيت والجواهر » « كل من رمى ميزان الشريعة من يده لحظة هلك » .

أما صرختهم لإعلاء كلمة الحق ، ووقوفهم أمام الباطل والمنكر ، وجهادهم المقدس في سبيل الله فلنستمع إلى ما يقوله كبار الكتّاب المحققين عن أئمة هؤلاء المرشدين الربانيين في مواقفهم وأعمالهم الجهادية ، وتأثيراتهم الدعوية ، وإرشاداتهم الإصلاحية والتربوية :

---

(١) شرح الطريقة المحمدية للشيخ عبد الغني النابلسي ج ١ ، ص ١٧٥ .

(٢) شرح الحكم لابن عجيبة ج ١ ، ص :٧٦ .

(٣) الرسالة القشيرية ص : ١٩ .

• **يقول الشيخ الجليل أبو زهرة رحمه الله** : « ... وكذلك التصوف كما قال « الأستاذ فودة » في عصورنا المتأخرة كان له مزايا ، وكانت له آثار واضحة ، فالمسلمون في غرب افريقيا ، وفي وسطها ، وفي جنوبها ، كان إيمانهم ثمرة من ثمرات التصوف .

والإمام السنوسي الكبير عندما أراد أن يصلح بين المسلمين اتجه أوّل ما اتجه إلى أن نهج منهاجاً صوفياً[١] ، وكان منهاجه في ذاته عجيباً غريباً ، فإنه اتخذ المريدين ، ثم أراد أن يجعل من هؤلاء رجال أعمال ، ولذلك أنشأ الزوايا ، وأول زاوية أنشأها في جبل حول مكة ثم انتقل بزواياه في الصحراء ، وهذه الزوايا كانت واحات عامرة في وسط الصحراء ، وبعمل رجالهم وقواتهم .. استنبط الماء وجعل فيها زرعاً وغراساً وثماراً ..

ووجههم وعلمهم الحرب والرماية حتى اقضوا مضاجع الإيطاليين أكثر من عشرين سنة عندما عجزت الدولة العثمانية عن أن تعين أهل ليبيا .

---

(١) التصوف معناه في نظرهم الصفاء ، لأن الصوفي أكثر صفاء ونقاء من غيره .

ومنه قول الشاعر :

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا
وكلهم قال قولا غير معروف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي

وقوله أيضا :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا
بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والإسلام والدينا

واستمرت المقاومة السنوسية بهذه الزوايا إلى أن أدال الله الدولة الإيطالية وإذا السنوسية تحيا من جديد ، وكنا نودّ أن تحيا كما ابتدأت طريقة صوفية عاملة قوية ... »[1] .

● ويقول **الأستاذ صبري عابدين** في ندوة لواء الاسلام : (... والواقع أن **الصوفية ينشرون الإسلام في العالم** ، وأذكر لكم أنه منذ خمسين عاماً كتب الشيخ البكري كتاباً ذكر فيه نقلا عن المبشرين يقول : « إن هؤلاء يقولون : ما ذهبنا إلى أقاصي المناطق البعيدة عن الحضارة والمدنية في افريقيا ، وأقاصي آسيا إلا وجدنا الصوفي يسبقنا إليها ، وينتصر علينا » .

ليت المسلمين يفهمون ما في الصوفية من قوة روحية مادية ، **فجنودهم مجندون للإسلام** .

رأيت على حدود الحبشة ، والسوادن ، وأرتيريا ، بعثة سويدية للتبشير ، ووجدت إلى جانبهم أكواخاً أقامها الصوفيون ، وأفسدوا على المبشرين السويديين إقامتهم أربعين سنة ، ولذلك أرجو أن نتعاون لإخماد هذه الحركات التي تؤذينا دينياً وسياسياً .. وإن الذين يحملون على الصوفية ليسوا فوق مستوى الشبهات ، بل غارقون في الشبهات ...) .

● ويقول الداعية الكبير **أبو الحسن الندوي في كتابه** « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » عن العالم الرباني الشيخ عبد القادر الجيلاني : (كان يحضر مجلسه نحو من سبعين ألفاً ، وأسلم على يديه أكثر من خمسة آلاف من اليهود والنصارى : وتاب على يديه من « الأشقياء » أكثر من مائة ألف ، وفتح باب البيعة والتوبة على مصراعيه ، فدخل فيه خلق لا يحصيهم إلا الله ، وصلحت أحوالهم ، وحسن إسلامهم ، وظل الشيخ يربيهم ويشرف عليهم وعلى تقدمهم ، وأصبح هؤلاء التلاميذ الروحانيون ، يشعرون بالمسؤولية بعد البيعة والتوبة وتجديد الإيمان ، ثم يجيز الشيخ

(١) مجلة لواء الإسلام : العدد الثاني عشر ، شعبان ١٣٢٩هـ . الموافق ١٩٦٠م .

كثيراً منهم ممّن يرى فيه النبوغ والاستقامة والمقدرة على التربية .. **فينتشرون فى الآفاق يدعون الخلق إلى الله ، ويربون النفوس ويحاربون الشرك ، والبدع ، والجاهلية والنفاق** ، فتنتشر الدعوة الدينية ، وتقوم ثكنات الإيمان ، ومدارس الإحسان ، ومرابط الجهاد ، ومجامع الأخوة في أنحاء العالم الإسلامي ..

وقد كان لخلفائه وتلاميذه ، ولمن سار سيرتهم في الدعوة وتهذيب النفوس من أعلام الدعوة وأمة التربية في القرون التي تلته فضل كبير **في المحافظة على روح الإسلام ، وشعلة الإيمان ، وحماسة الدعوة والجهاد ، وقوة التمرد على الشهوات والسلطات ..**

وقد كان لهؤلاء فضل كبير لنشر الإسلام في الأمصار البعيدة التي لم تغزها جيوش المسلمين أو لم تستطع إخضاعها للحكم الإسلامي ، **وانتشر الإسلام في أفريقيا السوداء ، وفي أندونيسيا ، وجزر المحيط الهندي ، وفي الصين ، وفي الهند ..)** .

● ويقول أستاذنا الكريم **الشيخ محمد راغب الطباخ** رحمه الله في كتابه « الثقافة الإسلامية » : (ومن جليل أعمال الصوفية ، وآثارهم الحسنة في الأمة الإسلامية أن الملوك والأمراء متى قصدوا الجهاد ، كان الكثير من هؤلاء بإيعاز ، وبغير إِيعاز يحرضون أتباعهم على الخروج إلى الجهاد ، ولعظيم اعتقادهم فيهم ، وانقيادهم لهم ، كانوا يبتدرون إلى الانتظام في سلك المجاهدين فيجتمع بذلك عدد عظيم من أطراف ممالكهم ، وكثيراً ما كان أولئك يرافقون الجيوش بأنفسهم ويدافعون ويحرضّون فيكون ذلك سبباً للظفر والنصر ..) .

● ويقول الكاتب الاسلامي الكبير الأمير شكيب أرسلان في كتابه « حاضر العالم الإسلامي » تحت عنوان « نهضة الإسلام في أفريقيا وأسبابها » : (وفي القرن الثامن عشر ، والتاسع عشر حصلت نهضة جديدة عند أتباع الطريقتين : **القادرية والشاذلية** ، ووجدت طريقتان هما : **التيجانية والسنوسية** .

فالقادرية هم أحمس مبشري الدين الإسلامي في غربي أفريقيا من « السنيغال » إلى « بنين » ، التي بقرب مصب « النيجر » ، وهم ينشرون الإسلام بطريقة سليمة بالتجارة والتعليم .. فيلقنون صغار الزنج الدين الإسلامي أثناء التعليم ، ويرسلون النجباء من تلاميذهم على نفقة الزوايا إلى مدارس طرابلس ، والقيروان ، وجامع القرويين بفاس ، والجامع الأزهر بمصر .. فيتخرجون من هناك طلبة مجازين ، ويعودون إلى تلك البلاد لأجل مقاومة التبشير المسيحي في السودان .

وتحدث عن شيخ الطريقة القادرية فقال : « وكان الشيخ عبد القادر الجيلاني الموجود في جيلان من فارس ، متصوفاً عظيماً زكي النشأة .. وله أتباع لا يحصى عددهم ، ووصلت طريقته إلى اسبانيا ، فلما زالت دولة العرب من غرناطة انتقل مركز الطريقة إلى فاس ، وبواسطة أنوار هذه الطريقة زالت البدع من بين البربر ، **وتمسكوا بالسنة والجماعة** ، كما أن هذه الطريقة هي التي – فى القرن الخامس عشر – اهتدى على يدها زنوج غربي افريقيا » .

وحديثه عن **السنوسية** هو نفس الحديث الذي حدث به الشيخ محمد أبو زهرة في محاربتها للنفوذ الأجنبي الإيطالي إلى أن حقق الله على يديها النصر .. فآثرت عدم ذكره حتى لا يكون الكلام مكروراً ..

* * *

وتحدث عن **الطريقة الشاذلية** فقال : « وأما الشاذلية فنسبتها إلى أبي الحسن الشاذلي ، أخذ عن عبد السلام بن مشَيّش الذي أخذ عن أبي مدين .. وهي من أوليات الطرق التي أدخلت التصوف في المغرب ، ومركزها في مراكش ، وكان من أشياخها سيدي العربي الدرقاوي (المتوفي سنة ١٨٢٣م) الذي أوجد عند مريديه حماسة دينية امتدت إلى المغرب الأوسط وكان للدرقاوية دور فعال في مقاومة الفتح الفرنسى » ..

* * *

والذي نخلص اليه بعد ما تقدم أن هؤلاء الذين سبق ذكرهم من العلماء الربانيين ، والمتصوّفة الواعين ، وأصحاب الطرق المخلصين .. هم الذين حملوا خلال العصور إمامة الدعوة الى الله عز وجل ، ورسالة الإسلام الحقة إلى الناس ، وهم الذين جمعوا ما بين العبادة والجهاد ، ووفقوا بين حقوق الله ، وحقوق العباد .. وهم الذين أعلنوا صوت الحق أمام المستبدين الظالمين ، ووقفوا ببسالة فائقة أمام المستعمرين الغاشمين ..

هؤلاء هم الذين ربطوا الحق بشريعة الإسلام الحق لا بأشخاصهم الفانية ، ينتظرون ما يحكم الشرع لهم أو عليهم ، يقبلون الانتقاد إذا أخطأوا ، والمناصحة إذا زلّوا ، اعتقاداً بأنهم بَشَرٌ يصيبون ويخطئون ، لأن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ، ورحم الله الإمام مالك حين وقف مرة أمام قبر الرسول ﷺ وقال : « ما منا إلا مَن رَدّ ورُدّ عليه إلا صاحب هذا القبر » وأشار إلى قبر النبي ﷺ .

ومن **المواقف الخالدة** التي كان يقفها العلماء المخلصون من الشرع والحق موقف عالم العصر ومرشدة الشيخ « **سعيد النورسي** » التركي ، الملقب بـ « بديع الزمان » رحمه الله وأجزل مثوبته ، هذا الموقف يتلخّص أنه حين أحسّ مرة أن من بين طلابه ومريديه من يذهب في تقديسه وتعظيمه حداً عظيماً ، ويربط معالم الحق بشخصه الفاني ، قال لهم موصياً وموجهاً وناصحاً : « **إياكم أن تربطوا الحق الذي** أدعوكم إليه بشخصي الفاني ، ولكن عليكم أن تبادروا فتربطوه بينبوعه الأقدس : كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، ولتعلموا أنني لست أكثر من دلال على بضاعة الرحمن جل جلاله ، ولتعلموا أنني غير معصوم ، قد يفرط مني ذنب أو يبدو منى انحراف ، فيتشوّه مظهر الحق الذي ربطتموه بي بذلك الذنب أو الانحراف ، وارتكاب الآثام ، أو صارفاً لهم عن الحق بما شوّهه واختلط به من **انحرافي وآثامي** » .

ومن المواقف الخالدة لعلماء السلف الربانيين أيضاً موقف عبد الله بن المبارك من الفضيل بن عياض – رحمهما الله – حين بلغه أن الفضيل قد لزم العبادة بحرم مكة ،

وآثر السلامة على الجهاد في سبيل الله ؟ كتب له قصيدة مشهورة نجتزىء منها هذه الأبيات :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لوجدت أنك بالعبادة تلعب
من كان يتعب خيله في باطل
فخيولنا يوم الكريهة تتعب
أو كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرُنا
رَهَجُ السنابك والغبار الأطيب

فلما بلغ الفضيل هذه الأبيات بكى وقال : صدق أخي ونصحني .

وحين كتب له هذا كان ابن المبارك ملازماً للجهاد والرباط بأرض الشام رحمه الله ورضي عنه .

فما أعظم العالم المرشد حين يقيس نفسه بالحق ، ولا يقيس الحقّ بنفسه . وما أعظم قدوته عند الناس حين يعطيهم الإسلام منهاجاً شاملا عاماً سواء ما يتعلق في العقيدة والتشريع ، أو ما يتصل بالدين والدولة ، أو ما يرتبط بالتزكية والجهاد ، أو ما يختص بالعبادة والسياسة ، أو ما يتعلق بقولة الحق وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..

* * *

فما عليك – أخي المربي – إلا أن تبحث عن عالم مرشد رباني تجتمع فيه هذه الصفات وتكتمل في شخصيتة هذه المفاهيم .. حتى إذا ارتبط به ولدك أعطاه التلقين الإسلامي الصحيح المتكامل ، ووجه قلبه وفكره وروحه إلى منهج الإسلام الشامل ، وربطه بالحق والشرع وتوجيهات السلف .. لا بوجوده الفاني وشخصه غير المعصوم ..

وحذار – أخي المربي – أن تربط ولدك بأدعياء الإرشاد ، وجهلاء التصوّف ، وشراذم النفاق .. وما أكثرهم في هذه الأيام !!..

– فالمرشد الذي يدّعي لنفسه الحفظ والعصمه فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يطلب من مريده أن يعترف له عن ذنوب فعلها فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يمنّي المريد بإرشاده ، ويصرفه عن تأثير القرآن الكريم وهدايته ، وهداية السنة المطهرة فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي يمنّي يقنع المريد بأن يسكت عن معصيته إذا عصى لتصوّره المعصية طاعة فهو جاهل دعّي .

– والمرشد الذي يكتم علماً ينفع الله به في أمر الدين ، أو يسكت عن توضيح حق معلوم من الدين بالضرورة فهو جاهل دعيّ ..

– والمرشد الذي يَقْصِر الإسلام على تزكية النفس الإنسانية وإِصلاحها ، ويعطل مبادىء الإسلام الأخرى من أنظمة حكم ، ومناهج حياة .. فهو جاهل دعيّ .

– والمرشد الذي ينافق للحكام ، ويسبح بحمدهم ، ويتصدّر على موائدهم فهو جاهل دعيّ .

ولا شك – أخي المربي – أن الولد حين يرتبط بالقدوة الواعية بالشكل الذي بيناه ، ويلتقي بالمرشد العالم الرباني بالحال الذي وصفناه .. فيتربّى الولد – ولا شك – على التقوى وطاعة الله عز وجل ، وينشأ على الإخبات لله سبحانه والجرأة في الحق ، ويدرج على التعبد في المحراب ومقارعة الأعداء في ميادين الجهاد والوغى ، وعندئذ يندفع إلى إقامة حكم الله في الأرض بحرارة الإيمان ، ونخوة الإسلام ، واندفاع الشباب ، وحصيلة الوعي ؛ ونتيجة الفهم ، واستشعار المسؤولية ..، وينطبق عليه قول القائل :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم
وتأتي على قدر الكرام والمكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

فهذا التكوين الذى اكتمل ، وبهذه التربية التي تلقنها .. يصبح الولد على يد هذا المرشد الرباني لبنة صالحة في الكيان الإسلامى العام ، فعندئذ يتحقق على يديه عز الإسلام ، ونصر المسلمين ، وإِقامة دولة القرآن العتيدة ، وما ذلك على الله بعزيز .

٢ - ربط الولد بالصحبة الصالحة

ومن العوامل الهامة في تكوين الولد إِيمانياً ونفسياً ، وإِعداده خلقياً واجتماعياً .. ربط الولد منذ نعومة أظفاره بالصحبة المؤمنة الصالحة .. ليكتسب منها ما ينمّي شخصيته من روحانية مشرقة ، وعلم نافع ، وأدب سام ، وأخلاق قويمة ..

وعلى المربي أن يلحظ في الولد ظاهرة التكامل بين الربط بالمرشد الرباني ، والربط بالصحبة الصالحة .. لأن التناقض ما بين التوجيهين والانفصام ما بين الربطين يؤدي في أغلب الأحيان إلى خطرين بالغين :

الأول : الازدواجية في التوجيه .

الثاني : الانحراف في السلوك .

وأعني **بالازدواجية في التوجيه** أن الولد الذي يتربى على يد مرشد رباني واعٍ ، ثم يصاحب أناساً ليسوا على درجة من الوعي الإسلامي والفهم الحركي الكامل .. فالولد قد يتأثر بهم ، ويأخذ عنهم ، وينجذب إِليهم ، ويتقبل أفكارهم .. لكونه لم يصل بعد إلى مرتبة النضج العقلي والثقافي الذي يجعله أن يميّز بسببه بين ما هو صحيح ، وبين ما هو خاطىء .. وبهذه الحالة يكون الولد قد تأثر بفكرين ، وأخذ عن شخصيتين : شخصية واعية فاهمة ، وشخصية قاصرة جاهلة ، فعندئذ يقع في حيرة متزايدة ، وصراع فكري ونفسي أليم .. لا يدري أين يتجه ؟ ولا يعلم أين يسير ؟.

وأعني بالانحراف في السلوك أن الولد حين يرى المرشد الرباني أو الفئة الإسلامية الواعية .. يعطونه إِسلاماً وتوعية يختلف كل الاختلاف عن إِسلام وتوعية الصحبة التي خالطها ، وأخذ عنها .. لا شك أن الولد يتأثر بهذا التناقض ، ويعيش في دوامة من التساؤلات ، والبلبلة ، والأفكار .. قد تؤدي به في بعض الأحيان إلى الانحراف في السلوك والعقيدة نتيجة ردود الفعل لهذه المتناقضات .. إذن فالتكامل بين الربط بالمرشد ، والربط بالصحبة الصالحة هو من أكبر العوامل في تكوين شخصية الولد ، وإِعداده النفسي والخلقي . حتى لا يعيش الولد في عالم من المتناقضات ، وانفصام الشخصية ، والتحير ، والصراع النفسي ...

وبناء على هذا وجب على المربي أن يبحث عن نوعيات من الأصدقاء لولده هم من جنس الأشخاص الذين يتربّون على يد المرشد الرباني الواعي الفاهم .. الذي سبق ذكر مواصفاته ، وعرفنا طرفاً عن مفاهيمه وأفكاره ..

وبهذا يكون الربط أحكم ، والتأثير أقوى ، والتكامل في بناء شخصية الولد أعظم ..

★ ★ ★

ومن الأمور التي ينبغي على المربي أن يلحظها ، ويهتم بها ، ويسعى جهده في تحقيقها .. ربط الولد بأربعة أصناف من الأصحاب :

الأول : صحبة البيت .

الثاني : صحبة الحي .

الثالث: صحبة المسجد .

الرابع : صحبة المدرسة أو المعمل ..

● وأعني **بصحبة البيت** صحبة الإخوة والقرابة .. فهؤلاء هم أول ما يلتقي بهم الولد ، ويجتمع معهم ، ويتعرف عليهم .. وهؤلاء أيضا هم أول ما يكتسب منهم ، ويأخذ عنهم ، ويرتبط بهم .. لهذا وجب على المربي أن يكون عنده من قوة المراقبة ،

واستمرار الملاحظة .. ما يستطيع أن يكشف به عن قرب أو بعد .. عن أحوال هؤلاء الذين يصحبهم ويلتقي معهم ولو كانوا إخوته أو من ذوي قرباه !!..

ومن المعلوم أن الأخ الأكبر للولد هو القدوة في الخير أو الشر بالنسبة للأولاد جميعاً .. فإذا ترك الأب أو الأم حبل الولد على غاربه أو حبل البنت على غاربها في الصحبة والمخالطة فلا شك أن هذا الأخ السيء في خلقه ، أو هذه الأخت السيئة في خلقها .. سيكون لهما من التأثير اللا أخلاقي على باقي الإخوة والأخوات .. فعندئذ يصعب على المربي أو الأب معالجة انحرافهم ، وتقويم اعوجاجهم ، وردهم إلى جادة الحق ، وسبيل الهدى والرشاد ...

والحل العملي في تدارك هذا كله هو بذل أقصى الجهد للحيلولة دون الاختلاط الدائم ، والصحبة المستمرة مع كل أخ سيىء ، أو قريب فاسد .. حتى لا يتأثر الصغار بهم ، ويكتسبوا شيئاً من صفاتهم المرذولة ، وأخلاقهم الدنيئة ..

وعلى المربي أيضاً أن يبحث في الأسرة أو من ذوي القرابات .. عن أولاد يتّسمون بالطهر والفضيلة والأخلاق والوعي الإسلامي .. ويمهد لتوثيق العلاقة الاجتماعية بين الناشئين من أولاده وبينهم عسى أن تتوثق الرابطة وتقوى ، وعسى أن يكتسبوا منهم الفضائل النفسية والخلقية ، وصفات الخير ، ومكارم الأخلاق ..

وفي حال عدم وجود القريب الصالح ، والولد المؤمن الخلوق .. وجب على المربي أن يأخذ الأمور بالحزم والعزم في كف الأولاد الناشئين عن مصاحبتهم ، والخلطة معهم ، والارتباط بهم ، بل يتأكد على المربي أن يكون أكثر اهتماما وملاحظة ومراقبة ومناصحة .. لهؤلاء الناشئين ، كما عليه ألا يألو جهداً في توعيتهم ، وتحذيرهم من رفاق السوء ، ثم بالتالي توجيههم في كل فرصة سانحة بالتوجيه المناسب الذي يتفق مع تثبيت إيمانهم ، وتوثيق أخلاقهم ، والحفاظ على فطرهم السليمة ، وقلوبهم الصافية البريئة ...

وإذا كان لابد للولد من أصحاب يلتقي معهم ، ويجد في خلطتهم الأنس لقلبه ، والترويح عن نفسه ، فعلى المربي أن يبحث له عن رفقة صالحة من غير ذوي

القرابات .. ليرتبط بهم ، ويجد في صحبتهم السلوى والعزاء ، واكتساب صفات الخير ، ومكارم الأخلاق .. وبهذا يكون المربي قد نقل الولد إلى البيئة الصالحة ، والمحيط الملائم ...

★ ★ ★

• وأعني **بصحبة الحيّ** صحبة الولد لأولاد حيّه وجيرانه في المسكن الذي يقطن فيه ، وفي الحي الذي يقيم في كنفه ، ويترعرع في أحضانه ..

ومن الأمور المسلم بها أن أي حي من الأحياء القريبة أو البعيدة ، البدائية أو المتمدينة ، الجاهلة أو المثقفة .. يعج بأولاد لاحياء لهم ولا تربية ولا أخلاق .. من الوقاحة التى يبدونها ، ومن الكلمات البذيئة القذرة التى يطلقونها ، ومن سوء الأدب الذى يظهرونه أمام الغادي والرائح ، والبرّ والفاجر ، والصغير والكبير ، والمرأة والرجل ..

وهذه ظاهرة خطيرة يجب أن يعالجها المربون والمسؤولون ، ويتعاون على استئصال شأفتها الناس أجمعون .. ولقد تكلمنا عنها بما فيه الكفاية في مبحث « مسؤولية التربية الخلقية » فارجع اليه تجد فيه ما يشفي الغليل .

ولكن الذي يعنينا في التنويه عن هذه الظاهرة هو لفت نظر المربي للحالة المتردية التى وصل إليها أكثر أبنائنا من تميع في الخلق ، وفساد في التربية ، وانحراف في العقيدة .. حتى يضاعف المربي جهوده ، ويواصل نشاطه في إصلاح الولد عقيديا ، وتكوينه أخلاقياً .. وحتى يختار أنجع السبل . وأجدى الوسائل في إنقاذ الولد من هذا الأتون الفاسد ، والمحيط السيىء الذي يعيشه أكثر أبنائنا ...

ومن أهم الوسائل المجدية – في نظر كثير من علماء التربية والاجتماع – هو ربط الولد بالصحبة الصالحة ، ومن أميز هذه الصحبة وأنجعها ربط الولد برفيق صالح من أبناء حيّه أو جيرانه ، يلتقي معه على الدوام في المسجد ، وفي أوقات الفراغ ، أو على منضدة الاجتهاد ، أو في مزاولة الرياضة ، أو الخروج الى المتنزّهات البريئة ..

ولا شك أن الربط بهذه الرفقة الصالحة من أبناء الحي تحفظ الولد من أن يندمج مع غوغائية الحي وأبنائه الشاذين ، وأولاده المنحرفين ، بل تعصم له عقيدته من الزيغ ، وأخلاقه من التميع والانحلال ..

فاحرص – أخي المربي – على أن تربط ولدك برفقة صالحة من أبناء الحي مع الملاحظة التامة ، والمراقبة الدائمة ، والتوجيه المستمر .. ليكون ولدك من عداد المؤمنين الصالحين الأبرار ..

* * *

● وأعني **بصحبة المسجد** صحبة الولد لأولاد من سنه اعتادوا صلاة الجماعة والجمعة وحضور الدروس .. في المسجد الكائن في حيهم .

وفي تقديرى أن الولد الذي يعتاد المساجد من ذاته ، أو من توجيه أبويه ومربيه .. هو ولد تأصلت في نفسه روح الإيمان والطاعة لله تعالى ، والانقياد للإسلام في كل أوامره ونواهيه .. وهو الذي يرجى منه الخير ، ويؤمل من وجوده كل نفع وصلاح ..

وإذا تسنى لهذا الولد الذي يعتاد المساجد من يوجهه ويعلمه ، ويقوم على تربيته على الأسس الإسلامية المتينة ، والمبادىء الخلقية القويمة والتوعية الفكرية الشاملة .. فيكون – ولا شك – ممن يعقد عليهم الآمال في بناء صرح الإسلام ، وإقامة دولته العتيدة !!..

والذي أريد أن أنبه اليه أن صحبة الحى ، وصحبة المسجد ، هما أمران متلازمان ، لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر ، فما جدوى من مصاحبة رفيق الحي إذا لم يصلّ ولم يعتد المساجد ؟ وما الثمرة التي يجنيها من يؤم المساجد من صديق حي يخالطه إذا كان لا يولي وجهه شطر البيوت التي أذن الله أن يذكر فيها اسمه ؟

وإذا كان حريصاً على أن ينتقي لولده أفضل الأصحاب ، وأخْيرَ الأصدقاء .. ليربط ولده بهم ، ويوثق علاقته معهم .. فليكن هذا الانتقاء ممن يعتادون مسجد الحيّ .. لأنهم على الفطرة الخالصة ، والإيمان الصافي والخُلق الطاهر النبيل !!..

وهنا يأتي دور المربي في ملاحقة الولد ومن صادقهم من الأصحاب .. في مواظبتهم على صلاة الجماعة ، وحضور الدروس التوجيهية والتعليمية التي تقام في المسجد ، وارتياد حلقات القرآن الكريم ، وتحسين التلاوة ، التي يقوم بها العلماء والمعلمون في بيوت الله عز وجل ..

وعلى المربي ألا يغفل جانب التشجيع والترغيب في اعتياد الأولاد مساجد الله تعالى ، حتى يندفعوا بكليتهم إلى الصلوات في أوقاتها ، ويتسابقوا إلى صلاة الجماعة في حينها ، ويحرصوا على التزام حلقات القرآن الكريم ، والعلوم الشرعية في المواعيد المحددة لها ..

فاحرص – أخي المربي – على أن تربط ولدك برفقة مساجدية صالحة على الوجه الذي بيناه مع الملاحظة التامة ، والتشجيع المستمر ، ليكون ولدك – إن شاء الله – من عداد المسلمين الأطهار ، ومن زمرة الصالحين الأخيار !!..

* * *

● وأعني **بصحبة المدرسة أو المعمل** صحبة الولد لأولاد في صفه ومن سنه في المدرسة التي يدرج فيها ، ويتعلم منها ، وينتمي إليها .. أو في المعمل الذي يعمل فيه ، ويتكسب منه ، وينتمي إليه .

وأريد في سياق الحديث عن الصحبة المدرسية أن ألفت نظر المربين إلى حقيقة هامة يجدر الحديث عنها ، والكلام فيها .

هذه الحقيقة تتلخص أن المدرسة اليوم في البلاد التي تسودها الأفكار الضالة ، والنزعات الملحدة ، والمبادىء المستوردة .. أصبحت ـ ويا للأسف ـ مرتعاً خصباً لهذه الأفكار ، والنزعات والمبادىء .. على يد مَنْ ؟ .

على يد معلمين باعوا ضمائرهم للشيطان ، ونفوسهم للأجنبي ..

على يد أحزاب عقائدية ضالة ليس لها من مهمة أو هدف إلا التشكيك بالدين ، ومحاربة الإسلام ..

على يد منظمات طلابية عقائدية تستمد أوامرها من الأحزاب التي ينتمون إليها ، لتؤدى رسالة التضليل ، والتسيب ، والتشكيك .. في صفوف الطلاب والطالبات ..

على يد اتحادات نسائية ليس لها من رسالة وهدف سوى الوقوف أمام الحجاب الإسلامي الذي هو شعار الطهر والعفة ، أمام النظام الإسلامي الذي أنصف المرأة ، وأمام مبادىء الإسلام الحقوقية التي أعطت كل ذي حق حقه .. وكم طرحت من شعارات باسم تحرير المرأة حينا ، وباسم مساواتها مع الرجل أحيانا ؟..

هذا عدا ما في جو المدرسة من نزعات متباينة ، واتجاهات مختلفة ، وتحلل وضيع .. وقلّما نجد من يدعو في البيئة المدرسية إلى دين رشيد ، وإسلام حق ، وأخلاق فاضلة ، ومبادىء تربوية صالحة ..

فبعد تبيان هذه الحقيقة الهامة ، فما عليك – أخي المربي – إلا أن تبذل جهدك ، وتضاعف سعيك لإنقاذ ولدك من هذا الجو المكفهر المظلم ، ومن هذه البيئة الفاسدة الضالة .. ولا يتحقق هذا الإنقاذ إلا بصحبة طلابيّة صالحة واعية .. يرتبط بها ولدك في هذه المراحل التي يمر عليها في التلقين العلمي ، والتكوين الثقافي سواء أكانت المرحلة التي يتلقى منها الدراسة ابتدائية أو إعدادية أو ثانوية أو جامعية ؟.. ومن الأفضل أن يكون الانتقاء لهذه الصحبة الطلابية ممن يصحبهم فى الحى أو فى المسجد إذا وجدوا ، لتكون متانة الصحبة الصالحة أقوى ، ونتائجها في تحقيق الخير للولد أكثر .. وإن لم يوجد فيكون الانتقاء على أساس من الفهم ، وسلامة العقيدة والخلق ، والمباشرة العملية لأركان العبادات ولا سيما عبادة الصلاة .

ورحم الله من قال :

تمسّك إن ظفِرتَ بذيل حُرّ ... فإن الحرّ في الدنيا قليل

وأريد في الكلام عن المدرسة أن ألفت نظرك – أخي المربي – إلى حقيقة أخرى ينبغي أن تهتم لها ، وتوجه أنظارك إليها ألا وهي وضع البنت في المدرسة ، وأحوال تأثيراتها العاطفية والنفسية ..

إعلم – أخي المربي – أن الأنثى بما جبلت عليه من عاطفة فياضة ، وبما تتأثر به من أمنيات ومغريات ، وبما تنساق إليه من فتنة المدنيّة الحديثة ، وزينة الحياة الدنيا ومظـاهرهـا الخـادعـة .. سرعـان مـا تتنكب عن الحق ، وتتكيف مع البيئـة ، وتميل مع الهوى ، وتجاري التيار .. بدون رادع من دين ، أو زاجر من ضمير ، أو احتكام لعقل ، أو نظرة للعواقب ..

لأجل هذا وجب عليك أن تكون أكثر اهتماماً بالبنت من أولادك الذكور ، مخافة أن تتزعزع في إيمانها ، أو تتحلل في أخلاقها ، أو أن تنزلق في متاهات الرذيلة والفحشاء .. أو أن تنتمي إلى منظمات حزبية لا دينية .. فتنتزع منها أعزّ ما تملك ألا وهو الإسلام والشرف .. والإسلام يحتم عليك – أخي المربي – أن تهيىء لابنتك المناخ الصالح ، والبيئة الراشدة في البيت ، وفي المدرسة .. لتحصنها من الزلل ، وتعصمها من الانحراف ..

ومن وسائل تهيئة البيئة الصالحة أن تربطها بداعيات مرشدات يكن على اتصال دائم بها ، والاجتماع معها .. ومن الوسائل أيضاً تهيئة الصديقات الصالحات لترتبط البنت بهن ، وتكتسب منهن .. سواء أكُنَّ هؤلاء الصديقات على صعيد القرابة في البيت ، أم كُنّ على صعيد الصداقة في المدرسة .. هذا عدا عن مراقبتها وملاحظتها وتوجيهها بشكل دائم ومستمر ، لتبقى على العهد ، وتستمر على الإيمان والاستقامة والخلق ، والتمسك بمبادىء الإسلام ، وتعاليمه الخالدة .. وإذا آنست – أيها الأب – من نفسك على أنك غير قادر على تهيئة وسائل الحصانة والعصمة لابنتك .. وإعداد البيئة الصالحة لفلذة كبدك .. فيحرم عليك شرعا أن تزج هذه الإنسانة في هذه المتاهات ، وأن ترمي بها في هذه المزالق .. مخافة أن تفقد أعز ما تملك ألا وهو الدين والشرف .

وأعلم – أخي المربي – أن ما ينطبق على صحبة المدرسة فإنه ينطبق تماماً على صحبة المعمل ، فأكثر المعامل والمؤسسات – ويا للأسف – تعجّ بعمال لا أخلاق لهم ، ولا أدب ، ولا دين .. بل يوجد من هؤلاء العمال على اختلاف مستوياتهم من

يعتنقون الشيوعية الكافرة الملحدة الحمراء .. ويوجد منهم أيضاً من ينتمون إلى منظمات عمالية لا تقيم للدين حرمة ، ولا للقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام أي وزن أو اعتبار ، ويوجد كذلك من هؤلاء العمال من يعيش في حياته عيشة البهائم في اتجاههم الإباحي ، ونزعتهم اللا أخلاقية .. ليس لهم هم سوى أن يشبعوا نهمتهم الجنسية ، وأشواقهم الغريزية ، وليس لهم من مثل أعلى سوى أن يتقلبوا في حمأة الخمر والقمار والفحشاء ، والاستماع إلى أميع الأغاني ، وحضور أقبح النوادي والمسارح .. ليذبحوا رجولتهم وكرامتهم على أقدام مغنية فاجرة ، أو راقصة ساقطة ، أو امرأة بغيّ زانية !!..

وفي الوقت نفسه يوجد من العمال من هم على الدين والاستقامة والأخلاق والتزام المنهج الإسلامي الذي جاء به رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه . ولكن هؤلاء قلة بالنسبة للفئات اللا أخلاقية التي تعجّ بها المعامل والمصانع ، والقطاعات العامة والخاصة .. في كثير من البلاد .. فالإسلام يحتم عليك – أخي المربي – أن تبحث في المعمل أو المصنع .. عن هذه الفئة الصالحة ، والرفقة المؤمنة .. لتربط ولدك بها .. فإذا نسي ذكرته ، وإذا ذكر أعانته ، وإذا رأته شذّ أو انحرف أنقذته وأحاطت به ، ليبقى دائماً على الاستقامة والأخلاق !!..

وحينما يتعاون ويتضافر توجيه البيت مع الربط بالصحبة الصالحة سواء أكانت صحبة مدرسة أو معمل أو حي أو مسجد ...

فلا شك أن الولد ينصلح حاله ، ويستقيم أمره ، وتتكامل شخصيته الإسلامية ، ويظل دائماً على العهد والاستقامة والأخلاق .. ومن هنا كانت وصية ابن سيناء في تربية الولد قوله : « أن تكون مع الصبي في مكتبه صِبْيَة حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، لأن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ ، وبه آنس » .

فاحرص – أخي المربي – على أن تأخذ بهذه القواعد التربوية الأصيلة ، والمبادىء الإسلامية القويمة .. للحفاظ على ولدك من الضياع ، والتشرد والزيغ ، والانحراف ..

وما ذاك إلا بالصحبة التي فصلنا عنها ، وأطلنا الكلام فيها ، لتكون دائماً على هدى من الأمر ، وبصيرة في الحياة ، وعلم في الطريقة ..

﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ .

(يوسف : ١٠٨)

★ ★ ★

وإليك أخيراً – أخي المربي – **توجيهات الإسلام وتحذيراته** من قرناء الشر ، **ورفاق السوء والفساد** ، لتعلم كيف أن الإسلام اهتم بالصحبة الصالحة وأمر بها ، وركّز عليها ؟

– قال تعالى :

﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ، يقول : يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ، يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا ، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ .

(الفرقان : ٢٨ – ٣٠)

– وقال أيضاً :

﴿ قال قرينه : ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد ﴾ .

(ق : ٢٧)

– وقال كذلك :

﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين ﴾ .

(الزخرف : ٦٧)

– وقال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي –: « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يُخَالِلْ » .

– وقال أيضاً – فيما رواه البخاري ومسلم –: « مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل حامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يُحذيك (يعطيك) ، أو تشتري منه ، أو تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، أو تجد منه ريحاً منتنة » .

– وقال – فيما رواه ابن عساكر –: « إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف » .

ورحم الله من قال :

عن المرء لا تسأل وسلْ عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

★ ★ ★

٣ – ربط الولد بالدعوة والداعية :

ومن العوامل الأساسية في اكتمال شخصية الولد ، وإعداده ، نفسياً واجتماعياً ودعَوياً .. ربط الولد منذ أن يتعقّل الحياة ، ويتفهم مسؤوليتها .. بالدعوة والداعية والتحرك لإعلاء كلمة الله .. وما ذاك إلا لتنمو في نفسية الولد روح الدعوة إلى الله . والجرأة في الحق ، والتخلق بالصبر .. حتى إذا تأصلت بين جوانحه هذه المعاني الدّعويّة ، والصفات النفسية انطلق كالأسد يبلغ دين الله عز وجل ، دون أن تأخذه في الله لومة لائم ، ودون أن تردّه عن المضي في طريقه عراقيل الحياة وأحداثها !!..

ولا شك أن المرشد الرباني الذي يرتبط به الولد حين يكون على المواصفات الإرشادية الكاملة من شمولية الفهم ، والوعي ، والتحرّق على الإسلام ، والتحرك في سبيله .. هو الذي يربي الولد على روح الدعوة ، والجهاد ، واستشعار المسؤولية ، والتحرك الدائم لإعلاء كلمة الله .. بل هو الذي يؤهله ليكون جندياً من جنود الحق ، وداعية من دعاة الإسلام .. يبلغ رسالة ربه ، ولا يخشى أحداً إلا الله .

ومن الأمور التي لا يماري فيها أحد أن الولد حين يتهيأ له مناخ الدعوة في كل ما يتعلق بها من أسباب ، وحين تتمهد له ظروف الجهاد التبليغي في كل ما يدفع

إليه من بواعث .. فإن الولد – ولا شك – يشب وهو في سن التعقل والتمييز على روح الجهاد ، وتبليغ الدعوة ، وهداية الناس ، وإنقاذ البشرية .. بل تتأصل هذه الروح الدعوية الجهادية في نفسه ، وتتعمق في كيانه ، وتصبح عنده في النهاية طبعاً وخلقاً وعادة ...

ومن المعلوم يقيناً أن الولد حين ينشغل في أوقات فراغه في الأعمال الدعوية ، والواجبات التبليغية .. وحين يمارس عملية الاتصال بالناس ، والالتقاء معهم ، والتحدث إليهم .. فنكون قد أشغلنا فراغه في أمور يعود نفعها على نفسه ، وآثارها الطيبة على أمته ومجتمعه .. وفي الوقت نفسه نكون قد نمّينا في الولد النزعة الاجتماعية التي تطلق مواهبه ، وتكوّن شخصيته ، وتهيؤه ليكون جندي الحق ، ورجل الدعوة والإسلام !!..

ولكن كيف نهيىء الولد ليكون داعية ؟، وما هي المراحل التي يتدرج فيها ليصل إلى صفّ الدعاه المرموقين ، ومرتبة الرجال العاملين ؟

المراحل في تقديري هي على الوجه التالي :

١ – التهيئة النفسية :

وذلك بتصوير الواقع المؤلم الذي وصل إليه العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه .. تصوير الصراع في المبادىء والأفكار ، تصوير التفكك السياسي والاجتماعي ، تصوير الظاهرة الانحلالية والإباحية ، تصوير المؤامرات الصليبية واليهودية والشيوعية والاستعمارية ، تصوير اليأس والقنوط الذي خيّم على كثير من المسلمين .. إلى غير ذلك من هذه التصورات التي لا تخفى على أدنى مسلم في دنيا الإسلام !!..

فهذا التصوير للواقع ، والوصف للحاضر .. مما يدفع الولد الى أن يقتنع بضرورة العمل الدعوي ، والجهاد التبليغي .. بل نكون قد هيأناه نفسياً لينطلق في مضمار الدعوة عن إيمان وقناعة واندفاع ..

٢ - ضرب الأمثال :

وهنا يأتي دور المربي أو المرشد الرّباني في إقناع الولد بضرورة العمل الدعوي والجهاد التبليغي لأجل إعزاز شرع الله ، ورفع راية الاسلام ..

ولضرب الأمثال وجهان :

١ - ضرب للمثل يزيل عن النفس يأسها وقنوطها ، ويحقق لها أملها وتفاؤلها .

٢ - وضرب آخر للمثل يدفع المسلم إلى العمل والتضحية والثبات مهما كانت العراقيل والعقبات .

فبالنسبة **للنوع الأول** يستشهد بالأحداث التاريخية التالية :

● من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة بعد أن تشتت الناس وانقسموا وارتدّوا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وفي المرحلة الأولى من خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، ففي هذه الفترة برزت فيها قرون العصبية الجاهلية كأنها قرون الشياطين ، وارتدت العرب عن الإسلام ، ومنع ممّن ينتسبون إلى الإسلام ظاهراً الزكاة ، ومنهم من أبطل الصلاة ..، وكان المسلمون بعد موت النبي ﷺ كالغنم في الليلة المطيرة كما وصفتهم السيدة عائشة رضي الله عنها .. وبلغت الحالة حد اليأس حتى أن بعض الناس جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال : « يا خليفة رسول الله ، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً .. إلزم بيتك ، وأغلق بابك ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (الموت) » .

ولكن هذا الرجل الخاشع البكّاء ، الهادىء الرقيق .. لم يدبّ اليأس إلى قلبه ، ولم يقنط من رحمة الله ونصره .. وإنما انقلب في هذه الفترة الخطيرة من خلافته إلى رجل ثائر كالبحر ، زائر كالليث ، يصيح في وجه عمر ويقول : « أجبّارٌ في الجاهلية ، وخوّار في الإسلام ؟ ماذا عسيت أن أتألفهم بسحر مفتعل أم بشعر يُفْترى ؟ هيهات ، هيهات !!. مضى رسول الله ﷺ وانقطع الوحي ، والله لأجاهدنّهم ما استمسك السيف في يدي ، فوالله لأقاتلنّ من فرّق بين الصلاة والزكاة .. لقد تمَّ الوحي واكتمل .. أفينقص الدين وأنا حي ؟ والله لو منعوني عَنَاقاً أو عقال بعير لقاتلتُهم عليه !!..

فما كان من عمر رضي الله عنه إلا أن قال : لقد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعلمت أنه الحق .

وهكذا استطاع أبو بكر رضي الله عنه بإيمانه وعزمه وجهاده وقوة نفسه الكبيرة .. أن يُعيد للدولة الإسلام استقرارها ، ويرسّخ لها عزتها ونقاءها !!..

● من كان يظن أن تقوم للإسلام قائمة لما استولى الصليبيون على كثير من البلاد الاسلامية ، والمسجد الأقصى وما حوله ما يقارب قرناً من الزمان .

● من كان يظن أن هذه البلاد ستحرر على يد البطل المغوار « **صلاح الدين** » **في معركة حطين الحاسمة** ويصبح لها من الكيان والعزة والمجد ما شرّف التاريخ ؟!.

● من كان يظن أن تقوم للمسلمين قائمة لما خرّب **المغول والتتار** العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وفتكوا في الأنفس والأعراض فتكاً ذريعاً ؟ حتى قيل إن جبالا شامخة أقامها « **هولاكو** » من جماجم المسلمين .

● من كان يظن أن بلاد الإسلام ستحرر على يد البطل المقدام « **قطز** » في معركة « **عين جالوت** » الحاسمة ، ويصبح للمسلمين من المجد والعظمة والعزة ما فخرت به الأجيال ؟!.

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر ، وإن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها من أن يصنعوا من اليأس أملا ، ومن الهزيمة انتصاراً ، ومن الضعف قوة ، ومن الذلة عزة .. ومن الشتات وحدة ..

فحين تضع - أخي المربي - في الولد هذه المعاني من الأمل والتفاؤل .. فإنه سيندفع لا محالة إلى ميدان الدعوة إلى الله ، بل يكون جندياً من جنودها ، وفتىً جلداً صبوراً من فتيانها ..

وبالنسبة **للنوع الثاني** يستشهد بالقدوات التالية :

● بصاحب القدوة الأولى نبيّنا عليه أفضل الصلاة والسلام الذي لقي في سبيل الدعوة الإسلامية ما لقي من أصناف العذاب ، وألوان الاضطهاد ، وأنواع الألم ..

وكتب السيرة النبوية فائضة بذكر هذه الأمثال والأخبار ..

● بأصحاب القدوة من الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ﷺ الذين جاهدوا في الله حق جهاده ، ودخلوا محنة الدعوة في المرحلة المكية بإيمان كالجبال ، فما وهنوا ولا استكانوا ولا ضعفوا ، بل زادتهم المحن والشدائد إيماناً وتسليماً .. وهم الذين قال عنهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من كان متأسياً فليتأسَّ بأصحاب رسول الله ﷺ ، فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلّها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالا .. اختارهم الله لصحبة نبيّه عليه الصلاة والسلام ، وإقامة دينة ، فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم » . وأخبارهم في الثبات والتضحية والصبر .. كثيرة ومستفيضة .

● بأصحاب القدوة من رجالات الدعوات عبر التاريخ إلى عصورنا اليوم .. فهؤلاء لهم من المواقف المشرفة ، والتضحيات الخالدة .. ما تفتخر به الأجيال على مر العصور والأيام ، كأمثال الحسن البصرى ، والعز بن عبد السلام ، ومنذر بن سعيد ، وأحمد بن حنبل ، وأبي غياث الزاهد ، والإمام حسن البنا ، والشهيد سيد قطب .. ومئات غيرهم .. الذين كانوا جبالا في التحمل ، وأسوداً في الثبات ، ومضرب المثل في الصبر والتضحية ..

فحين تضع – أخي المربي – في الولد هذه المعاني من مواقف التضحية والصبر والثبات في سبيل تبليغ دعوة الإسلام .. فإن الولد – ولا شك – ستنطبع في تصوره هذه المواقف ، وتسري معانيها إلى نفسه وقلبه .. فعندئذ يتخذ في حياته طريقاً للقدوة ، فينهج نهجهم ، ويمشي على طريقتهم ، ويصبح ممن عناهم الله سبحانه بقوله :

﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ (الأنعام ٩٠) .

٣ – إظهار فضيلة الدعوة إلى الله :

على المربي في هذه المرحلة أن يركز في ذهن الولد الأجر الكبير الذي يحظى به الداعية إلى الله حين ينطلق في مضمار الدعوة ، ويبلّغ الناس رسالة الإسلام الخالدة :

– يركز في ذهنه أن الدعاة هم خير الناس وأفضلهم لقوله تبارك وتعالى :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. ﴾ .

(آل عمران : ١١٠)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة هم المفلحون الفائزون في الدنيا والآخرة . لقوله سبحانه :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .

(آل عمران : ١٠٤)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة لا يدانيهم أحد في الشرف والمنزلة وحسن الفعال .. لقوله عزّ من قائل :

﴿ ومن أحسن قولًا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

(فصلت : ٣٣)

– ويركز في ذهنه أن الدعاة لهم من الأجر مثل أجور من اتّبعوهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم وأصحاب السنن –: « من دعا الى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتّبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. » .

– ويركز في ذهنه أن الدعاة فيما يتركون في المجتمع من أثر ، وما يحقق الله على أيديهم من هداية خير لهم مما طلعت عليه الشمس وغربت ، لقوله ﷺ – فيما رواه البخاري – « فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن تكون لك حُمْر النَّعَم »(١) ، وفي رواية : « خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

فحين تضع – أخي المربي – هذه الحقائق من فضائل الدعوة بين يدي الولد ، وحين ترسخها في ذهنه ، وتعمقها في نفسه .. فإن الولَد سينطلق في هذا المضمار طائعاً مختاراً .. ليحظى بالأجر والمثوبة عند من بيده مقاليد كل شيء في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

٤ – بيان الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة :

على المربي في هذه المرحلة أن يبين الأُصول المتبعة في تبليغ الدعوة حتى يلتزمها ، ويسير على هديها دون أن يعتريه عوج أو التواء .. حتى يكون تأثيره أبلغ ، والنتائج التي يصل إليها دائماً أفضل وأحسن ..

ونلخص هذه الأصول فيما يلي :

(أ) **أن يكون عالما بحكم كل قضية يدعو إليها أو ينهى عنها** : حتى يكون أمره أو نهيه دائماً مطابقاً لأحكام الشريعة ، ومبادىء الإسلام .. وصدق الله حين قال :

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ . (الزمر : ٩) .

(ب) **أن يكون فعله دائماً مطابقا لقوله** : حتى يقبل الناس هديه ، ويستجيبوا لدعوته .. وما أشقى الذين يقولون مالا يفعلون !!، وما أحمق الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم !! وما أعظم وأشنع ما قاله الله في حق أولئك :

---

(١) حُمْر النعم : هي الإبل الحمراء وكان العرب يتفاخرون بها .

﴿ **يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون مالا تفعلون كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** ﴾ .

(الصف : ٣)

﴿ **أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾ .

(البقرة : ٤٤)

(ج) **أن يكون المنكر مجمعاً على إنكاره** حتى لا يقع الناس بسبب تعصبّه في بلبلة فكرية ونفسية واجتماعية ....، ولاسيما القضايا التي يرجع البتّ فيها للاجتهاد وآراء الأئمة .. وقد قالوا قديماً : « مَن قلّد عالماً لقي الله سالماً » .

(د) **أن يكون متدرجا في تغيير المنكر** : حتى لا يصل في النهاية إلى نتائج صعبة ليست بالحسبان ، فالتدرج من النصح .. إلى التخويف بالله .. إلى التهديد .. الى التعنيف بالقول .. إلى التغيير باليد .. هو عين الصواب والحكمة ، وقد قال الله سبحانه :

﴿ **ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً** ﴾ .

(البقرة : ٢٦٩)

(هـ) **أن يكون لطيفاً رقيقاً حسن الخلق** : حتى يملك قلوب الناس بملاطفته وكريم أخلاقه ، ويستجيبوا للطيف موعظته ورقيق كلامه .. وصدق الله سبحانه حين قال :

﴿ **أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ .

(النحل : ١٢٥)

(و) **أن يكون صابراً على الأذى** : حتى لا ييأس أو ينهزم مما يلقاه من تعنّت المستكبرين ، وحماقة الجاهلين ، واستهزاء الساخرين .. ولنستمع إلى نصيحة لقمان الحكيم لولده كما حكاها القرآن الكريم :

﴿ يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانْهَ عن المنكر واصبر على ما أصابك إِن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

(لقمان : ١٧)

تلكم – أخي المربي – أهم الأصول[1] المتبعة في تبليغ الدعوة الإسلامية ، وهداية الناس إلى سبيل الخير .. فما عليك إِلا أن ترشد ولدك إِليها – وهو فى سن التمييز – حتى يعتادها ، ويدرج عليها ، ويتفهم مراحلها وأصولها .. عسى أن يكون في المستقبل الداعية الموفق الذي يشار إليه بالبنان في حكمته ، وأسلوبه ، وحسن معشره ، ولطيف أخلاقه ، وعظيم أثره ...

٥ – من التوجيه إلى التطبيق :

في هذه المرحلة الهامة ينتقل المربي بالولد إلى الناحية التطبيقية العملية في إِعداده اجتماعياً ، وتكوينه دعوياً ...

ويحسن بك – أيها المربي – في بدء هذا التكوين الدعوي أن تربط ولدك بداعية مخلص مجرب .. عنه يتلقى التوجيه ، ومنه يتقن أصول الدعوة ، وبصحبته يمارس الجانب العملي في دعوة الناس إلى الخير ...

ولا يخفى ما في هذا الارتباط في سن مبكرة من أثر كبير في نضج الولد دعوياً ، وفي تربيته اجتماعياً ، وفي اكتمال شخصيته نفسياً وسلوكيا ..

وبعد هذه المرحلة **يأتي دور التدريب على الاتصال الفردي للهداية والإِصلاح .**

وهذا لا يتأتى إِلا أن يتدرب الولد عملياً على أن يمارس دعوة الآخرين الى الخير بنفسه دون مصاحبة مرشد أو مرافقة رقيب ...

---

(١) ارجع إلى القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » ، واقرأ بحث « المراقبة والنقد الاجتماعي » في الفصل السادس منه ، تجد هذه الأصول مشروحة بشكل واف مع كل الشواهد الكثيرة .

ولكن قبل أن يقوم الولد بالتجربة العملية في دعوة إنسان ما إلى الخير يحسن من المربي أو الداعية أن يذكر الولد بأصول الدعوة ومراحلها .. ليقوم بالتنفيذ على أدق وجه ، وأحسن سبيل .. ثم بعدها ينطلق في مضمار الدعوة إلى الله بنفس مؤمنة إيجابية رضية ..، وقد يكون المنطلق إلى دعوة صديق في مدرسة لا يقيم وزناً للعبادة ، ولا يكترث بالصلاة ، ولا يسير في حياته سير الصالحين الأبرار !!

وهنا تظهر براعة الولد في دعوة هذا الصديق إلى الصلاة ، وانقاذه من بيئة الفساد والانحراف .. وهنا تبرز شخصيته المؤثرة في الإقناع والاستجابة والاهتداء .. وهنا تتجسد قدرته الدعوية في انجذاب النفوس إليه ، وتأثرهم به ، ومحبتهم له ، ومدى استجابتهم للدعوة التي يدعو إليها ، ويأمرهم بها !!

وبعد أن ينتهي الولد من هذه المرحلة العملية في الدعوة **يأتي دور المربي أو المرشد أو الداعية ثانية ، ليسأل الولد عن النتائج التي وصل إليها ، ويحاسبه عن المراحل التي مرّ بها** .. فإن رأى الولد أحسن في سير الدعوة ، واتبع الأصول اللازمة ، وانتهج المراحل المتدرّجة .. شكر الولد علي صنيعه ، وشجعه على توفيقه ، وطالبه بالمزيد من النشاطات الدعوية في محيط المجتمع ، ودنيا الناس .

وإن رأى الولد أخطأ في السير ، ولم يتبع الأصول الصحيحة أرشده إلى معالم الحق ، وطريق الصواب .. فيتوجّب على المشرف الدعوي أو المربي إذن ، أن ينهج مع الولد هذا المنهج ، ويتبع معه طريق السؤال والمحاسبة في كل عملية دعويّة يقوم بها !!. حتى إذا رآه نضج دعوياً ، وبرع سلوكياً واجتماعياً رمى به في بيئات الجهالة .. ليؤدي رسالة الدعوة والإصلاح على أحسن وجه ، وأنبل معنىً .. ويبلغ مبادىء الإسلام في الأرض لا يخشى أحداً إلا الله .. ولو لقي في سبيلها ألوان العذاب ، وأصناف الألم .. وحسبه فخراً وشرفاً أن يتأسى بالأنبياء عليهم السلام وما كابدوه ، ويقتدي بالمصلحين الكبار وما لا قوه ..، وهذه سنّة الله في كل داعية إلى الخير والإصلاح ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا !!..

★ ★ ★

إن أردت – أخي المربي – أن يكون ولدك جندياً من جنود الاسلام . وداعية من دعاة الحق .. فما عليك إلا أن تربط ولدك بدعاة صادقين ، وهداة مخلصين .. منهم يستمد عزم الإيمان ، وبواسطتهم يندفع نحو الجهاد ، وبإعداهم ينطلق في ميادين الدعوة إلى الله .. حتى إذا تخرج على أيديهم ، وامتطى صهوة الجهاد الدعوي ، قام بالدور الكبير في الإنقاذ ، والهداية ، والإصلاح والتبليغ .. دونما إهمال أو تواكل أو تقصير .. فما أحوج دنيا الإسلام إلى أولاد يرضعون لبان الدعوة الإسلامية منذ نعومة أظفارهم ، ويستظلون في ظلال العمل الحركي ، والجهاد التبليغي وهم لم يبلغوا الحُلم بعد !!.. حتى إذا بلغوا السنّ التي تؤهلهم لحمل الرسالة الإسلامية الخالدة .. انطلقوا في مجاهل الأرض ، يمدّنون الأمم ، ويكرّمون الإنسان ، ويفرضون المعرفة ، وينصرون الحق ، ويدعون إلى الهدى ، ويملؤون الأرض عدلا وأمناً واستقراراً ..

انطلقوا في مضمار الدعوة والجهاد غير هيّابين ولا وجلين .. يبلغّون رسالات ربهم ولا يخشون أحداً إلا الله .. حتى يصلوا في نهاية المطاف إلى تحكيم شريعة الله ، وإقامة دولة الإسلام ، واستعادة ما بناه الأوائل من مجد شامخ ، وعزة منيعة ، ودولة كبيرة واسعة لا تغيب عن أرضها الشمس !!.. وما ذلك على الله بعزيز .

★ ★ ★

خامساً : الرّبط الرّياضي

من أهم الوسائل النافعة التي وضعها الإسلام في تربية أفراد المجتمع جسمياً ، وتكوينهم صحياً .. هو إملاء فراغهم بأعمال جهاديّة ، وتدريبات عسكرية ، وتمرينات رياضية .. كلما سنحت لذلك فرص ، أو تهيأت ظروف ..

ذلك لأن الإسلام بمبادئه السمحة ، وتعاليمه السامية .. جمع في آن واحد بين الجد واللهو البريء ، ووفّق بين مطالب الروح ، وحاجات الجسم ، واعتنى بتربية الأجسام وإصلاح النفوس على حدّ سواء .

والولد من حين أن يعقل هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الصحي ، والتكوين الجسماني .. بل هو أولى بإملاء الفراغ في كل ما يعود على جسمه بالصحة وعلى أعضائه بالقوة ، وعلى سائر بدنه بالحيوية والنشاط .. وذلك لثلاثة أسباب :

الأول : للفراغ الكثير المتيسر له .

الثاني : لوقايته من الأمراض والأسقام .

الثالث: لتعويده منذ الصغر على تمارين الرياضة وأعمال الجهاد .

وإليك – أخي المربي – **طاقات من نصوص الشريعة** في اهتمام الإسلام بالتربية الرياضية ، والإعداد العسكري .. ليعلم كل ذي عينين أن الاسلام هو دين الله الخالد في دعوته إلى وسائل العزة والقوة والجهاد :

– قال تعالى .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

(الأنفال : ٦٠)

– وروى مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. » .

– وروى الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهوٌ أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

– وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ تلا قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ ، ثم قال : « ألا إن القوة الرمي ، ألا إن القوة الرمي » .

– وقد كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الولاة ما يلي : « أما بعد فعلّموا أولادكم الرماية والسباحة وركوب الخيل .. » .

وروى الشيخان أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجه عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ، وبينما هم يلعبون دخل عمر فأهوى إلى الحصباء (الحصى الصغيرة) فحصبهم بها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « دعهم يا عمر » .

– وروى أحمد والبخاري أن النبي ﷺ مرّ على نفر من أسْلَم ينتضلون بالسوق (يتدربّون على الرمي) ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أُرموا بني إسماعيل ، فإن أباكم كان رامياً ، أرموا وأنا مع بني فلان » ، فأمسك أحد الفريقين عن الرمي ، فقال رسول الله ﷺ : « ما لكم لا ترمون ؟ » ، فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « ارموا وأنا معكم كلكم » .

– وروى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت : « سابقني رسول الله ﷺ فسبقتهُ ، فلبثنا حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني فقال : هذه بتلك » .

– وروى أبو داود عن محمد بن علي بن رُكانة : « أن ركانة صارع النبي ﷺ ، فصرعه عليه الصلاة والسلام » .

– وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « أرموا واركبوا ، وأن ترموا خير من أن تركبوا » .

– وروى أحمد والبخاري عن أنس رضي الله عنه قال : « كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العضباء ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قَعُودٍ له (ناقة فتية) فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا : سُبِقَتْ العضباء ، فقال عليه الصلاة والسلام : « إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه » .

فمن هذه النصوص يتبين أن الإسلام شرع ممارسة الألعاب الرياضية ، والتدريبات الجهادية من مصارعة ، وعَدْوٍ ، وسباحة ، ورماية ، وفروسية .. من أجل أن تأخذ أمة الإسلام بأسباب العزة والنصر والسيادة ، وأن تتربى أفراداً وجماعات على معاني القوة ، والفتوة والجهاد .. تنفيذاً لقوله تبارك وتعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ، وتحقيقاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » .

ومما لا يختلف فيه اثنان أن أعداء الإسلام حين يعلمون أن أمة الإسلام استعدت عسكرياً وحربياً ، وتكوّنت صحيّاً وجسمياً ، واكتملت إيمانيا ونفسيا ، وعزمت على الجهاد حركيا وإرادياً .. فإنهم – لا شك – ينهزمون من نفوسهم القلقة الخائفة الخوّارة .. قبل أن ينهزموا في ميادين المنازلة والجهاد ، وهذا ما يعرف اليوم **بالسلم المسلح** ، وهذا ما نوّه عنه عليه الصلاة والسلام حين قال : « نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر » .

* * *

وإذا كان الولد – كما مر – هو أولى بالعناية بهذا الإعداد الجسمي ، والتكوين الجهادي ، والتربية الرياضية .. فهل معنى هذا أن ينطلق الولد في هذا المضمار بلا قيود ولا حدود أم أن يتقيد بمنهج يلتزم حدوده، ويمشي على منواله ؟

في الحقيقة وواقع الأمر أن الارتباط الرياضي للولد لا يعطي الثمرة المرجوة ، ولا يفي بالغاية المطلوبة إلا أن يكون على وفق المنهج الذى وضعه الإسلام .

وإليك - أخي المربي - معالم هذا المنهج وحدوده المرسومة :

١ - إيجاد التوازن :

لا يصح أن يكون الارتباط الرياضي للولد على حساب واجبات أخرى يكلف بها ، ويدعى إليها ، ويطلب في حقه تنفيذها .. كأن يشغل جل وقته في اللعب بكرة القدم ، أو اتقان فن المصارعة ، أو مزاولة أعمال السباحة ، أو التدريب على الرماية .. على حساب حق الله في العبادة ، أو حق نفسه في تحصيل العلم ، أو حق أبويه في الطاعة والبر ، أو حق إسلامه في التبليغ والدعوة ..

فالارتباط الرياضي للولد إذن يجب أن يكون بحدود الوسط والاعتدال لإيجاد التوازن مع سائر الواجبات الأخرى دون أن يَطْغى حق على حق ، أو يتغلب واجب على واجب .. تحقيقاً لمبدأ التعادل والتوازن الذي وضع أصوله نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال لعبد الله بن عمرو بن العاص : « يا عبد الله بن عمرو » :

(إن لله عليك حقاً ، وإن لبدنك عليك حقاً وإنّ لأهلك عليك حقاً .. فأعط كل ذي حقٍّ حقَّه) .

٢ - مراعاة حدود الله :

على من يقوم بتدريب الولد رياضيا ، وإعداده جهادياً وعسكرياً مراعاة الأمور التالية :

(أ) أن يكون اللباس الرياضي للولد من السرة إلى ما تحت الركبة للأحاديث التالية :

- روى الدارقطني عن أبي أيوب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما فوق الركبتين من العورة ، وما أسفل من السرة من العورة » .

- وروى الحاكم عن النبي ﷺ أنه قال : « ما بين السرّة والركبة عورة » .

– وروى أبو داود والحاكم والبزّار عن علي كرّم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تبرز فخذيك ، ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميّت » .

– وروى البخاري في تاريخه ، والإمام أحمد والحاكم عن محمد بن جحش رضي الله عنه قال : مرّ رسول الله ﷺ على معمر وفخذاه مكشوفتان فقال : (يا معمر غطّ فخذيك فإن الفخذين عورة) .

وروى عقبة بن علقمة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الركبة من العورة » .

وعلى هذا لا يجوز للمدرّب أن يلبس الولد لباساً رياضياً لا يغطي الفخذ ولا يستر الركبة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها ، وإذا لم يراع في تدريبه حدود الله عز وجل فإنه يستحق إثماً ، والله سبحانه مسائله عمّا فرّط في جنب الله .

(ب) **أن تكون الأعمال الرياضية في أماكن غير مشبوهة** ، لما روى الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن الحلال بين ، وإن الحرام بين ، وبينهما أمور مُشتبِهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام ...) .

ومما قالته عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التهم) .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : « إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عندك اعتذاره ، فربّ سامع نُكراً لا تستطيع أن تُسْمعه عذراً » .

وأيّة شبهة أعظم حين يزاول الولد أعمال الرياضة والتدريب في بيئات الانحلال والفساد .. كأن يمارس أعمال السباحة في مسابح مختلطة حيث التكشف الفاضح ، والعري الممقوت .. أو يتدرب على المصارعة والملاكمة في نوادٍ يقام في ساحتها المنكر ، وترتشف في أرجائها الخمور ..

فما عليك - أخي المربي - إلا أن تجنّب الولد مواقف التهم حتى لا تسوء في المجتمع سمعته ، ولا يشتبه في الناس أمره ، وحتى لا يتأثر سلوكياً وخلقياً في بيئات الضلال والفساد ..

(ج) **أن يكون التشجيع على النبوغ الرياضي برهان غير محرّم** ، لما روى أصحاب السنن والإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « لا سبق (لا رهان) إلا في خُفّ أو حافر أو نصل (أي سهام) » .

ويؤخذ من هذا الحديث أن الرهان غير المحرم يترتب عليه شرطان :

الأول : أن يكون الرهان في إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة .

الثاني : أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط . فأما إذا بذل كل منهما جُعلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعْلين معاً فهو القمار المحرّم المنهى عنه ، وقد سمّى النبي ﷺ هذا النوع من الخيل الذي يُعَد للقمار أو يراهن عليه « **فرس الشيطان** » وجعل ثمنها وِزْرًا ، وعلفها وزراً ، وركوبها وزراً . أما إذا كان بذل الجُعْل (المكافأة) **من هيئة أجنبية** كرئاسة الدولة أو الوزارة أو إدارة مدرسة أو جمعية .. فإن البذل في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة سواء كان هذا التشجيع من أجل الاستعداد الحربي أو من أجل النبوغ الرياضي .. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ سبّق بين الخيل وأعطى السابق » .

٣ - تحرير النية الصالحة :

على المربي الذي يشرف على تربية الولد وتكوينه الصحي والجسمي والنفسي .. أن يهمس في أذن الولد أن ما يقوم به من تمارين رياضية وبدنية ، وما يتدرّب عليه من أعمال عسكرية وحربية هو من أجل أن يقوى صحياً وجسمياً ، ويكوّن نفسه حربياً وجهادياً .. حتى إذا بلغ السن التي تؤهله بأن ينهض بأعباء التكاليف اليومية ، وأن

يلبي نداء الواجب في تحقيق نصر الإسلام .. قام بالمسؤولية والواجب على أحسن وجه دون أن يعتريه ضعف أو يناله عجز أو تقصير ..

ولا شك أن هذه الهمسات المستمرة ، والتوجيهات الدائمة للولد تجعله دائماً في أن يحرر نيته ويحاسب نفسه بأن **ما يقوم به من تدريبات رياضية ، وتمرينات بدنية** هو من أجل أن يتحقق فيه قول النبي ﷺ : « المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف » ، وقوله : « رحم الله أمرءاً أراهم من نفسه قوة » ، **وأن ما يقوم به من عمليات عسكرية ، وإعدادات جهادية** .. هو من أجل أن ينفذ أمره سبحانه وتعالى :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم ﴾ .

(الأنفال : ٦٠)

وبهذه النية الصالحة في تربية الجسم على القوة ، وفي إعداد النفس على عمليات الجهاد .. نكون قد ربطنا الولد بالإسلام عقيدة وفكراً ، وبالجهاد اندفاعاً وتضحية ، وبالواجب اليومي نشاطاً وحيوية ، ونكون بالوقت نفسه قد هيأناه ليكون جندياً من جنود الإسلام ، يعمل للدنيا ويجاهد للدين ، ويحمل في نفسه المخلصة أنبل معاني الإيمان والخلُق والعزة والتفاؤل ونصرة هذا الإسلام العظيم !!..

وبهذه النية الصالحة أيضاً يستشعر الولد من قرارة وجدانه أن الذي يقوم به من تمرين وتدريب ليس من قبيل اللهو والعبث ، وإنما هو من قبيل التكوين والإعداد . وبهذا الاستشعار الصادق يقدم على عمليات التدريب باخلاص نية ، وبصدق عزيمة ، وبتفتح ذهن ، وبحيوية نفس ، وباستفادة وقت ، وبإملاء فراغ ..

وهكذا يتحول الولد تحويلا جديداً حينما نُلقي في روعه هذه المعاني ونهمس في أذنه هذه التوجيهات ، ونرسّخ في نفسه هذا الوعي الناضج السديد ..

وعليك – أخي المربي – أن تعلم أن تحرير النية الصالحة للولد ليس خاصاً بالتمرينات الرياضية ، والتدريبات الجهادية .. وإنما تشمل سائر الأعمال الحيوية ،

والمتع الجسدية الداخلة في دائرة الحلال .. فالأكل ، والشرب ، والنوم ، والنزهة البريئة ، والتمتع بسائر الطيبات .. إذا فعلها الولد أو أي مسلم آخر بنية الامتثال لأمر الله ، والتعفف عن الحرام ، وتقوية الجسم ليكون أقدر على حمل المسؤوليات والتكاليف .. يصبح العمل بهذه النية الصالحة عبادة يتقرب المؤمن بها إلى الله زلفى ، وعلى هذا أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أن الانسان يعد مثاباً ومأجوراً إذا رفع اللقمة إلى فم امرأته بنية إيناسها وإدخال السرور عليها ، وأخبر أيضاً صلوات الله وسلامه عليه أن الذي يضع شهوته في الحلال بنية الإحصان ، وإنجاب الذرية الصالحة .. فله ثواب وأجر . وعلى هذا استنبط فقهاء الشريعة من هذه الأحاديث المتقدمة هذا الحكم : « **إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة** » .

فإذا كان للنية الصالحة هذا الأثر الكبير في الأجر ، فما عليك – أخي المربي – إلا أن تلقي في روع الولد وفي نفسه هذا المعني حتي يكون عمله خالصاً لوجه الله الكريم ، وحتى يحظى دائماً بالأجر والمثوبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

* * *

تلكم – أيها المربون – أهم الظواهر الارتباطية في صيانة عقيدة الولد ، والحفاظ على سلوكه واتزانه ، وتكامل نفسيته وشخصيته ، وتصحيح تصوره وأفكاره ، وتقوية جسمه وأعضائه .. بل هي من أكبر العوامل في تربية الولد منذ نشأته على الإيمان الراسخ ، والخلق الفاضل ، والعقل الناضج ، والنفسية المتزنة ، والفكر الواعي ، والسمعة الاجتماعية النظيفة الطاهرة ..

فاحرصوا – أيها المربون – على تنفيذ هذه الارتباطات بدقة وأمانة وإخلاص .. واعملوا على تطبيقها بعزم وإيمان ومضاء ..

فإذا فعلتم هذا فسترون أفلاذ أكبادكم بدوراً تنير ، وشموساً تشرق ، وزهرات تفوح ، وشامات في خدّ الزمن تظهر ، وملائكة تمشي على الأرض ..

﴿ **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** ﴾ . (التوبة : ١٠٥)

* * *

٢ - قاعدة التحذير

بعد أن تكلمنا طويلا - في بحثنا السابق - عن قاعدة الارتباط وأثرها الفعال في تربية الولد ، وتكوين شخصيته ، واستقامة سلوكه .. سننشد العزم للحديث عن القاعدة الثانية من (القواعد الأساسية في تربية الولد) ألا وهي (قاعدة التحذير) .

وهذه القاعدة التي ستكون الآن محور حديثنا لا تقل أهمية وتأثيراً عن القواعد الأخرى التي سبق الكلام عنها ، بل هي من العوامل الأساسية التى تغسل مخّ الولد من الأفكار العفنة ، والمفاهيم الضالّة الباطلة .. بل تجعل من وعيه وإيمانه حصناً يرد عنه أفكار الضالين ، وميوعة المتحللين ، ومصاحبة المنحرفين والشاردين !!..

وقبل أن أخوض في الكلام عن أهم التحذيرات التي يجب أن يتلقنها الولد ، يجدر بك - أخي المربي - أن تفهم هاتين الحقيقتين :

الأولى : التحذير الدائم للولد يؤصّل في قلبه كراهية الشر والفساد ، ويورث في نفسه النفور من ظواهر الزيغ والانحلال ..

الثانية : التعرية لظواهر الزيغ والإلحاد والانحلال تزيد المربي عزماً وتصميماً في تحمل المسؤولية ، والولد توجيهاً وتعليماً في البعد عن الشر والتخلي عن الباطل ..

بعد تبيان هاتين الحقيقتين ندخل في صلب الموضوع ، لنأتي على البحث من جميع جوانبه والله المستعان وعليه التكلان .

★ ★ ★

لو تصفحنا كتاب الله عز وجل ، وسنة نبينا عليه الصلاة والسلام نجد أن أسلوب التحذير من الشر ، والتعرية للباطل .. ظاهر للعيان في كثير من الآيات القرآنية ، وفي عديد من الأحاديث النبوية ..

إليكم طائفة من هذه الآيات والأحاديث :

قال الله تعالى في سورة الإسراء :

– ﴿ **لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولًا** ﴾ ... آية : ٢٢ .

– ﴿ **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً** ﴾ .. آية : ٢٩ .

– ﴿ **ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً** ﴾ . آية : ٣١ .

– ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا** ﴾ . آية : ٣٢ .

– ﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً فلا يُسرف في القتل إنه كان منصوراً** ﴾ . آية : ٣٣ .

– ﴿ **ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولًا** ﴾ ... آية : ٣٤ .

– ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولًا** ﴾ . آية : ٣٦ .

– ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تَخْرِق الأرض ولن تبلغ الجبال طولًا** ﴾ . آية : ٣٧ .

– ﴿ **كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً** ﴾ . آية : ٣٨ .

إلى غير ذلك من هذه الآيات التي تحذر من الزيغ في العقيدة ، والفساد في الخلق ، والسوء في المعاملة .. وما أكثرها في القرآن الكريم !!..

وقال عليه الصلاة والسلام :

– « إياكم والكذب ، فإن الكذب مجانب للإيمان » رواه أحمد وأصحاب السنن ..

– « إياكم وكثرة الحلف في البيع فإنه ينفق ثم يمحق » رواه مسلم وأحمد .

– « إياكم والظن فإن الظنّ أكذب الحديث ، ولا تحسّسوا ، ولا تجسسّوا ، ولا تنافسوا ، ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك) متفق عليه .

– (إياكم وكثرة الضحك فإنه يميت القلب ، ويذهب بنور أهل الجنة) رواه ابن ماجه .

– (إياكم وزيّ الأعاجم) رواه ابن حبان .

– (إياك وقرين السوء فإنك به تُعرف) رواه ابن عساكر .

(إياكم والشحّ فإنما أهلك مَن كان قبلكم بالشح أمَرهم بالبخل فبخلوا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرهم بالفجور ففجروا) رواه أبو داود والحاكم .

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية التي تنهى عن الشر ، وتحذر من الفساد ، وتلفت النظر إلى توقي الزيغ ومساوىء الأخلاق .. وما أكثرها في كتب السنة !!..

* * *

فقاعدة التحذير إذن ليست من ابتكارات المربّين ، ولا من عنديات الفلاسفة الاجتماعيين ، وإنما هي طريقة القرآن الكريم في تكوين الأفراد ، ومنهج السنة النبوية في تربية المجتمع ..

وصدق الله العظيم القائل :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هى أقوم ﴾ . (الإسراء : ٩) .

وصدق رسول الله ﷺ القائل : (.. فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهدّيين عضّوا عليها بالنواجذ)[١] رواه أصحاب السنن وابن حبان .

---

(١) أي اجتهدوا على السنة والزموها ، والنواجذ : هي الأنياب .

وها نحن أولاء نضع بين يدي المربّين أهم المسائل التحذيرية في توعية الولد ، وغسل مخّه ، وتثبيت عقيدته ، وتقويم سلوكه وأخلاقه .. عسى أن ينهضوا بها ، ويهتموا لها ، ويكلفوا أنفسهم عناء تلقينها وتبليغها ..

فإن هم فعلوا ذلك فيكونون من عداد أولئك الذين أدوا واجبهم التربوي ، ومسؤوليتهم الإسلامية على أكمل وجه ، وأنبل معنى ، وكانوا من زمرة أولئك الذين وهب الله لهم من أزواجهم وذرياتهم قرّة أعين ، وجعلهم للمتقين إِماماً !!..

وإِليك – أخي المربي – أهم هذه التحذيرات :

أولًا : التحذير من الرّدة

المقصود من الردّة – أخي المربي – ترك المسلم دينه الذي ارتضاه الله له واعتناق دين آخر أو عقيدة أخرى تناقض شريعة الإسلام .

وللارتداد مظاهر كثيرة :

● من مظاهر الارتداد **المناداة بشعارات تصرف المسلم عن أن يكون الله سبحانه مقصوده ومعبوده أو يكون دين الإسلام هدفه ومبتغاه** ، ويدخل في هذا النوع **حالات كثيرة** :

(أ) أن يعمل الإنسان **لشعار القومية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويقاتل في سبيله ، وهذا هو العصبية الجاهلية التى نهى الرسول ﷺ عنها ، وحذر منها : (ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داود .

(ب) أن يعمل **لشعار الوطنية** جاعلا هذا الشعار هدفاً وغاية يدعو له ، ويعمل من أجله ، ويكافح في سبيله .. وقد عاب الله عز وجل على أقوام تعلّقوا بأوطانهم فقال :

﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ، ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشدّ تثبيتاً ﴾ .

(النساء : ٦٦)

فالارتداد منحصر في دائرة الهدف والغاية من أجل رفع هذا الشعار وتقديسه حتى العبادة دون أن يكون لله سبحانه فيه ذكر ، أو للإيمان به وبشرعه غاية .. أما إذا كان الهدف لأجل الله تعالى ، وتنفيذ ما أمر ، وكان مما أمر القيام بما فيه مصلحة الوطن الإسلامي ، والدفاع عن العرض ، والشرف ، والنفس ، والمال ، والدين .. فهذا من العبادة التي تجعل صاحبها أن يستحق رضى الله عز وجل وثوابه إن قاتل ، وأن يحظى بالشهادة في سبيل الله إن قُتِل .. وصدق رسول الله ﷺ القائل فيما رواه أبو داود : (مَن قُتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) .

(ج) أن يعمل **لشعار الإنسانية وحدها** دون أن يدور في خاطره أنه يعمل لأن الله سبحانه أمره بهدايتها ، والتعارف على شعوبها ، والتعاون مع المسلمين منها .. وهذا الشعار تنادى به الماسونية التى تحرّكها اليهودية العالمية من وراء وراء ..

وبالاختصار نقول : كل شعار يرفعه المسلم لا يبغي من ورائه رضوان الله عز وجل ، وإعزاز دينه ، ورفع راية الإسلام فهو **شعار الجاهلية** ، فالذي تبنّاه ، ويدعو له ، ويجاهد من أجله ، ويكافح في سبيله .. إنسان مرتدّ كافر خارج عن ملة الإسلام ، محارب لرسالة محمد عليه الصلاة والسلام مهما ادعى الإيمان وتبجح بالإسلام !!..

- ومن مظاهر الارتداد **إعطاء الولاء والمحبة والحاكمية والطاعة لغير الله** .

قال تعالى :

- **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾** .

(المائدة : ٤٤)

– ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون** ﴾ .

(الجاثية : ١٨)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين** ﴾ .

(المائدة : ٥١)

– ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾ .

(التوبة : ٢٣)

– وروى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – أنه دخل على رسول الله ﷺ – قبل أن يسلم – وفي عنق عديّ صليب من فضة ، وهو يقرأ هذه الآية :

(**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**) . (التوبة : ٣١)

قال عدي : إنهم لم يعبدوهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :
بلى ! (إنهم حرّموا عليهم الحلال . وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم ..) .

● ومن مظاهر الارتداد **كراهية شيء من الإسلام** كأن يقول قائل : أنا أكره الصيام لأنه يؤخر اقتصاد الأمة . أو يقول آخر : أنا أكره الحجاب للمرأة لأنه من علامات التخلف ، أو يقول ثالث : أنا أكره النظام المالي في الإسلام لأنه يحرم الربا أو ما سوى ذلك ، قال الله تعالى عن هؤلاء :

﴿ **والذين كفروا فتعساً لهم وأضلّ أعمالهم ، ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم** ﴾ .

(محمد : ٨ – ٩)

● ومن مظاهر الارتداد الاستهزاء بشيء من الدين ، أو بشعيرة من شعائر الإسلام ..

قال تعالى :

﴿ يحذر المنافقون أن تنزّل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون ، ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ .

(التوبة : ٦٣ — ٦٥)

● ومن مظاهر الارتداد **تحليل ما حرّم الله وتحريم ما أحل الله . قال تعالى :**

﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ، متاع قليل ولهم عذاب أليم ﴾ .

(النحل : ١١٦)

ومن يفعل هذا فإنه مُنكِر لما جاء من الدين بالضرورة ، ومنازع لله في حاكميته وتشريعه .. لهذا كان مرتداً كافراً !!..

● ومن مظاهر الارتداد الإيمان ببعض الإسلام والكفر ببعض كأن يؤمن المسلم بأن الاسلام دين عبادة ويكفر أنه دين نظام وتشريع .. أو يؤمن بأن الاسلام جاء بالنظم الروحية والخلقية والتربوية .. ويكفر بالنظم الأخرى كالنظام السياسي أو النظام الاقتصادى أو النظام الاجتماعي .. قال تعالى :

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيامة يردّون إلى أشد العذاب ﴾ .

(البقرة : ٨٥)

• ومن مظاهر الارتداد **الاقتصار على الإيمان بالقرآن الكريم وجحود السنة النبوية** كالفرقة القاديانية التي صنعها الإنكليز في الهند غايتها هدم الشريعة ، والتشكيك بنبوة الرسول عليه الصلاة والسلام ..

والقرآن الكريم نفى الإيمان عن كل من لا يحتكم للرسول ﷺ في حال حياته ، ولسنته بعد وفاته ، قال تعالى :

﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

(النساء : ٦٥)

ومن المعلوم يقيناً أن طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام هي طاعة لله سبحانه ، قال تعالى :

﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ (النساء : ٨٠)

وروى الترمذي وأبو داود وابن ماجه عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ألاهل عسى رجل يبلُغُهُ الحديث عني ، وهو متكىء على أريكته فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرّم رسول الله ﷺ كما حرّمه الله » .

وفي رواية لأبي داود : « ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه » .

وعلى العموم يقول الله تعالى في وجوب الطاعة للرسول ﷺ :

﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ .

(الحشر : ٤٧)

● ومن مظاهر الارتداد **الاستهزاء أو الغمز بفعل من أفعال الرسول ﷺ** كأمثال من يغمز الرسول ﷺ في تعدد زوجاته لكونه جمع بين تسع نسوة في آن واحد[1] ..

قال تعالى في سورة الحجرات :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ .

فإذا كان رفع الصوت أمام الرسول ﷺ مظنّة ردة فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟

● ومن مظاهر الارتداد **ادعاء البعض أن للقرآن الكريم باطناً يخالف الظاهر ، وظاهراً يخالف الباطن** ، وإن هذا الباطن يستقل بعلمه بعض الناس بواسطة الإلهام المزعوم .. فهذا الادعاء تعطيل للشريعة الإسلامية بتعطيل نصوصها ، لأنه لا يبقى بعد ذلك أصل يرجعون إليه ، ولا قواعد من اللغة العربية يحتكمون إليها ، والقرآن الكريم نزل بلسان عربيٍّ مبين لقوله تعالى :

﴿ إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون ﴾ . (يوسف : ٢)

﴿ وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ﴾ ... (الرعد : ٣٧)

فكل تفسير لأي آية من كتاب الله عز وجل لا يستند على الأثر أو على قواعد اللغة ، والبيان العربي ، وأقوال العرب فهو تفسير باطل يخرج صاحبه عن دائرة الإيمان ، وحقيقة الإسلام .. ولا شك أن أصحاب هذه الدعوات الضالة هم من أعظم الزائغين كفراً وتضليلا وإلحاداً !!..

---

(١) ارجع إلى كتابنا (تعدد الزوجات . والحكمة من تعداد أزواج النبي ﷺ) تجد ما فيه الكفاية من الحكمة في هذا التعدد .

ولقد ذكر القرآن الكريم هذا الصنف من الناس الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التضليل .. قال تعالى :

﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(آل عمران : ٧)

والمقصود بابتغاء الفتنة في الآية[١] : طلب فتنة المؤمنين عن دينهم بالتشكيك والتلبيس وإثارة الشبُه ..

والمقصود بابتغاء تأويله[٢] : طلب تأويل الكتاب وتحريفه ، التأويل الباطل الذي يشتهونه ، والتحريف السقيم الذي يقصدونه ، زاعمين أنه الغاية المراد منه ، وذلك شأن أهل البدع والأهواء والملاحدة في كل عصر ..

● ومن مظاهر الارتداد **عدم معرفة الله معرفة صحيحة** كاعتقاد أن الله تعالى يحلّ في المخلوقات ، أو وصفه بصفات لا تليق بجلاله سبحانه .

– فالذي يقول **إن الله سبحانه يحل في الأشخاص أو هو منبثّ في الوجود أو هو محصور في جهة** .. فهو كافر وخارج عن ملّة الإسلام لقوله تبارك وتعالى :

(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) ،

(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، (الشورى : ١١)

(وجعلوا له من عباده جزءاً إن الإنسان لكفور مبين) ، (الزخرف : ١٥)

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) . (المائدة : ١٧)

---

(١) ، (٢) التفسير منقول من كتاب « صفوة البيان » للشيخ حسنين مخلوف .

- والذي يقول إن الله **هو ثالث ثلاثة** كافر ضالّ مضلّ .

(**لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ..**)

- **والذي ينسب الى الله سبحانه الولد كافر ضالّ** ... لقوله تعالى :

﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً أن دعوا للرحمن ولدا ، وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً .. ﴾ .

(مريم : ٨٨ - ٩٢)

- **والذي يصف الله بوصف لا يليق به كافر ضـال .. ﴿ لقـد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾** (آل عمران : ١٨١) .

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ﴾ .

إلى غير ذلك من مظاهر الردّة التي تخرج أصحابها من الإسلام وتدخلهم في حظيرة الكفر والضلال والزندقة والإلحاد ..

وقد حذّر رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه من هذا الزمن الذي ستكون فيه الردة ما بين أمسية يُمسيها الرجل وصباح يستيقظ فيه ، وحضّ المؤمنين على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، والتحصّن بدرع الإيمان مخالفة أن ينزلقوا بمزالق الكفر ، أو يتأثروا بمؤثرات الارتداد .. قال عليه الصلاة والسلام : « بادروا إلى الأعمال الصالحة فإنه ستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويمسى كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل .. » رواه الطبراني وابن ماجه .

﴿ ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ .

(آل عمران : ٨)

★ ★ ★

ثانياً التحذير من الإلحاد

المقصود بالإلحاد التنكر للذات الإلهية ، وجحود الشرائع السماوية التي جاء بها الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، والاستهتار بكل الفضائل والقيم المنسوبة إلى وحي السماء ..

والإلحاد هو نوع من الردّة ، بل هو أنكى وأشد منها كما سيأتي بعد قريب بيانه .

وأصبح الإلحاد – ويا للأسف – نظاماً قائماً بنفسه **تتبناه دول كبرى** ، وتفرضه على من تحت سلطانها بقوة الحديد والنار ، وبسلطان القسر والجبر والإكراه ..

وأصبح لهذه الدول في كل بلد عملاء وقيادات تدعو جهاراً نهاراً إلى الإلحاد ، وجحود الأديان ، والتنكر للأنبياء .. بلا حياء ولا خجل !!..

بل نجد أن هذه الدول الإلحادية التي تتبنى مبادىء ماركس ، ولينين .. تركّز في دعوتها الإلحادية على بلاد الإسلام بشكل خاص ، لما تعلم ما لمبادىء الإسلام من قوة دفع حضارية وسياسية وعلمية .. ولما تحمل هذه المبادىء من مقومات الشمول ، وخصائص التجدد والاستمرار !!..

ولو تتبعنا دعوة هذه الدول إلى الإلحاد **لرأيناها تتفنن في بث مبادئها الإلحادية بفنون كثيرة ، وأساليب متنوعة .. للترويج لكفرها وضلالها** :

● فتارة يُلبسون الماركسية ثوب الإسلام ويقولون : إن محمداً عليه الصلاة والسلام أول من دعا إلى الاشتراكية ، وأول من سوّى بين الغني والفقير ، وأول من ألغى الملكية الجماعية .. فهو رسول الماركسية ، ونبي الشيوعية !!..

● وتارة يقولون :إن المبادىء الماركسية لا تتنافى مع مبادىء الإسلام ، ولا تتعارض مع عدالة الإسلام الإجتماعية !![1] .

---

(١) فى الاسلام غناءٌ عن كل المذاهب الاقتصادية المستوردة ، إرجع إلى كتابنا « التكافل الاجتماعي في الإسلام » وكتاب « العدالة الاجتماعية » للمرحوم سيد قطب تجد فيها ما يشفى الغليل في الوسائل التى وضعها الإسلام في محو الفقر في المجتمع .

• وأخرى يقولون ما المانع من أن نأخذ الأنظمة الشيوعية كنظام اقتصادي ونبقي على ديننا مؤمنين مسلمين ؟!!.

• وأحياناً يقولون : إن الدين شيء ، والمذاهب السياسية والاقتصادية شيء آخر ، فلا يجوز أن نخلط الدين بالسياسة ، أو ندخل الأنظمة الاقتصادية والنظريات العلمية بالدين !!..

• وفي كثير من الأحيان يكون التحدي صريحاً ، والإلحاد سافراً لزرع التشكيك والكفر في نفوس المتحلّلين والزائغين .. كأن يقول قائلهم : (إن الله ، والأديان ، والإقطاع ، والرأسمالية ، والاستعمار ، والمتخمين .. وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ) .

أو أن يقول : (لا إله في الكون والحياة مادة) ، (الدين أفيون الشعوب) ، (الأنبياء لصوص كذابون) ...

ومن أساليب تضليلهم في ترويج إلحادهم استغلالهم النظريات العلمية وإقناع المضلَّل به على أنها حقائق ثابته كترويجهم (لنظرية داروَن) التي تتحدث عن أصل الحياة ، وكيف أن الحياة تطورت من الأدنى إلى الأعلى إلى أن انتهت أخيراً بالإنسان ؟ علماً أن هذه النظرية قد أبطلها العلم ، وألقاها في سلات المهملات [1] !!..

وكترويجهم **لنظرية فرويد** التي تربط كل شيء بالجنس والشهوة ، وتفسر كل شيء في سلوك الإنسان عن طريق الغريزة الجنسية . **والهدف الخبيث من وراء هذا الترويج** هو إنكار وجود الخالق العظيم .

فيتبين من هذا التفنن في اصطناع الأساليب أن الماركسية الملحدة تعطي كل حالة لبوسها ، ولكل فئة حجتها في الإقناع ، ولكل طبقة من البشر ما يناسبها من التزوير

(١) ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » ففيها الردّ القاطع على نظرية داروِن وبطلانها علمياً .

والخداع .. حتى إذا ولج المخدوع الباب ، ووقع في شبكة الصياد زيّن له دعاة الماركسية المذاهب المادية ، والعقائد الإلحادية .. حتى يصلوا به إلى الهدف الخبيث في تضليله .. فعندئذ لا يؤمن بدين ، ولا يعتقد بالإله ، ولا ينشد في الحياة مثلاً أعلى .. بل يكون من الزمرة الضالة الكافرة التي قال الله عنها :

﴿ **أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم** ﴾ حتى قوله ﴿ **ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم** ﴾ .

(محمد : ٢٣ - ٢٨)

والإلحاد وإن كان يدخل في مفهوم الردة **إلا أنه أعظم سوءاً وأشد خطراً على الفرد والمجتمع .. من أية ردّة أخرى كاعتناق اليهودية أو النصرانية أو البرهمية ..**

وذلك لأن الإلحاد يميت في نفس الملحد الشعور بالمسؤولية :

ويهدم في نفسيته الإيمان بالغيب والمثل الأخلاقية الثابتة ..

ويدفعه إلى أن يعيش في هذه الحياة العابثة عيشة البهائم ، لا دين يوجهه، ولا ضمير يؤنّبه ، ولا رقابة من الله تردعه ، ولا ثواب في الآخرة يرجوه ، ولا عقاب يوم يقوم الناس لربّ العالمين يخشى منه ..

ولقد سخر القرآن الكريم من هذه الزمرة اللئيمة الفاجرة حين قال : « **وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** » .

(الجاثية : ٢٤)

وكشف عن تعاميهم المذموم ، وحيوانيّتهم الهابطة ، وإباحيتهم القذرة حين قال :

﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » .

(الأعراف : ١٧٩)

وقال :

﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوىً لهم » .
(محمد : ١٢)

وقال :

﴿ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ﴾ .
(الحجر : ٣)

والإسلام يقف تجاه المرتدين والملحدين موقفاً قاسياً وحاسماً حيث وضع عقوبة الإعدام بالسيف جزاء إصرارهم على الكفر وصدودهم عن الحق الأبلج المبين ..

روى الإمام البخاري وأحمد عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من بدّل دينه فاقتلوه) .

وروى الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام : (لا يحلّ دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيبّ الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة) .

ولكن المرتدّ أو الملحد لا يقتل حتى يمهل ثلاثة أيام ، وفي أثنائها يناقشه أهل الاختصاص والعلم في أسباب ردته أو إلحادة ، ويزُيلون من تصوره جميع الشُبه الموهومة ، ويوضحون له معالم الحق المبين .. فإن بقي مصراً على الكفر أو الإلحاد بعد ما تبين له الحق قُتل بحد السيف ليكون عبرة لمن يريد أن يعتبر !!.

وإذا كوّن المرتدون أو الملحدون قوة ، وشكلّوا فيما بينهم جماعة وجب على أولي الأمر من المسلمين مقاتلتهم حتى يعودوا إلى الإسلام الحق ، ولا يقبل منهم غير ذلك .. كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه أهل الردة ولم يرض منهم إلا الإسلام ، وكما قاتل الخليفة العباسي المهدي (المقنّع) الذي ادّعى الألوهية في خراسان ، وأسقط على أتباعه الصلاة والصوم والزكاة والحج .. وأباح للناس الأموال والنساء .. وكان ذلك سنة (١٦٩)هـ

وإنما فرض الإسلام هذه العقوبة القاسية على المرتدين والملحدين لثلاثة أسباب :

الأول : حتى لا تجتذب المغريات بعض ضعاف النفوس ، وتحملهم على الردة أو الإلحاد استجابة لداعي الإغراء .

الثاني : حتى لا يفكر منافق بالدخول في الإسلام ثم الخروج منه تشجيعاً لحركة الردة أو الإلحاد ، وزرع البلبلة والفتنة في أنحاء المجتمع الإسلامي .

الثالث : حتى لا تقوى شوكة الكفر ، فتشكل الخطر الأكبر على دولة الإسلام ، فتعمل على حرب الإبادة للمسلمين حين تتاح لها الظروف والمناسبات .

ولكي تظهر للعيان حقيقة الإلحاد والملحدين في تحزّبهم وإجرامهم وتآمرهم أسوق لك – أخي المربي – هذه الأمثلة التاريخية ، لتعلم ماذا يريد الملحدون من المسلمين حين تتاح لهم الفرص ، وتسنح لمجرميهم الظروف :

● **لقد أبادت الصين الشيوعية ، وروسيا الشيوعية من المسلمين ستة عشر مليونا** .. بمعدل مليون في السنة .. وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق ، وقد وقع **في القطاع الصيني من التركستان المسلمة** ما يغطي على بشاعة التتار في الماضي ، لقد جيء بأحد زعماء المسلمين ، فحفرت له حفرة فى الطريق العام ، وكُلّف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية فيلقوها على الزعيم المسلم في حضرته .. وظلت العملية ثلاثة أيام ، والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات !!.

● **كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها حتى أبادت منهم مليونا** منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم ، وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشى – التى من أمثلتها البشعة إلقاء المسلمين رجالا ونساء فى مفارم اللحوم التى تصنع لحوم (البولوبيف) ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء – ماضية حتى الآن !!.

● وما يجري في يوغسلافيا يجري في جميع الدول الشيوعية الآن .. في هذا الزمان .. وكم سمعنا عن مجازر الشيوعية في العراق وعن فتكهم وإجرامهم في مدينة (الموصل) في عهد عبد الكريم قاسم ، وعن حوادث السحل ، والقتل ، والتمثيل .. بالدعاة المؤمنين ، والزمرة المسلمة هناك ؟.. وصدق في حقهم بما بدر منهم منَ غدر وإجرام وخيانة قوله تبارك وتعالى :

﴿ كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلًّا ولا ذمة .. ﴾ .

وقوله :

﴿ لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون ﴾(١) .

(التوبة : ٨ – ١٠)

فما عليك – أخي المربي – بعد تبيان هذه الحقائق إلا أن تسعى جاهداً في تحذير ولدك من براثن الردّة ، ومخالب الإلحاد .. حتى ينشأ الولد على الإيمان الراسخ ، والإسلام المتين ، والاستقامة المثلى .. وتتعمق هذه المعاني في فطرته السليمة ، وقلبه الصافي ، ونفسه البريئة .. عندئذ لا يرضى سوى الله رباً ، والإسلام ديناً ، ومحمد ﷺ نبياً ورسولا ، والقرآن العظيم منهاجاً وإماماً !!..

ويكون من الذين أنعم الله عليهم بنعمة الإيمان ، وكرامة الإسلام إلى يوم أن يلقى الله عز وجل !! .

★ ★ ★

---

(١) ارجع إلى كتاب (الشيوعية والإسلام) للمؤلفين : المرحوم عباس محمود العقاد ، والاستاذ أحمد عبد الغفور العطار ، وارجع الى الظلال في تفسير قوله تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلّا ولا ذمة) في سورة التوبة تجد ما يفتت الكبد من مؤامرات الشيوعية على بلاد الإسلام والمسلمين وإجرامهم الأثيم . علماً أننا بحثنا بشيء من التفصيل في فصل (الوسائل المؤثرة في التربية) عن مخططات الشيوعية لحرب الإسلام فارجع إليه .

ثالثاً : التحذير من اللهو المحرم

الإسلام بتشريعه السامي ، ومبادئه الحكيمة حرم على المسلمين أصنافاً من اللهو ، وألواناً من الترفيه .. لضررها البالغ على أخلاق الأفراد . واقتصاد المجتمع ، وكيان الدولة ، وكرامة الأمة ، وتماسك الأسرة ..

وها نحن أولاء **سنضع بين يدي المربين هذه الأصناف من اللهو المحرم حتى** ينتبهوا لها ، ويحذروا منها بعد إعطائهم القدوة في تجنبها والابتعاد عنها وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق :

١ - اللعب بالنرد (الطاولة) :

من اللهو المحرم اللعب بالنرد سواء أكان اللعب على رهان أم كان لأجل التسلية البريئة[1] .. **والدليل على الحرمة** ما رواه مسلم وأحمد وأبو داود عن بريدة عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن لعب بالنردشير (طاولة الزهر) فكأنما صبغ يده في لحم خنزير ودمه » . وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه ومالك في الموطأ عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « مَن لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » .

والحكمة في هذا التحريم أن اللعب بالنرد - ولو كان على غير رهان - يستهلك قدراً كبيراً من أوقات اللاعبين ، وهذا الاستهلاك يصرفهم عن كثير من واجبتهم الدينية ، والتربوية ، والدنيوية .. فضلًا عن كونه وسيلة تؤدي إلى اللعب على الرهان ، وهذا هو القمار بعينه ، والمسلم في هذه الدنيا خلق لأجل أن يؤدى رسالة ، ويبلغ أمانة ، ويقوم بواجب .. فهل عنده شيء من الوقت ليلهو هذا اللهو

---

(١) لا عبرة بما نقله الأستاذ **القرضاوي في كتابه** (الحلال والحرام) عن الشوكاني عن ابن المسيب وابن مغفّل بأنهما رخصا في النرد على غير قمار لأن الصيغة التي أتى بها الشوكاني (رُوي ..) ولفظ رُوى يفيد الضعف ، وما كان ضعيفاً لا يقرر حكماً من أحكام الشريعة ، وهذه الأحاديث التي أوردناها في تحريم النرد حجة على كل من قال بالجواز والحق لا يقاس بالرجال ، وإنما يقاس الرجال بالحق .

الرخيص ، ويقع في مثل هذا الترفيه المحرم ؟ وصدق من قال : (الواجبات أكثر من الأوقات) ، وما أحسن من قال : (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك) .

وها هو ذا رسول الله ﷺ يأمر كل مسلم بأن يغتنم حياته في النفع الكبير ، والخير الجزيل سواء أكان هذا النفع والخير لنفسه أو أهله أو مجتمعه ؟!...

روى الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

٢ - الاستماع إلى الغناء والموسيقى :

من اللهو المحرم الاستماع إلى الغناء المصحوب بموسيقى مهما كان هذا الغناء مباحاً للأدلة التي سوف نوردها في تحريم الموسيقى ، وكذلك الغناء المائع الذي يثير كوامن الغريزة والشهوة ، وكذلك الغناء الذي فيه وصف امرأة معينة ، وكذلك الغناء الذي يدعو إلى شعارات كافرة ، ومبادىء ضالة .. وما شابه هذا ..

والأدلة على التحريم ما رواه ابن عساكر في تاريخه ، وابن صَصْري في أماليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « مَن قعد الى قَيْنةٍ يستمع منها صبّ الله في أذنيه الآنُكَ (الرصاص المذاب) يوم القيامة » .

وروى الترمذي عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حلّ بها البلاء : إذا كان المغنم دولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعقّ أمه ، وبرّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات في المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأُكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولُبس الحرير ، واتخذت القينات (المغنيات) والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء أو خسفاً أو مسخاً » .

وروى مسدّد وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال : « يمسخ قوم من أمتي في آخر الزمان قردة وخنازير » قالوا : يا رسول الله أمسلمون هم ؟ قال : « نعم ويشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويصومون » ، قالوا : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : « اتخذوا المعازف ، والقينات ، والدفوف ، وشربوا الأشربة (الخمر) ، فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة التى تحرم الإنشاد الفاسق . والغناء الشهواني المائع ..

أما ما يباح وما يحل من الغناء فإليك خلاصة ما نقله العالم المرحوم الشيخ محمد الحامد في رسالته (حكم الإسلام في الغناء) عن الفقهاء : (يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل ، أو لترويح النفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز . فقد ارتجز النبي ﷺ وأصحابة رضي الله عنهم في بناء المسجد ، وحفر الخندق .. وكالحداء الذي يحدو به الأعراب إبلهم ، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامرأة حيّة معيّنة ، والخالي أيضاً من هجاء مسلم أو ذمي ، فإن الغناء بهذه المحترزات حرام .

فإن كان التشبيب (ذكر المحاسن) بغير معين جاز ، فقد أنشد كعب بن زهير بحضرة النبي ﷺ قوله :

وما سعادُ غداةَ البَين إذْ رحلوا
إلا أغنّ غضيضُ الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت
كأنه منهلٌ بالرّاح مَعْلول

وقد سمع النبي ﷺ أيضاً قصيدة حسان التي أولها :

قبلت فؤادك في المنام خريدة
تسقى الضجيع ببارد بسّام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار .

ومنه الغزل البريء كالذي يقوله النساء في الأعراس ولا رجال يسمعونهن ، فقد أذن النبي ﷺ أن يقلن :

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمراء ما حللنا بواديكم

ومنه الزهريّات المجردة مما فيه وصف الرياض والرياحين والأنهار ..

فهذا كله جائز إن لم يُقل على آلة لهو محرمة ، فإن قيل عليها كان محظوراً ولو وعظاً وحكماً لمكان الآلة لا لذات التغني بالمباح ..) أ هـ .

* * *

أما اتخاذ المعازف والاستماع إليها فإنها محرمة للأدلة التالية :

– سبق أن ذكرنا قبل قليل حديث : « إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء .. والتي منها : واتخذت القينات والمعازف .. » .

وسبق أن ذكرنا حديث المسخ في آخر الزمان الذي من أسبابه « .. اتخذوا المعازف والقينات ... » .

– وروى الإمام أحمد بن حنبل ، وأحمد بن منيع ، والحارث بن أبي أسامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله عز وجل بعثني رحمة وهدى للعالمين ، وأمرني أن أمحق المزامير ، والمعازف ، والخمور ، والأوثان التي تعبد في الجاهلية ... » .

– وروى البخاري وأحمد وابن ماجه وغيرهم أنه عليه الصلاة والسلام قال : « ليكوننّ في أمتي أقوام يستحلوّن الحِرّ (الزنا) ، والحرير ، والخمر ، والمعازف » .

إلى غير ذلك من هذه الأحاديث التي تحرم اقتناء آلات الطرب ، وتنهى عن العزف بها ، والاستماع إليها ..

والحكمة في التحريم ظاهرة :

إن المتتبع لمجالس الغناء الفاسق ، ومسارح الطرب ، وأماكن اللهو .. وما يصحبها من معازف وآلات .. فماذا يجد ؟

يجد الرقص الخليع الفاجر من مومسات امتهنّ الرذيلة والفاحشة . يجد كؤوس الخمر تدار هنا وهناك ..

يجد العربدة والصياح يتعالى من أفواه السكارى والمخمورين ..

يجد الكلمات البزيئة الفاحشة العارية من الحياء والخجل ، والمثخنة بالوقاحة وسوء الأدب ..

يجد الاختلاط الشائن بين عوائل متحلّلة حيث التخلّع والمراقصة وهدر النخوة والشرف ..

وباختصار يجد التحلّل والإباحية في أسوأ تبذلها ومظاهرها ..

وتلك خطة المستعمرين – كما يقول أستاذنا الحامد – يغرقون الأمم التي استعمروها بسيول الأغاني الموبقة ، وبافتتاح المسرح الماجن ، وبالخمر ، وبالنساء .. كيلا تصحو لواجب أو تنهض الى معروف ، أو تدعو إلى خير !!..

ومن المعلوم أن أمة الإسلام في الماضي لم تصل إلى ذروة العظمة والمجد والقوة .. ولم تملك أكثر المعمورة شرقاً وغرباً إلا بطرح مظاهر الخلاعة والمجون التي حرمتها شريعة الإسلام . إلا بالتزام النظام الرباني منهاجاً وتشريعاً وتطبيقاً .. إلا بالجدّية الحقة التي كانت من خصائص الرجال والشباب ، والصغار والكبار .. إلا بحبهم للموت كما يحب أعداؤهم الحياة .. إلا باستشعار الجيل كله مسؤولية الإسلام ..

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

فإن أردتم لأجيالكم العزة ، ولأمة الإسلام النصر ، ولبلادكم الحضارة والعلم .. فليس أمامكم من سبيل إلا أن تربوا أبناءكم على الجدية ، واتباع النظام الرباني ، واستشعار المسئوولية ، وحب الشهادة في سبيل الله ، حتى تعيدوا لأمتكم المجد والعظمة والخلود والمهابة .. وليس ذلك على الله بعزيز .

٣ - رؤية السينما والمسرح والتلفزيون :

سبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أن اختراع وسائل الإعلام الحديثة من مذياع ، وتلفزيون ، وآله تسجيل وسينما .. وغيرها هو من أرقى ما وصل إليه العقل البشري في العصر الحديث ، بل من أعظم ما أنتجته الحضارة المادية في القرن العشرين .. وأنها سلاح ذو حدين تستعمل للخير وتستعمل للشر ..

ومما ذكرناه : أن هذه الاختراعات إن استخدمت في الخير ، ونشر العلم ، وتثبيت العقيدة الإسلامية ، وتدعيم الأخلاق الفاضلة ، وربط الجيل الحاضر بأمجاده وتاريخه ، وتوجيه الأمة إلى ما يصلحها في أمور دينها ودنياها .. فلا يختلف اثنان في اقتنائها وجواز استعمالها ، والاستماع إليها .. أما إذا استعملت لترسيخ الفساد والانحراف ، ونشر الميوعة والانحلال ، وتحويل الجيل الحاضر إلى طريق غير طريق الإسلام .. فلا يشك عاقل منصف يؤمن بالله واليوم الآخر بحرمة استعمالها ، وإثم اقتنائها ، ووزر من يستمع إليها ..

ومما استطردناه أيضاً : ونحن لو تتبعنا برامج التلفزيون في بلادنا نجد أن أكثر برامجه ترمي إلى هدر الفضيلة والشرف ، وتوجّه نحو الخنا والزنى ، وتدفع نحو الميوعة والإباحية ، والمفاسد الاجتماعية ..

وقليل من برامجه ما يهدف إلى العلم ، ويوجه نحو الخير ، وينفع الأمة في دينها ودنياها ..

وانتهينا أخيراً إلى هذا الحكم : إن اقتناء التلفزيون ، والنظر إليه ، والاستماع إلى برامجه الحالية يعدّ من أكبر الحرام ، وأعظم الإثم ..

ومما يلحق بالتلفزيون بالحرمة والإثم ارتياد دور السينما والمسارح الليلية ، وأماكن اللهو والفجور .. للأدلة التالية [1] :

---

(١) سبق أن ذكرنا في فصل « مسؤولية التربية الخلقية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » أدلة تحريم الإسلام للتلفزيون ، والآن نورد نفس هذه الأدلة مع شيء من التصرف للحالة المتشابهة بين التلفزيون والسينما والمسرح .

١ – من مقاصد الشريعة الإسلامية – كما هو مقرر – **هو حفظ النسب والعرض** .. وباعتبار أن أكثر ما يعرض في هذه الأفلام والمسرحيات ودور اللهو .. يستهدف هدر الشرف والفضيلة ، وضياع العرض والنسب .. فإن الدخول اليها ، وارتياد أماكنها ، والنظر إلى ما يعرض فيها يعد من الحرام ، وارتكاب الإثم ، والإغضاب لله ورسوله !!.

٢ – روى مالك ، وابن ماجه ، والدارقطني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا ضرر ولا ضرار » ، وباعتبار أن الأفلام الحالية ، والمسرحيات الليلية .. توجه فيما يعرض فيها إلى الميوعة والانحلال ، وتثير في المجتمع كوامن من الغريزة والشهوة ، وتدفع إلى الخنا والزنى والفاحشة .. يحرم على المسلم أن يرتاد أماكنها ، ويشاهد ما يعرض فيها حفاظا على أخلاق الفرد والمجتمع ، وقطعاً لدابر الفساد والانحلال ، وامتثالا لأمر رسول الله ﷺ القائل : « لا ضرر ولا ضرار » .

٣ – من المعلوم أن ما يعرض في السينما والمسارح الليلية ودور اللهو **مصحوب دائماً بالمعازف ، والغناء الفاسق الخليع ، والرقص المقترن بالخلاعة والتكشف** .. وباعتبار أن هذه الأشياء محرمة – كما سبق بيانها قبل قليل – فإن الدخول إلى هذه الأماكن ، ومشاهدة ما يعرض فيها هو من اللهو المحرم بل هو من أكبر الإثم ، وأعظم الحرام .

وفي مجال الكلام عن التلفزيون والمسرح والسينما .. **أريد أن أبين لكل مربٍّ يؤمن بالله ورسوله هذه الحقيقة الهامة :**

إن من مخططات اليهود انهيار الأخلاق في المجتمعات الإنسانية غير اليهودية . لقد جاء في بروتوكولاتهم : (يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا ، إن (فرويد) منا ، وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الأكبر إرواء غرائزه الجنسية ، وعندئذ تنهار أخلاقه) ، ومن وسائل انهيار الأخلاق عندهم إفساد الإنسانية عن **طريق وسائل الإعلام ودور النشر ، وعن طريق المسرح والسنيما** ،

والبرامج الإذاعية .. وعن طريق كل عميل خائن ، وكاتب مأجور .. واستطاع اليهود بمكرهم وخبثهم أن يفسدوا الشعوب عن طريق الثقافات العامة ، والفنون والملاهي ، ودور الدعارة والمجون ، وأشباهها . اسمعوا إلى ما يقولونه **في البروتوكول الثالث عشر** (ولكي نبعد الجماهير من الأمم غير اليهودية عن أن تكشف بأنفسها أي خط عمل جديد لنا ، سنلهيها بأنواع شتى من الملاهى ، والألعاب .. وهلمّ جرّا .. وسرعان ما نبدأ الإعلان في الصحف داعين الناس الى الدخول في مباريات شتى من كل أنواع المشروعات كالفن ، والرياضة ، وما إليها ، إن هذه المتع الجديدة ستلهي ذهن الشعب حتماً عن المسائل التي سنختلف فيها معه ، وحالما يفقد الشعب تدريجياً نعمة التفكير المستقل بنفسه ، سيهتف جميعاً معنا لسبب واحد ، هو أننا سنكون أعضاء المجتمع الوحيدين الذين يكونون أهلا لتقديم خطوط تفكير جديدة ، وهذه الخطوط سنقدمها متوسلين بتسخير آلاتنا وحدها ، من أمثال الأشخاص الذين لا يستطاع الشك في تحالفهم معنا ، إن دور المثاليين المتحررين سينتهي حالما يعترف بحكومتنا ، وسيؤدون لنا خدمة طيبة حين يحين ذلك الوقت) .

أعرفت – أخي المربي – ماذا يخطط اليهود في بروتوكولاتهم ؟

أليسوا يعملون ليل نهار لإفساد عقول الناس وأخلاقهم حتى يصلوا إلى إقامة دولتهم المرتقبة ؟

أليسوا يخطّطون في أن يشتغل الناس باللهو ، واللعب ، والشهوات ، والمرفّهات عن التفكير السليم ، والعمل البناء ، والإخلاص للوطن .. ؟

أتعرف – أخي المربي – أن الذين يَجْرون وراء الزنى ، والإلحاد ، والتخنفس والانحلال ، والشهوات .. والمسارح الليلية ، والأفلام الداعرة .. من شبابنا وشاباتنا ، ما هم في الحقيقة إلا منفّذون من حيث يعلمون أولا يعلمون مخططات يهود ؟

فإذا عرفت – أخي المربي – فما عليك إلا أن تحذّر ولدك من ارتياد هذه الأماكن الموبوءة من سينما ، ومسرح ، ودور لهو .. لأنها في وضعها الحالي مفسدة للعقيدة والأخلاق بل هي من مخططات اليهود – كما علمت – لإفساد الفرد المسلم ، والأسرة المسلمة ، والجيل المسلم .. إن في ذلك ذكرى للذاكرين ..

قد يقول قائل : ما المانع من الدخول إلى السينما أو المسرح .. إذا كانت المواضيع المعروضة فيها نافعة للأمة في دينها ، وأخلاقها ، وتاريخها ؟.

هذا الاعتراض مردود للأمور التالية :

١ – لوجود الاختلاط بين النساء والرجال أثناء العرض ، والإسلام يحرم الاختلاط .

٢ – لما يتخلّل أثناء العرض في الفلم التاريخي أو المسرحية التاريخية من ظهور نساء سافرات فاتنات ، أو ظهور لقطات جاهلية من رقص فاجر ، وغناء خليع .. والإسلام يحرم النظر إلى كل ما يهيج الغريزة ، ويثير الفتنة .

٣ – لاختصاص السينما أو المسرح فى أكثر مواضيعهما في عرض المناظر الفاسدة ، والمشاهد المائعة الماجنة .. حتى أصبحا عَلماً للتحلل ، وعنواناً للفساد .. ويحرم على المسلم أن يرتاد موطن الشبهة ، ومكان التهمة لقوله عليه الصلاة والسلام : « من وقع في الشبهات وقع في الحرام » .

٤ – لانجذابه إلى الدخول مرة ثانية وثالثة ورابعة .. لتجرئه وهو في الحياء الإسلامي إلى الدخول في المرة الأولى ، « وإنما الصبر عند الصدمة الأولى » ، أما في المرات التي تليها فلا تحفظ ولا رادع ، وبالتدريج ينعدم الخجل والحياء .. وقد يؤدي هذا في الغالب إلى الشذوذ والانحراف ..

نعم في حال وجود **هيئة دينية** موثوقة أشرفت على تخصيص أماكن خاصة مستقلة لعرض أفلام علمّية واجتماعية ، ومسرحيات توجيهية وتاريخية .. ولم يتخللها شيء من المفاسد والمفاتن والمحرمات .. فعندئذ يجوز للشباب المسلم أن يرتادوها للاستفادة من برامجها الهادفة ، وموضوعاتها القيمة .. أما ما عدا ذلك فإن ارتياد هذه الأماكن من أكبر الإثم وأعظم الحرام في نظر الإسلام .

وقد يعترض معترض آخر فيقول ما المانع من استعمال الجهاز التلفزيوني في الأمور النافعة ، والبرامج المفيدة كالاستماع إلى القرآن الكريم ، والاخبار ، والبرامج التي تتصل بالعلم والتوجيه ، وطرح ما عداها من المشاهد الماجنة ، والمناظر الفاسدة ؟.

ولكن في الحقيقة أن هذا الادعاء لا يمتّ إلى الواقع والصدق بصلة أبداً ، لأنه من المشاهد أن الذي يقتني الجهاز التليفزيوني لابد إلا أن يستقصي برامج الليلة من الألف إلى الياء ، لأن الشيطان – أخزاه الله – واقف له بالمرصاد يوسوس له ويوحي إليه أن المفيد النافع سيكون بعد هذا البرنامج ، أو بعد هذه الأغنية أو بعد هذا الخبر .. إلى أن ينتهي الوقت المخصص للبرنامج .. وعلى فرض أنه ضبط الأمور ، وأصبح عنده من قوة الشخصية والإرادة ما يجعله أن يتحكم أثناء وجوده في اختيار المفيد النافع ، ولكن هل يضمن أن تنضبط الأمور عند غيابه حين يترك الجهاز بين أهله وأولاده ، فحتماً الجواب ، لا . ثم متى سيحكم على هذا العرض بالفساد ، حتماً سيكون بعد المشاهدة ، ومعنى هذا أن الأسرة رأت الفساد المتخلّل أثناء العرض بدون تحفظ ، وأن إبليس لعب دوراً كبيراً في تحسين المنكر ، وتزيين الباطل حتى ينتهي عرض البرامج كلها .

وكثير من الأحيان أن الأب الغيور حين يرى في العرض ما يخل بالشرف والأدب ، وما يظهر من الميوعة والانحلال .. ويصر على إطفاء الجهاز قد تمنعه زوجته أو من يلوذ به من أهل وأقرباء وولد .. فتقع بين أفراد الأسرة المشادَّة والمنازعة ، ولا ندري ماذا تترك هذه الخصومات من آثار نفسية واجتماعية .. وماذا تؤول إليه من نتائج وخيمة سيئة ..؟ وكم وقعت حوادث في الطلاق ، وفتن بين الأولاد ، وأعضاء الأسرة بسبب هذه المشاحنات والمنازعات ؟

فتبين على ضوء ما ذكر أن التحكم الإرادى في اختيار المفيد النافع من البرامج التليفزيونية هو أمر يشبه المستحيل ، ولا يمكن تحقيقه في عالم الواقع !!..

والمسلم يجب أن يحتاط لدينه وعرضه ، وتربية أسرته ، ولا يتأتى ذلك إلا بإبعاد الخطر عن جو البيت والأسرة .

وأي خطر على العرض والشرف والأخلاق أعظم من البرامج التليفزيونية الحاضرة ؟

وأمر آخر يجب التنبيه له والإشارة إليه :

هو أن بعض الآباء يشترون لأولادهم الجهاز التلفزيوني بحجة كفّهم عن السينما وأماكن اللهو والفجور ؟

والحقيقة أن حجتهم داحضة ، ودعواهم باطلة للأمور التالية :

١ - إن المنكر لايزال بمنكر آخر يقوم مقامه .

٢ - إن المنكر الذي يترتب من اقتناء التلفزيون هو أعظم من المنكر الذي يترتب من ارتياد أماكن اللهو والفجور ، ذلك لأن مفاسد التلفزيون يومية ومستمرة يراها الصغير والكبير ، والصالح والطالح ، والمرأة والرجل .. أما مفاسد دور اللهو والفجور فإنها موسمية ومؤقتة ، وقاصرة على الأولاد الشاذين ، والكبار المنحرفين .

٣ - يتسبب من الإقتناء التلفزيوني أخطار اجتماعية كبيرة ، ومفاسد خلقية لا تحمد عقباها للسهرات العائلية الدائمة ، واللقاءات المختلطة المستمرة بين الجيران والاصدقاء ، والنساء والرجال .. وكم أعراض انتُهكت ، ودماء أريقت ، وفتن أثيرت .. من لعنة هذا التلفزيون والاختلاط ؟

بعد الذي ذكرناه لم يبق أية حجة للذين يدّعون أن وجود التلفزيون في البيت يكف الأولاد عن الشر ، ويحجبهم عن المفاسد !!..

هذا عدا ما للتلفزيون :

من أضرار صحية كإضعافه البصر ..

وأضرار نفسية كتعلق القلب بممثلة حسناء شغلت لبّه وتفكيره ..

وأضرار تعليمية كإشغال الأولاد عن واجباتهم الدراسية ..

وأضرار فكرية كإضعافه الذاكرة وملكة التفكير والفهم ..

وأضرار اقتصادية كإتلاف المال في شرائه والأسرة بأمس الحاجة إلى الحاجات الضرورية[1] .

---

(١) ارجع إلى ما كتبه المؤلف في كتابه (حكم الإسلام في وسائل الإعلام) ، فإن فيه ما يشفى الغليل عن حكم الإسلام في التلفزيون والمسرح والسينما ..

٤ - اللعب بالميسر :

من اللهو المحرم في نظر الإسلام القمار بشتى أشكاله وأنواعه .

(وهو كل لعب بين فريقين تتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر على سبيل المصادفة والحظ) .

والدليل على التحريم قوله تبارك وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ .

(المائدة : ٩٠ - ٩١)

والحكمة في التحريم :

• القمار يجعل الإنسان يعتمد في كسبه على المصادفة والحظ ، والأماني الفارغة لا على العمل والجد ، وكدّ اليمين ، وعرق الجبين ، واحترام الأسباب المشروعة ..

• القمار أداة لهدم البيوت العامرة ، وتفريغ الجيوب الممتلئة ، وافتقار العوائل الغنية ، وإذلال النفوس العزيزة .... وكم سمعنا عن نفوس ذلت بعد عز ، وعن عوائل افتقرت بعد غنى ؟

• القمار يورث العداوة والبغضاء بين المتلاعبين لأكل الأموال بينهم بالباطل وحصولهم على المال بغير حق ..

• القمار يصدّ عن ذكر الله وعن الصلاة ، ويدفع بالمتلاعبين إلى أسوأ الأخلاق ، وأقبح العادات .. روى البيهقي أنه ﷺ مرّ على قوم يلعبون بالنرد فقال : (قلوب لاهية ، وأيد عاملة ، وألسنة لاغية) أي قائلة ما هو لغو وباطل .

• القمار هواية آثمة تلتهم الوقت والجهد ، وتعوّد على الخمول والكسل ، ويعطل الأمة عن العمل والإنتاج ..

• القمار يدفع صاحبه إلى الإجرام لأن الفريق المفلس يريد أن يحصل على المال من أي طريق كان ، ولو عن طريق السرقة والاغتصاب ، أو الرشوة والاختلاس ...

• القمار يورث القلق ويسبب المرض ، ويحطم الأعصاب ، ويولد الحقد .. ويؤدي في غالب الأحيان إلى الإجرام أو الانتحار أو الجنون أو المرض العضال ...

ولا يستبعد – كما يقول الاستاذ القرضاوي – على مَن تعشّق (المائدة الخضراء) – كما يسمونها – أن يبيع من أجلها دينه وعرضه ووطنه .. لأجل إشباع نهمة المال والجنس .

ومن القمار المحرم :

• **شراء أوراق اليانصيب** ، لأن اليانصيب يعتمد على المصادفة والحظ . وهو لون من ألوان القمار المحرم ، ولا ينبغي الترخيص به ، والتساهل فيه ولو كان باسم الجمعيات الخيرية ، والأغراض الإنسانية ، علماً بأن الميسر الذي كان متداولا بين العرب في الجاهلية كان يؤول في النهاية الى طريق البر ، وجهة الخير ، دون أن يأخذ الرابح لنفسه شيئاً .. فهو يشبه إلى حد كبير مشروعات اليانصيب التي يرصد ريعها إلى جهات خيرية ، ومبرّات إنسانية .. في عصرنا اليوم .

والإسلام يعتبر مبدأ (**الغاية تبررها الوسيلة**) من المبادىء الهدامة التي يروّجها اليهود للوصول إلى غاياتهم ، بل المبدأ الذي يتخذه الإسلام في السعي إلى أية غاية نبيلة هو سلوك الوسائل الشريفة ، فالتبرع مثلا لأي عمل إنساني خيري لا يعترف عليه الإسلام إلا إذا كانت الوسيلة التي تؤدي إليه طاهرة وشريفة ...، أما عن طريق القمار المحرم أو الاقتطاع المغتصب فلا لكونه حراماً . وما قيمة تبرع لم تتحقق وسائله على نوازع الخير ، وبواعث الرحمة ، ومعاني البر والإحسان ؟

وما قيمة إنفاق لم تنبع منابعه من معين الإيمان الصافي ، وسلسبيل الإسلام العذب ؟

فلنربِّ أبناءنا على البذل الخالص ، والإنفاق المشروع .. حتى ينبعثوا من ذواتهم إلى المساهمة في جهات الخير ، ويحظوا بالأجر والثواب في مقعد صدق عند مليك مقتدر !!

● **ومن القمار المحرم اللعب على المراهنة** سواء أكانت المراهنة على اللعب بالكرة أو بالحَمَام أو بالشطرنج .. أو ما يشابه هذا ..

وصورته : أن يشترط كل من الفريقين على الآخر ، أو أحد الفريقين على الآخر جُعلا (أي مكافأة) في حالة الربح أو الخسارة ، فكان ذلك مقامرة لتحقق الخسارة من فريق والربح لآخر ، وأكل المال بينهم بغير حق ..

ويستثنى من هذا الرهان اللعب لأجل إعداد وسيلة الحرب والجهاد كالسباق على البعير أو الفرس أو من أجل رمي الهدف أو ما يشبه ذلك من وسائل الحرب الحديثة ، لقوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن والإمام أحمد : « لا سبَق (لا رهان) إلا في خُفٍّ أو حافر أو نصْلٍ (سهام) » .

ولكن يشترط في هذا الرهان أن يكون الجُعْل الذي يبذل (أي المكافأة) من غير المتسابقين أو من أحدهما فقط ..

فأما إذا بذل كلٌّ من المتسابقين جُعْلا (مكافأة) على أن من سبق منهما أخذ الجُعلين معاً فهو قمار محرم ، وقد سمّى النبي ﷺ هذا النوع من سباق الخيل الذي يعدّ للقمار أو يراهن عليه (فرس الشيطان) كما سبق ذكره .

أما إذا كان بذل الجُعْلِ من (**هيئة أجنبية**) أي من غير اللاعبين كرئاسة الدولة ، أو الوزارة ، أو المدرسة .. فإن العطاء في هذه الحالة جائز شرعاً لانتفاء ظاهرة المقامرة وللتشجيع .. سواء أكان هذا التشجيع من أجل **الاستعداد الحربي كالرمي ، أو التفوق الرياضي كالمصارعة** أو اللعب بالكرة .. ومما يدل على هذا الجواز ما رواه الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ (سبّق بين الخيل وأعطى السابق) .

★ ★ ★

وإذا كان الإسلام حرم أنواعاً معينة من اللهو لأضرارها الروحية والنفسية والخلقية والاجتماعية .. فإنه في الوقت نفسه فتح أبواباً كثيرة من اللهو المباح ترفيهاً عن أبناء الإسلام ، وترويحاً لهم حتى ينشطوا للواجبات والقيام بالمسؤوليات من ناحية ، وحتى يتدربوا على معاني القوة ووسائل الجهاد في سبيل الله من ناحية أخرى ..

يقول علي كرم الله وجهه : (إن القلوب تملّ كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكمة) .

ويقول أيضاً : (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلب إذا أكره عمي) .

وروى البخاري في الأدب المفرد : (كان أصحاب النبي ﷺ يتبادحون (يترامون) بالبطّيخ ، فإذا كانت الحقائق كانوا هم الرجال) .

فلا بأس على المسلم أن يلهو ويمرح ويتفكّه .. على ألا يجعل ذلك عادته وخلقه ، ويملأ به صباحه ومساءه ، فيهزل في موضع الجد ، ويعبث ويلغو في وقت العمل ..

وما أحسن ماقيل : (أعط الوقت حقه من اللهو (أي المباح) بقدر ما يعطى الطعام من الملح) .

ألوان شرعها الإسلام من اللهو الحلال :(١) :

(أ) مسابقة العدو :

من وسائل اللهو الحلال الجري على الأقدام ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون على الأقدام ، والنبي ﷺ يقرّهم عليه .

وكان النبي نفسه صلوات الله عليه يسابق زوجته عائشة رضي الله عنها ، مباسطة لها وتعليماً لأصحابه .

---

(١) من كتاب (الحلال والحرام) للاستاذ يوسف القرضاوي ص ٢١١ مع بعض التصرف .

روى أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : سابقني رسول الله ﷺ فسبقته ، فلبثت حتى إذا أرهقني اللحم (أي سمنت) سابقني فسبقني ، فقال : (هذه بتلك) أي واحدة بواحدة .

(ب) المصارعة :

روى أبو داود أن النبي ﷺ صارع (ركانة) ، فصرعه النبي ﷺ أكثر من مرة ، **وفي رواية** أن النبي ﷺ صارعه – وكان شديداً – فقال : شاة بشاة[1] ، فصرعه النبي ﷺ ، فقال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي ثالثة ! فقال ركانة : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشَزَتْ (هربت) ، فما أقول في الثالثة ؟. فقال النبي ﷺ : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرّمك ، خذ غنمك .

(ج) اللعب بالسهام :

ومن فنون اللهو المشروعة اللعب بالسهام والحراب :

وسبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ كان يمر على أصحابه في حلقات الرمي ، فيشجعهم ويقول لهم : (ارموا وأنا معكم كلّكم) .

غير أنه عليه الصلاة والسلام حذّر اللاعبين أن يتخذوا من الأنعام والدواجن .. ونحوها غرضاً للرمي ، وهدفا للتعليم كما كان الحال في الجاهلية .

– روى الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن ابن عمر رأى جماعة يتخذون من الأنعام هدفاً للرمي ، فقال : (إن النبي ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروحَ غرضاً) .

وروى أبو داود والترمذي (أن النبي ﷺ نهى عن التحريش بين البهائم) .

---

(١) لابد أن يكون هذا قبل تحريم القمار ، ولقد رأينا أنه عليه الصلاة والسلام أعطاه الغنم ولم يقبلها منه كتمهيد للتحريم فيما بعد .

وذلك بتسليط بعضها على بعض حتى تهلك أو تصاب .. كما كان يفعل العرب في الجاهلية .

من هذه الأحاديث نعلم كيف أن الإسلام أمر بالرفق بالحيوان ، ونهى عن تعذيبه والإساءة إليه ؟ بل نعرف حكم الإسلام فيما عرف اليوم باسم (مصارعة الثيران) !!..

(د) اللعب بالحراب :

ومن اللهو المباح أيضاً اللعب بالحراب .

وسبق أن ذكرنا أن النبي ﷺ أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم في مسجده الشريف ، وأذن لزوجته عائشة رضي الله عنها أن تنظر إليهم ..

وإنها لسماحة كريمة من رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه أن يقرّ مثل هذا اللعب في مسجده الشريف ، ليجمع فيه بين الدين والدنيا ، والعبادة والجهاد .. على أن هذا ليس لعباً فقط بل هو رياضة وإعداد وتدريب !!..

(هـ) ألعاب الفروسية :

سبق أن ذكرنا في بحث (**الربط الرياضي**) بما فيه الكفاية ، فارجع اليه تجد ما يشفي الغليل ..

والأصل في ذلك : ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشي الرجل بين الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحه » .

وما أثر عن عمر رضي الله عنه : (علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً) ...

(و) الصيـد :

ومن اللهو النافع المباح الذي أقره الإسلام صيد البر والبحر لقوله تبارك وتعالى :

﴿ أحلّ لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً ﴾ .

(المائدة : ٩٦)

وأما ما يكون به الصيد فنوعان :

(أ) الآلة الجارحة كالسيف والسهم والرمح كما أشارت الآية الكريمة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ﴾ .

(المائدة : ٩٥)

(ب) الحيوان الجارح الذي يقبل التعليم كالكلب والفهد من سباع البهائم ، والباز والصقر من سباع الطيور ، قال تعالى :

﴿ قل أحلّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله ﴾ .

(المائدة : ٤)

أحكام عامة تتعلق بالصيد :

١ – أن يقصد الصائد في صيده الأكل والانتفاع .. لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : من قتل عصفوراً عبثاً عجّ الى الله يوم القيامة ، يقول : ياربّ ، إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة » .

٢ ـ أن لا يكون الصائد محرماً بحج أو عمرة[1] .. لقوله تبارك وتعالى : **﴿ وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً ﴾ .**

(المائدة : ٩٦)

---

(١) هذا كله في صيد البر كما قيدته الآية . أما صيد البحر فإنه جائز سواء أكان الصائد محرماً أو غير محرم لقوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه) .

٣ - يشترط الصيد بالآلة النّفاذ والخدش لا بالثقل ، لما روى الشيخان عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فقال : إني أرمي بالمعراض (بالسهم الذي لا ريش عليه) الصيد فأصيبه !، قال : « إذا رمَيْتَ بالمعراض فَخَزَق (أي نفد في الجسد) فكُلْ ، وما أصاب بعرضه فلا تأكل » باعتبار أن الصيد قُتل بالثقل لا بالنفاذ وقد دلّ الحديث على أن المعتبر هو الخَزْق (أي نفاذ ما يصاد به إلى الجسم) .

وعلى هذا يحل ما صيد برصاص البنادق والمسدسات ونحوها ، لكونها تنفذ في الجسم أشد من نفاذ السهم والرمح ..

٤ - أن يذكر اسم الله على الآلة عند الرمي أو عند إرسال الحيوان الجارح المعلّم لقوله تبارك وتعالى :

﴿ واذكروا اسم الله عليه ﴾

(المائدة : ٤)

فإذا نسي التسمية عند الرمي أو الإرسال فإنّ أكل الصيد جائز عند أكثر الفقهاء ، لأن الله سبحانه وضع عن هذه الأمة المؤاخذة بالنسيان والخطأ ..

٥ - إذا وقع الصيد في الماء وأخرج ميتاً فلا يجوز أكله ، لما روى الشيخان عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا رميت سهمك ، فإن وجدته قد قتل فكل ، إلا أن تجده قد وقع في ماء ، فإنك لا تدري : الماء قتله أم سهمك ؟ » .

(ز) اللعب بالشطرنج :

ومن ألوان اللهو المعروفة اللعب بالشطرنج .

وذهب الصحابة والتابعون والفقهاء .. في قضية الشطرنج مذهبين :

الأول : الحرمة ، وهم : علي بن أبي طالب ، وابن عمر ، وابن عباس .. والإمام مالك ، والإمام أبو حنيفة ، والإمام أحمد بن حنبل .

الثاني : الحلّ ، وهم أبو هريرة ، وسعيد بن المسيبُ ، وسعيد بن جبير ، وابن سيرين .. والإمام الشافعي .

والذين ذهبوا بإباحته قالوا : **أصل الأشياء الإباحة** ، ولم يجيء نص على تحريمه . وهو يفارق النرد (الطاولة) من وجهين :

الأول : إن المعول في النرد على الحظ ، فأشبه الاستقسام بالأزلام[1] ، والمعوّل في الشطرنج على الحِذْق والفكر والتدبير ، فأشبه المسابقة بالسهام .

الثاني : في الشطرنج تدريب على تدبير الحرب ، وفي النّرد تضييع للوقت في اللهو والعبث واللغو بدون فائدة أو جدوى ..

وقد اشترط من أباح الشطرنج شروطاً ثلاثة :

١ – ألّا يؤخر اللاعب صلاة عن وقتها .

٢ – ألّا يشترط الرهان لكونه قماراً .

٣ – أن يحفظ اللاعب لسانه من بذاءة الكلام ، وفحش اللسان .

وإذا فرط بشرط من هذه الشروط ، اتجه القول إلى التحريم .

* * *

فقد عرفت – أخي المربي – من بحث (التحذير من اللهو المحرم) أن الإسلام حرم ألواناً من اللهو .. لما لها من أضرار بالغة على أخلاق الفرد والمجتمع ، ولما تترك من آثار سيئة في نفسية الإنسان وسلوكه .. فاحرص جهدك على أن تحذّر ولدك

---

(١) الأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية ، مكتوب على أحدها « امرني ربي » ، وعلى الثاني : (نهاني ربي) ، والثالث غفل من الكتابة ، فإذا أرادوا سفرا أو غزوا أو زواجاً .. أتوا إلى بيت الأصنام – وفيه الأزلام – واستقسموا بها ، فإن خرج السهم الآمر اقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أمسكوا عنه ، وإن خرج الغفل أعادوا الاستقسام مرة أخرى ..

منها ، وتنهاه عنها ، حتى لا يتدنس بالموبقات ، ويتقلب في حمأة الانحلال والميوعة .. وعرفت أيضا أن الإسلام فتح لأبناء المجتمع الإسلامي أبواباً من اللهو الهادف المباح .. لما لها من أثر كبير في ترويح النفس الإنسانية ، واستعادة نشاطها وحيويتها .. ولما لها كذلك من انعكاسات إيجابية في تربية الفرد عسكرياً ، وإعداده جهادياً .. فاحرص ما استطعت – أخي المربي – على أن توجه ولدك إلى هذه التربية ، وتدربه على هذا الإعداد .. حتى تراه مثالا يحتذى في القوة والشجاعة ، وقدوة صالحة في العزة والإباء !!.

رابعاً : التحذير من التقليد الأعمى

من أهم الأمور التي ينبغي أن يهتم بها المربون تحذير الولد من الانسياق وراء التقليد الأعمى بلا روية ولا تفكير ، وتوعيته من الانزلاق وراء التشبه بلا تبصرة ولا هدى ..

وذلك للأمور التالية :

● لأن التقليد الأعمى دليل الهزيمة الروحية والنفسية ، وعدم الإيمان بالذات ، بل فيه معنى ذوبان الشخصية ، وفقدان الذاتية في بوتقة من يحب ، وفي كيان من يقلد ...

● لأن التقليد الأعمى يدفع بالكثير الى فتنة الحياة الدنيا ومظاهرها ، وهذا لا شك يؤدي بصاحبه الى الغرور والكبرياء ، لكونه معجباً ببهرجة الزيّ وبريق المظهر ، وثوب الشهرة .

● لأن التقليد الأعمى فى الأخلاق الفاسدة .. يؤدي بصاحبه حتماً إلى حياة الترهل والميوعة والانحلال ..

● لأن التقليد الأعمى يُفضى بالامم والشعوب إلى الهلاك المحقق ، والدمار

المحتوم ، بل تفقد هذه الأمم كل مقومات وجودها ، وأسباب بقائها وعزتها .. لسلوكها طريق الكفر والعصيان .

ومما يؤكد هذا ، ما قاله الكاتب الفرنسي (أندريا موروا) في كتاب (أسباب انهيار فرنسا) : (من أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية هو تفسخ الشعب الفرنسى لانتشار الرذيلة بين أفراده) .

وهذا ماحدا بالجنرال « ديغول » فى أعقاب تسلمه زمام السلطة في فرنسا لأن يستدعي رئيس شرطة باريس ويقول له : (أغلق لي هذه المواخير ، وأوكار الخنافس في عاصمتي) .

● لأن التقليد الأعمى يقعد هؤلاء المنساقين وراء عادات الأجنبي وأزيائه وأخلاقه .. عن كثير من الواجبات الدينية ، والمسؤوليات الاجتماعية ، والدفع بعجلة البناء الاقتصادى والحضاري إلى الإمام .

● لأن التقليد الأعمى من أكبر العوامل ، ومن أفتك الأوبئة فى إضعاف الذاكرة ، وتحطيم الشخصية ، وتمييع الخلُق ، وقتل الرجولة ، ونشر الأمراض ، واستئصال فضيلة الشرف والعفاف .. لما يؤدي حتما إلى تفلت الغرائز ، وانطلاق الشهوات والملذات ..

يقول الدكتور « ألكس كارليل » في كتابه « الانسان ذلك المجهول » : (عندما تتحرك الغريزة لدى الإنسان تفرز نوعاً من المادة التي تتسرب بالدم إلى دماغه وتخدّره ، فلا يعود قادراً على التفكير الصافي ..) .

ذكر « جورج بالوشي » في كتابه « الثورة الجنسية » ما يلي : (وفي سنة ١٩٦٢ صرح « كنيدي » بأن مستقبل أمريكا في خطر ، لأن شبابها مائع منحلّ غارق في الشهوات لا يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقه ، وإن من بين كل سبعة

شباب يتقدمون للتجنيد يوجد ستة غير صالحين ، لأن الشهوات التي أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية ..)[١] .

فلا عجب أن نرى الإسلام قد نهى عن التشبه ، وحذّر من التقليد الأعمى ..

وإليكم أهم هذه النصوص :

– روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى » .

– وروى الإمام أحمد وأبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تشبّه بقوم فهو منهم » .

– وروى البخاري وأبو داود والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المخنثين من الرجال ، والمترجّلات من النساء » .

– وروى البخاري ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » .

– وروى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يكن أحدكم إمعّة يقول : أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم » .

وهذا النهي الذي توجه إليه هذه الأحاديث النبوية منصب إلى تقليد الأجنبي في سلوكه وأخلاقه وعاداته وأزيائه .. للاعتبارات التي ذكرناها آنفاً .

أما تقليده في كل ما ينفع الأمة الإسلامية علمياً ، وينهض بها مادياً وحضارياً .. كالانتفاع بعلوم الطب ، والهندسة والفيزياء .. وأسرار الذرة ووسائل الحرب الحديثة .. وغيرها ، **فهو جائز باتفاق** ، لكونها تدخل تحت عموم قوله تبارك وتعالى :

---

(١) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » ص ١٢٤ .

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ : (الأنفال : ٦٠)
وتحت مضمون قوله عليه الصلاة والسلام : – فيما رواه الترمذي والعسكري – : « الحكمة ضالة كل حكيم ، فإذا وجدها فهو أحق بها » .

ومن أهم مظاهر التقليد الأعمى في نسائنا :

● خروج الكثير منهن كاسيات عاديات ، سافرات متبرّجات ، وقد أخبر الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام أنهن لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها .

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات ، مائلات مميلات[1] ، رؤوسهن كأسنمة البُخت (سنام الجمل) ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » .

● ارتداؤهن السواد عند وقوع مصيبة الموت تشبهاً بالنصارى .

● اجتماعهن في مناسبات الأفراح والأعراس على غناء المغنيات ، ورقص الراقصات .

● حلفهن بغير الله في حال الرضى أو الغضب .

● ظهورهن سافرات حاسرات أمام غير المحارم كأخ الزوج ، وابن العم .. ومن أظهر مظاهر التقليد الأعمى عند شبابنا التخنفس والتخنّث ، والتشبّه بالنساء ، وبعض شبابنا يحتج ويقول : ما دام أن الرسول ﷺ أطال شعره حتى جاوز أذنيه ، فلماذا يستنكر أهل العلم منظر المتخنفسين وأشكالهم ؟

نقول لهؤلاء :

١ – في حال ثبوت أن النبي ﷺ أطال شعره ، كان لا يخرج به حاسراً إلى الناس ، وإنما كان يخرج بالعمامة التي هي تاج النبوة ، وشعار الإسلام .

---

(١) مائلات : أي متبخترات في مشيتهن ، مميلات : أي مميلات لقلوب الرجال بإثارتهن وخلاعتهن

ورحم الله من قال :

وجمعت حولك يا رسول صحابة
بعمائم أزهى من التيجـــان

٢ – التخنفس اليوم أصبح شعاراً للميوعة ، ورمزاً للانحلال .. فهل يقول عاقل : إن الإسلام يرضى من شبابه أن يكثروا سواد المائعين ، وجماعات المنحلّين ؟ والنبي ﷺ يقول : فيما رواه أبو يعلى – : « من كثّر سواد قوم فهو منهم » .

٣ – أليس في ظاهرة التخنفس واسترسال الشعر إلى المنكبين .. تشبه فاضح بالنساء ، والله سبحانه لعن الرجال المتشبهين بالنساء كما جاء في الحديث الذي سبق ذكره ؟

٤ – كيف يرضي المسلم المتخنفس على نفسه أن ينتمي في تخنفسه إلى حشرة « الخنفساء »[١] القذرة ، وأن يتشبه بها شكلا وهيئة ، والله سبحانه يقول : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ؟ ﴾ (الإسراء : ٧٠) [٢] .

فاحرص – أخي المربي – أن تقبّح لولدك كل هذه المظاهر الماجنة ، والعادات السافلة . لما لها من أثر كبير في تحطيم الذاتية ، وتمييع الشخصية وفقدان النخوة والشرف والفضيلة .. كما عليك أن تفهم من له حق التربية عليك أن ظاهرة التقليد الأعمى في الأمة من أحط الظواهر في ضياع المجد ، وفقدان العزة ، وانتكاس الأخلاق ، وهدر الفضائل .. عسى أن تجد أفلاذ الكبد قد ساروا في طريق الهدى والرشد والتعقل والصراط المستقيم .. دون أن يفتنهم إغراء ، أو تتملكهم شهوة !!..

* * *

(١) جاء في القاموس : الخنفس والخنفساء ، دُوَيّبة سوداء أصغر من الجُعل « الصرصور » كريهة الرائحة ج : خنافس .

(٢) من كتاب « حتى يعلم الشباب » ص ١٣٥ .

خامساً:التحذير من رفقة السوء

من الأمور التي لا ينتطح فيها عنزان ، ولا يختلف فيها اثنان أن الخلطة الفاسدة من أكبر العوامل في انحراف الولد النفسي والخلقي .. ولا سيما إِن كان الولد بليد الذكاء ، ضعيف العقيدة ، متميع الخلق .. فسرعان ما يتأثر بمصاحبة الأشرار ، ومرافقة الفجار ، وسرعان ما يكتسب منهم أحط العادات ، وأقبح الصفات .. بل يسير معهم في طريق الشقاوة بخطى سريعة ، وقدم ثابتة .. حتى يصبح الإجرام طبعا من طباعه ، والإنحراف عادة متأصلة من عاداته .. وعندئذ يصعب على المربي ردّه إلى الجادة المستقيمة ، وإِنقاذة من وهدة الضلال ، وهوّة الشقاء !! ..

وسبق أن ذكرنا في القسم الأول من كتاب « تربية الأوْلاد في الإسلام » في فصل « أسباب الانحراف عند الأوْلاد » أن الإسلام بتعاليمه التربوية وجه الآباء والمربين إلى أن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة ، وخاصة في سن التمييز والمراهقة .. ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون .. كما أنه وجههم في أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ، ليكتسبوا منهم كل خلق كريم ، وأدب رفيع ، وعادة فاضلة !!..

كما وجههم أن يحذروهم من خلطاء الشر ، ورفقاء السوء ، حتى لا يقعوا فى حبائل غيّهم ، وشباك ضلالهم وانحرافهم ..

واستشهدنا بالكثير من الآيات الكثيرة ، والأحاديث المتعددة في انتقاء الرفيق الصالح ، والابتعاد عن رفيق السوء ..

فارجع إلى الفصل المذكور تجد ما يبلّ الصدى ، ويشفي الغليل !!. وارجع إلى بحث « التربية بالملاحظة » في هذا الكتاب ، تجد الأصول المتبعة في تربية الولد خلقياً ، وتكوينه نفسياً .. مع التحذير من رفاق الشر ، وصحبة الضلال .. بما يتفق مع مسؤولية الآباء والمربين في حمل الأمانة التربوية !!..

سادساً : التحذير منْ مفاسد الأخلاق

سبق أن ذكرنا في فَصْلَيْ « مسؤولية التربية الخلقية » و « مسؤولية التربية الجسمية » في القسم الثاني من كتاب « تربية الأوْلاد في الإسلام » أن هناك ظواهر

متفشية في الأولاد وجب على المربين أن يهتموا بها ، ويحذّروا منها ، والآن أذكرك – أخي المربي – بها ، وألفت نظرك إليها .. عسى أن تؤدي ما عليك من مسؤولية التحذير ، وواجب الملاحظة .. في ميدان التربية والتوجيه والإعداد ..

في مسؤولية التربية الخلقية عالجنا :

(أ) ظاهرة الكذب .

(ب) ظاهرة السرقة .

(ج) ظاهرة السّباب والشتائم .

(د) ظاهرة الميوعة والانحلال .

وفي مسؤولية التربية الجسمية عالجنا :

(أ) ظاهرة التدخين .

(ب) ظاهرة العادة السرية .

(ج) ظاهرة المسكرات والمخدرات .

(د) ظاهرة الزنى واللواط .

ومن المجمع عليه لدى علماء التربية والأخلاق أن هذه الظواهر الآنفة الذكر هي من أفتك الظواهر في إفساد الولد الخلقي ،وتميّعه السلوكي ..

فإن لم يقم المربون بدورهم في التحذير والملاحقة والنصح .. فإن الأولاد سينحدرون – ولا شك – إلى أسفل الدركات ، ويتخبطون في أحلك الظلمات .. وعندئذ يتعذر على كل مصلح أن يردّهم الى الجادة ، ويربطهم بالحق ، ويبصرهم طريق النور والهداية .. بل يكونون أداة خطر على الأمن ، ومعول هدم للمجتمع .. يستعيذ الناس من شرهم ، ويضجرون من إجرامهم وسوء فعالهم !!..

فما عليك – أخي المربي – إلا أن ترجع إلى بحوث المسؤوليات .. لتستوعب جيداً مسؤولية المربين في التربية الخلقية ، والتربية الجسمية .. حتى إذا استعدت بذاكرتك الأضرار والآفات التي تنجم عن الكذب ، والسرقة ، والسباب والشتائم ، والميوعة والانحلال ، والتي تنجم عن التدخين ، والعادة السرية ، والمسكرات والمخدرات ، والزنى واللواط .. قمت بواجبك ثانية في تحذير الولد من هذه الآفات النفسية والخلقية ، ومن هذه الأضرار الصحية والجسمية ..

وعليك أن تستشهد له بالأطباء وأهل الاختصاص في كشفهم لأضرار هذه المفاسد ، وتحذيرهم من أخطارها وآفاتها .. بأقوالهم حيناً ، وبالمجلات العلمية أحياناً ، وبالكتب الاختصاصية تارة ، وبالنشرات التحذيرية تارة أخرى ..

فإذا نهجت هذا بين كل فترة وفترة بشكل مستمر دائم .. فإن الولد – ولا شك – سيتجنب كل مفسدة للأخلاق ، وكل ضرر للصحة .. بل يكون على درجة من الفهم والوعي ما يجعله أن يكون محذراً غيره فضلا عن محاذرته لنفسه .

فاحرص – أخي المربي – أن تؤدي مسؤوليتك نحو ولدك على الوجه الأكمل ليكون دائماً من الصالحين الاخيار ، والمتقين الأبرار ، ومن النماذج الصالحة المؤمنة التي يشار إليها بالبنان .

* * *

سابعاً : التحذير منَ الحرام[١]

ومن أهم الأمور التحذيرية التي يجب أن يهتم المربون لها ، ويعتنوا بها ، ويركزوا عليها .. التحذير من الحرام ، **والحرام – كما عرفة علماء الأصول – هو ما طلب الشرع تركه طلباً جازماً بحيث يتعرض من خالف الترك لعقوبة الله في الآخرة ، أو لعقوبة شرعية في الدنيا** كقتل النفس ، واقتراف الزنى ، وشرب الخمر ، واللعب بالميسر ، وأكل مال اليتيم ، وبخس المكيال والميزان ...

فلا عجب أن يأمر نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه المربين أن يعوّدوا أولادهم منذ نعومة أظافرهم على امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وأن يبصّروهم بأحكام الحلال والحرام .. حتى يكون لهم ذلك خلقاً وعادة .. روى ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ : « اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، **ومروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، فذلك وقاية لهم من النار** » .

---

(١) من المصادر الرئيسية التي اعتمدت عليها في هذا البحث كتاب « الحلال والحرام » للأستاذ يوسف القرضاوي حفظه الله .

وعليك أن تعلم – أخي – المربي – أن الحلال ما أحله الله تعالى ، وأن الحرام ما حرمه الله تعالى فلا يستطيع أحد من البشر مهما كان أن يحرم شيئاً أباحه الله سبحانه ، ولا أن يبيح شيئاً حرمه الله جل جلاله .. ومن فعل من ذلك شيئاً فقد تجاوز الحدّ ، واعتدى على حق الربوبية فى التشريع ، ومن رضي بعملهم هذا من البشر فقد اتخذهم من دون الله شركاء ، وألحد في دين الله ، وكفر بالقرآن الذي أنزله الله سبحانه على قلب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام :

﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .

(الشورى : ٢١)

وقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب (اليهود والنصارى) الذين وضعوا سلطة التحليل والتحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم ، فقال تعالى :

﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم ، وما أمروا الا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يُشركون ﴾ .

(التوبة : ٣١)

وسبق أن ذكرنا كما روى الترمذي أن عدي بن حاتم جاء إلى النبي ﷺ – وكان نصرانياً – فلما سمع عليه الصلاة والسلام هذه الآية ، قال : يا رسول الله ، إنهم لم يعبدوهم ! فقال : بلى ، إنهم حرّموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم » .

كما نعى على المشركين الذين حرّموا وحلّلوا بغير إذن من الله ، قال تعالى :

﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالا ، قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ .

(يونس : ٥٩)

من هذا كله يتبين أن الله وحده هو صاحب الحق في أن يحلّ ويحرّم وأنه فصل لنا في كتابه المنزل كل شيء .

﴿ وقد فصل لكم ما حرّم عليكم إلّا ما اضطررتم إليه .. ﴾ .

(الأنعام : ١١٩)

فما عليك – أخي المربي – بعد الذي ذكرناه إلا أن تبحث عن أصناف هذه المحرمات التي جاء تحريمها في كتاب الله عز وجل أو في سنة نبينا عليه الصلاة والسلام ، لتقوم بواجب التلقين التحذيري لكل من كان له في عنقك حق التوجيه والتربية .. ولاشك أن النصح المستمر له نفعه وتأثيره ، وأن النقطة الدائمة تؤثر في الحجر ، وأن الاستمرارية في التلقين والتحذير تجعل من الولد إنساناً ملتزماً حدود الله سبحانه ، متمثلا أوامره مجتنباً نواهيه ، وقافاً عند أحكام الحلال والحرام ، لا يزيغ ولا يضلّ ولا يشقى !!..

وها أنا ذا أضع بين يديك – أخي المربي – أهم هذه المحرمات لتكون لك تبصرة وذكرى ، عسى أن تؤدي مهمة التحذير والتلقين على الوجه الأكمل :

(أ) الحرام في الأطعمة والأشربة :

١ – تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب ، لقوله تبارك وتعالي :

﴿ (حرّمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصُب .. ﴾

(المائدة : ٣)

● **الميتة هي** كل ما مات حتف أنفه من الحيوان والطير .

والحكمة من التحريم أن ما مات حتف أنفه يغلب أن يكون قد مات لمرض مُزمن أو لعلّة طارئة أو أكل نبات سامّ .. وأكل هذا – لا شك – يضر بالجسم ، ويفتك بالصحة .

● **الدم المسفوح** (السائل) الذي يخرج من الحيوان سواء خرج بسبب الذبح أو غيره .

والحكمة من التحريم أن الدم مستقذر طبعاً ، وأنه مستجمع الجراثيم ، وأنه كالميتة في الضرر .

● **لحم الخنزير** ، وهو من أشد المحرمات في نظر الإسلام لكونه نجس العين ، مستقذر المنظر .

والحكمة من التحريم أنه يضر بالصحة ويورث ضعف الغيْرة على العرض .

أما أنه يضر بالصحة فلأن الطب الحديث قد أثبت أن أكل لحمة يسبّب الدودة الوحيدة القتّالة ، ويؤدي إلى اضطراب في المعدة والجهاز الهضمي لكون لحمه عسير الهضم .. ومن يدري لعل العلم يكشف لنا في الغد عن أضرار أخرى أكثر مما عرفنا اليوم ؟ .

أما أنه يورث ضعف الغيرة على العرض فلأن المختصين بعلم الطب قالوا إن لحوم الحيوانات تحوي مواد من شأنها أن تنقل إلى الآكل صفات الحيوان نفسه ، ولنستمع إلى ما قاله الدكتور صبري القباني في مجلة « طبيبك » عدد (٣٢) ، ص ١٨٩ :

(لقد ثبت أن اللحوم تحوي موادّ من شأنها أن تنقل إلى آكلها صفات الحيوانات نفسها ، فالإنكليز مغرمون بالأسماك الباردة ولهذا طباعهم باردة ، والفرنسيون مغرمون بلحوم الخنازير ولذا تمتّ أخلاقهم إليها بصلة (ويقصد أنهم متصفون بعدم الغيرة) ، أما عرب البادية التي تعتاش من لحوم الجمال فتتصف بالصبر والحقد ، وأهل المدن الذين يعتادون على أكل لحوم الغنم تسهل قيادتهم) .

وتكلم مثل هذا : عميد كلية العلوم الطبيعية في جامعة (كلفورنيا) كما جاء في مجلة « الهلال » .

● **ما أهلّ لغير الله به** ، وهي الذبيحة التي ذُبحت وذكر عليها اسم غير اسم الله تعالى كا للات والعزّى من الأصنام .

والعلة في التحريم حماية التوحيد ، ومحاربة الشرك ومظاهر الوثنية في كل لون من ألوانها ، لأن ذكر اسم الله على الذبيحة – كما يقول الأستاذ القرضاوي – إعلان من الذابح بأنه يصنع هذا الصنيع بهذا الكائن الحيّ الذي تلّه للذبح بإذن من الله ورضاه ، فإذا ذكر اسم غير الله تعالى عند ذبحه فقد أبطل هذا الإذن ، واستحق أن يحرم من أكل هذا الحيوان المذبوح .

ومن أنواع الميتة :

- **المنخنقة** : وهي التي تموت اختناقاً بوسيلة من الوسائل .
- **الموقوذة** : وهي التي تضرب بالعصا أو نحوها حتى تموت .
- **المتردِّية** : وهي التي تتردّى من مكان عالٍ فتموت .
- **النطيحة** : وهي التي تنطح من قبل نطيحة أخرى فتموت .
- **ما أكل السبع** : وهي التي أكل السبعُ (الحيوان المفترس) جزءاً منها فماتت .

وقد ذكر الله بعد هذه الأنواع الخمسة قوله تعالى : ﴿ **إلا مَا ذكَّيتمُ** ﴾ أي ما أدركتم من هذه الأشياء وفيه حياة فذبحتموه أي أحللتموه بالذبح .

ولا بدّ أن تكون في الذبيحة حياة مستقرة ، وعلامتها انفجار الدم والحركة العنيفة .

والحكمة في تحريم هذه الأنواع هو توقع الضرر فى أكلها كما ذكر في الميتة ، وزجر وتأديب لصاحب الحيوان لإهماله له . فلا ينبغي له أن يهمل أمر العناية به والمحافظة عليه حتى ينخنق أو يضرب حتى يموت ، أو يتردّى من مكان عالٍ ، أو يترك الحيوانات تتناطح حتى يقتل بعضها كما نسمع عن التحريش بين البهائم ، فيغرون الثوْرين أو الكبشين بالتناطح حتى يهلكا .. وأما تحريم ما أكل السبع ففيه تكريم للإنسان ، وتنزيه له من أن يأكل فضلات السباع ، والله سبحانه يقول :

﴿ **ولقد كرَّمنا بنى آدمَ** ﴾ . (الإسراء : ٩٠)

- **ما ذُبح على النُصُبِ** ، والنُّصُبِ هو الشيء المنصوب من أصنام أو حجارة معظّمة تُقام حول الكعبة علامة للطاغوت (وهو ما عُبد من دون الله) ، وكان أهل الجاهلية يذبحون عليها أو عندها بقصد التقرب إلى آلهتهم وأوثانهم ، والذبح على هذه الحجارة أو عندها تجعل الذبيحة محرمة سواء تلفظ الذابح باسم غير الله أو لم يتلفظ لأنه قصد تعظيم الطاغوت .

والعلة في التحريم هي نفس العلة التي سبق ذكرها في الإهلال لغير الله .

واستثنت الشريعة الإسلامية من الميتة المحرمة **السمك والجراد** ، ومن الدم **الكبد والطحال** ، للحديث الذي رواه الشافعي وأحمد وابن ماجه والدارقطني والحاكم .. عن ابن عمر مرفوعاً : (أُحُلّت لنا ميتتان : السمك والجراد ، ودمان : الكبد والطحال) .

كل هذه المحرمات التي سبق ذكرها هي في حالة الطواعية والاختيار .

أما في حالة الاضطرار فيجوز أن يأكل منها بشرطين :
الأول : **غير باغ** أي طالب للشهوة .
الثاني : **ولا عادٍ** أي غير متجاوز حد الضرورة .

وهذا هو معنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ إنما حرّم عليكم الميتة والدمَ ولحم الخنزيرِ وما أهِلَّ به لغير الله فمن اضطُرَ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ .

(البقرة : ١٧٣)

والحكمة في ذلك إنقاذ للحياة ، واتقاء للهلاك ، ودفع للحرج عن الناس .

٢ - تحريم أكل لحوم الحُمر الأهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير :

لما روى البخاري أنه عليه الصلاة والسلام « نهى عن أكل لحوم الحمُر الأهلية يوم خيبر » .

ولما روى الشيخان أنه ﷺ « نهى عن أكل كل ذي نابٍ من السباع ، وكل ذي مخلب من الطير » .

والمراد بالسباع ما كان له ناب من الحيوان للافتراس كالأسد والنمر ، والذئب ، ونحوها .

والمراد بذي المخلب من الطير ما كان له ظفر جارح كالنسر ، والبازي ، والصقر ، والحدأة ..

والتحريم في هذا هو مذهب الجمهور ، أما مذهب ابن عباس رضي الله عنه ، ومذهب الإمام مالك فهو الجواز مع الكراهة ، وأجابوا عن أحاديث النهي أنها تفيد الكراهة لا التحريم .

ومن المقرر في الشريعة الإسلامية أن هذه الحيوانات المحرم أكلها إذا ذبحت ذبحاً شرعياً طهر جلدها ، وجاز الانتفاع به بعد الذبح بدون دباغ .

٣ – تحريم ما ذبح على غير الطريقة الشرعية كتذكية الذبيحة عن طريق الصعق الكهربائي ، أو تذكيتها بيد ملحد أو مجوسي أو وثني ..

والذّكاة الشرعية لا تصح إلا بشروط :

(أ) أن يذبح الحيوان أو ينحر بآلة حادة مما يُنْهر الدم ، ويفري الأوداج ..

(ب) أن يكون الذبح في الحلق ويشمل : قطع الحلقوم ، والمريء (مجرى الطعام والشراب من الحلق) ، والودَجان (وهما عِرْقان غليظان في جانبي النحر) .

ويسقط هذا الشرط (أي الذبح بالحلقوم) إذا تعذر الذبح في موضعه الخاص كأن وقع الحيوان في بئر وتعذر ذبحه ، أو نفر البعير ولم يقدر صاحبه على أخذه ، ومثله ما إذا هجم حيوان على أحد فرماه دفاعاً عن نفسه .. ففي مثل هذه الأحوال يعامل كمعاملة الصيد ، ويكفي أن يجرحه بمحددّ في أي موضع مستطاع من بدنه ، فعندئذ يحل أكله .. أما إذا علم أن الحيوان مات على غير الجرح فلا يحل أكله لاعتباره كالموقوذة .

(ج) أن يُذكر اسم الله تعالى على الذبيحة عند ابتداء الذبح لقوله تبارك وتعالى :

﴿ فكلوا مما ذُكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ﴾

(الأنعام : ١١٨)

(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ..) .

(الأنعام : ١٢١)

وروى البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أنهر الدم وذُكر اسم الله عليه فكلوا » .

وإذا ترك الذابح التسمية سهواً فالذبيحة تحل لأن الله سبحانه رفع عن هذه الأمة الخطأ والنسيان .

والحكمة من التسمية أن الذابح لا يفعل هذا تسلطاً على هذه المخلوقات وإنما يفعله بإذن من الخالق سبحانه ، فباسم الله يذبح ، وباسمه يصيد ، وباسمه يأكل ..

(د) أن يكون الذابح مسلماً أو كتابياً (يهودياً أو نصرانياً) .

أما إذا كان الذابح ملحداً أو مجوسياً أو وثنياً أو يدين بعقيدة باطنية كتأليه الإمام « **عليّ** » رضي الله عنه ، أو تأليه (**الحاكم بأمر الله الفاطمي**) ، أو تأليه « **آغا خان** » .. فإن الذبيحة لا تحل باتفاق الأئمة الأربعة ، وبإجماع الذين تلقت الأمة فقههم ومذاهبهم بالقبول .

أما اشتراط الذابح **بأن يكون مسلماً** فلأنه يدين بدين الحق الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام .

وأما الاشتراط **في كونه كتابياً** فلقوله تبارك وتعالى :

﴿ اليومَ أحلّ لكم الطيباتُ وطعامُ الذين أوتوا الكتابَ حِلّ لكم وطعامكم حِلّ لهم ﴾ .

(المائدة : ٥)

وقد شدد الإسلام مع الملاحدة والوثنيين والباطنيين ، وتساهل مع أهل الكتاب لأن الكتابيين أقرب إلى المؤمنين لاعترافهم بالوحي والنبوات وأصول الدين في الجملة .. وقد شرع الإسلام مناكحتهم وأحلّ ذبائحهم .. لأنهم إذا عاشروا المسلمين وعرفوا الإسلام على حقيقته ظهر لهم أنه الدين الحق ، فيدخلون فيه عن طواعية واختيار .

إذا سمع من الكتابي أنه يُسمّى غير الله تعالى عند الذبح كالمسيح ، والعُزَير .. فإن ذبيحته لا تحلّ لأنها مما أهلّ لغير الله به .

وبناء على ما ذكر من الشروط في الذبائح :

● يحرم ما كان ذبحه عن طريق الصعق الكهربائي أو ما كان على شاكلته لكون الذبيحة ماتت خنقاً ولم تذبح بآلة حادة من الحلقوم .

● ويحرم أكل ذبيحة الملحد والمجوسي والوثني والباطني لأنها مما أُهلّ لغير الله به .

● ويحرم أكل معلبّات اللحوم الحيوانية إذا كان استيرادها من بلاد ملحدة تنكر الخالق والأديان السماوية ...

● ويحرم كذلك أكل هذه المعلبات إذا ثبت بيقين أن اللحم فيها حين ذبح ذُبح على غير الطريقة الشرعية كالخنق والصعق بالكهرباء ...

● ويحرم أيضاً تناول السّمون المعلبة إذا ثبت بيقين أن السمن فيها قد خالطه شحوم خنزير أو لبن خنزير .

أما الأسماك المعلبة فإن أكلها جائز بالإجماع ، لقوله ﷺ فيما رواه أصحاب السنن حين سئل عن ماء البحر قال : « هو الطهور ماؤه ، الحِلّ ميتته » .

وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعث سريّة من أصحابه تغزو في سبيل الله ، فوجدوا حوتاً كبيراً قد جزر عنه البحر (أي ميتاً) ، فأكلوا منه بضعة وعشرين يوماً ، ثم قدموا المدينة ، فأخبروا الرسول عليه الصلاة والسلام فقال : « كلوا رزقاً أخرجه الله لكم ، أطعمونا إن كان معكم » ، فأتاه بعضهم بشيء فأكله .

٤ – تناول الخمر والمخدرات :

تناول الخمر والمخدرات حرام بالإجماع ، وسبق أن ذكرنا بالتفصيل في **القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد » في فصل « مسؤولية التربية الجسمية »** عن كل ما يتعلق بالأضرار التي تنجم عن الخمر والمخدرات ، وذكرنا بإسهاب كذلك عن حكم الإسلام في تناولهما ، وذكرنا بايضاح أيضا عن العلاج الناجع الذي وضعه الإسلام في استئصالهما ، والقضاء عليهما .. فيمكنك – أخي المربي – أن ترجع إلى الفصل المذكور ، لتستعيد بذاكرتك أضرار هذين المحرّمَين الفتاكَين ، وحكم الإسلام فيهما ، وكيفية العلاج في استئصالهما من المجتمع المسلم ، ومن بيئة الفساد والإنحلال !!..

بقي الكلام عن الخمرة المصنوعة من غير العنب والتمر هل يباح شربها ؟

روى مسلم أنه ﷺ سئل عن أشربة تصنع من العسل أو من الذرة أو من الشعير .. فأجاب عليه الصلاة والسلام – وهو الذي أوتيَ جوامع الكلم –: « كل مسكر خمر ، وكل خمر ، حرام » .

وبناء على هذا :

كل ما صنع من الفاكهة أو الشعير أو أي مادة أخرى . يدخل في الخمر ما دام أنه يسكر ويخامر العقل ، وقد أعلن عمر رضي الله عنه من فوق منبر رسول الله ﷺ – كما روى الشيخان –: (**الخمر ما خامر العقل**) .

وما دام أنه مسكر فقليله وكثيره حرام ، لما روى أحمد وأبو داود والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » .

ولم يكتف النبي عليه الصلاة والسلام بتحريم شرب الخمر قليلها وكثيرها ، **بل حرّم بيعها وشراءها والاتجار بها ولو مع غير المسلمين** ، فلا يحل لمسلم أن يستورد الخمر أو يصدّرها ، أو يصنّعها ، أو ينقلها ..

ومن أجل ذلك « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمول إليه ، وآكل ثمنها » أبو داود والترمذي .

وعلى طريقة الإسلام في سدّ الذرائع . **حرم على المسلم أن يبيع العنب لمن يتخذه خمرا** .

فقد روى الطبراني في الأوسط عن رسول الله ﷺ أنه قال : (من حبس العنب أيام القطاف ، حتى يبيعه من يهودي (أي ليهودي) أو نصراني أو ممن يتخذه خمراً فقد تقحّم النار على بصيرة) .

وعلى هذا النهج **أمر المسلم أن يقاطع مجالس الخمر ، ومجالسة شاربيها** ، فقد روى أحمد والترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد على مائدة تدار عليها الخمر » .

ومما روى عن الخليفة الراشد عمر عبد العزيز رضي الله عنه أنه كان يجلد شاربي الخمر ومن شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم ، ورَوَوْا أنه رفع إليه قوم شربوا الخمر ، فأمر بجلدهم ، فقيل له : إن فيهم فلاناً وقد كان صائماً ، فقال : به ابدؤوا ، أما سمعتم قول الله تعالى :

﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ﴾ .

(النساء : ١٤٠)

وسبق أن ذكرنا في بحث (ظاهرة المسكرات والمخدرات) في القسم الثاني من كتاب « تربية الأولاد فى الإسلام » أنه لا يجوز استعمال الخمر كدواء ، هذا ما أجاب عنه رسول الله ﷺ – فيما رواه مسلم وأحمد – فقد سأله رجل عن الخمر ، فنهاه عنها ، فقال الرجل : إنما أصنعها للدواء ! قال عليه الصلاة والسلام : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » .

فهذا النص ، ونصوص أخرى استشهدنا بها سابقاً تدل دلالة قاطعة على أن استعمال الخمر وحدها كدواء حرام يأثم من يتناولها ويتعالج بها ..

أما ما خالط بعض الأدوية بنسبة مقدرة من الكحول – لضرورة – كحفظها من الفساد مثلا فإنه يجوز استعمالها ضمن الشروط التالية :

١ – أن يكون هناك خطر حقيقى على صحة الإنسان إذا لم يتناول هذا الدواء .
٢ – أن لا يوجد دواء غيره من الحلال يقوم مقامه .
٣ – أن يصف ذلك طبيب مسلم ثقة في خبرته وفي دينه معاً .

لأن مبادىء الإسلام قائمة وعلى اليسر ، ودفع الحرج ، وتحقيق المصلحة والأصل في ذلك قوله تبارك وتعالى :

﴿ فمن اضطُر غيرَ باغ ولاعاد فلا إثم عليه ﴾ .

(البقرة : ١٧٣)

* * *

(ب) الحرام في الملبس والزينة والمظهر :

الإسلام بمبادئه السمحة أباح للمسلم أن يظهر في ملبسه وهندامه أمام المجتمع بمظهر لائق كريم من أجل هذا خلق الله كل ما يتمتع به من زينة ولباس ورياش .. قال تعالى :

﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لِباساً يواري سوآتكم وريشاً .. ﴾ .
(الأعراف : ٢٦)

وقال سبحانه :
﴿ يا بني آدم خُذوا زينَتكُم عند كلِ مسجد ﴾ .
(الأعراف : ٣١)

على أن يكون حظه من هذه الزينة المباحة ، **فى حدود الوسطية والاعتدال** تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى :

﴿ والذين إِذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ .
(الفرقان : ٦٧)

وقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه البخاري – : « كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير إسراف ولا مخيلة » .

● ومن عناية الإسلام بالمظهر **أمره المسلم بالنظافة** لأنها الأساس لكل زينة حسنة ، ومظهر جميل لائق :

– روى ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « تنظفوا فإن الإسلام نظيف » .

– وروى الطبراني : « النظافة تدعو إلى الإيمان ، والإيمان مع صاحبه في الجنة » .

– وروى أبو داود وغيره أن النبي ﷺ أوصى بعض أصحابه وهم قادمون من سفر بالاعتناء بالنظافة وحسن المظهر بهذه الوصايا : « إنكم قادمون على إخوانكم ، فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش » .

ومن عناية الإسلام بالمظهر أنه حث على النظافة والتجمل في مواطن الاجتماع ، وفي أوقات الجمعة والعيدين :

– روى النسائي : أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وعليه ثوب دون ، فقال له : « ألك مال ؟ قال : نعم ، قال : من أي المال ؟ قال : من كل المال قد أعطاني الله تعالى ، قال : فإذا آتاك الله مالا فلْيرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته » .

– وروى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبَيْ مهنته » .

● ومن عناية الإسلام بالمظهر **حثه على إصلاح شعر الرأس واللحية** : روى مالك في الموطأ أن رجلا جاء الى النبي ﷺ ثائر الرأس واللحية ، فأشار إليه الرسول ﷺ (كأنه يأمره بإصلاح شعره) ففعل ، ثم رجع ، فقال النبي ﷺ : « أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان » .

فالإسلام أباح للمسلم كل هذا بل طلبها منه واستنكر كل الاستنكار على من يحرّمها وينهى عنها قال تعالى :

﴿ قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ... » .
(الأعراف : ٣٢)

غير أن الإسلام حرّم على المسلم أنواعاً من الزينة واللباس والمظهر .. لحكم جليلة .. وإليك – أخي المربي – أهم هذه المحرمات :

١ – تحريمه الذهب والحرير على الرجال :

لما روى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه :. عن علي كرم الله وجهة قال : أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه ، وأخذ ذهباً فجعله في شماله ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » ، وزاد ابن ماجه : « حِلّ لإناثهم » .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه وطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » ، فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، قال لا والله لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ .

وروى البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال : (نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه) .

وروى مسلم عن علي كرم الله وجهه قال : (نهاني رسول الله ﷺ عن التختّم بالذهب) .

والمقصود بحرمة الحرير ، الحرير الخالص الأصلي المستخرج من دود القز ، أما الحرير الصناعي فلا يحرم لبسه ولا استعماله .

ويستثنى من حرمة الحرير الأصلي ما ركّب من حرير وغيره إن استويا في الوزن ، وكذا التطريز والخياطة به ، والترقيع ، والحشو .. مالم يبلغ كل من ذلك وزن الثوب ، لما روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (إنما نهى رسول الله ﷺ عن الثوب المصمّت من الحرير (أي الحرير الخالص) ، فأما العَلم من الحرير ، وسدى الثوب ، فلا بأس به) .

ويجوز استعمال الحرير الأصلي الخالص في حالة الضرورة كدفع جَرَبٍ أو حَكّة أو اتقاء حرّ أو برد مُهْلكين ، أو ستر عورة إن لم يجد ساتراً غيره(١) .. لما روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : (رخّص النبي ﷺ للزبير ، وعبد الرحمن في لبس الحرير لحكّة بهما) .

وتحريم الذهب والحرير قاصر على جنس الرجال ، أما النساء فيحل لهن لبس الذهب والحرير لحديث علي رضي الله عنه الذي سبق ذكره .

أما التختم بالفضة فيجوز ، بل يسنّ ما لم يبلغ حد الإسراف(١) ، والأفضل جعله في اليد اليمنى ، ولبسه في الخنصر لما روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه (... ثم اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة ، فاتخذ الناس خواتيم الفضة فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، حتى وقع من عثمان في بئر أريس) .

---

(١) واستثنى بعض الفقهاء من تحريم استعمال الحرير الخالص : كيس المصحف ، وخيط السبحة ، وستر الكعبة ..

(١) عند فقهاء الحنفية ألا يزيد الخاتم على الدرهم وهو ما يساوي ثلاثة غرامات وثلث .

والعلة في تحريم الذهب والحرير على الرجال هو البعد عن التخنث الذي لا يليق بشهامة الرجال ، ومحاربة الترف الذي يؤدي الى الانحلال وقطع دابر التفاخر والخيلاء من نفسية الإنسان ، والحفاظ على رصيد الذهب العالمي للنقد في كل زمان ومكان ..

وإنما استثنى النساء من هذا ، مراعاة لأنوثة المرأة ، وتنمية لغريزة حب التملك فيها ، وتلبية لفطرتها في حب الزينة ، وتشويقاً للزوج حين يراها في أبهى منظر ، وأجمل هيئة ..

٢ - **تحريم تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة** ، لما روى البخاري وأصحاب السنن عن ابن عباس **رضي الله عنهما قال** : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » .

وفي رواية للبخاري : « لعن رسول الله ﷺ المخنثين من الرجال ، والمترجّلات من النساء » .

وروى أحمد والطبراني عن رجل من هذيل ، قال : رأيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، ومنزله في الحِلّ ، ومسجده في الحرم ، قال : فبينا أنا عنده رأى أم سعيد بنت أبي جهل متقلّدة قوساً ، وهي تمشي مشية الرجل ، فقال عبد الله : مَن هذه ؟ ، فقلت : هذه أم سعيد بنت أبي جهل ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس منا من تشبّه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه بالنساء من الرجال » .

ولقد طغت في شبابنا **وشاباتنا موجه التشبه والتقليد الأعمى .. فعلى** المربين أن يعالجوا هذه الظاهرة بالأسلوب الحسن .

٣ - **تحريم لبس ثياب الشهرة والاختيال** ، لما روى أحمد وأبو داود والنسائي .. عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَن لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة » .

والمقصود بثياب الشهرة هو لبس الثوب الفخم الثمين بقصد المباهاة والتعاظم والافتخار على الناس .. ولاشك أن التظاهر به يجرّ إلى الكِبر والخُيلاء ﴿ والله

لا يحبّ كل مختار فخور ﴾ ، وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما – رواه الشيخان – : « مَنْ جرّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » .

فما على المسلم إلا أن ينهج حدود الاعتدال في ملبسة ومطعمه وأثاث منزله حتى لا يستحوذ عليه الكِبر ، ولا تتملكه شهوة الخيلاء .

سأل رجل ابن عمر ماذا ألبس من الثياب ؟ فقال : مالا يزدريك فيه السفهاء (لتفاهته) ولا يعيبك به الحكماء . (يعني لتجاوز حدود الاعتدال) .

٤ – **تحريم تغيير خلق الله** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن رسول الله ﷺ الواشِمةَ والمستوشمة ، والواشِرَة والمستوشرة » .

الوَشْم : هو تشويه الوجه واليدين وبهذا اللون الأزرق ، والنقش القبيح ..

والوَشْر : هو تحديد الأسنان وتقصيرها ، ومثله اليوم ما يعرف بجراحات التجميل .. وقد لعن النبي ﷺ من يفعله لما فيه من تعذيب للإنسان ، وتغيير لخلق الله ، وعدم الرضى بقدر الله ..

والقرآن الكريم اعتبر هذا التغيير من وحي الشيطان حين يقوم بمهمة التضليل لأتباعه .

(**ولآمُرنَّهم فلَيُغيرنَ خلْقَ اللهِ**) .

(النساء : ١١٩)

ويستثنى من عمليات التجميل ما يسبب للإنسان ألماً حسياً أو نفسياً كاستئصال الزوائد أو اللوزتين أو ما أمر به الشرع كقصّ الشعر ، وتقليم الأظفار ، وحلق العانة .. لدفع الحرج عن الناس ، والتحقق بالنظافة ، وجمال الهيئة ..

٥ – **تحريم حلق اللحية** ، لما روى مسلم عن **أبي هريرة رضي الله** عنه : قال : قال رسول الله (ﷺ) : « جزوا الشارب ، وارخوا اللحى وخالفوا المجوس » .

وروى ابن اسحق ، وابن جرير من طريقه عن يزيد بن أبي حبيب أن رجلين من المجوس دخلا على النبي ﷺ ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ، فكره النظر إليهما ، وقال لهما : « ويلكما من أمركما بهذا ؟ » ، قالا : أمرنا ربنا – يعنيان كسرى – فقال النبي ﷺ : « لكنّ ربي أمرني بإعفاء لحيتي ، وقص شاربي » .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : « أعفوا اللحى ، وجزّوا الشوارب ، ولا تشبهّوا باليهود والنصارى » .

وأخرج مسلم وأحمد وأصحاب السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « عشر من الفطرة (أي من سنن الأنبياء) : قص الشارب ، وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، والمضمضة ، وقص الأظفار ، وغسل البراجم ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء »[1] .

رأي الأئمة الأربعة في اللحية[2] :

وقد اتفقت المذاهب الأربعة على وجوب توفير اللحية ، وحرمة حلقها ..

١ - **مذهب السادة الحنفية** : (ويحرم على الرجل قطع لحيته ، وصرّح في النهاية بوجوب قطع ما زاد على القبضة ، وأما الأخذ منها وهي دون ذلك كما يفعله بعض المغاربة ومخنّثة الرجال فلم يُبِجه أحد ، وأخذ كلها فعل يهود الهند ومجوس الأعاجم) . أ هـ عن فتح القدير .

٢ - **مذهب السادة المالكية** : حرمة حلق اللحية وكذا قصها إذا كان يحصل به مُثْلَة ، وأما إذا طالت قليلا وكان القص لم يحصل به مُثْلَه فهو خلاف الأولى أو مكروه) أ هـ من شرح الرسالة لأبي الحسن وحاشيته للعدوي .

٣ - **مذهب السادة الشافعية** : قال في شرح العباب :

(**فائدة** : قال الشيخان : (يكره حلق اللحية) ، واعترضه ابن الرفعة بأن الشافعي رضي الله عنه **نص في كتاب الأم على التحريم**) ، وقال الأزرعي : (الصواب تحريم حلقها جملة لغير علة بها) ، ومثله في حاشية ابن قاسم العبادي على الكتاب المذكور) .

---

(١) غسل البراجم : غسل غضون الأصابع من ظاهرها وباطنها ، حلق العانة : حلق الشعر الذي حول القبل ، انتقاص الماء : أي الاستنجاء بالماء .

(٢) ارجع الى رسالة الأستاذ الجليل الشيخ محمد الحامد رحمه الله (حكم اللحية في الإسلام) فإن فيها الكثير من الأدلة على حرمة حلق اللحية .

٤ – **مذهب السادة الحنابلة** : نص الحنابلة على تحريم حلق اللحية (فمنهم من صرّح بأن المعتمد حرمة حلقها ، ومنهم من صرّح بالحرمة ولم يحك فيه خلافاً لصاحب الإنصاف ..) .

فتبين من هذه الأحاديث النبوية ، والنصوص الفقهية أن حلق اللحية حرام ، وأن المنصف المتحري للحقيقة لابد إلا أن يقول بوجوب إرخائها لنصاعة الحجّة ، وقوة الدليل ، وأقل ما يقال عن الحالق للحيته أنه مخنّث أو متشبه بالنساء أو مغيّر لخلق الله ، أو مقلد غيره تقليداً أعمى .. فواحدة من هاتيك الأمور تكفي في إيقاع المسلم بالإثم ، فضلا عن انطباق كل الأوصاف عليه .

ألهم الله شبابنا رشدهم ، وقوّى عقيدتهم وإسلامهم ليظهروا دائماً بمظهر الرجولة والكمال ..

٦ – **تحريم آنية الذهب والفضة** ، لما روى مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم » .

وروى البخاري عن حذيفة قال : (نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، ونهانا عن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه » ، وقال : « هو لهم (أي الكفار) في الدنيا ولنا في الآخرة » .

من هذه الأحاديث يتبين أن اتخاذ أواني الذهب والفضة ، ومفارش الحرير الخالص حرام في بيت المسلم ، ويأثم من يفعله ، **وهذا التحريم شامل للرجال والنساء جميعاً** ، **والحكمة في هذا** تطهير البيت المسلم من مواد الترف المذموم ، ومظاهر الكبرياء الممقوتة .

٧ – **تحريم الصور والتماثيل** ، لما روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون » .

– وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إن الذين يصنعون هذه الصور يعذّبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيُوا ما صنعتم » .

– وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سفر ، وقد سترت سهوةً لي بقرام (أي سترتُ خزانة في الحائط بسَتْر) فيه صور ، فلما رآه رسول الله ﷺ تلوّن وجهه وقال : يا عائشة « أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون (يشبّهون) بخلق الله » ، فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين .

– وروى البخاري ومسلم عن أبي طلحة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير » .

– وروى مسلم وأبو داود والترمذي عن حيّان بن حُصين قال : قال لي علي رضي الله عنه : (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ أن لا تَدَعْ صورة إلا طمستَها ، ولا قبراً مُشرفاً (مرتفعاً) إلا سوّيته) .

وهذه الأحاديث في مجموعها تدل بوضوح على تحريم التماثيل والصور سواء أكانت مجسمة أو غير مجسمة ، وسواء أكانت ذات ظل أو غير ذات ظل ، وسواء أكان صنعه بما يمتهن أو بغير ما يمتهن لأن فيه مضاهاة بخلق الله تعالى ؟..

ومما يؤكد هذه الحرمة أن النبي ﷺ – كما روى البخاري – لم يدخل الكعبة بعد فتح مكة حتى أخرج كل ما فيها من صور وأصنام وتماثيل ، وقد روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة ، فيمحو كل صورة فيها ، فلم يدخلها حتى مُحيَت الصور ، وقد روى البخاري في كتاب الحج عن أسامة رضي الله عنه أنه ﷺ دخل الكعبة فرأى صورة إبراهيم عليه السلام ، فدعا بماء فجعل يمحوها .

ويستثنى من التصوير تصوير الشجرة وكل شيء ليس فيه روح ، لما روى البخاري ومسلم عن سعيد بن أبي الحسن قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : إني رجل إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا أحدثك إلا ما سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول : « مَنْ صوّر صورة فإن الله معذّبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبداً » ، فربا الرجل ربوة شديدة (أي فزع) ، فقال له ابن عباس : (ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح) .

ويرخص من التماثيل لُعَب الأطفال لكونها لا يظهر فيها قصد التعظيم ولا كبرياء الترف . لما روى الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : (كنت ألعب بالبنات (أي باللُّعَب التي على هيئة البنات) عند رسول الله ﷺ ، وكان يأتيني صواحب لي ، فكنّ ينقمعن (يختفين خوفاً) من رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله يُسَرّ لمجيئهن إلي ، فيلعبن معي) .

وفي رواية لأبي داود : أن النبي ﷺ قال لعائشة يوماً : « ما هذا ؟ قالت : بناتى ، قال : ما هذا الذي في وسطهن ؟ قالت : فرس ، قال : ما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان ؟ قالت : أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود خَيْل لها أجنحة ؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه » .

قال الشوكانى : في هذه الأحاديث دليل على أنه يجوز تمكين الصغار من اللعب بالتماثيل التي هي على هيئة عرائس ، وقد روي عنْ الإمام مالك أنه كره للرجل أن يشتري لبنته ذلك ، وقال القاضي عياض : (إن اللعب بالبنات للبنات الصغار رخصة) .

ومما نلفت الانتباه إليه أن امتهان الصورة وتغيير معالمها يجعلها حلالا ، ويجوز الانتفاع بها ، لما روى النسائي وابن حبان في صحيحه « أن جبريل عليه السلام استأذن على النبي ﷺ ، فقال له الرسول ﷺ أدخل ، قال جبريل : كيف أدخل وفي بيتك ستر فيه تصاوير ؟ فإن كنت لابد فاعلا ، فاقطع رأسها أو اقطعها وسائد أو اجعلها بسطاً » .

أما التصوير بالالة (وهو ما يسمى بالتصوير الفوتوغرافي) فيشمله ظاهر التحريم للنصوص القاطعة الشاملة إلا ما توجبه الصورة وتقتضيه المصلحة كصور البطاقات الشخصية ، وجوازات السفر ، وصور المجرمين ، والمشبوهين ، والصور التي تتخذ وسائل للإيضاح ونحوها ، لكونها تدخل في القاعدة العامة التى تقول : (الضرورات تبيح المحظورات) .

ومما تجدر الإشارة إليه : أن كثيراً من البيوت التي تدّعى الإسلام يصدّرون بيوتهم بصورة كبيرة بحجة ذكرى الأب أو الجدّ أو العائلة .. ويزيّنونها بتماثيل ذات

روح توضع هنا وهناك ، وبسجاجيد مصوّرة يملؤون بها الجدران .. وهذا العمل من أفعال الجاهلية ، بل من مظاهر الوثنية التى قضى عليها الإسلام ..

فما على الآباء والمربين إلا أن ينظفوا بيوتهم من هذه المحرمات ، ويطهّروها من تلك الموبقات .. ليحظوا برضوان الله عز وجل ، ويكونوا من عداد أولئك الذين عناهم الله سبحانه بقوله :

﴿ ومن يُطع اللهَ والرسولَ فأولئك مع الذين أنعم اللهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداءِ والصالحين وحَسُن أولئك رفيقاً ﴾ .

(النساء : ٦٩)

***

(ج) الحرام في المعتقدات الجاهلية :

الغيب لايعلمه إلا الله سبحانه ، فلايظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من عباده من رسول . قال تعالى :

﴿ عالم الغيب فلا يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ .

(الجن : ٢٧)

فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي فهو كاذب على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس .

قال تعالى :

﴿ قل لا يعلم من في السمٰوات والأرض الغيب إلا الله ومايشعرون أيان يبعثون ﴾ .

(النمل : ٦٥)

فلا الملائكة ولاالجن ولاالبشر يعلمون الغيب إلا ماعلمهم الله إياه ، وقد أخبر الله تعالى عن جنّ سليمان .

﴿ أنْ لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين ﴾ .

وعلى هذا حرم الإسلام المعتقدات التالية :

١ - حرم تصديق الكهّان ، لما روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال : « من أتى عرّافا فسأله عن شيء فصدّقه بماقال : لم تُقْبَل له صلاة أربعين يوماً » .

وروى البزّار بإسناد جيد : « مَن أتى كاهناً فصدّقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » .

فتبين من هذه الأحاديث أن حَمْلَةَ الإسلام لم تقتصر على الكهان والدجالين وحدهم ، بل أشرك معهم فى الإثم كل من يصدقهم فى أوهامهم وتضليلهم ..

٢ - حرم الاستقسام بالأزلام ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. ﴾ .

(المائدة : ٩٠)

والأزلام : هي سهام كانت لدى العرب في الجاهلية مكتوب على أحدها : أمرني ربي ، وعلى الثاني : نهاني ربي ، وعلى الثالث : غفل من الكتابة ، فإذا أرادوا غزواً أو زواجاً أو نحو ذلك ، أتوا الى بيت الأصنام - وفيه الأزلام - فاستقسموا بها ، فإن خرج السهم الآمر أقدموا على الأمر ، وإن خرج السهم الناهي أحجموا عنه ، وإن خرج الغفل أجالوها مرة أو مرات حتى يخرج الآمر أو الناهي .

ويشبه هذا في بعض مجتمعاتنا الإسلامية اليوم ضرب الرّمل ، والودَع ، وفتح الفنجان .. وكل ما كان من هذا القبيل ، وكل هذا منكر وحرام في الإسلام .

روى الطبراني بإسناد جيد عن النبي ﷺ أنه قال : « لا ينال الدرجات العلى من تكهّن أو استقسم (أي بالأزلام) أو رجع من سفر تطيّراً (أي تشاؤماً » .

وإذا كان الإسلام حرم الاستقسام بالأزلام وجعله شركاً فإنه في الوقت نفسه علم الناس الاستخارة الشرعية التي بها يتوجه الإنسان إلى غايته أو يحجم عنها ، وسبق أن ذكرنا في الارتباط الروحي الاستخارة وكيفيتها فارجع إليه في موضعه من هذا الكتاب .

٣ - **حرّم السحر** ، لما روى البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « اجتنبوا السبع الموبقات قالوا : يا رسول الله ، وما هي ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » .

وكما حرّم الإسلام على المسلم الذهاب إلى الكهنة والعرّافين لسؤالهم عن الغيوب والأسرار ، حرّم عليه كذلك أن يلجأ إلى السحر والسحرة في كشف الخبايا ، وحل المشاكل ، والإضرار بالناس .. لما روي عن البزّار بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ليس منا من تطيّر (تشاءم) أو تُطِيّر له ، أو تكهّن أو تُكهِّن له ، أو سَحَرَ أو سُحِر له » .

وروى ابن حبّان في صحيحه عن الرسول ﷺ أنه قال : « لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحر ، ولا قاطع رحم » .

وقد اعتبر بعض فقهاء الشريعة السحر كفراً ، أو مؤدياً إلى الكفر ، وذهب بعضهم إلى وجوب قتل الساحر تطهيراً للمجتمع من رجسه ، وحفاظاً على عقيدة الأمة أن يدخلها الزيغ والفساد ..

وعلمنا القرآن الكريم الاستعاذة من شر النفاثات في العقد وهم أرباب السحر الذين ينفثون بسحرهم ما يفرّقون به ما بين المرء وزوجه ، وما يتسببون بفعله من إيقاع الضرر في الناس .

ومن هنا كان السر في قراءة المعوذتين كل ليلة ليأمن القارىء شر الجنَّة ، وشر النفاثين في العقد ، روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ « كان إذا أوى الى فراشة كل ليلة جمع كفيه ثم نفث[1] فيهما وقرأ فيهما : قل هو الله أحد ..، وقل أعوذ بربّ الفلق .. ، وقل أعوذ برب الناس .. ثم مسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » .

٤ - **حرّم تعليق التمائم** ، لما روى أحمد والحاكم عن عقبة بن عامر أنه جاء في ركب عشرة إلى رسول الله ﷺ ، فبايع تسعة ، وأمسك عن رجل منهم ، فقالوا : ما شأنه ؟ فقال : إن في عضده تميمةً !» .

---

(١) والنفث : هو نفخ لطيف بلا ريق .

فقطع الرجل التميمة ، فبايعه رسول الله ﷺ ثم قال : « من علق تميمة فقد أشرك » . وفي رواية للإمام أحمد : « من علّق تميمة فلا أتمّ الله له ، ومن علّق ودَعَة فلا أودع الله له » .

والتميمة : هو ما يعلّق على الصغير أو الكبير من أحْجِيَة ووَدَع وخَرز .. ونحوها على اعتقاد أنها تشفي من المرض ، أو تقي من العين ، أو تدفع الشر والمصيبة ..

وكم نسمع عن كثير من المضللين والدجالين من يكتب للبسطاء من الناس من أحجية وتمائم ، يخطّون فيها خطوطاً وطلاسم ، ويتلون عليها أقساماً وعزائم .. زاعمين أنها تحرس حاملها من مسّ الجن ، وإصابة العين ، ودفع الأذى والشر .. الى آخر ما يزعمون .

أما إذا كانت الكتابة للأحجية باللفظ العربي البينّ أو ما يعرف معناه من غيره ، وبالأدعية المأثورة عن النبي ﷺ ، وبما ثبت فى السنة عن خصوصيات بعض الآيات القرآنية والسّوَر كالمعوذتين مثلا فبعض الفقهاء لا يرى من ذلك بأساً ، **وكذلك الرّقى** ، وهي قراءة التعويذات أو الفاتحة على المريض أو الممسوس أو الملدوغ .. ثم المسح باليد ، والنفخ بالفم بدون ريق . وقد نقل عن الإمام النووي ، والحافظ بن حجر وغيرهما الإجماع على مشروعية الرّقي عند اجتماع ثلاثة شروط :

الأول : أن يكون الكلام بكلام الله تعالى أو بأسمائه أو صفاته .

الثاني : أن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره .

الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها ، بل بذات الله تعالى .

ومن التعويذات التي علمنا إياها النبي ﷺ في تعويذ الصبيان وغيرهم هو ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يعوّذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامّه (الحشرات المؤذية) ، ومن كل عين لامّة (العين التي تصيب » .

٥ - **حرّم التطيّر (التشاؤم)** ، لما روى البزار والطبراني عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من تطيّر أو تُطيّر له .. » .

وروى أبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « العِيافة ، والطِّيرة ، والطَّرق من الجِبْت) .

العِيافَة : الخطّ في الرمل ، وهو ضرب من التكهّن لازال حتى اليوم .

الطَّرق : الضرب بالحصى وهو نوع من التكهن .

الجِبْت : ما عبد من دون الله .

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بنعيق الغربان ، ونعيب البوم ، ومرور الطير من اليمين الى اليسار .. وكانت تصدهم عن مقاصدهم في الحياة ، فنهى النبي ﷺ عنها ، وأخبر أنها ليس لها تأثير في جلب نفع ، أو دفع ضرّ بل التأثير لله وحده .

روى ابن عديّ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال : « إذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا » .

وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ عرض له من هذه الطِيرَة شيء فليقل : اللهم لا طَيْرَ إلا طيرك ، ولا خَيرَ إلا خيرُك » .

وقال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس رضي الله عنهما ، فمرّ طائر يصيح : فقال رجل من القوم : (خير خير) ، فقال ابن عباس : لا خير ولا شر .

فهذه النصوص بجملتها تبين أن التشاؤم من الزمان أو المكان أو الحيوان .. ليس من الإسلام ، وأن التطيّر محرم في الشريعة ، وأن الفاعل المطلق ، والمؤثر الحقيقي هو الله وحده . فعلى المسلم أن يمضي إلى غايته ، وأن يتوكل على الله في الوصول إلى هدفه دون أن يردّه شؤم ، أو يقعده عن العمل تطيّر !!..

★ ★ ★

(د) الحرام في التكسب :

لما بُعث النبي ﷺ كان للعرب في الجاهلية أنواع من البيع والشراء ، والتعامل المالي ، والمبادلات التجارية .. فأقرهم على البعض مما لا يتنافى مع قواعد الشريعة

ونصوصها التي جاء بها ، ونهاهم عن البعض الآخر لكونها تضر بمصلحة الفرد والجماعة ، وتؤدي الى أسوأ المفاسد ، وأرذل الآثار ..

وإليكم أهم هذه المحرمات في التكسب كما ثبت عن نبي الإسلام :

١ - **بيع الأشياء المحرمة** : لما روى أحمد وأبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله إذا حرم شيئاً حرم ثمنه » ، وعلى هذا فإن بيع الخمر ، والتماثيل ذات الروح ، والخنزير ، والمعازف بأنواعها ، والصلبان ، وأوراق اليانصيب ، وغيرها . محرم في نظر الإسلام .

والحكمة في هذا التحريم إهمال لها ، وإهمال لذكرها ، وإبعاد للناس عن التعامل بها ، وإنقاذ للمجتمع من أضرارها الصحية والنفسية والاجتماعية والخلقية .. إلى غير ذلك مما لا يخفى عل كل ذي عقل وبصيرة !!..

٢ - **بيع الغَرَر** ، لما روى مسلم في صحيحه وأحمد وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : « نهى عن بيع الحصاة[١] ، وعن بيع الغَرَر » .

وروى أحمد والطبراني أن رسول الله ﷺ قال : « لا تشتروا السمك بالماء فإنه غَرَر » .

والغَرَر : هو بيع الأشياء الاحتمالية التي لا تُدرى عاقبتها هل تحصل أم لا ؟ وذلك كبيع السمك في الماء ، والطير في الهواء ، لكون هذا البيع غير متحقق الوجود في يد بائعه ، ولا قدرة له على تسليمه .. ولا شك أن هذا النوع من البيع يؤدي إلى المنازعات والخصومات ما بين البائع والمشتري . ويضر أيضاً بالمصالح الاقتصادية للتغرير وعدم الثقة ما بين المتعاملين من التجار ..

٣ - **البيع على أساس الغبن والتلاعب بالأسعار** : لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه أحمد وابن ماجه - : « لا ضرر ولا ضِرار » .

---

(١) بيع الحصاة : هو اتفاق ما بين البائع والمشترى على شراء ما تقع عليه الحصاة من مجموع أشياء كثيرة .

الإسلام في الأصل يحب أن يطلق الحرية في التعامل التجاري لتسير الحياة الاقتصادية على أحسن ما يرام وفقاً للعرض والطلب ، وانتعاشاً للسوق التجارية في ميدان التعامل .. ومن أجل هذه الحرية نرى الرسول ﷺ حين غلا السعر على عهده فقالوا : يا رسول الله سعِّره لنا قال : « إن الله هو المسعِّر القابض الباسط الرازق ، وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبنى بمظلمة في دم ولا مال » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . وغيرهم .

ولكن إذا تدخلت في السوق عوامل مصطنعة كاحتكار بعض السلع الضرورية ، والتلاعب بالأسعار ، واستغلال ظروف معينة .. فيباح التسعير استجابة لضرورة المجتمع وحاجته ، ووقاية لأغلبية الأمة من المحتكرين والمستغلين ، كما تقرر الأصول العامة ، والقواعد الشرعية كأصل : (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) ، وكقاعدة : (لا ضرر ولا ضرار) .

قرر فقهاء الحنفية : (إذا كان أرباب الطعام يتحكمون في السوق ويتعدّون في القيمة تعدياً فاحشاً ، وعجز القاضي ، عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير ، فحينئذ لا بأس به بمشورة أهل الرأى والبصر) أ هـ (هداية) فى الفقه الحنفى .

٤ – البيع على أساس الاحتكار ، لما روى أحمد والحاكم وابن أبي شيبة .. عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

وروى مسلم عنه عليه الصلاة والسلام : (لا يحتكر إلا خاطىء) : وخاطىء معناها آثم ، ومنه قوله تعالى :

﴿ **إن فرعونَ وهامانَ وجُنُودَهما كانوا خاطِئينَ** ﴾ (القصص : ٨) أى آثمين .

وروى ابن ماجة والحاكم عنه ﷺ أنه قال : « الجالب مرزوق والمحتكر ملعون » .

والاحتكار معناه : هو أن يُخفي التاجر ما يحتاج الناس إليه حاجة ضرورية ليتحكم بالسعر في الوقت المناسب ، كالمواد التموينية بشكل عام .

ومما يلحق بالاحتكار **بيع الحاضر للبادي** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يبع حاضر لبادٍ ، دعوا الناس يرزق بعضهم من بعض » .

الحاضر : هو ساكن المدينة .

والبادي : هو ساكن البادية .

وصورة هذا : أن يقدم رجل غريب أو من البادية بمتاع تعمّ الحاجة إليه ليبيعه بسعر يومه ، فيأتيه ابن المدينة فيقول له : خلّ متاعك عندى حتى أبيعه لك علي المهلة بثمن غال ، ولو باع البادي بنفسه لأرخص ، ونفع البلد ، وانتفع هو أيضا .

٥ - **البيع عن طريق الغش** ، لما روى مسلم عن رسول الله ﷺ أنه مرّ برجل يبيع طعاماً (حبوباً) فأعجبه ، فأدخل يده فيه ، فرأى بَلَلا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » قال : أصابته السماء (أي المطر) فقال عليه الصلاة والسلام : « **فهلاّ جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا** » .

والغش معناه : إظهار الشيء على خلاف حقيقته دون علم **المشتري** .

روى الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يحلّ لأحد يبيع بيعاً إلا بيّن ما فيه ، ولا يحل لمن يعلم ذلك إلا بينّه » .

وتشتد الحرمة ، **إذا غشه بيمين كاذبة** : وقد نهى النبي ﷺ التجار عن كثرة الحلف بصورة عامة ، وعن الحلف الكاذب بصورة خاصة ، روى البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » . والذي يحلف وهو متيقن الكذب يكون حالفاً بيمين الغموس ، واليمين الغموس هو من الكبائر ، وسمّي غموساً لأنه يغمس صاحبه في النار ، وليس له كفارة سوى التوبة الصادقة النصوح .

وإنما نهى النبي ﷺ عن كثرة الحلف - ولو كان الحالف صادقاً - لأنه مظنّة لتغرير المتعاملين أولا ، وسبب لزوال تعظيم اسم الله تعالى من القلوب ثانياً ..

ومن ألوان الغش تطفيف المكيال والميزان ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ، ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لربّ العالمين ﴾ .

(المطففين : ١ - ٤)

والتطفيف معناه هو إنقاص المكيال والميزان أثناء التعامل التجاري ، ومزاولة البيع والشراء ..

وقد قص علينا القرآن نبأ قوم جاروا في معاملتهم ، وانحرفوا عن القسط في الكيل والوزن ، وبخسوا الناس أشياءهم ، فأرسل الله إليهم من ينذرهم ، ويردهم إلى صراط العدل والقسطاط المستقيم ، أولئك هم قوم شعيب الذين صاح فيهم نبي الله شعيب داعياً ومنذراً :

﴿ أوفوا الكيلَ ولا تكونوا من المخسِرِينَ ، وزِنُوا بالقسطاط المستقيم ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ .

(الشعراء : ١٨٢)

٦ – **البيع أو الشراء عن طريق السرقة والاغتصاب** ، لما روى البيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من اشترى سرقة (أي مسروقاً) وهو يعلم أنها سرقة ، فقد اشترك في إثمها وعارها » .

ولا يخفى ما في هذا التحريم من تضييق لدائرة الكسب الحرام ، ومن مشاركة المجتمع في تحمل المسؤولية لقطع دابر الجريمة والمجرمين !!..

٧ – **التكسب عن طريق الربا والميسر ، لقوله تبارك وتعالى ·**

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا اللهَ وذروا ما بَقِي من الرِّبا إن كنتم مؤمنين فإنْ لَمْ تَفعَلوا فأْذَنُوا بحَربٍ من اللهِ ورسولِهِ ، وإن تبتُم فلكم رؤوسُ أموالِكُمْ لا تَظلِمُونَ ولا تُظلَمون ﴾ .

(البقرة : ٢٧٨)

ولقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه مسلم وأحمد وأصحاب السنن – : « لعن رسول الله ﷺ آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال هم سواء » .

وتحريم الإسلام للربا يشمل كل تعامل بالربا ، سواء أكان الربا ربا نسيئة(١) ، أو ربا فضل(٢) ، وسواء أكان ربا استثمار أو ربا استهلاك ، وسواء أكان بفائدة قليلة أو بفائدة كثيرة ، فكل هذه التنويعات تندرج تحت لفظ التحريم في قوله تعالى :

﴿ وأحلَّ اللهُ البيعَ وحَرَّمَ الرِّبا ﴾ . (البقرة : ٢٧٥)

والإسلام حرم الربا للأمور التالية :

● **لانعدام** التقابل بين الجهد والثمرة لكون الدائن المرابي لا يبذل جهداً ، ولا يقدم عملاً ، ولا يتحمل خسارة .. فيما يحصل عليه من كسب ، وما يتملكه من ربح ..

● **لانهيار** اقتصاد المجتمع بسبب تلكؤ الدائن عن العمل ، وإخلاده إلى الراحة والكسل .. طمعاً في ربح الفائدة ، والإثقال على المدين بالالتزامات الربوية ..

● **لانهيار** أخلاق المجتمع بسبب انعدام التعاون بين أفراده للعلاقات الربوية .. مما يؤدي حتماً الى تفسخ المجتمع ، وشيوع الأنانية والأثرة فيه ، بدل التضحية والمحبة والإيثار ..

● **لانقسام** المجتمع الى طبقتين متنازعتين : طبقة المستغلين والمتحكّمين برؤوس أموالهم ، وطبقة المستضعفين الذين أُكلت جهودهم وأتعابهم من غير حق .

● **لاستفحال** المبادىء الإلحادية الهدامة المستوردة في ربوع المجتمعات الإسلامية لاستغلال الواقع المرير الذي ينتج عن التعامل الربوي المحرم ..

لهذا كله حرم الإسلام الربا ، وصنّفه في جدول الكبائر ، واستحق فاعله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم الدين !!..

---

(١) ربا النسيئة : ويسمىٰ بربا الأجل ، وهو كل زيادة يؤديها المدين الى الدائن على رأس المال المستحق نظير مدة معلومة من الزمن أجّله إليها .

(٢) ربا الفضل : وهو تبادل مطعومين أو نقدين من جنس واحد مع زيادة أحد البدلين على الآخر ، كمبادلة كيل قمح بكيل ونصف منه ...

ما هي الطرق التي فتحها الإسلام للتخلص من الربا ؟

١ - **سمح بشركة المضاربة** ، وهي شركة يكون رأس المال فيها من شخص ، والعمل من شخص آخر ، والربح مشترك بينهما بالقدر المتفق عليه ، والخسارة على صاحب رأس المال ، أما صاحب الجهد والعمل فلم يتحمل من الخسارة شيئاً إذ يكفيه أنه خسر جهده وعمله .

٢ - **سمح ببيع السلم** ، وهو بيع آجل بعاجل ، فمن كان مضطراً للمال يبيع على الموسم من إنتاجه بسعر مناسب ، وبشروط مذكورة في كتب الفقه .

٣ - **سمح ببيع المؤجل** ، وهو زيادة عن الثمن في بيع النقد ، وقد أباحه الإسلام لتسيير مصالح الناس ، وللتخلص من التعامل بالربا .

٤ - **حضّ على وجود مؤسسات للقرض الحسن** سواء أكان القرض على مستوى الأفراد أو على مستوى الجماعات أو على مستوى الحكومات تحقيقاً لمبدأ التكامل الاجتماعي بين الأمة .

فتح مؤسسات للزكاة حيث تدفع هذه المؤسسات للمديون المحتاج ، أو الفقير الذي لا يملك ، أو الغريب المنقطع .. تدفع لهم قسطاً من المال يسدّ حاجتهم ، ويحقق تكافلهم ، ويرفع من مستواهم ..

تلكم أهم الأبواب التي فتحها الإسلام أمام أي فرد من المجتمع ، لتتحقق مصلحته التكافلية ، وتحفظ له كرامته الإنسانية ، ويصل إلى مقصده النبيل في قضاء حوائجه ، وتأمين مصالحه وازدهار عمله وإنتاجه ..

اما الميسر فقد سبق ذكره فى بحث اللهو المحرّم فى هذا الكتاب فارجع إليه لترى البحث وافياً والمعالجة تامة ..

(هـ) الحرام في التقاليد الجاهلية :

لقد دخل على المسلمين اليوم كثير من العادات البغيضة ، والتقاليد الجاهلية .. واستحكمت في نفوسهم وبيوتهم ، وأصبحت في نظر البعض كالدّين في الاتباع ، وكالإيمان في الاعتقاد ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

وإليكم أهم هذه التقاليد الجاهلية المستحكمة :

١ - **الانتصار للعصبية** : وهذا ما نراه في البيئات المتخلفة إسلامياً حيث ينتصرون لأقوامهم وقراباتهم سواء أكانوا على حق أم كانوا على باطل ؟..

وهذا ما وضحه النبي ﷺ للسائل حين سألة عن العصبية . فقد روى أبو داود عن واثلة بن الأسقع قال : قلت يا رسول الله ، ما العصبية ؟ قال : « أن تعين قومك على الظلم » . كما أنه أعلن براءته عليه الصلاة والسلام ممّن يفعل ذلك : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود .

كما أنه حوّل عليه الصلاة والسلام مفهوم « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » من الجاهلية إلى الإسلام ، وذلك في الحديث الذي رواه البخاري أنه عليه الصلاة والسلام قال لمن حوله مرة : « أنصر أخاك ظالما أو مظلوماً » ، فعجب الناس ودهشوا ، وقالوا يا رسول الله ، هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ قال : « تمنعه من الظلم فذلك نصر له » .

وما أعظم ما نطق به القرآن في إحقاق الحق ، والتزام جانب العدل ولو على أقرب الناس وأحبّهم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا كُونوا قوامّين بالقِسْطِ شُهَداءَ لله ولو على أنفُسِكُم أو الوالدينِ والأقربينَ ﴾ .

(النساء : ١٣٥)

٢ - **التفاخر بالنسب** : لا نزال نسمع من الذين لاخلاق لهم دعوى التعاظم بالحسب ، والتفاخر بالنسب .

وما قيمة الأحساب والأنساب إذا كان أصحابها يحيدون عن طريق الإسلام ويتبعون سُبُل الضلال ؟ ألم يقل الله سبحانه :

﴿ فإذا نُفِخَ في الصُّور فلا أنسابَ بينهم يومئِذٍ ولا يتساءَلون ﴾

(المؤمنون : ١٠١)

وصبّ النبي ﷺ جام غضبه على المتعاظمين بالأحساب ، والمتفاخرين بالأنساب في كلمات قارعة ، وعبارات لاذعة .. فقال – فيما رواه أبو داود والترمذي – : « لينتهينّ أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم جهنم ، أو ليكوننّ أهون على الله من الجُعَل (حشرة الخنفساء) يدَهْدِهُ الخُرْء بأنفه .. إن الله أذهب عنكم عُبِّيَّةَ الجاهلية وفخرها بالآباء ، وإنما هو تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب » .

ولنستمع إلى ما أعلنه عليه الصلاة والسلام من مبادىء حقوق الإنسان في حجة الوداع : « يا أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لافضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ..» رواه البيهقي .

٣ – النياحة على الموتى : ومن التقاليد التي حاربها الإسلام النياحة على الميت ، والغُلوّ في إظهار الحزن والجزع كلطم الخدود ، وشق الجيوب ، وخمش الوجوه .. وهذا من فعل الجاهلية ، وتقاليدها الموروثة .. وقد تبرّأ النبي ﷺ ممن يفعل هذا الفعل ، ويظهر بهذا المظهر .. روى البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « ليس منا من لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية » .

أما دمع العين من غير عويل ، وحزن القلب من غير جزع فإنه جائز لأنه يتفق مع آداب الإسلام والطبيعة البشرية .. روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « اشتكى سعد بن عبادة شكوى له ، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم ، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله ، فقال : قد قضى (أي مات) ، قالوا : لا يا رسول الله ، فبكى النبي ﷺ ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا ، فقال : ألا تسمعون ؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا ، (وأشار إلى لسانه) أو يرحم ، وإن الميت يعذب[1] ببكاء أهله عليه » .

---

(١) يقصد بالبكاء ، مع النوح ورفع الصوت ، والميت يعذب إذا أوصى بذلك أو كان يرضى به .

وفي الكلام عن النياحة **يقتضي التنبيه إلى الأمور التالية** :

١ - لا يحل لأي مسلم أو مسلمة أن **يلبسوا من شارات الحداد والتحزّن** أو يتركوا لباس الجديد والتزيّن ، أو يغيّروا من مظاهر الزّى والهيئة المعتادة .. إظهاراً للجزع .. وامتداداً للحزن .. لأن هذا من قبيل التشبه بالكفار ، والتقليد للأجنبي .. فقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « ليس منا من تشبّه بغيرنا ، لا تشبّهوا باليهود ، ولا بالنصارى » .

وروى الإمام أحمد وأبو داود .. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من تشبّه بقوم فهو منهم » .

٢ - ومن التشبة والتقليد الأعمى **وضع الأكاليل من الزهور على النعش أو على القبر** فهذا العمل عدا عن أنه عمل الكفار فإنه أيضاً من إتلاف المال في غير حق . أما وضع بعض الزروع والزهور على القبر من غير إكليل ولا تشبّه .. فإنه جائز ، وفي السنة النبوية ما يبيح ذلك ويؤيده :

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مرّ رسول الله ﷺ على قبرين ، فقال : « أما إنهما ليعذّبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستنزه من بوله (أي لا يتوقّى منه) ، قال : فدعا عليه الصلاة والسلام بعسيب رطب (بغصن نخل أخضر) ، فشقّه باثنين ، ثم غرس على هذا واحداً ، وعلى هذا واحداً ، ثم قال : لعله يخفف عنهما مالم يَيْبسا » .

٣ - ومن التشبه والتقليد الأعمى **وضع صورة الميت على النعش ، أو تصديرها في بيت التعزية** .. فهذا العمل عدا عن أنه من تقليد الأجنبي فإنه أيضا من ارتكاب المحرم ، لأن اتخاذ الصور من غير ما ضرورة محرم في نظر الإسلام كما سبق بيانه .

٤ - ومن التشبيه والتقليد الأعمى **عزف الموسيقى الحزينة** أمام النعش أوفي بيت التعزية ، هذه الظاهرة عدا عن أنها من التشبيه الممقوت بالكافرين ، فإنها أيضاً من فعل المحرمات في نظر الشريعة للأحاديث الصحيحة التي سبق ذكرها في تحريم المعازف ، وتحريم الاستماع إليها .. سواء أكان ذلك في الفرح أوفي الحزن ..؟

٥ – ومن ارتكاب المنكر في التعازي **توزيع الدخان وشربه** ولاسيما عند قراءة القرآن الكريم ، وهذا من المنكرات المستهجنة في نظر الإسلام لتناول المحرم من ناحية ، وانتهاك حرمة القرآن من ناحية أخرى ..

٦ – ومن المنكرات الشائعة بعد دفن الميت **تجصيص القبر ، والبناء عليه** ، لما روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ أن يجصَّص القبر ، وأن يُقْعَد عليه ، وأن يبنى عليه » .

ومن المؤسف حقاً أن بعض الناس اليوم أصبحوا يتباهون في البناء على القبر ، وتزيينه .. ولا شك أنهم مخالفون لهدي محمد ﷺ في نهيه عن التّجصيص والبناء ، فقد ثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه حين مات ولده ابراهيم سطّح القبر ، ووضع عليه الحصا ، ورشّه بالماء ..

ومن السنة أن توضع علامة عند القبر ليعرف عند زيارته ، كما وضع رسول الله ﷺ حجراً عند رأس عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال : « أتَعَلّمُ بها قبر أخي » .

وكم يكون الورثة وقّافين عند حدود الله حين يلتزمون هذا الهدي النبوي عند دفن مورّثهم ؟ .

وكم يكونون ورعين صالحين حين يضعون كلفة البناء والتزيين في بناء مسجد ، أو تشييد مدرسة ، أو إقامة مستشفى .. بنيّة الثواب لفقيدهم ، ليجري له الخير إلى ماشاء الله ؟ وصدق رسول الله ﷺ القائل : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علمٍ ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » البخاري في الأدب المفرد وغيره .

٤ – وعادات أخرى حرمها الإسلام :

● ومن العادات الجاهلية المستحكمة في بعض بيئاتنا **اجتماع الناس في حفلات الاعراس والمناسبات على غناء المغنين والمغنيات ، ورقص الراقصين والراقصات .. عدا عما يتخلل هذه الحفلات من كؤوس للخمر تدار ، ومعازف للنغم تعزف ، وضحكات فاجرة تنبعث هنا وهناك من أفواه السكارى وعربدة المخمورين .. وطلقات من الرصاص تنطلق من مسدسات الحمقى ، وبنادق المهوّسين !!..**

وكم أصيبت نفوس ، وأريقت دماء ، ووقعت فتن ، واقْتَتَلَتْ عوائل .. من لعنة هذه الاجتماعات الفاجرة ، والحفلات العابثة ، والتقاليد الجاهلية الآثمة ..؟ .

ولسنا بحاجة إلى أن نبين مرة ثانية حكم الإسلام في الغناء ، والرقص ، والمعازف ، والخمر ، واختلاط الرجال بالنساء .. لأننا تطرقنا لهذه البحوث في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ، ولقد بيّنا - أخي المربي - حكم الإسلام فيها .. فيمكنك أن ترجع الى هذه البحوث لتعرف الدليل والحكمة في تحريم هذه المفاسد !!..

● ومن العادات الجاهلية التي نسمع عنها في بعض البيئات أيضاً **انتساب الولد إلى غير أبيه** .. وقد عدّ النبي ﷺ ذلك من المنكرات الشنيعة التي تستوجب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقد روى الشيخان عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلًا » أي لا يقبل الله منه توبة ولا فدية .

وروى الشيخان أيضاً عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام » .

ويتفرع عن هذا **حرمة التلقيح الصناعي** وهو وضع نطفة الرجل الأجنبي في رحم أمرأة لا تحل له بقصد إنجاب الولد ، وهو جريمة منكرة تلتقي مع الزنى في إطار واحد ، تلتقي معه في إنجاب الولد عن طريق آثم ، وكيفية محرّمة .. تنبو عنها الشرائع السماوية ، والقيم الأخلاقية الفاضلة !!..

أما التبني للولد بمعنى التربية والرعاية والتكافل كرعاية اللقيط أو اليتيم .. مثلا فإنه جائز شرعاً مالم ينسبه الرجل لنفسه ، ويُثْبت له أحكام البنوّة ، وارتباطات النسب .. ولا شك أن لهذا الكافل المثوبة في الجنة .. لما روى البخاري وأبو داود والترمذي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، وأشار بالسبّابه والوسطى ، وفرّج بينهما » .

وللكافل أن يَهَب لليتيم أو اللقيط ما شاء من المال في حياته ، وأن يوصي له في حدود الثلث من التركة بعد وفاته .

● ومن العادات الجاهلية المتفشية في كثير من المناطق والأرياف **أكل مهر البنت وحرمانها من الميراث** .

إن الله سبحانه قرّر للمرأة حقها من المهر ، كما قرر لها حقها من الميراث ، فلا يحلّ لوالد ، ولا لأخ ، ولا لزوج ولا لأي إنسان أن يحرمها حقها من الميراث ، أو أن يسلب لها حقها من المهر ..

فتقرير حقها من الميراث ثابت في القرآن الكريم ، قال الله تعالى :

﴿ للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً ﴾ .

(النساء : ٧)

وتقرير حقها من **المهر** مقرر في كتاب الله عز وجل ، قال تعالى :

﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ، وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

(النساء : ٢٠ ، ٢١)

فمن خالف شرع الله في الميراث وفي المهر فقد ضلّ سواء السبيل ، وحاد عن الحق الذي قرّره الله تعالى في محكم التنزيل .. واستحق وعيد الله وانتقامه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ألا فليتذكر أولو الالباب .

تلكم أهم المحرمات التي نهى الإسلام عنها ، وحذّر منها ، وتوعدّ بالعذاب من يرتكبها ..

فما عليك – أخي المربي – الا أن تجتنبها بنفسك ، وتعطي القدوة في الابتعاد عنها لغيرك ، ثم بالتالي تحذّر من كان له في عنقك حق التربية من أن ينزلق في متاهاتها ، ويتعثّر في أوحالها ، ويتردّى في مهالكها ..

فإذا فعلت ذلك فالله سبحانه يثيبك خيراً ، ويدّخر لك يوم القيامة أجراً ، ويتقبل طاعتك ، ويستجيب لدعائك ، ويجعل لك من كل همّ فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، ويحشرك يوم القيامة مع أوليائه وأصفيائه في مجمع من الملائكة والأنبياء ، والصديقين والشهداء .. وحسُن أولئك رفيقاً .

فاستمع إلى ما يقوله سيد الوجود عليه الصلاة والسلام فيمن يكون مطعمه حراماً ، ومشربه حراماً ، وملبسه حراماً ، لتعلم شيئاً عن حاله في بعد الله عنه ، وغضبه عليه .

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال تعالى :

﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ . (المؤمنون : ٥١)

وقال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ . (البقرة : ١٧٢)

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشْعَثَ أغبَرَ يمدّ يديه إلى السماء : ياربّ ياربّ ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذّي بالحرام ، فأنّى يستجاب له » .

وروى البيهقي وأبو نعيم عن أبي بكر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل جسد نبت من سُحْت (من حرام) فالنار أولى به » .

أعاذنا الله – أخي المربي – أن نكون ممن استحقوا عذاب جهنم ، وممن يدعون فلا يستجاب لهم .. إنه خير مأمول ، وبالإجابة جدير ..

* * *

تلكم – أيها الإخوة المربّون – أهم القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الولد ، ولقد رأيتم أن هذه القواعد كلها تنصب في قاعدتين أساسيتين :

الأولى : قاعدة الربط .

الثانية : قاعدة التحذير .

وسبق أن قرأتم أن تحت كل قاعدة من هاتيك القواعد قواعدفرعيّة تندرج تحتها ، لها أهميتها الكبرى في توازن الولد ، وتكوينه الروحي والإيماني والنفسي ، وإعداده الخلقي والاجتماعي والعلمي ..

- **قرأتم التفريعات التي انبثقت عن قاعدة الربط .. فماذا وجدتم ؟**

أما وجدتم أن **الربط الاعتقادي** هو خير ما تصونون به عقيدة الولد من الزيغ والإلحاد ؟

وأن **الربط الروحي** هو خير ما تصونون نفسه وأخلاقه من التحلل والإباحية ؟

وأن **الربط الفكري** هو خير ما تصححون به تصوره من كل مفهوم باطل ، ومبادىء مستوردة ؟

وأن **الربط الاجتماعي** هو خير ما تصونون به شخصيته من الانكماش والانطوائية والضياع ؟

وأن **الربط الرياضي** هو خير ما تصونون به جسمه من الضعف والخَوَر واللهو العابث ؟..

- **وقرأتم التفريعات التي انبعثت عن قاعدة التحذير فماذا رأيتم ؟..**

أما رأيتم أنّ التحذير من الردة يجنّب الولد الانزلاق في متاهات الكفر والضلال ؟

وأن التحذير من الالحاد يجنّب الولد التنكرّ للذات الإلهية ، والأديان السماوية ؟

وأن **التحذير من اللهو المحرم** يجنّب الولد مع تميّع الشخصية ، وانتهاك الكرامة الانسانية ؟

وأن **التحذير من رفقة السوء** يجنبّ الولد الاسترسال فى حياة الشهوات والملذات .

وأن التحذير من التقليد الأعمى يجنّب الولد تميّع الشخصية وانتهاك الكرامة الإنسانية .

وأن التحذير من مفاسد الأخلاق يجنّب الولد الانخراط في بوتقة الرذيلة ، ومستنقع الفحشاء ؟

وأن التحذير من الحرام يجنّب الولد عذاب جهنم وغضب الجبار ، والتعرض للأمراض والاسقام ؟ ..

فإذا كان الأمر كذلك فاسعوا جهدكم ، واجمعوا أمركم ، وابذلوا كل ما في وسعكم .. لتنفّذوا قاعدة الربط قاعدة قاعدة .. وتأخذوا بمبادىء التحذير مبدءاً مبدءاً ..

وفي هذا إصلاح للولد ، وتثبيت لعقيدته ، وتقويم لخلقه ، وتقوية لجسمه ، ونُضج لعقلة ، وتكوين عظيم لشخصيته ..

ومن الأمور التي أذكّر بها ، وألفت النظر اليها أن **قاعدتى الربط والتحذير** يجب أن يسيرا مع بعضهما جنباً إلى جنب عندما يقوم المربي بواجب التربية والتكوين والإعداد .. لأن انفكاك إحداهما عن الأخرى قد يؤدي بالولد إلى انحرافات فكرية أو خلقية أو نفسية ..

وكم سمعنا عن أولاد ارتبطوا ببيوت الله ، وارتبطوا بالشيخ المربي ، وارتبطوا بالصحبة الصالحة .

ولكنهم وقعوا في اعتقادات فكرية باطلة ، كاعتقاد أن الإسلام قاصر على القضايا الإيمانية ، والمسائل التعبدية ولم يتعرض لقضايا الحكم ، وأنظمة السياسة ، ومناهج الحياة ..

أو وقعوا في انحرافات خلقية خطيرة كدعوى أن البيرة حلال ، وأن اقتناء التلفزيون بوضعه الحالي جائز ، وأن التعامل بربا القليل غير محرم ، وأن الاستماع إلى الغناء المائع مباح ...

أو وقعوا في أمراض نفسية وعصبية لسوء التوجيه ، وفساد التربية كتلقينه المستمر العزلة والانطوائية والتزام أحلاس البيوت ، وأماكن العبادة ؟..

إذن على المربي أن يوازن ما بين الربط والتحذير ، وأن يجمع ما بين الإيجابية والسلبية .. وأن يكون مع الولد في جميع حركاته وسكناته .. حتى إذا رأى منه انحرافاً عن الجادة ردّه إليها ، وإذا وجد زيغاً في العقيدة بصّره بنور الحق ، وأضاء قلبه بإشراقة الإيمان ، وإذا استشعر فساداً في الخلق حذره من مغبة النتائج ، وربطه بالرباط الأمتن ، ووجهه التوجيه الأقوم ..

وعلى هذه الأسس فَلْيمْضِ المربون ، وعلى هاتيك القواعد فليعمل العاملون !!..

* * *

الفصل الثالث

الثالث : اقتراحات تربوية لابد منها

وفي الختام أضع بين يدي المربين طائفة من الاقتراحات التربوية التي لابد منها ولا غناء عنها ، وهي لا تقل أهمية عما كتبناه سابقاً من فصول مضت حول (مسئوليات المربين) ، وحول (وسائل التربية المؤثرة) ، وحول (القواعد الأساسية في تربية الولد) . وفي كتابة هذه الاقتراحات نكون قد أحطنا بوسائل التربية من جميع الجوانب ، ونكون في الوقت نفسه قد فتحنا أمام المربين آفاقاً جديدة في إعداد الولد خلقياً وفكرياً ونفسياً ، وفي تكوينه جسمياً وسلوكياً واجتماعياً .. ليكون الإنسان الصالح لدينه وأمته ، والعضو النافع في إسرة الحياة ، وهيئة المجتمع ..

وأرى أن هذه الاقتراحات تنحصر في الأمور التالية :

١ – تشويق الولد إلى أشرف الكسب .
٢ – مراعاة استعدادت الولد الفطرية .
٣ – ترك المجال للولد في اللعب والترويح .
٤ – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة .
٥ – تقوية الصلة بين المربي والولد .
٦ – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة .
٧ – تهيئة الوسائل الثقافية النافعة للولد .
٨ – تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة .
٩ – استشعار الولد الدائم بمسئولية الإسلام .
١٠ – تعميق روح الجهاد في نفسية الولد .

وإن شاء الله في هذا الفصل فستكون الكتابة وافية حول كل مقترح من هذه الاقتراخات التي سبق ذكرها ، وعلى الله قصد السبيل ، ومنه نستمد العون والتوفيق .

★ ★ ★

١ - تشويق الولد إلى أشرف الكسب :

من أهم المسؤوليات التي يجب أن ينهض بها المربي تجاه الولد تشجيعه على العمل الحر سواء أكان هذا العمل صناعياً أو زراعياً أو تجارياً ..

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يزاولون الأعمال الحرة، ويتخصصون ببعض المهن والصناعات .. فأعطوا للأمم والأجيال القدوة الحسنة في العمل الحر والكسب الحلال ..

فهذا نوح عليه السلام تعلم صنع السفن ، وأمره الله بصنعها في قوله : **﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ، ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه ، قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾** .

(هود : ٣٧ - ٣٨)

وقد نجا في السفينة هو ومن آمن معه .

وهذا داود عليه السلام كان يُجيد الحدادة وصناعة الدروع الحربية ، قال تعالى :

﴿ وعلمناه صنعة لبوس لكم (الدروع) **لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾** .

(الأنبياء : ٨٠)

وقال أيضاً :

﴿ وألَنّا له الحديد أن اعمل سابغات وقدِّر في السرد (صنع الدورع) **واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير ﴾** .

(سبأ : ١٠ - ١١)

وهذا موسى عليه السلام الذي أجرّ نفسه في رعي الغنم ثماني سنين لنبي الله شعيب عليه الصلاة والسلام مقابل نكاح إحدى ابنتيه ، قال تعالى :

﴿ قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتيّ هاتين على أن تأجُرَني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد إن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين ، قال ذلك بيني وبينك ايما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ والله على ما نقول وكيل ﴾ .

(القصص : ٢٧ – ٢٨)

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام الذي كان يرعى الغنم ، ويزاول التجارة قبل مبعثه ﷺ ، وهو القائل – كما روى البخاري – : « كنت أرعى الغنم على قراريط لأهل مكة » . وقد سافر إلى الشام مرتين للتجارة : المرة الأولى مع عمه أبي طالب وكان له من العمر اثنتا عشرة سنة ، والمرة الثانية أرسلته السيدة خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة ، وكان له من العمر خمس وعشرون عاماً ، وقد أجاد بها وأحسن .

فمن الشواهد التي سقناها يتبين أن الإقبال على تعلم الحِرَف والصناعات ، ومزاولة العمل والتجارة .. هو من أشرف الكسب ، ومن أعظم الحلال .. لأن ذلك مهنة الأنبياء ، وفعل المرسلين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم ..

والإسلام بمبادئه الشاملة ، وتشريعه الكامل قد قدّس العمل ، وكرّم العمال ، واعتبر كسب الرجل من يده من أفضل القرُبات ، وأشرف الأعمال ..

وإليكم طائفة من نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام :

– ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولًا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ .

(الملك : ١٥)

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ .

(الجمعة : ١٠)

– وروى الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « إن أفضل الكسب كسب الرجل من يده » .

– وروى الطبراني وابن عدي والترمذي عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يحب العبد المحترف » .

– وروى البخاري عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

– وروى البخاري وأحمد وابن ماجه عن النبى ﷺ أنه قال : « ما أكل أحد طعاما قط خيراً له من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » .

– وروى الطبراني والبيهقي عن النبي ﷺ أنه قال : « كسب الحلال فريضة بعد الفريضة » .

وإليكم ما قاله السلف الصالح في شأن البطالة والبطالين :

– وروى ابن الجوزى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقي قوماً لا يعملون فقال : ما أنتم ؟ قالوا : متوكلون ، فقال : (كذبتم إنما المتوكل رجل ألقى حبّة فى الأرض ثم توكل على الله) وقال : (لا يقعدنّ أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة) . وهو الذي نهى الفقراء أن يقعدوا عن العمل اتكالا على الصدقات حين قال : « يا معشر الفقراء استبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالا على المسلمين » .

– وأخرج سعيد بن منصور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إني لأكره أن أرى الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في الآخرة » .

– ورحم الله الشافعي حين قال :

لنقل الصخر من قلل الجبال
أحبّ الي من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار
فقلت العار في ذلّ السؤال

فمن هذه النصوص التي أوردناها يتبين أن الإسلام اهتم بالعمل اليدوي ، وركزّ على التعليم المهني ، ونددّ بالبطالة والكسل ، وحضّ على التكسب والعمل ...

أ وهذا لا يتأتى إلا في سنّ مبكّرة حيث يكون التعليم فيه أفضل ، والنبوغ في المهنة أقوى وأظهر .. لذا وجب على المربي أن يدفع الولد منذ الصغر إلى التدريب على بعض المهن والفنون والصناعات – بعد أن يمر بمراحل الدراسة الابتدائية في تعليم الخط واللغة العربية ، وتلاوة القرآن الكريم ، وما يلزم تعليمه من العلوم الشرعية والتاريخية والكونية .. – لإعداد الولد لكسب عيشه ورزقه من كدّ يمينه ، وعرق جبينه .

ولنستمع الى ما يقوله ابن سينا في تعليم الولد أمور الصناعة ، وأعمال المهنة : (إذا فرغ الصبيّ من تعلّم القرآن الكريم ، وحفظ أصول اللغة .. نظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجه لطريقه . فإن أراد الكتابة أضاف إلى دراسة اللغة دراسة الرسائل والخطب ومناقلات الناس ومحاوراتهم وما أشبه ذلك ، وطورح الحساب (أي مُرّن على الحساب) ودخل به الديوان وعني بخطّه وإن أريد أخرى أخذ به فيها) .

فدراسة القرآن الكريم ، ومعرفة أصول اللغة كانتا من المواد الدراسية الأساسية في المناهج الإسلامية .. فإذا انتهى الصبي منهما نظر في أمره وفي الصناعة التي يميل إليها ، وأرشد إلى السير في طريقها حتى يحسنها ويجيدها .

ومما يدل على عناية المسلمين بالمهنة لكسب الرزق نورد هذه القصة في امتهانهم لمهنة الخط : لما حضرت الوفاة أبا الإمام الغزالى وصى به وبأخيه أحمد إلى صديق له من المحبين للخير وقال له : إني آسف كثيراً لعدم تعلمي الخط ، وأشتهي استدراك ما فاتني في ولديَّ هذين ، وهما محمد وأحمد ، فعلمهما ولا لوم عليك في أن ينفد في ذلك جميع ما أتركه لهما .

فلما مات الأب أقبل الصوفي على تعليمهما إلى أن انتهى ذلك النّزر اليسير الذى كان قد تركه لهما أبوهما ، وتعذر على الصوفي أن يقوم بإطعامهما .

فقال لهما : إعلما أني قد أنفقت عليكما ما كان لكما ، وإني رجل فقير زاهد ليس لي مال فأواسيكما به ، وإن أصلح شيء أراه مناسباً لكما أن تلجئا إلى مدرسة كأنكما من طلبة العلم فتحصلا على القوت الضروري الذي يعينكما على الحياة .

ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما ، وكان الإمام الغزالي يحكي هذا ويقول : « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله » .

وينبغي أن نميّز بين صنفين من الأولاد في تعليمهم أمور المهنة والصنعة :

الأول : صنف المتفوقين دراسياً ، وعلى الغالب هم الأذكياء فهؤلاء لا ضير عليهم في أن يتابعوا تحصيلهم العلمي حتى النهاية على أن يتعلموا أثناء العطل والفرص المواتية ما يميلون إليه من حرفة أو صناعة .. لكونهم لا يدرون ما تواجههم به الأيام من نكبات وأحداث ، ورحم الله من قال : (صنعة في اليد أمان من الفقر) ، ورضي الله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حين قال : « إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : أله صنعة ؟ ، فإن قالوا : لا ، سقط من عيني » .

الثاني : صنف المتخلفين دراسياً ، وعلى الغالب هم متوسطو الذكاء أو الأغبياء ، فهؤلاء بعد تعليمهم ما يلزمهم من أمور دينهم ودنياهم يجب أن يتوجهوا إلى العمل المهني ، والاختصاص الصناعي من حين أن يشعر الأب أو المربي بقصورهم وتخلفهم .. ومن الخطأ أن يتابع الوليّ دراستهم وهم على هذه الحال من التخلّف والقصور والغباء .

وكم سمعنا عن أولاد بلغوا سن الشباب وهم لم يحصّلوا علماً ولم يتعلموا مهنة ؟ وما ذاك إلا لقصور نظر الأب أو المربي في وضع الولد في غير الموضع الذي يستأهل أن يكون فيه ، وربما عاش هملًا على هامش الحياة يستجدي الناس لينال عطفهم وإحسانهم وصدقاتهم ، أو تدرّج على سُلّم الإجرام ليسلب الناس أموالهم ، وينتهك أمنهم واستقرارهم .. وفي كلا الحالين هدر للكرامة ، وامتهان للشخصية ، وتحطيم للكيان العام .

فما على الآباء والمربين إلا أن ينتبهوا لهذه الظاهرة ، ليعرفوا كيف يعدّون أولادهم للحياة ، وكيف يؤهلونهم للقيام بأعظم التكاليف ، وأضخم المسؤوليات ؟

أما المرأة وهي فتاة فينبغي أن تتعلم من الصناعات ، وأمور المهنة ما يتفق مع وظيفتها واختصاصها كأم وزوجة سواء ما يتعلق بأصول تربية الطفل ، أو ما يرتبط بوظائف البيت ، أو ما يتصل بتعليم الخياطة أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه .

أما عدا ذلك من الأعمال والمسؤوليات فالإسلام أعفاها منها .

– إما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات لا تتفق مع تكوينها الجسماني وطبيعة أنوثتها كأن تمارس عمليات القتال أو تكون بنّاءة وحدّادة .

– وإما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات تتعارض مع وظيفتها الطبيعية التي خلقت من أجلها كأن تكون عاملة في معمل ، أو موظفة في وظيفة .. ولها زوج وأولاد وبيت .

– وإما لكون هذه الأعمال والمسؤوليات يترتب عليها فساد اجتماعي خطير كأن توجد في بيئة أو وظيفة يكون فيها اختلاط الرجال بالنساء .

وفي تقدير أصحاب العقول الناضجة ، والبصائر النيّرة أن هذه الإعفاءات للمرأة تقدير لها ، وحفظ لأنوثتها ، ورفع لكرامتها ومنزلتها .

وإلا فمن يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال تقعدها عن واجباتها التى خلقت من أجلها ؟

ومن منا يرضى أن يزجّ المرأة بأعمال شاقة ترهق جسمها ، وتفقدها أنوثتها ، وتسبب لها الأمراض والعاهات ؟

ومن منا يرضى أن يزج المرأة في وظائف مختلطة تكون سبباً في تلويث عرضها ، وتدنيس شرفها ؟

وهل من شيء أغلى على المرأة من العرض والشرف ؟

والذي نخلص إليه بعد ما تقدم أن العمل اليدوى ، والاختصاص المهني هو من أحل المكاسب وأشرف الأعمال ، فلنوجه أولادنا إليه ، وليكن دائماً اعتمادهم عليه !! لنحفظ لهم كرامتهم ، ونصون لهم شخصيتهم ، ونحقق لهم في الحياة معيشتهم !!.

* * *

٢ – مراعاة استعدادات الولد الفطرية :

من الأمور الهامة التي يجب أن يدركها المربون جيداً ، وأن يهتموا بها ، ويوجهوا نظرهم إليها .. معرفة ما يميل إليه الولد من صنائع ، وما يناسبه من أعمال ، وما ينشده في الحياة من آمال وأهداف ..

ولاشك أن الأولاد يختلفون فيما بينهم أمزجة وذكاء وطاقة واتزاناً .. فالمربي الحكيم أو الأب الحصيف هو الذي يضع الولد في المكان المناسب الذي يتفق مع ميوله ، وفي البيئة الملائمة التي يصلح أن يكون فيها .

فإن كان الولد من النوع الذكي وعنده الرغبة الأكيدة في متابعة الدراسة وإتمام التحصيل فعلى المربي أن يسهل له الأسباب للوصول إلى غايته ، وتحقيق أمله .

وإن كان الولد من النوع المتوسط ذكاءً ، وعنده الميل الى تعلم صنعة من الصنائع ، أو مهنة من المهن .. فعلى المربي أن ييسّر له الأمور حتى يصل إلى هدفه المنشود .

وإن كان الولد من النوع البليد فعلى المربي أن يوجهه إلى عمل يتفق مع عقليته ، ويتلاءم مع مزاجه واستعداده .

وهذا هو معنى قول عائشة رضي الله عنها فيما رواه مسلم وأبو داود :

« **أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم** » .

حتى الدراسة التي يميل إليها الولد بطبعه ، ويعيشها بفطرته .. تختلف على حسب المزاج والميل والوجهة .. فمن كان يميل بطبيعته إلى الأدب والشعر والكتابة .. لا يستطيع أن يكون فائقاً في الهندسة والطب والرياضيات .. ومن كان يميل إلى الهندسة أو العلوم أو الطب .. لا يمكنه أن يتفوق في الشعر والأدب .

وليس من السهل أن ينبغ الولد ويتفوق في كل علم يحصله أو مادة يدرسها ، ولكن من السهولة بمكان أن يتفوق الولد وينبغ في المواد التي يحبها ويميل إليها ، أما المواد التى يكرهها ، وينفر منها فمن المحال أن يصل في دراستها إلى ذروة التفوق والنبوغ .

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه الطبراني عن ابن عباس – :

« **اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له** » .

انطلاقاً من هذه التوجيهات النبوية في مراعاة ميول الولد ، وإنزاله منزلته .. طالب علماء التربية الإسلامية ، وعلى رأسهم (ابن سينا) بمراعاة ميول الولد ، واستعداداته

الفطرية ، وقدراته الطبيعية عند إرشاده إلى المهنة التي يختارها أو الدراسة التي يتوجه إليها . وقد نادى (**ابن سينا**) بالعناية بدراسة ميول الصبي ، وجعلها أساساً لاختصاصه ووجهته حيث قال : (ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وإنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غُفْلًا من الأدب ، وعارياً من صناعة . وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب ، وأرفع الصناعات . وربما نافر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء .. ولذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسبر قريحته ، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك)[١] .

وقد عني **عبد الرحمن بن الجوزي** (المتوفي سنة ٥٩٧ هـ) كل العناية بتوضيح أهمية الاستعدادت الفطرية التي لدى الصبي ، ومراعاتها في التوجيه حيث قال :

(إن الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والكوْدَن (البغل) لا تنفعه الرياضة ، والسبع وإن رُبّي صغيراً لا يترك الافتراس)[٢] .

ومعنى هذا أن للذكاء والغباوة أثراً كبيراً في تفوّق الولد أو إخفاقه في التكوين الثقافي والإعداد العلمي ، ورحم الله من قال :

إذا ما المرء لم يولد لبيباً فليس بنافع قدم الولادة

فالمربي إذن لا يعدم وسيلة في التعرف على نفسية الولد ، وما ينطوي عليه من ذكاء وغباوة ، وما يميل إليه من دراسة أو صناعة ..

وفي استطاعته أن يشق له طريق الحياة بما يتلاءم مع مصلحته ، وما يتناسب مع رغبته .. سواء ما يتعلق بالنبوغ الدراسي أو ما يتصل بالازدهار الصناعي أو التجاري .. في كلا الأمرين نفع للعباد ، وتقدم للبلاد !!..

وعلى المربي ولاسيما الأب **أن لا يحول بين الولد وبين الرغبة التي ينشدها في الحياة** إذا كان في هذه الرغبة مصلحة تعود إليه ، وفائدة يرجوها ..

---

(١) و (٢) من كتاب « التربية الإسلامية وفلاسفتها » لمحمد عطية الابراشي صفحة : ١٩٧ .

فإن كان الولد يرغب في التحصيل العلمي وهو من الفطانة والذكاء بمكان فعليه أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة ، ولو وجد الأب في سبيل ذلك ما يثقل كاهله من النفقة والتكاليف ، وسيقطف ثمرة تضحيته حين يرى ولده فى مصافّ المفكرين العظماء ، والنابغين العلماء !!.

وإن كان يرغب في العمل المهني أو التعامل التجاري .. فعليه أن لا يحول بينه وبين هذه الرغبة ، عسى أن يتفوق في عمله واختصاصه وينبغ في مهنته وصناعته .. وفى ذلك ازدهار للاقتصاد ، وتقدم ملموس للأمة في ميادين العمل والإنتاج .. أما إذا وقف الأب حجرة عثرة في طريق الولد ، وما يتطلبه من حياته من آمال ، وما ينشده من أهداف .. فإن الولد سينصدم نفسياً ، ويتأثر صحيا .. وربما وقعت المشادة والخصومة بين الولد وأبيه ، وآل الأمر في النهاية إلى الهجر والقطيعة والعقوق ، وكان المتسبب في ذلك الأب الذي لم يحسب لهذه الأمور حسابها ، ولم يقدّر لهذه النتائج قدرها ..

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه أبو الشيخ في الثواب – :

« رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

★ ★ ★

٣ – ترك المجال للولد في اللعب والترويح :

الإسلام دين الواقع والحياة يعامل الناس على أنهم بشر لهم أشواقهم القلبية ، وحظوظهم النفسية ، وطبيعتهم الإنسانية ، فلم يفترض فيهم أن يكون كل كلامهم ذكراً ، وكل صمتهم فكراً ، وكل تأملاتهم عبرة ، وكل فراغهم عبادة .. وإنما اعترف الإسلام بكل ما تتطلبه الفطرة البشرية من سرور وفرح ، ولعب ومرح ، ومزاح ومداعبة .. بشرط أن تكون في حدود ما شرعه الله ، وفي نطاق أدب الإسلام .

ولقد بلغ السمو الروحي ببعض أصحاب النبي ﷺ مبلغاً ظنوا معه أن التعبد الدائم ، والمراقبة المستمرة لله .. لابد أن تكون عادتهم وديدنهم ، وأن عليهم أن يطرحوا وراء ظهورهم مرح الحياة ، وطيبات الدنيا .. فلا يفرحون ولا يمرحون ولا يلعبون ..

بل ظنوا أن وقتهم وفراغهم يجب أن ينصرف الى الآخرة دون أن يكون للهو المباح ، والمرح المعتدل أي نصيب من دنياهم !!..

ولنستمع إلي حديث حنظلة الاسدي رضي الله عنه - كما روى مسلم - فيما يحدث به عن نفسه :

لقيني أبو بكر وقال : كيف أنت يا حنظلة ؟

قلت : نافق حنظلة !!..

قال : سبحان الله ، ما تقول ؟

قلت : نكون عند رسول الله ﷺ ، يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ ، عافسنا (لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات ، فنسينا كثيراً !!..

قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا !.

قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ .

قلت : نافق حنظلة يا رسول الله !

فقال رسول الله ﷺ : وماذاك ؟

قلت : يا رسول الله ، نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنّا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، ونسينا كثيراً !.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ، إنْ لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذّكر ، لصافحتكم الملائكة على فرُشكم وفي طرُقكم ، ولكن يا حنظلة ، ساعة وساعة ، وكرر هذه الكلمة (ساعة وساعة) ثلاث مرات .

ورأينا في النهاية كيف أقرّ النبي ﷺ حنظلة وأبا بكر رضي الله عنهما على ملاعبة الأزواج والأولاد ..، وعلى ملاطفتهم وإدخال السرور عليهم ؟.. لكون هذا يتفق مع أمزجة البشر ، وطبيعة الإنسان ..

وهناك وسائل شرعها الإسلام في الإعداد الجسمي ، والتدريب الجهادي .. تنبىء لكل ذى عقل وبصيرة أن الإسلام هو دين واقعي يقر للمسلم اللعب البرىء واللهو المباح .. مادام في مصلحة الإسلام ، ومادام في حدود ملاطفة الأهل والعيال !!..

من هذه الوسائل : ما رواه الطبراني بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه قال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : : **مشي الرجل بين** الغرضين (للرمي) ، وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة » .

وسبق أن ذكرنا الكثير من هذه الوسائل في مواطن عدّة من بحوثنا في هذا الكتاب .. فارجع إليه - أخي المربي - لترى بأمّ عينيك سماحة هذا الدين ، وعظمة هذا الإسلام !!.

وإذا كان اللعب البريء ، والترويح عن النفس ، والإعداد الجسمي والرياضي .. من الأمور اللازمة للمسلم فإن لزومها للولد وهو صغير من باب أولى . وذلك لأمرين هامين :

الأول : لأن قابلية الولد للتعلم وهو صغير أكثر من قابليته وهو كبير لحديث : « العلم في الصغر كالنقش في الحجر » رواه البيهقي والطبراني .

الثاني : لأن حاجة الولد إلى ظاهرة اللعب والمرح والترويح .. وهو صغير أكثر بكثير من حاجته إليها وهو كبير لحديث « عُرامة الصبي[١] في صغره زيادة في عقله في كبره » رواه الترمذي في نوادره .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه وهو القدوة الصالحة في كل شيء كان يلاعب أبناء الصحابة ، ويروّح عن نفوسهم ، ويدخل السرور عليهم ، ويمرح معهم ، ويستأنس بهم ، ويشجعهم على اللعب البريء ، والمرح المباح !!..

وإليكم بعض النماذج :

١ - أخرج الإمام أحمد باسناد حسن عن عبد الله بن الحارث رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يصفّ عبد الله وعبيد الله وكثيّر بن العباس رضي الله عنهم ثم يقول : « من سبق إلي فله كذا وكذا » ، قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلتزمهم .

---

(١) عُرامة الصبي : أي لعبه وحيويته وقوة حركته واجتماعه مع غيره .

٢ – وأخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي ﷺ فقلت : نعم الفرس تحتكما ! فقال عليه الصلاة والسلام : « ونعم الفارسان هما » .

٣ – وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال : دخلتُ على النبي ﷺ فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ، ثم بسط يده فجعل يفر ههنا وههنا ، فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه ، ثم اعتنقه وقبله ، ثم قال : « حسين مني وأنا منه !!.. أحبّ الله من أحبّه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط » .

السبط : هو ولد الولد .

٤ – وروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة (أى على يديه ورجليه) وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول « نعم الجمل جملكما ، ونعم العدلان أنتما » .

٥ – أخرج مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوما لحاجة ، فقلت : والله لا أذهب ، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله ﷺ ، فخرجتُ حتى أمُرّ على صبيان وهم يلعبون في السوق ، فإذا برسول الله ﷺ بقفاي من ورائي ، فنظرت إليه وهو يضحك ، فقال يا أُنيس : ذهبت حيث أمرتك ؟ قال : قلت نعم أنا ذاهب يارسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته تسع سنين ما علمتُه قال لشيء صنعتُه : لم فعلتَ كذا وكذا ؟ أو لشيء تركته : هلا فعلت كذا وكذا » .

٦ – ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه – فيما رواه البيهقي – : « علموا أولادكم السباحة ، والرماية ، ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثباً » .

فانطلاقاً من ملاعبة النبي ﷺ للصبيان ، وملاطفتهم والترويح عن نفوسهم .. نادى علماء التربية الإسلامية بحاجة الطفل إلى اللعب والمرح والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه أو عمله ..

ولنستمع الى ما يقوله الإمام (**الغزالي**) في إحيائه في هذا الشأن : وينبغي أن يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب ، فإن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالتعليم دائماً يُميت قلبه ، ويبطل ذكاءه ، وينغّص عليه العيش ، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأساً ..

وقد ذهب (**العبدرى**) ما ذهب اليه الغزالي بضرورة اللعب والترويح عن النفس للطفل بعد ساعات الدرس ، أو الانتهاء من العمل !!..

ومن المعلوم أن الحكمة من هذا اللعب إزالة ما يحس به الولد من السآمة والملل والتعب ، وتجديد لنشاطه وحركته وصفاء ذهنه ، وترويض لجسمه من أن يصاب بالأمراض والآفات !!..

ولكن على المربي أن يلحظ في لعب الأولاد أمرين هامين :

الأول : ألّا يؤدى اللعب الى الإرهاق الزائد ، والمشقة المؤذية لأن في ذلك ضرراً للبدن ، وإضعافاً للجسم ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لا ضرر ولا ضرار » .

الثاني : ألّا يكون هذا اللعب على حساب واجبات أخرى يجب أن يتلقنوها ، أو يكلفوا بها .. لأن في ذلك إضاعة للوقت ، وقتلًا للفائدة .. والنبي ﷺ يقول :

« **إحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** .. » رواه مسلم .

★ ★ ★

٤ – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة :

ومن العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الولد العلمية والروحية والجسمية .. إيجاد التعاون الوثيق بين البيت والمدرسة والمسجد .

● ومن المعلوم أن **مسؤولية البيت** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الجسمية**

للإثم الكبير الذي ينال مَنْ يضّيع حق أولاده ، ويهمل معيشة عياله !!..

روى أبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : « كفى بالمرء إثما ان يضيّع من يقوت » . وفي رواية لمسلم : « كفى بالمرء إثما أن يحبس عمن يملك قوته » .

● ومن المؤكد أن **رسالة المسجد في الإسلام** تتركز في الدرجة الأولى على **التربية الروحية** ، لما لصلاة الجماعة ، وقراءة القرآن الكريم من فيوضات ربانية ، ورحمات إلهية لا تنتهى ولا تنقطع .. روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تضعّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لا يُخرِجه إلا الصلاة ، لم يخطُ خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطّت عنه بها خطيئة ، فإذا صلّى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلّاه مالم يُحدِث ، تقول : اللهم ارحمه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » .

– وروى مسلم عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده »

● ومن الأمور التي لا يختلف فيها اثنان أن مهمة المدرسة تتركز في الدرجة الأولى على **التربية العلمية** لما للعلم من أثر كبير في تكوين الشخصية ، ورفع كرامة الإنسان !!..

ومن هنا كان فضل العلم عظيماً في نظر الإسلام :

فمن فضائله أن « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذي .

ومن فضائله أن « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

ومن فضائلة « أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما صنع ، وإن العالم ليستغفر له مَن في السموات ومَن في الأرض حتى الحيتان في الماء .. » ؟ رواه أبو داود والترمذي .

ومن **فضائله** أن « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب » رواه أبو داود والترمذي .

فحينما نقول بتعاون البيت مع المسجد والمدرسة ، فمعنى هذا أن الولد قد اكتملت شخصيته ، وتكون روحياً وجسمياً وعقلياً ونفسياً .. بل كان العضو الفعال في تقدم أمته ، وإعزاز دينه ..

ولكن هذا التعاون لا يتم على الوجه الأكمل إلا بتحقيق شرطين أساسيين :

الأول : ألّا يكون هناك ازدواجية وتناقض بين توجيه البيت والمدرسة .

الثاني : أن يكون التعاون هادفاً لإيجاد التكامل والتوازن في بناء الشخصية الإسلامية . فاذا تم التعاون ضمن هذين الشرطين المذكورين .. فالولد يكتمل روحياً وجسمياً ، ويتكون عقلياً ونفسياً .. بل يكون إنساناً متوازناً سويًّاً .. ينال إعجاب الناس ، ويشار إليه بالبنان !!..

وفي مجال التعاون مع المدرسة أريد أن أضع بين يدي الآباء والمربين الحقائق التالية :

(أ) إن كثيراً من الأساتذة والمعلمين في مدارسنا وجامعاتنا (لا يعرفون من التربية الصحيحة إلا أنها تقليد للأجنبي في سلوكه وأخلاقه ، ومحاكاة ، لأوروبا في عاداتها وتقاليدها ، واستجداء للشرق أو الغرب في مبادئه ومعتقداته وأفكاره ..

وها هم أولاء يربّون أبناء المسلمين على الطريقة الغربية الملتوية ، والنهج الإلحادي المنحرف .. لأن عواطفهم الدنسة ، وقلوبهم الخاوية ، وعقولهم الفارغة تعشقت أوروبا العاهرة ، والشيوعية الكافرة .. واستنقعت بحبّ المادة ، ومظهرها البرّاق ..

(ب) وإن الكتب المدرسية التي يدرسها الطلاب في مدارسهم مليئة بالدس والتشكيك ، والطعن بالأديان ، والدعوة إلى الكفر والإلحاد .. ونذكر على سبيل المثال بعض ما جاء فيها ، جاء في **كتاب المجتمع** لصف الشهادة الثانوية في سورية : (إن كل دعوة لإنشاء كيانات سياسية على أسس دينية

إنما هي دعوة غبية) . **وفي كتب العلوم** عرض لنظرية (دارون)[١] على أنها حقيقة علمية ، لاتخاذها ذريعة للتشكيك بالخالق ، علماً أن العلم أبطلها ، وألقاها في سلة المهملات . **وفي كتب الأدب** تركيز على الحجاب الإسلامي ، ووَصَمهُ بأنه تأخر ورجعية ، وتركيز على التاريخ الإسلامي ، ووصفه بأنه تاريخ إقطاع واستبداد وانحلال ..)[٢] .

(ج) إن تعليم الدين ضئيل جداً بالنسبة لسائر المواد العلمية والأدبية التي يتلقنها الطالب في المدرسة ، فالمسلم – والحال هذه – لا يمكنه أبداً أن يتقن تلاوة القرآن الكريم ، ولا أن يتعرف على أحكام الشريعة ، ولا أن يحيط بحقائق السيرة والتاريخ !! لكون المدرسة لا تعطي هذا كله ، فيتخرج الطالب من المدرسة محدود الثقافة ، قاصر الفهم في نظام الإسلام ، وعلوم القرآن وتاريخ الجدود الأمجاد !!..

فإذا لم يقم المربي في البيت بمسؤوليته التربوية على الوجه الأكمل .. فربما انحرف الولد في عقيدته ، أو تميّع في أخلاقه .. فعندئذ لا ينفع مع الولد توجيه ، ولا يجدي في تقويم إعوجاجه إصلاح ..

والذي أخلص إليه بعد ما تقدم أن الاب في البيت مسؤول أولا عن تربية الولد الجسمية والخلقية إذا كان الولد في المسجد يتربى روحياً ، وفي المدرسة يتكونّ عقيدياً وعلمياً وثقافياً ..

أما إن شعر أن الولد في المدرسة لا يتربى على مبادىء العقيدة الإسلامية ، ولا يأخذ حظه من تعاليم الشريعة .. فعليه أن ينهض بمسؤوليته الشاملة في تربية الولد على كل ما يتصل بالإسلام عقيدة وعبادة وأخلاقاً وتشريعاً .. بل عليه أن يضاعف جهده ، ويكرس وقته في كل ما يعود على الولد بالنفع الكبير ، والخير العميم .. كما

---

(١) تتلخص النظرية على أن أصل الإنسان جرثومة حية ، ثم تطورت من حال إلى حال حتى وصلت الى قرد ، ومنه إلى انسان ، ارجع إلى كتابنا « شبهات وردود » لترى الرد العلمي على النظرية ، وكيف تهاوت تحت مطارق البحث والمنهج العلمي ؟

(٢) من رسالتنا « إلى ورثة الأنبياء » صفحة : ٤٢

عليه أن يربط الولد بالمسجد والعالم الرباني ، أو ما يتعلق بربطه بالرفقة الصالحة ، أو بربطه بالدعوة الواعية .. وبهذا يكون الأب أو المربي قد أحاط الولد بسياج من العقيدة الإسلامية الراسخة ، وبمناعة من الخلق الإسلامي القويم .. فعندئذ لا يتأثر بزيغ أو إلحاد ، ولا ينساق وراء ميوعة أو انحلال !! ..

★ ★ ★

٥ – تقوية الصلة بين المربي والولد :

من القواعد التربوية المجمع عليها لدى علماء الاجتماع والنفس والتربية .. تقوية الصلة ما بين المربي والولد ، ليتم التفاعل التربوي على أحسن وجه ، ويكتمل التكوين العلمي والنفسي والخلقي .. على أنبل معنى !! ..

ومن المؤكد لدى أصحاب العقول النيّرة أنه إذا كان ثمة جفوة ما بين الولد والمربي أو ما بين الطالب والأستاذ .. فلا يمكن أن يتم تعليم ، أو تتحقق تربية .. لذا وجب على الآباء والمربين أن **يبحثوا عن الوسائل الإيجابية** فى تحبيب الأولاد بهم ، وتقوية الصلة بينهم ، وإيجاد التعاون معهم ، واستشعار الشفقة عليهم ..

فمن هذه الوسائل ألّا تفارق ثغر المربي الابتسامة للولد ، لما روى الترمذي عن أبي ذر : « تبسمك في وجه أخيك صدقة » .

ومن هذه الوسائل تشجيع الولد بالهدية في كل أمر يحسنه ، أو دراسة يتفوق بها ، لما روى الطبراني في الأوسط عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « تهادوا تحابّوا » .

ومن هذه الوسائل استشعار الولد الاهتمام به والشفقة عليه ، لما روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم » .

ومن هذه الوسائل معاملة الولد بحسن الخلق ، وسياسة الملاطفة ، لما روى الترمذي والنسائي والحاكم ، وقال : رواته ثقات عن أبي هريرة رضى الله عنه : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وألطفهم بأهله ».

ومن هذه الوسائل تلبية المربي رغبة الولد لتكون عوناً له على برّه ، لما روى أبو الشيخ عن النبي ﷺ أنه قال : « رحم الله والداً أعان ولده على برّه » .

ومن هذه الوسائل اندماج المربي بالولد ، والمباسطة معه ، والتصابي له ، لما روى الطبراني عن جابر قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربعة ، وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ، ونعم العِدْلان أنتما » ..

ونبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه - وهو المربي الأول ، والقدوة الصالحة للناس جميعا - كان المثل الأعلى في تطبيق هذه الوسائل الإيجابية بين أصحابه ، وبين كل من يلوذ به من أهل وولد ..

فمن ناحية التبسم يقول أبو الدرداء - كما روى الإمام أحمد - : « ما رأيت أو سمعت رسول الله ﷺ يحدّث حديثاً إلا تبسّم » .

ويروي الترمذي عن جرير بن عبد الله : ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ، ولا رآني إلا تبسَّم » .

ومن ناحية المهاداة ، فكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ويثيب عليها .

ومن ناحية الرحمة بالأولاد ، والاهتمام بهم ، والشفقة عليهم ..

كان عليه الصلاة والسلام يمسح رؤوس الصبيان ، ويقبلهم ، جاء فى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين ابني عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي ، فقال الأقرع : إن لي عشرة ما قبلتُ منهم أحداً قط ! فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « مَن لا يَرحم لا يُرحم » .

وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ « كان إذا أُتى بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان » .

وروى الشيخان عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي ، مما أعلم من شدة وجْدِ أمه » .

ومن ناحية حسن أخلاقه ، وملاطفته لأصحابه عليه الصلاة والسلام فإنها أكثر من أن تحصى ..

– جاء فى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين ، فما قال لي أفٍ قط ولا قال لشيء صنعته : لم صنعتَه ؟، ولا لشيء تركتُه : لم تركته ؟ وفي رواية لأبي نعيم : قال أنس : فما سبّني ﷺ قط ، ولا ضربني من ضربة ، ولا انتهرني ، ولا عبس في وجهي ، ولا أمر في أمر فتوانيتُ فيه فعاقبني عليه ، فإن عاتبني عليه أحدٌ من أهله قال : « دعوه لو قدر شيء كان » .

وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته ؟ فقالت : (كان ألين الناس ، بسّاماً ضحّاكا ، لم يُرَ قطّ مادًّا رجليه بين أصحابه) وذلك لعظيم أدبه ، وكمال وقاره عليه الصلاة والسلام .

– روى الترمذي وابن ماجه والبخاري في الأدب المفرد عن عليّ كرم الله وجهه قال : استأذن عمار على النبي ﷺ ، فعرف صوته فقال : « مرحباً بالطيّب المطيّب » .

– أخرج الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يلقى الرجل فيقول له : « يا فلان كيف أنت ؟ فيقول : بخير أحمد الله ، فيقول له النبي ﷺ : – جعلك الله بخير » .

– روى الطبراني عن جرير بن عبد الله البَجَلي رضي الله عنه قال : لما بُعث النبي ﷺ أتيتُه فقال : « ما جاء بك ؟ » ، قلتُ : جئت لأسلم ، فألقى إلي كساءه وقال : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

– وروى مسلم عن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنه : أكنت تجالس رسول الله ﷺ ؟، فقال جابر : نعم كثيراً ، كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلّاه الذي يصلّى فيه الصبح حتى تطلع الشمس ، فإذا طلعت قام ، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم عليه الصلاة والسلام .

– وفى الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : إنْ كان النبي ﷺ ليخالطنا – أي ليلاطفنا ويمازحنا – حتى يقول لأخ لي : (يا أبا عمير ، ما فعل النُّغَير ؟)

أي – الطير – لأنه كان له (نُغَيْر) يلعب به فمات ، فحزن عليه فقال النبي ﷺ له : (يا أبا عمير ، ما فعل النغير ؟) ..

فانطلاقاً من هذه الوسائل الإيجابية التي كان يعامل بها النبي ﷺ أصحابه ، ويقابل بها الناس حتى الصغار والصبيان .. أحبّه الأصحاب محبة صادقة مخلصة ، وبذلوا نفوسهم إيماناً به ، وفداء له ، وحباً فيه ، فكانوا كما وصفهم الله سبحانه : (لا يرغبون بأنفسهم عن نفسه) ، ولا يؤثرون أحداً عليه .

– ومما يؤكد هذه المحبة الصادقة المخلصة قول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ، وقد سئل كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : « كان رسول الله ﷺ أحبّ إلينا من أموالنا وأولادنا ، وآبائنا وأمهاتنا ، وأحب إلينا من الماء البارد على الظمأ » .

– ومما يؤكد هذه المحبة ما رواه البيهقي وابن اسحاق أن امرأة من الأنصار قد قتل أبوها وأخوها وزوجها ، شهداء يوم أحد مع رسول الله ﷺ ، فقالت لما أُخبرت بذلك : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ (وأرادت بذلك السؤال عن سلامته وبقائه) ، قالوا : خيراً هو بحمد الله كما تحبّين .

فقالت : آرونيه حتى أنظر اليه ، فلما رأته عليه الصلاة والسلام قالت : « كل مصيبة بعدك جلل » ، أي بعد سلامتك هينة ..

– ومما يؤكد هذه المحبة **أنه لاصبر لهم على مفارقته في الدنيا وفي الآخرة** ..

روى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها .. أن رجلا – هو ثوبان – أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله لأنت أحبّ إلي من أهلي ومالي ، وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء إليك ، وإني ذكرتُ موتي وموتك فعرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعْتَ مع النبيين ، وإن دخلتها لا أراك أبداً . فأنزل الله تعالى هذه الآية :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ﴾(النساء : ٦٩) ، فدعا به النبي ﷺ فقرأ الآية عليه .

- ومما يؤكد هذه المحبة **بكاؤهم عند ذكره** ﷺ .

أخرج ابن سعد عن عاصم بن محمد عن أبيه قال : ما سمعت ابن عمر ذكر رسول الله ﷺ إلا ابتدرت عيناه تبكيان .

وروى ابن سعد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال : ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى ﷺ ، ثم يبكي .

وروى ابن عساكر بسند جيد - كما نص عليه الحافظ الزرقاني - عن بلال رضي الله عنه أنه لما نزل (بداريّا) - اسم مكان قريب من الشام - رأى النبي ﷺ في المنام - أي بعد وفاته - وهو يقول : ما هذه الجفوة يا بلال ؟ أما آن لك أن تزورني ؟ فانتبه بلال حزيناً خائفاً . فركب راحلته ، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرّغ وجهه عليه .

فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فجعل بلال يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : نتمنى أن نسمع أذانك الذي كنت تؤذّن به لرسول الله ﷺ فى المسجد . فعلا سطح المسجد ، ووقف موقفه الذي كان يقف فيه فلما قال : « الله أكبر ، الله اكبر » : ارتجّت المدينة ، فلما قال : « أشهد أن لا إله إلا الله » ازدادت رجتها ، فلما قال : « أشهد أن محمداً رسول الله » خرجت العواتق - النساء - من خدورهن وقالوا : أبُعث رسول الله ﷺ ؟! فما رؤي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ أكثر من ذلك اليوم .

وذلك لتذكرهم رسول الله ﷺ بسبب سماع الأذان من مؤذنه بلال رضي الله عنه .

- ومما يؤكد هذه المحبة **ضجيج بكاء الصحابة لوفاته عليه الصلاة والسلام** ..

أخرج الواقدي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : بينما نحن مجتمعون نبكي لوفاة رسول الله ﷺ لم نَنَمْ ، ورسول الله ﷺ في بيوتنا ، ونحن نتسلّى برؤيته على السرير . إذ سمعنا صوت الكرازين - أي صوت الفؤوس يحفر بها - في السحر ، وأذن بلال الفجر وانتحب . فزادنا حزناً ، وعالج الناس الدخول - أى الوصول إلى القبر - فغُلق دونهم - (أي منعوا من الهجوم إلى القبر الشريف وقت الدفن) .

قالت أم سلمه رضي الله عنها : فيالها من مصيبة !، ما أصبنا بعدها بمصيبة إلا هانت إذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ .

يقول أبو العتاهية في هذا المعنى :

اصبر لكـل مصيبـة وتجلَّـد
واعلم بأن المرء غير مخلّد
أو َما ترى أن المصائب جَمَّةٌ
وتـرى المنيـةّ للعبـاد بمرصد
مَن لم يُصَبْ ممن ترى بمصيبةٍ
هذا سبيل لست فيه بأوحد
فإذا ذكرتَ محمداً ومصابَه
فاذكر مصابك بالنبيّ محمد

فمما عرضناه آنفاً من الوسائل الإيجابية التي وجه إليها نبيّ الإسلام صلوات الله وسلامه عليه في التحبب إلى الناس ، وتوثيق أواصر المودة لهم ، واستشعار معنى الاهتمام بهم ، وإيجاد روح التعاون معهم .. يتبين لكل ذي عينين أن من أكبر الأسس في تكوين الشخصية الإسلامية ، وتربيتها على الفضائل . وتعويدها على خلق المكارم .. هو توثيق أواصر المحبة والإخاء والتفاهم .. ما بين المربي والولد .. لتتحقق بينهما الفائدة المرجوّة ، والأثر الطيب . ويقطف المربي ثمرة سعيه ، ويجني حصاد زرعه .. ويرى الولد يرتع في رياض الصالحين الأخيار ، ويسرح في رحاب المتقين الأبرار !!..

فإذا أردت – أخي المربي – أن يستجيب ولدك إلى ندائك ، ويصغي إلى نصحك وإرشادك .. فما عليك إلا أن تسير على هدي الإسلام ، في التحبيب إلى الولد ، وتتأسى بالنبي ﷺ في معاملته لأصحابه ، وحسن معاشرته لجلسائه .. وبهذا تكون قد سلكت سبيل التربية القويمة ، وأخذت بأفضلها ، وبالتالي تكون أيضاً قد ملكت قلب ولدك ، وشُغِفَ بك حبًّا ، وتعلق بك قلباً ، وتَقَبَّل كل ما ترشد إليه من نصح ، وما تسعى إليه من إصلاح !..

★ ★ ★

٦ – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة :

من أوجب المسؤوليات التي يجب أن يهتم المربي بها ، ويسعى إليها .. تسيير الولد على منهج تربوي رتيب في اليوم والليلة حتى يعتاده ، ويدرج عليه ، ويجد تنفيذه في المستقبل أمراً عادياً مألوفاً .. لكونه تأصل في كيانه ، وترسّخ في شعوره وفؤاده ..

وإليك – أخي المربي – تفاصيل هذا المنهج مستوحى من هدي الإسلام لعلك تأخذ به وتسير عليه :

(أ) عند الصباح يتبع المربي المنهج الآتي :

● فما أجمل أن يرافق انتباهك وانتباه ولدك من النوم ذكر الله عز وجل ، وذلك بقراءة الدعاء المأثور : (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور) رواه البخاري ومسلم .

« لا إله إلا أنت ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أستغفرك لذنبي ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدني علماً ، ولا تُزِغْ قلبي بعد إذ هديتني ، وهب لي من لدنك رحمةً ، إنك أنت الوهاب » رواه أبو داود .

● ثم إن كان للولد حاجة إلى دخول بيت الخلاء فعلمه – أخي المربي – **آداب الدخول ، وآداب الاستنجاء :**

– علّمه أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، وتقديم اليمنى خروجاً ، لورود البدء بالتيامن فيما هو شريف ، والبدء بالتياسر فيما هو دنيء .

علّمه عند دخوله إلى الخلاء الدعاء بالمأثور : « اللهم إني أعوذ بك من الخُبث[1] والخبائث » رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

– علمه ألا يصحب معه ما فيه ذكر الله بشكل ظاهر ، لما روى أصحاب السنن عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله إذا دخل الخلاء وضع خاتمه . وكان منقوشاً عليه (محمد رسول الله) كما روى الحاكم .

---

(١) المراد بالخبث والخبائث : ذكران الشياطين وإناثهم .

– علّمه أن يبتعد عن أعين الناس إذا كان في الفلاة ، لما روى أبو داود عن جابر رضي الله أن النبي ﷺ كان إذا أراد البَرَاز انطلق حتى لا يراه أحد .

– علمه ألا يستقبل القِبْلة ولا يستدبرها ، لما روى البخاري ومسلم .. عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا أتيتم الغائط ، فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، ولكن شرّقوا وغرّبوا » .

– علمه ألا يقضي حاجته في ظل الناس وطريقهم وأماكن جلوسهم ، لما روى مسلم وأحمد .. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا اللاعنيْن(١) ، قيل : وما اللاعنان ؟ قال : الذي يتخلّى في طريق الناس أو ظلهم » .

– علّمه ألا يتكلم مطلقاً عند قضاء الحاجة ، لمّا روى مسلم وغيره .. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلًا مرّ على النبي ﷺ – وهو يبول – فسلّم عليه ، فلم يردّ السلام .

– علّمه أن يستبرىء من البول ، وأن يتجنب النجاسة حتى لا تصيب ثوبه أو بدنه ، لأن عامة عذاب القبر من عدم الاستبراء من البول ، لما روى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » .

– علمه ألّا يستنجي بيمينه ، لما جاء في الصحيحين عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا بال أحدكم فلا يأخذ ذَكَرَهُ بيمينه ، ولا يستنج بيمينه ، ولا يتنفس في الإناء » .

– علّمه أن يجمع ما بين المسح بالورق والماء في حالة الاستنجاء فإن هذا الجمع أفضل ، لما روى البزار وابن ماجه والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ

---

(١) اللاعنين : الأمرين الجالبين للعن ، الداعين إليه . وهما التغوّط في الطريق أو الظل .

قال لأهل قباء : « إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور ، فما ذاك ؟ قالواَ : نجمع في الاستنجاء بين الأحجار[١] والماء » .

– علمّه عند الخروج من الخلاء أن يقدم رجله اليمني ويدعو بالدعاء المأثور :

« **غفرانك** » رواه أبو داود والترمذي .

« **الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني** » ابن ماجه .

وقد ورد : « الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى فيّ قوّته ، ودفع عني أذاه » .

– علمه عند الخروج من الخلاء أن يغسل يديه بالماء والصابون ، لما روى النسائي عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال : « كنتُ مع النبي ﷺ ، فأتى الخلاء ، فقضى الحاجة ، ثم قال : يا جرير هاتِ طَهوراً ، فأتيته بالماء ، فاستنجى ، وقال بيده ، فدلك[٢] بها الأرض » .

● **ثم اشرع معه بالوضوء :**

– بيّن له فضل الوضوء ، وأنه يغفر الذنوب ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه ، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، فإذا غسل رجليه ، خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء ، حتى يخرج نقياً من الذنوب » .

– علمّه الدعاء بالمأثور بعد الفراغ من الوضوء :

« أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » رواه مسلم وأحمد ..

« اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين » رواه الترمذي .

---

(١) الآن يقوم الورق مقام الحجر .

(٢) والآن يقوم الصابون مقام الدلك بالتراب .

« سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » رواه النسائي .

– علمّه أن يصلي ركعتين بعد كل وضوء ، لما روى مسلم وأحمد .. عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ، ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه إلا وجبت له الجنة »[1] .

● ثم اشرع معه في أن يصلي ما تيسر من الليل :

لما روى مسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتح الصلاة بركعتين خفيفتين » .

وقبل الصلاة يدعو بدعاء التهجد ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال :

« اللهم ربنا لك الحمد ، أنت قيّم السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت مَلِكُ السموات والأرض ومَن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والنار حق ، والجنّة حق ، والنبيون حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمتُ وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت : أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ، ولا إله غيرك » .

وليس لصلاة الليل عدد معين ، فليصلّ طاقته ويسره ، وليصلّ ركعتين ، ركعتين .. ، لما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « صلاة الليل مثنى مثنى ، فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة » .

---

(١) أما كيفية الوضوء وآدابه فيمكنك – أخي المربي – أن ترجع الى أي كتاب من كتب الفقه للاستفادة والتعليم ، واذكرك بسنة السواك الذي ورد فيه أكثر من مائة حديث .

– ومن فضائل قيام الليل أنه **سبيل إلى الجنة** ، لما روى الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أيها الناس : أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » .

– ومن فضائله **أن القائم بالليل يكتب عند الله من الذاكرين والذاكرات** ، لما روى أبو داود عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ايقظ الرجل أهله من اللّيل فصلّيا أو صلّى ركعتين جميعاً كُتب في الذاكرين والذاكرات » .

– ومن فضائله أنه **قربة إلى الله** ، **ومكفر للخطايا** ، لما روى الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه عن رسول ﷺ أنه قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقُرْبَة إلى ربكم ، ومَكْفَرَةٌ للسيئات ومنهاة عن الإثم » .

● **ثم اشرع في أن يصلي صلاة الفجر في المسجد** :

علّمه الدعاء بعد الأذان ، لما روى مسلم وأبو داود وغيرهما عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قال : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول(١) ، ثم صلوا عليَّ ، فإنه من صلى عليَّ صلاة ، صلى الله عليه بها عشراً ، ثم سلوا الله لي الوسيلة : فإنها منزلة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة : حلّت له الشفاعة » .

والدعاء بعد الأذان يكون بالصيغة التي صحت عن رسول الله ﷺ .

روى البخاري وغيره عن جابر رضي الله عنه قال : من قال حين يسمع النداء : « اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ، حلّت له شفاعتي يوم القيامة » .

---

(١) أى أن يقول مثل ما يقول المؤذن تماماً إلا في قول المؤذن ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح فإنه يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » كما روى الإمام مسلم ...

– بين له فضيلة صلاة الجماعة في المسجد ، لما روى أبو داود والترمذي عن بريدة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « بشّروا المشّائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواتُه إحداها تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة » .

وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » .

– علمّه قراءة التسبيحات والدعاء بعد الفراغ من الصلاة ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « مَن سبّح الله تعالى في دبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين ، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين ، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين ، فتلك تسعة وتسعون ، ثم قال تمام المائة : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت له خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر » .

الدعاء الوارد بعد صلاة الفجر والمغرب :

« **لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** » عشر مرات (الترمذي) .

« **اللهم أجرني من النار** » سبع مرات (أبو داود) .

« **اللهم إني أسألك الجنة** » ثماني مرات .

الدعاء الوارد بعد كل صلاة :

« **اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام** » .
(مسلم وغيره) .

« **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك** » .
(ابو داود والنسائى)

« **رب قني عذابك يوم تبعث عبادك** » .

(مسلم)

آية الكرسي ، ثم : قل هو الله أحد ، ثم : المعوذتين قل أعوذ برب الفلق .. قل أعوذ برب الناس ..

« سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر » ثلاثاً وثلاثين مرة .

(مسلم)

قل في تمام المئة :

« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير » .

(مسلم)

الى غير ذلك من الأدعية المأثورة ...

بيّن له كراهية صلاة النافلة بعد صلاة الصبح ، وبعد صلاة العصر ، لما روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : قال « لا صلاة بعد الصبح حتى ترتفع الشمس ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغيب الشمس » .

– بيّن له كراهية الصلاة مطلقاً عند شروق الشمس ، وعند الظهيرة ، وعند الغروب[١] ، لما روى مسلم وغيره عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : « ثلاث ساعات كان رسول الله ﷺ ينهانا أن نصلي فيهن ، أو نقبر فيهن موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تَضيّف (تميل) الشمس للغروب حتى تغرُب » .

- **ثم اشرع معه بأذكار الصباح :**

لورود الأمر بالذكر والحض عليه :

قال تعالى :

﴿ فاذكروني أذكركم ﴾

(البقرة : ١٥٢)

---

(١) ويقدر الشروق ، وقبيل الظهيرة ، والغروب بنصف ساعة تقريباً .

وقال أيضا :

﴿ **واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين** ﴾ .

(الأعراف : ٢٠٥)

وقال كذلك :

﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ، وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ .

(الاحزاب : ٤١)

– وقال عليه الصلاة والسلام : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم » رواه الشيخان .

– وروى الشيخان عنه ﷺ : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت . » .

– روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ، ما لقيت من عقربٍ لدغتني البارحة ، قال : أمّا لو قلتَ حين أمسيت : « أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق » لم تضرك .

– وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول إذا أصبح : « اللهم بك أصبحنا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور » ، وإذا أمسى قال : « اللهم بك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير »[١] .

- **ثم اشرع معه بتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم :**

لما ورد من أحاديث صحيحة في فضل تلاوة القرآن الكريم :

– روى مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه » .

---

(١) ارجع إلى المأثورات للإمام الشهيد حسن البنا تغمده الله في رحمته ، ففيها مجموعة جيدة من الأدعية والأذكار الصباحية والمسائية مسندة بالأحاديث الصحيحة .

– وروى البخاري عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « خيركم من تعلّم القرآنَ وعلّمه » .

– وروى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَن قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : ألم حرف ، ولكن : ألف حرف : ولام حرف ، وميم حرف » .

ولا تترك التلاوة لنفسك وولدك ولو على آيات يسيرات في كل يوم ، وخير العمل أدومه وإن قلّ .

● **ثم اشرع معه بتدريبات رياضية :**

امتثالاً لقوله تبارك وتعالى :

« **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** .. » . **(الانفال : ٦٠)**

وتحققاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير » .

وانطلاقاً من نماذج ترويحية ، ومواقف ترفيهية ، ومبادىء تكوينية وإعدادية .. خط معالمها نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه ، وأظهر تطبيقاتها في عالم الواقع .. لتكون للمربين قدوة .. وقد سبق الكلام عنها في بحث مضى قبل قليل .

وهذه التدريبات تشمل جميع أنواع الرياضة من جري ، وحركات سويدية ، وقفْزٍ ، ومصارعة ، وحمل أثقال ، وغير ذلك .

وما أجمل المربي حين يجمع مع من له في عنقه حق التربية بين العبادة والجهاد ، وبين المرح وإعداد وسائل القوة ، وبين الجد والمرح ، وبين الدين والدنيا ، وبين الآخرة والأولى ..

وما أكرمه عند الله وعند الناس حين يُظهر بتوجيهه وفعله واقعية الإسلام ، وسماحة هذا الدين ، وحسن المعاملة لرياحين القلوب ، وفلذات الأكباد !!..

• **ثم اشرع معه بمطالعة ثقافية :**

امتثالا لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **وقل رب زدني علماً** ﴾ .

(طه : ١١٤)

وتحققاً لقوله عليه الصلاة والسلام : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهّل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

والولد إن كان طالباً فالمطالعة تكون مدرسية ، حيث يجلس في هذه الساعة الصباحية ليحضر ما يجب تحضيره من إعداد الدروس ، ومراجعة البحوث ، ولا بأس في الجمع بين مطالعة الدراسة ، ومطالعة الثقافة العامة ، لينضج الولد عقلياً ، ويتكون ثقافياً ..

والولد إن كان عاملا فالمطالعة تكون ثقافية حيث يجلس في هذه الساعة الصباحية ليطالع ما يستطيع مطالعته من فنون المعرفة ، وحقائق العلم ، عسى أن يصل إلى مستوى لائق من النُّضْج العقلي ، والوعي الثقافي ، والشمول العلمي ..

ولا بأس على المربي بأن يستعين ببعض المعلمين أو الأولاد الكبار في تكوين أولاده علمياً ، وإعدادهم دراسياً وثقافياً .. إذا كان وقته لا يسمح في تلقين الولد ، وتوجيهه وتعليمه ..

• **ثم اشرع معه بأن يصلي الضحى :**

لما ورد من أحاديث صحيحة في فضيلة صلاة الضحى :

– روى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أوصاني خليلي بثلاث : « بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن أوتر قبل أن أرقد » .

– وروى مسلم وأحمد .. عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ يصلي الضحى أربع ركعات ، ويزيد ما شاء الله » .

وأقل صلاة الضحى عند جمهور الفقهاء ركعتان ، وأكثرها ثمان ، ويبدأ وقتها بعد طلوع الشمس بنصف ساعة تقريباً ، **وينتهي إلى ما قبيل الظهر** بثلاث أرباع الساعة .

● ثم اشرع معه بتناول طعام الفطور :

على المربي أن يتقيد بآداب الطعام والشراب كما سبق ذكرها في القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) تحت عنوان (أدب الطعام والشراب) .

وأن يعلمها الأولاد ليعتادوها في حال طعامهم ، وحال شرابهم ، فتصبح لديهم خلقاً وعادة ..

فارجع – أخي المربي – إلى البحث المذكور ، لتقوم على تنفيذه مرحلة بعد مرحلة عند الاجتماع على الطعام مع أهلك وأولادك .

● ثم اشرع معه بتعليمه أدب الخروج من المنزل :

– علمه أن يلبس حذاءه أو معطفه مبتدئاً باليمين ، وفي حال الخلع يبتدىء بالشمال ، لما روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمني ، وإذا خلع فليبدأ بالشمال » .

– علمه دعاء الخروج من المنزل ، لما روى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا خرج الرجل من بيته فقال :

« **بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله** » ، يقال له : « حسبُك ، هُديت وكُفيتَ ، ووُقيت ، وتنحى عنه الشيطان » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال :

« **بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنا نعوذ بك من أن نزل أو نضل ، أو نظلم أو نظلم ، أو نجهل أو يجهل علينا** » .

● ثم اشرع معه بالتزامه آداب الطريق :

ـ علّمه أن يمشي على الأرض هوناً (مشياً ليناً رفيقاً) ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ .

(الفرقان : ٦٣)

– علّمه أن يغض بصره عن النساء الأجنبيات ، لقوله تبارك وتعالى :

﴿ قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ﴾ وقوله : **﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن .. ﴾**

(النور : ٣٠)

– علّمه أدب السلام وهو أن يسلم بلفظ (السلام عليكم) وأن يرد بلفظ (وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته) .

ويمكنك – أخي المربي – أن ترجع إلى القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) لتقرأ بحث (أدب السلام) حتى ترشد ولدك إليه ، وتُخلّقه به .

ومن أدب السلام إقراء السلام على من يعرف ومن لم يعرف ، لما روى الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ ، قال : أي الإسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام وتقرأ السلام ، على من عرفت ومن لم تعرف .

– علّمه إذا لقي أحداً من إخوانه أن يصافحه ، لما روى أبو داود والترمذي بإسناد صحيح ، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا التقى المسلمان فتصافحا ، وحمدا الله ، واستغفراه غُفر لهما » .

وفي رواية ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غُفر لهما قبل أن يتفرّقا » .

– علّمه أن يتجنب أخطار الطريق ، وذلك بأخذ الحذر من المركبات والمشي على الرصيف ، لعموم قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ .

– علّمه ألا يلقي على الأرض ما يؤذي الناس كإلقاء أشياء تسبب الانزلاق ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « لا ضرر ولا ضرار » ، كما عليك أن تعلمه أن يرفع عن الطريق ما يؤذي المارّة من رفع حجر أو إماطة ضرر ، لما روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .

- علّمه على العموم حق الطريق ، لما روى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « إياكم والجلوس في الطرقات » ، فقالوا يا رسول الله : ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها ، فقال عليه الصلاة والسلام : « فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقّه » قالوا ، وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : « **غضُّ البصر ، وكفّ الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** » .

- علّمه إن ذهب إلى المدرسة أو المصنع أن يؤدي حق الرفيق : السلام إذا لقيه ، وعيادته إذا مرض ، وتشميته إذا عطس ، وزيارته في المناسبات ، وإعانته وقت الشدّة ، وإجابة دعوته إذا دعاه ..

وقد فصلنا القول عن هذه الحقوق في بحث (حق الرفيق) في القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) فارجع اليه تجد البحث وافياً مدعماً بالدليل .

علّمه أيضاً أن يؤدي حق معلمه سواء أكان معلماً في مدرسة أو كان معلمًا في معمل : أن يتواضع له ، أن ينظر إليه بعين الإجلال والاحترام ، ألّا ينسى له فضله عليه ، أن يصبر على سوء خلقه إذا غضب ، أن يجلس بين يديه جلسة الأدب ، أن يدخل عليه باستئذان ، أن يصغي إليه عند التحدث ..

وقد فصلنا القول أيضاً عن هذه الحقوق في كتاب (التربية) الآنف الذكر ، فارجع إليه - أخي المربي - تجد البحث وافياً مدعماً بالشواهد والدليل .

وأخيراً أوصه قبل أن يخرج بتقوى الله عز وجل ، ومراقبته في السر والعلن ، والمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، والا يصحب إلا أهل التقوى والايمان ، وألا يظهر منه سوء أدب ، أو فساد خلق يسيء إلى سمعته ، ويخلّ بوقاره !..

(ب) وعند المساء يتبع المربي المنهج الآتي :

• احرص على أن تكون صلاة المغرب والعشاء في مسجد الحي :

للحديث :« صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الواحد) بسبع وعشرين درجة » رواه الشيخان .

- احرص على أن ترتدي وأولادك ثوب الزينة عند كل صلاة لقوله تبارك وتعالى :

﴿ **خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ . (الأعراف : ٣١)

- احرص على ألاّ يأكل ثوماً ولا بصلاً عند الذهاب إلى المسجد حتى لا يتأذّى الناس ، لما روى الشيخان عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل ثوماً أو بصلًا فليعتزل مسجدنا » .

- احرص على أن يظهر بمظهر الأناقة والنظافة والطّيب في المسجد وفي كل مكان ، لما روى الترمذي عن سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله طيّب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود » .

أما المرأة فلا تمسّ الطيب إذا أرادت الخروج إلى المسجد ، للحديث الذى رواه مسلم : « إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ طيباً » لعدم إثارة الفتنة بين الرجال .

- احرص على أن يكون الدخول الى المسجد بسكينة ووقار ، لما روى الشيخان عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : بينما نحن نصلّي مع رسول الله ﷺ إذ سمع جَلَبَةَ رجال (ضجّة) ، فلما صلى قال : ما شأنكم ؟ قالوا : استعجلنا إلى الصلاة ، قال : (فلا تفعلوا ، إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة ، فما أدركتم فصلّوا ، وما فاتكم فأتموا) .

- احرص على قراءة هذا الدعاء عند الخروج إلى الصلاة لما روى أحمد وابن ماجة وابن خزيمة .. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من خرج من بيته إلى الصلاة فقال :

« اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق خروجي إليك ، إنك تعلم أنه لم يخرجنى شر ولا بطر ، ولا سمعة ولا رياء ، خرجت هرباً وفراراً من ذنوبي إليك ، خرجت رجاء رحمتك ، وشفقة من عذابك ، خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذني من النار برحمتك » .

وروى مسلم أيضاً :

« **اللهم اجعل في قلبي نوراً ، وفي لساني نوراً ، واجعل في سمعي نوراً ، واجعل في بصري نوراً ، واجعل من خلفي نوراً ، ومن أمامي نوراً ، واجعل من فوقي نوراً ، ومن تحتي نوراً ، اللهم أعطني نوراً** » .

– فإذا وصلتم إلى المسجد ، فاحرصوا على تقديم الرجل اليمنى عند الدخول واقرؤوا هذا الدعاء :

« **أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم** » .

« **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد** »

« **رب اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك** » .

لما ورد فيما رواه أبو داود ومسلم والنسائي والترمذي .

– احرصوا على صلاة ركعتين تحية للمسجد قبل الجلوس ، لما أخرج الشيخان .. عن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس » .

– بعد الانتهاء من صلاة الجماعة اشرع مع أولادك بالأذكار الواردة التي سبق ذكرها .

– فإذا خرجت من المسجد قدم الرجل اليسرى عند الخروج واقرأ هذا الدعاء :

« **اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد** » .

« **ربّ اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك** » .

فاحرص على أن تعلمها أولادك ، بعد أن يقتدوا بك في تطبيقها .

● **أحرص على أن يؤدوا واجباتهم المدرسية من كتابة وظائف ، ومراجعة أبحاث ، وحل مسائل ، وفهم دروس** .. على أحسن وجه ، وأرشدهم إلى أن يتقنوا أعمالهم ، وينجزوا دراستهم على أكمل مثال تحققاً بقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه البيهقي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

«﴿ إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

ولا بأس في تذكير الولد دائماً فضيلة العلم والتعلم بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والكلمات التوجيهية ..

– فتذكيره بالآيات :

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

(الزمر : ٩)

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾

(المجادلة : ١١)

﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ .

(طه : ١١٤)

﴿ إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ .

(فاطر : ٢٨)

– وتذكيره بالأحاديث :

روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا ملعونة ، وملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه (أطاعه) ،. وعالماً أو متعلماً » .

وروى الترمذي عن أنس : « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » .

وروى الترمذي عن أبي أمامة : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم .. إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت يصلّون على معلمي الناس الخير » .

– وتذكيره بالكلمات التوجيهية :

كأن يقول المربي للولد : إن العلم يرفع من قدر الرجال ، ويجعلهم في مصافّ العظماء الأبطال ، ويكونون محل احترام الناس ، وتقدير المجتمع ..

وإن الجهل يهدم بيوت العز والكرم . ويجعل من المتصفين به أناساً لا وزن لهم ولا احترام بين صفوف العلماء ، وطبقات المثقفين ، ورجال الفكر والإصلاح .. ورحم الله الإمام الشافعي حين قال : « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم » .

ورضي الله عن الإمام عليٍّ حين قال :

فقم بعلمٍ ولا تبغِ به بدلًا
الناس موتى وأهل العلم أحياء

إلى غير ذلك من التوجيهات القيمة التى تحضّ على العلم ، وترغّب فيه ، وتبيّن من منزلته الكبرى عند الله ، وعند الناس ..

والمربيّ لا يعدم الوسائل في تلقين الولد فضل العلم والعلماء سواء ما يتعلق بسرد الموعظة ، أو ما يتعلق بعرض القصة ، أو ما يتعلق بضرب الأمثال ، أو ما يتعلق بالاستشهاد بالشعر وأقوال السلف ..

● **احرص على أن تلقن أولادك في السهرة فضيلة خلقية ، أو مأثرة اجتماعية ، أو معجزة نبوية ، أو قصة تاريخية ، أو حقيقة علمية** .. ليستفيد الأولاد من توجيهاتك ، ويتأثروا من مواعظك .

ولنضرب على ذلك مثلا :

حينما تمر على المسلمين مناسبة عظيمة **كمناسبة (الإسراء والمعراج)** مثلًا ، إجمع - أخي المربي - أهلك وأولادك لتبين لهم الحقائق التالية :

١ - **حادثة الإسراء والمعراج معجزة خالدة** أكرم الله بها نبينا العظيم صلوات الله وسلامه عليه في وقت عصيب ، وزمن رهيب ، في وقت أمعن الكافرون في تعذيبه ، والتصدي لدعوته ، والتنكيل بأتباعه وأصحابه ..

قبل الهجرة بعام كان الإسراء والمعراج ، أو بالأحرى كان الإعزاز والإكرام ، كانت الرحلة المباركة في ملكوت السموات والأرض ..

٢ – ما معنى الإسراء والمعراج ؟

معنى الاسراء : توجهه صلوات الله عليه ليلًا من مكة إلى بيت المقدس في لحظات .

ومعنى المعراج : صعوده عليه الصلاة والسلام إلى السبع الطباق في لمحات .

وكلا الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد ، لتسطر لرسولنا العظيم المعجزة الخالدة في سجل معجزاته الكثيرة التي هي دلائل صادقة على نبوته ، وبراهين ناطقة على صدق رسالته ..

٣ – ما هي أهم المشاهد التي رآها النبي عليه الصلاة والسلام في رحلته المباركة ؟

روى الطبراني والبخاري والبيهقي والبزار .. أنه عليه الصلاة والسلام : « مرّ على قوم يزرعون ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل عليه السلام ما هذا ؟ قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يُخْلفه وهو خير الرازقين » .

– « ثم أتي على قوم تُرْضخ رؤوسهم بالصخر (تكسر) ، كلما رُضخت عادت كما كانت ، ولا يفتّر عنهم من ذلك شيء ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة » .

ـ « ثم أتي على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع ، يسرحون كما تسرح الأنعام يأكلون الضريع ، والزقّوم ، وَرَضْف جهنم ، فقال : ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدّون زكاة أموالهم ، وما ظلمهم الله ، وما ربك بظلّام للعبيد » .

– « ثم أتي على قوم بين أيديهم لحم نضيج ، في قدر ، ولحم نيّء خبيث في قدر ، فجعلوا يأكلون من النيء الخبيث ، ويدعون النضيج ، فقال : ماهؤلاء يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب ، فيأتي أمرأة خبيثة فيبيت عندها حتى تصبح ، والمرأة يكون عندها الرجل الحلال ، فتأتي رجلا خبيثاً ، فتبيت عنده حتى تصبح » .

– « ثم أتى على قوم تُقرَضُ ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد ، كلما قُرضت عادت كما كانت لا يفتّر عنهم من ذلك ، قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة » .

- « ومرّ بقوم مشافرهم كالإبل ، يلتقمون جمراً فيخرج من أسافلهم ، فسأل جبريل مَنْ هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » .

– « ومرّ بقوم يقطع من جنوبهم اللحم ثم يطعمونه ، فسأل جبريل من هؤلاء ؟ فقال : إنهم الغمازون اللمازون » (أي المستهزؤون العيّابون) .

إلى غير ذلك من هذه المشاهد التي مُثّلت للنبي عليه الصلاة والسلام ليلة إسرائه ومعراجه .

وقد صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه اجتمع في هذه الرحلة المباركة بالأنبياء والمرسلين يرحبون به ويسلمون عليه ، وأنه ﷺ صلّى بهم جماعة في المسجد الأقصى .

ويستطيع المربي بعد سرد هذه المشاهد أن يركز على أهمية الصلاة ، ومصير الذين يتثاقلون عنها ، وماذا يلقون من إهانة وعذاب ، وإن الصلاة فرضت في السماء ليلة الإسراء والمعراج ، ليعرج المسلم بروحه في لحظات الخشوع إلى السماء يستمد من الله عز وجل عزم الحياة ، وروح الجهاد ، وحساسية التقوى .. وفي ذلك ترفع للمسلم عن رعونات الحياة ، ووساوس النفس الأمارة ، ومطامع الدنيا الفانية ..

كما أنه يستطيع أيضاً أن يحذّر من الزنى ، وأكل المال بالباطل ، ومن الغيبة والنميمة ، والاستهزاء بالآخرين .. وذلك في التعليق على كل مفسدة ذكرها عليه الصلاة والسلام فى سرد مشاهده بعد أن انتهى من رحلته المباركة .. عسى أن ينزجر الأولاد عن الفساد حين يعرفون شيئاً عن نهاية المفسدين ومصيرهم !!.. ¡

٤ – ماهي صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ؟

يقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله في مقال له : (أما صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى فهو صلة الشرف بالشرف ، فسكان مكة أشرف أهل الأرض لأنهم حراس الكعبة وسدنتُها من لدن إبراهيم عليه السلام ، والمسجد الاقصى هو مهبط الرسالات ، وملتقى النبوات في فترات طويلة من التاريخ .. فيجب أن تنطلق مواكب التحرير من هاتين البقعتين ، وتسير كتائب الإيمان من هذين المسجدين .. ليهتدي العالم الضال ، والإنسانية الحائرة بنور الإيمان ، ورسالة الإسلام .. وتمضي السنوات بسرعة فائقة بعد حادثة الإسراء ، وإذا المسلمون يدقّون أبواب بيت المقدس هادين وفاتحين ، ثم إذا هم ينطلقون من بيت المقدس شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالًا .. **ليضعوا الشام ، والعراق ، ومصر في مملكة واحدة** ، تنبعث منها جيوشهم إلى أنحاء الدنيا فاتحة محرّرة ..

هذا أول أنباء المعجزة الخالدة من قصة الإسراء ، وهذا أول تفسير واقعي وسياسي لمغزاها الكبير العميق .. ثم يمضي التاريخ مسرعاً وإذا جيوش الصليبيين تدقّ أبواب بيت المقدس ، وإذا المذابح تجري أنهاراً في شوارعها ومسجدها الأقصى ، وإذا هي عاصمتهم الدينية لمدة تقترب مئة سنة .. ثم يمضي التاريخ مسرعاً ، فإذا صلاح الدين الايوبي يدق أبواب بيت المقدس مرة أخرى ، ويحررها من ربقة الصليبية الجائرة ، فلا يراق دم ، ولا تنتهك حرمة ، ولا يخفر عهد .. ويظل بيت المقدس وفلسطين كلها تحت حكم المسلمين ، وتظل كنائسها ومعابدها أمانة في أيديهم ، يحسنون القيام بها ، والحفاظ عليها حتى تدخلها جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى . ويقول القائد الانكليزى (ألنبي) قولته المشهورة : (الآن انتهت الحروب الصليبية) ، يقول ذلك وهو يظن أنهم انتزعوها إلى الأبد من أيدي المسلمين ، ويأبى الإنكليز أن يخرجوا من فلسطين إلا بعد أن يخلّفوا وراءهم صنيعتهم القزم (إسرائيل) .

وها هي الدول الكبري تساند اليهود ، وتفتعل الحروب الطاحنة لتنفيذ المخطط الذي تحلُم به إسرائيل حتى انتهت المأساة في حرب ١٩٦٧ / أن يقع المسجد الأقصى ، وبلد الإسراء والمعراج فريسة سائغة في قبضة اليهود .. ولايزال الصراع قائماً بفصوله الدامية بيننا وبين اسرائيل ، ولسنا ندري ما تكشف به الأيام القريبة عن نتائج هذا الصراع ، وعن مطامع اليهود التوسعية !!..

فهل عرفنا السر في حادث الإسراء ؟ وهل أدركنا أي مغزى عظيم قد انطوى عليه هذا الحادث المعجز ؟) .

٥ – ما هو واجب المسلمين تجاه فلسطين والمسجد الأسير المستغيث ؟

هو في الحقيقة واجب شاق وصعب ، بل مسؤولية كبرى أمام الله وأمام التاريخ ، وأمام الأجيال الحاضرة والمستقبلة ..

لقد وضع رسول الله ﷺ بهذا الإسراء أمانة عظيمة في أعناقنا نحن المسلمين ، وهي أن نحرر المسجد الأقصى ، وما حوله من براثن اليهودية الغادرة ، وربقة الصهيونية الحاقدة وأن نحتفظ بأرض فلسطين كجزء لا يتجزأ من وطننا الإسلامي الكبير ، وأن نواصل الكفاح ، ونريق الدماء ، ونقدّم المهج والأرواح .. حتى نخلّص آخر شبر من أرض الإسراء والمعراج من الغزاة المعتدين ، والبغاة الظالمين ..

(إن اسرائيل لن تزول ، وفلسطين لن تتحرر إلا على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، والآمرين بالعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ، الذين يخوضون المعارك أطهاراً متوضئين .. أولئك الذين لا يقف لهم أحد ، ولا تصمد أمامهم قوة إذا نادى فيهم المنادي (الله أكبر) ، (هبّي يا ريح الجنة) ، (يا نصر الله اقترب) ، (يا رجال القرآن زينوا القرآن بالفعال) .

أولئك الذين آمنوا بأنهم إنْ فقدوا ولاية الناس ، ونصرة العالم ، ومساعدة الدول .. فإن معهم جلّ شأنه (وكفى بالله وكيلا ، وكفى بالله نصيراً) ، وإن معهم جنود الله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) ، أولئك الذين ستتحرر بهم فلسطين وتُقتلع بهم جرثومة اليهودية من أرض الإسلام ، ليس لهؤلاء هدف إلا إعلاء كلمة الله ، ولا عنوان إلا الإسلام ، ولا شعار إلا العبودية لله ، ولا هتاف إلا الله أكبر)[١]

فكل تحرير لفلسطين عن غير هذه المعاني والشعارات .. لا يكون من ورائه – والله – إلا النكسات والوكسات والهزائم المنكرة .

يقول عليه الصلاة والسلام : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » رواه الشيخان .

فنرجو من الله أن يهيىء لعزة الإسلام أجيالا مؤمنة تكون من تلك الطائفة التى قد اختارها الله لنصرة دينه ، وإعلاء كلمته ، والجهاد في سبيله ..

فيا مَن أخلص نفسه لله ، ويا من باع دنياه بآخرته ، ويا من أرخص الروح يوم ينادي المنادي : حيّ على الجهاد ، هبّي ريح الجنة ، يا نصر الله اقترب !!..

وعلى المربي أن يركز في ذهن الأولاد قضية الجهاد في سبيل الله لتحرير الأرض المقدسة بشكل مستمر دائم كلما وجد الفرصة سانحة ، والظروف مواتية .. لتتأصل في نفسية الولد حب الجهاد ، وتترسخ في قلبه مسؤولية الأجيال في تخليص المسجد الأقصى من براثن اليهود ، وتحرير فلسطين من دنس الصهيونية الغاشمة . فالتوجيه الدائم له أثره الأكبر ، والنقطة الدائمة تؤثر في الحجر !!..

وهكذا يستطيع المربي في كل أمسية أن يوجه أولاده بما يتلاءم مع إصلاحهم الأخلاقي ، وما يرتبط بواقعهم الاجتماعي ، وما يتصل بتوعيتهم الفكرية والتاريخية ..

ولا بأس بالاستعانة بكتب التفسير والحديث القديمة والمستحدثة ، كما عليه أن

---

(١) من كتاب « دروس من النكبة » للاستاذ القرضاوي .

يستعين بالكتب التى عالجت تزكية النفوس ، ووقائع السيرة والتاريخ ، ونظم الإسلام المتنوعة(١) .. وعلى الله قصد السبيل .

• احرص على إدخال المرح والسرور في جو العائلة ، ومحيط الأسرة ..

– وذلك بإجراء مسابقات ثقافية بين الأولاد الهدف منها : قدح الأذهان ، وشحذ العزائم ، وتكوين الثقافات ، ونشر روح المرح في جو الأسرة .

– وبإلقاء النكات الطريفة ، واللطائف الجميلة ، والحكايات الظريفة .. الهدف منها : تجديد النشاط ، وقتل السآمة والملل في النفوس ..

– وبالقيام بألعاب رياضية ، ومحاورات أدبية ، وتمثيليات اجتماعية وتاريخية .. الهدف منها : تنشيط الدورة الدموية ، وتثبيت الدعائم الخلقية ، وتكوين التوعية الفكرية ..

وقد مر بك – أخي المربي – نماذج من ممازحته عليه الصلاة والسلام للأصحاب ، ومن ملاعبته للصبيان ، ومن سنّه للهو الهادف المباح .. فتأسى بنبي الهدى والرحمة والتسامح ، لتضُفي على البيت المرح والحبور ، وتدخل في نفوس أولادك الفرح والسرور ..

• احرص على أن يكون النوم للجميع باكراً لأن السهر مضرّ بالصحة ، مرهق للأعصاب ، قاتل لبركة البكور ، مسبب لفوات الصلاة عند الفجر ، وارتخاء البدن عند النهوض ..

والنوم باكراً والاستيقاظ باكراً هما من سيماء الإسلام ، ومن فعله وتوجيهه عليه الصلاة والسلام .

---

(١) من كتب التفسير التى اقترحها :
التفسير لابن كثير ، « الظلال » للمرحوم سيد قطب .
من كتب الحديث : « الترغيب والترهيب » للمنذري ، « رياض الصالحين » للنووي ..
من كتب التزكية للنفوس : «الإحياء » للإمام الغزالى ، « مختصر منهاج القاصدين » لابن قدامة المقدسي ، « رسالة المسترشدين » للمحاسبي .
من نظم الإسلام والسيرة : « فقه السيرة » للاستاذ البوطي والغزالي ، « روح الدين الإسلامى » للأستاذ طبارة ، « النظم الإسلامية » للدكتور صبحي الصالح .

أما النوم باكراً من سيماء الإسلام فلكراهته ﷺ النوم قبل العشاء والحديث بعدها ، لما روى البخاري عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ « كان يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها » .

والحديث بعدها إذا كان لغرض نافع ، وتربية فاضلة ، وتعليم مفيد .. فإنه جائز ، لما روى البخاري وأحمد عن عمر رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يسمُرُ عند أبي بكر رضي الله عنه الليلة ، كذلك في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه » .

وأما السمر بعد العشاء مع الأهل فجائز مطلقاً ، لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما : « رقدت في بيت ميمونة ليلة كان النبي ﷺ عندها لأنظر : كيف صلاة رسول الله ﷺ ؟ قال : فتحدث النبي ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد .. » .

وأما السهر في اللغو والغيبة والمعصية كما يسهر الناس اليوم على أكل لحوم الناس ، ومشاهدة مرائي التلفاز الآثمة .. فإنه حرام باتفاق .

وأما أن الاستيقاظ باكراً من توجيهاته عليه الصلاة والسلام ، فلما روى الطبراني في الأوسط عن النبي ﷺ : « بورك لأمتي في بكورها » .

ومن الأمور الهامة التي يجب أن يعرفها المربي أن الجسم ينبغي أن يأخذ حظه من النوم والراحة ، حتى ينشط كل النشاط في تحمل أعباء الحياة وتكاليفها ..

والولد بشكل خاص ينبغي الاعتناء به من ناحية صحته ونومه لأنه يمر بأطوار النمو الجسمي والعقلي والنفسي .. فعلى الأقل يجب أن يكون نومه بين اليوم والليلة ثماني ساعات ، وإلا .. فإن جسمه سيتعرض للضعف والانهيار .

والنبي صلوات الله وسلامه عليه كان ينام القيلولة بعد صلاة الضحى ، ليعوّض ما فاته من النوم ليلا .. **وهذا توجيه كريم لهذه الأمة حتى تكون صحيحة الجسم ، قوية الهمة ، متجددة النشاط والحيوية ..**

• احرص على أن يقبِّل الأولاد قبل نومهم يد[١] أبويهم ، وأن يقرأوا دعاء النوم المأثور ، وأن ينووا الاستيقاظ للتهجد وصلاة الفجر ، ليستأنفوا برنامجهم اليومي من جديد .

من السنة إذا أويت إلى الفراش أن تنفضه بإزار مخافة التعرض لحشرة مؤذية ، ثم تضطجع على شقك الأيمن وأنت على وضوء ، ثم تقول :

« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآونا ، فكم ممن لا كافي له ولا مُؤوى »

(مسلم وغيره)

ثم تقرأ آية الكرسي .
ثم تنفث في يديك ، وتقرأ .
– قل هو الله أحد ..
– قل أعوذ برب الفلق ..
– قل أعوذ برب الناس ..

وتمسح بهما ما استطعت من جسدك ، تفعل ذلك ثلاث مرات (البخاري ومسلم) .

ثم تسبّح الله ثلاثاً وثلاثين .
وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين .
وتكبّر الله ثلاثاً وثلاثين . (مسلم) .

ثم تضع يدك اليمنى تحت خدّك وتقول (**اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك**) ثلاث مرات . (الترمذي) .

وأخيراً تقرأ هذا الدعاء :

---

(١) ارجع إلى بحث « تقبيل يد الكبير) من كتاب « تربية الأولاد في الإسلام » القسم الثاني صفحة : ٣٥٧ لترى الدليل على جواز تقبيل اليد للكبير .

- ﴿ باسمك اللهم أحيا وأموت ﴾ .

(البخاري ومسلم)

﴿ باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ﴾

(البخاري ومسلم)

﴿ اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ﴾ ..

(مسلم وغيره)

﴿ اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر ﴾ .

(مسلم وغيره)

- ﴿ اللهم اني أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ﴾ .

(البخاري ومسلم)

ثم نم بنيّة الاستيقاظ على صلاة التهجّد والفجر ، فتستيقظ بإذن الله . وإذا أصابك أرق فاقرأ هذا الدعاء فإنك تنام بإذن الله ، روى الترمذي عن برَيْدَة رضي الله عنه قال : شكا خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه ، فقال يارسول الله : ما أنام الليل من الأرق ، فقال له عليه الصلاة والسلام : إذا أويت إلى فراشك فقل :

« اللهم ربَّ السموات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلّت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط عليَّ أحد أو يبغي علي ، عزَّ جارك ، وجلّ ثناؤك ، ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت » .

ولقد رأيت – أخي المربي – أن هذا المنهج التربوي في اليوم والليلة جمع ما بين الذكر والعبادة ، وآداب الإسلام ، ومزج ما بين الرياضة والثقافة والمرح .. وركز على جوانب معينة من التوجيه والإعداد والتربية ..

فإذا كنت من المواظبين عليه ، والمطبقين له ، والمتمسكين به .. فإن ولدك – ولاشك – سينشأ على الطهر والأخلاق ، ويتدرّج على سلم الإيمان والتقوى ، ويكون إنساناً سوياً متزناً يخشى الله في السر والعلن ، ويراقبه في المنقلب والمثوى ، ويلتزم مبادىء الإسلام في الحل والترحال .. بل يعطي للأولاد الذين حوله القدوة الصالحة في ورعه وتقواه ، والأسوة الحسنة في تطبيقه ومعاملته .. فاحرص على التطبيق – أخي المربي – من غير سآمة ولا ملل ، حتى ترى ولدك في مصاف المتقين الأبرار ، وما ذلك على الله بعزيز .

ولكن عليك أن تلاحظ في هذا المنهج الأمور التالية :

١ – أن تحرص على تطبيق ما جاء في فصل (الوسائل المؤثرة في تربية الولد) وما جاء في فصل (مسؤولية التربية الاجتماعية) في توجيهاتك لأولادك في الفترة المسائية والصباحية وفي كل الأوقات .

٢– هذا المنهج التربوي يصلح للأولاد الذين شارفوا سنّ التمييز وما بعده ، أما إذا كان الأولاد ما قبل سن العاشرة فعلى المربّي أن ينهج معهم نهجاً تربوياً آخر ، يتلخص في شيئين :

(أ) تلقينهم مبادىء العقيدة الإسلامية ، وتعليمهم أركان العبادة ولاسيما الصلاة .

(ب) تلقينهم مبادىء الأخلاق الإسلامية من صدق ، وأمانه ، وبرّ الوالدين ، وتقيد بألفاظ الخطاب الجميلة .. كما عليك أن تحذّرهم من الكذب والخيانة ، والعقوق ، وكلمات السبّ والشتائم ...

وهذا المنهج التربوي الآخر للصغار يتفق مع المبدأ الذى خطّه رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه حين قال :

« أمرنا معاشر الأنبياء أن نحدث الناس على قدر عقولهم » .

(رواه الديلمي)

٣ – اجعل من المنهج اليومي جزءاً من الوقت لتسأل أولادك ماذا يتوجهون ويتعلمون ، فإن رأيت التوجيه الذي يتلقونه من المدرسة غير متلائم مع عقيدة الإسلام ، وأخلاق الإسلام .. فما عليك إلا أن تصحح لهم الأفكار ، وتحذرهم من معلمي السوء والزيغ .. وتتخذ الإجراءات الحازمة تجاه من يُلحدون بالإسلام ، ويخونون أمانة التربية الفاضلة ، ويوقعون الأولاد في شباك الإلحاد والضلال !..

٤ – لقن أولادك بشكل دائم مبادىء الأخوة والمحبة ، والتعاون ، والإيثار ، حتى إذا بلغوا سن الكبر كان التعاطف فيما بينهم خلقاً وعادة ، وكان برّهم لأبويهم طواعية واختياراً .. بل تراهم المثل الأعلى في التعاطف والمحبة والبر ..

٥– كلما رأيت الفرصة سانحة لإخراجهم إلى نزهة في بستان ، أو سَفْرَةٍ على شاطىء بحر .. فعليك ألا تقصر في هذا الحق التربوي ، حتى تنشط أجسامهم ، وتتروّح نفوسهم ، ويتعلموا من فنون الرياضة والسباحة والألعاب ما فاتهم ..

٦ – صُمْ مع أهلك وأولادك الأيام المندوب صيامها شرعاً .. حتى إذا جلست وإياهم على مائدة الإفطار رأوا منك البشاشة والبشر والملاطفة .. ليعتادوا صيام النفل بقدوتك الصالحة ، **وأخلاقك الكريمة ، وأسلوبك الجميل** .

٧ – ولا بأس أن تسلك مع أولادك أسلوب الهدايا ، وتلبي لهم ما يطلبونه من مال ، أو شراء حاجات .. ورحم الله أباً أعان أولاده على برّه . ولا يخفى عليك ما للهدايا من أثر كبير في تشجيع الولد على استمراره في عبادة أو مثابرة على اجتهاد ، أو نجاح في امتحان !!..

هذه أهم الاقتراحات التي رأيت أن تتبّعها في المنهج التربوي في اليوم والليلة ، فاحرص – أخي المربي – على تطبيقها ، لتكون تربيتك لأولادك على النحو الذي يتطلبه منك الإسلام ، ويمليه عليك الواجب ، والله هو الموفق .

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وهب لنا من لدنك سلطاناً نصيراً ، وعزماً متيناً ، وإرادة قوية إنك خير مأمول ..

* * *

٧ – تهيئة الوسائل الثقافية النافعة :

انطلاقاً من مسؤولية المربين في الواجب التعليمي تجاه مَن لهم في أعناقهم حق التعليم والتربية ، وجب عليهم أن يهيئوا لهم الوسائل الثقافية النافعة المتنوعة حتى ينضج الولد عقلياً ، ويتكون في الحياة فكرياً وعلمياً ..

وأرى أن هذه الوسائل تتركز في الأمور التالية :

١ – تكوين مكتبة خاصة بالأولاد تتناول الأصناف التالية :

(أ) مصحف كريم واضح الكلمات والتشكيل لكل ولد في الأسرة .

(ب) تفسير للسور القصيرة يتلاءم مع أفهام الأولاد الذين هم في سن التمييز .

(ج) تفسير عام للقرآن الكريم يتلاءم مع أفهام الأولاد الذين هم فى سن ما بعد التمييز .

(د) كتب خاصة بالحديث الشريف متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

(هـ) كتب خاصة بالفقه ولاسيما العبادات ، متلائمة مع العمر والفهم والثقافة .

(و) كتب خاصة بالعقيدة الإسلامية ، تتناول المعالجة بأسلوب قصة أو حوار ..

(ز) كتب خاصة بالسيرة النبوية والتاريخ ، تتناول المعالجة بأسلوب شيق ، ولغة مبسطّة سهلة ..

(ح) كتب فكرية عامة تتناسب مع عقلية الأولاد وأفهامهم حيث تعرض الإسلام ككل على أنه نظام حكم ، ومنهج حياة ، وترد الشبهات التي يثيرها الأعداء حول نظام الإسلام .

(ط) كتب علمية وتاريخية وأدبية وطبية .. تتلاءم مع أفهام الأولاد ، وتتفق مع ثقافتهم ومداركهم وأعمارهم ..

وإليك – أخي المربي – بعض النماذج عن الكتب التي يجب توفيرها لأولادك في مكتبة البيت ، عسى أن تقوم على شرائها ، لتكون لهم عوناً وذخراً في مستقبل الأيام .. وستجد بجانب كل كتاب العمر الذي يتناسب معه ، وعلى الله قصد السبيل :

١ – سلسلة مع الجيل المسلم ، للأستاذ يوسف العظم .

صدر منها :

١ – براعم الإسلام – القسم الأول : في العقيدة .

٢ – براعم الإسلام – القسم الثاني : في الحياة .

٣ – أناشيد وأغاريد للجيل المسلم .

٤ – أدعية وآداب للجيل المسلم .

٥ – مشاهد وآيات للجيل المسلم .. (نشر المكتب الإسلامي) .

(السن : (٧ – ١٢) سنة

٢ – مكتبة الطفل الدينية (٣٠) قصة

لمؤلفها الأستاذ : محمد عطية الأبراشي

السن (٧ – ١٢) سنة (مكتبة مصر) .

٣ – سلسلة العرب في أوربة ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار .

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٤ – سلسلة قصص الانبياء :

لمؤلفها الاستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٥ – سلسلة (الخلفاء الراشدون) ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٦ – مجموعة السيرة النبوية ..

لمؤلفها الأستاذ : عبد الحميد جودت السحار

السن : (١٢ – ١٦) سنة (مكتبة مصر) .

٧ – سلسلة (الفدائيون في الإسلام) ..

لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب .

السن : (١٢ – ١٦) (دار الوراقة : حمص)

٨ – سلسلة مسلمات خالدات ..
لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب
السن : (١٢ – ١٦) المكتبة العصرية : بيروت – صيدا) .
٩ – سلسلة غزوات النبي ﷺ ..
لمؤلفها الأستاذ : محمد علي قطب .
السن : (١٢ – ١٦) (المكتبة العصرية : بيروت – صيدا) .
١٠ – سلسلة القصص الديني .
للدكتور : محمد رواس قلعه جي
السن : (١٢ – ١٦) سنة ، طبع حلب .
١١ – مجموعات أمهات المؤمنين (١٦) عدداً
للأستاذ محمد أحمد برانق .
السن : (١٢ – ١٦) سنة . للإناث (دار المعارف – مصر)
١٢ – مجموعة قصص النبيين ..
للأستاذ أبو الحسن الندوي .
السن : (١٢ – ١٦) سنة – (مؤسسة الرسالة) .
١٣ – قصص القرآن الكريم ..
للأستاذ محمد كامل الجسن المحامي .
السن : (١٢ – ١٦) – (المكتب العالمي للطباعة والنشر) .
١٤ – سلسلة أعلام المسلمين ..
لمؤلفين مختلفين
السن : (١٢ – ١٦) – (مكتبة المنار الإسلامية – الكويت)
١٥ – سلسلة الأبطال .. (٨٠) عدداً .
للاستاذين : محمد على قطب ، محمد عمر الداعوق .
السن : (١٢ – ١٦) – (المكتبة العربية بيروت) .
١٦ – أناشيد البراعم المؤمنة
للشاعر محمود أبو الوفا
السن : (١٠ – ١٦) – (مؤسسة الأقصى – عمان) .

١٧ – الخالدون ..

للأستاذ محمد على قطب

السن : ١٥ فما فوق – (التجارية المتحدة – بيروت)

١٨ – أبطال ومعارك ..

للأستاذين : عبد الوهاب القاسم – أحمد الدعاس

السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة البرهان – حمص)

١٩ – السلسلة الجامعة المختارة ..

للأستاذ محمد نبهان خباز

السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة الغزالي – حماه) .

٢٠ – مجموعة أحسن القصص ..

للأستاذ : على فكري

السن : ١٥ فما فوق – (دار الكتب العالمية – بيروت) .

٢١ – سلسلة قصص إسلامية ..

للأستاذ : عبد الرحمن البنا

السن : ١٥ فما فوق – (مكتبة المنار الإسلامية – الكويت)

٢٢ – مجموعة السيرة النبوية .. (الكبيرة) .

للأستاذ : عبد الحميد جودت السحار .

السن : ١٥ سنة فما فوق – (مكتبة مصر) .

٢٣ – قصص في التاريخ ..

للأستاذ : محمد حسن حمصى .

السن : ١٥ سنة فما فوق – (دار الرشيد – دمشق) .

٢٤ – قصص الأستاذ نجيب الكيلاني .

السن : ١٥ سنة فما فوق (دار النفائس – بيروت) .

٢٥ – مجموعة سير إسلامية .

للأستاذ : محمد علي دولة

السن : ١٥ سنة فما فوق – (دار القلم : دمشق – بيروت) .

٢٦ - مشاهير قادة الإسلام ..
للأستاذ : بسام العسلي
السن : ١٥ سنة فما فوق - (دار النفائس - بيروت) .
٢٧ - قصص وحكايات .
للأستاذ : محمد علي دولة
السن : ١٥ سنة فما فوق ، (دار القلم : دمشق - بيروت)
٢٨ - نشيدنا .
لأبي الجود وفرقته (دار السلام : حلب)

أما الكتب الفكرية :

١ - سلسلة (من هدي الإسلام) .. بحوث توجيهية وتربوية متنوعة .
للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني
السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة الهدى : حلب - حول القلعة)
٢ - سلسلة (العقائد) و (العبادات)
للمرحوم المرشد الشيخ : أحمد عز الدين البيانوني
السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة الهدى : حلب - حول القلعة) .
٣ - سلسلة (أبحاث في القمة) ، بحوث إسلامية متنوعة .
لكتاب مختلفين ، وعلى رأسهم الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .
السن : ١٥ سنة فما فوق - (مكتبة الفارابي - دمشق) .
٤ - سلسلة (كتب قيمة) ، بحوث إسلامية متنوعة .
لكتّاب مختلفين .
السن : ١٥ سنة فما فوق . (دار القلم : دمشق - بيروت)
٥ - سلسلة (بحوث إسلامية هامة) .
لكتاب مختلفين وعلى رأسهم مؤلف هذا الكتاب .
السن : ١٥ سنة فما فوق ، (دار السلام : حلب) .

وأشهر الكتاب الذين بحثوا النظام الإسلامي ككل هم :

١ – مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا رحمه الله .

٢ – الأستاذ سيد قطب رحمه الله .

٣ – الاستاذ محمد قطب .

٤ – الاستاذ أبو الحسن الندوي .

٥ – الأستاذ علي الطنطاوي .

٦ – الاستاذ فتحي يكن .

٧ – الاستاذ سعيد حوّى .

٨ – الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

٩ – الاستاذ يوسف العظم .

١٠ – الأستاذ متولي شعراوي .

١١ ـ الدكتور يوسف القرضاوي .

١٢ ـ الأستاذ يوسف العظم .

ويمكنك – أخي المربي – أن تستعين بأهل العلم الواعين ، والدعاة المخلصين .. ليرشدوك إلى هذه الكتب التي تتناسب مع عقلية الولد وسنه وثقافته .. والتي لا تصطدم مع فكرة الإسلام عن الكون والحياة والانسان ..

ومما تجدر الإشارة إليه أن المكتبة الإسلامية فقيرة جداً من الكتب الفكرية والتوجيهية والتعليمية التي تتناسب مع مرحلة الطفولة (٦ – ١٢) سنة . ولم أجد حتى الآن من كتب لهذه المرحلة فيما أعلم سوى الأستاذ يوسف العظم الذي أخرج لنا سلسلة (براعم الإسلام) بأسلوب سهل ، ولغة مبسطة .

وإني لأهيب بالكتاب الإسلاميين في أن يسنّوا أقلامهم ، ويشحذوا هممهم .. عسى أن يملؤوا المكتبة الإسلامية بكتب تعليمية ، وفكرية ، وتوجيهية توضح للأطفال فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، وتعطيهم التصور الإسلامى الصحيح عن أنظمة الإسلام الشاملة العامة ..

٢ – الاشتراك بمجلة أسبوعية أو شهرية :

والمواصفات لهذه المجلة هو ما يلي :

(أ) أن تكون معروفة باتجاهها الإسلامي ، أو العلمي البحت .

(ب) أن لا يُعرف عما يحررها الزيغ والانحراف .

(ج) أن تعالج موضوعات تتصل بالمرأة والرجل على اختلاف المستويات
(د) أن لا ينشر فيها صور تمسّ الفضيلة والأخلاق .
(هـ) أن لا يعرف عنها بكتابة موضوعات فيها دسّ على الإسلام .

فإذا وجدت – أخي المربي – مجلة هذه مواصفاتها ، فلا بأس أن تدخلها بيتك وتكون في متناول أولادك وبناتك .

من هذه المجلات :

– مجلة (الحضارة) السورية .
– مجلة (المجتمع) الكويتية .
– مجلة (الوعي الإسلامي) الكويتية .
– مجلة (البعث الإسلامي) الهندية .
– مجلة (الدعوة) المصرية .
– مجلة (الاعتصام) المصرية .
– مجلة (الأزهر) المصرية .

وما شابهها من مجلات أخرى تصدر في العالم الإسلامي .

٣ – الاستعانة بالفانوس السحري وعرض الأفلام .

ومن الوسائل الثقافية النافعة التي تنمّي مدارك الولد ، وتعزّز من ثقافته استعانة المربي بالفانوس السحرى ، والجهاز السينمائي المنزلي لعرض أفلام تتصل بالحقائق العلمية ، والأمجاد التاريخية ، والمواقع الجغرافية ، والتوجيهات التربوية ..

– وكم يتنشّط الولد ، وتتجدد حيويته ، ويقوى انتباهه .. حين يرى بأم عينه الحقائق العلمية والتاريخية .. متجسدة في مناظر واقعية ، وصور واضحة متحركة ؟..

– وكم يرسخ البحث الدراسي في ذهن الولد حين يرى معالم الحج مثلًا متجسدة في مناظر واقعية تصور له مناسك هذه العبادة من مبتدئها إلى منهاها ، حيث لا يفوته منسك من هذه المناسك إلا وقد رآه كأنه حقيقة واقعة ، ورؤية ماثلة ؟.

- وكم يفرح الولـد ويبتهج حين يتعرف عن طريق الفيلم على بلاد الإسـلام فتتحرك مشاعره الإيمانية نحوها ، ويحنّ قلبه الصافي إليها .. لما تربطه بينه وبينها من آصرة العقيدة ، وأخوة الإسلام ؟.

– وكم يستوعب الولد الحقائق العلمية الثابته حين يرى هذه الحقائق متجسدة على شاشة العرض كأنها رأي عين ؟.

وفي اعتقادي أن هذه الوسيلة من أعظم الوسائل النافعة في شمولية ثقافة الولد وترسيخها في ذهنه ، وتحبيبها إلى نفسه !!.

فعلى المربي أن يسعى جهده في إعدادها وتأمينها بشكل دائم سواء أكان تحضيرها عن طريق الشراء أو الاستئجار أو الإعارة ..

ومما يجب التنبيه له أن على العاملين في الحقل الإسلامي أن يبذلوا كل ما في وسعهم في تكوين شركات مساهمة لإخراج أفلام علمية ، وتاريخية ، وجغرافية ، وتربوية .. تتناسب مع عقلية الأولاد وأعمارهم .. ليتم تداولها في كل بيت ، وحي ، وبلد ولا يخفى ما لهذه الأفلام من أثر كبير في تعليم الولد ، وثقافة الأسرة ، وإصلاح المجتمع !!..

٤ – الاستعانة بوسائل الإيضاح :

ومن الوسائل النافعة في تعليم الولد وتثقيفه استعانة المربي بوسائل إيضاحية توضح للمتعلم كل غامض ، وتسهّل له كل صعب ، وتيسّر له كل سبيل ..

وأرى أن هذه الوسائل تختص بالأمور التالية :

(أ) مصورات جغرافية توضح للولد العالم الإسلامي بشكل خاص والعالم البشري بشكل عام .

(ب) مصورات عن البلاد الإسلامية توضح للولد عمران هذه البلاد ، ومساجدها ، ومصانعها ، وكل ما يتصل بأحوالها العامة ...

(ج) مصوّرات تكشف للولد عن الحضارة الإسلامية عبر التاريخ ، وخلال العصور ، ليرى بأمّ عينيه ما شاده الجدود البواسل من مدنيات وحضارات وعلوم ..

(د) مصورات تكشف للولد عن الخطّ البياني في الفتوحات الإسلامية ، وعز الإسلام ودولته .. في كل الأزمنة والعصور .

(هـ) مصورات تكشف للولد عن الوسائل الحربية التي كان يستخدمها الجدود

الأمجاد في فتوحاتهم السالفة ،وجهادهم الدائب ، وقتالهم المستمر ..
(و) مصورات أخرى تكشف للولد حقائق العلم والأدب والتاريخ ..

إلى غير ذلك من هذه المصورات التى تعين الولد في تعليمه ، وتعزّز من ثقافته ، وترسخ المعلومات في ذهنه ..

فعلى المربين أن يبذلوا الجهد في تأمينها ، ويسعوا دائماً في الحصول عليها .. حتى يروا أولادهم قد بلغوا مرتبة النضج العقلي والعلمي ، وتزوّدوا بالثقافة الشاملة ..

٥ – زيارة المتاحف بين كل فترة وفترة :

ومن الأمور الهامة التى ننصح المربين بها ونحضهم عليها تنسيق المواعيد المحددة لزيارة المتاحف الأثرية سواء اكانت الزيارة في بلد المربي أو بلد آخر من بلاد الإسلام . ولاشك أن هذه الزيارة للمتاحف تفتح أمام الولد آفاقاً جديدة من المعرفة ، والحضارة ، وثقافة التاريخ .. كما أنها تربط الولد بروابط المجد المؤثل الذي ركّز دعائمه أبطال مغاوير لهم في التاريخ ذكر ، وفي الأجيال إجلال ومكانة .. كما أنها تقوّي في نفس الولد المشاعر النفسية والقلبية لعقد العزم على بناء العزة الإسلامية ، وإقامة دولة الإسلام ، وترسيخ دعائم الحضارة .. كما حققها الجدود البواسل الأمجاد في العصور الإسلامية الزاهية ، وماذلك على الله بعزيز !!..

فما عليك – أخي المربي – إلا أن تعقد العزم والهمة في زيارة دور المتاحف والآثار مع أولادك عسى أن تتحقق في نفوسهم معنى الإباء والشمم ، وتتأصل في ذاتيتهم حقيقة العزة والقوة والنهوض .. ورحم الله من قال :

تلك آثارنا تدلّ علينا   فانظروا بعدنا إلى الآثار

٦ – زيارة المكتبات العامة كلما سنحت الفرصة :

ومن الوسائل الثقافية التي تسترعي اهتمام المربين العمل على زيارة الأولاد المكتبات العامة كلما سنحت الفرص ، وواتت الظروف . سواء أكانت هذه المكتبات أثرية أو مستحدثة .. ومن ثمرات ذلك : ليتدرب الأولاد على كيفية إعارة الكتب المؤقتة والدائمة ..

ومن ثمرات ذلك أيضا تعويد الولد على الجرأة الأدبية ، وأصول الارتياد للأماكن العامة ، ودور الثقافة والعلم ..

عدا ما في زيارة المكتبات من فائدة ثقافية ، وتعرف عام على التراث الفكري والعلمي لأمة الإسلام ، واكتشاف لفكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ، وفتح آفاق جديدة عن النهضة الثقافية التي مرت بها الأمة الإسلامية عبر التاريخ ، وتقادم العصور ..

فاحرص – أخي المربي – على زيارة المكتبات العامة مع أولادك ، لتتحقق فيهم تلك المعاني ، وتتأصل في نفوسهم هاتيك القِيم ..

وإذا كان وقتك أو ظروفك لا يسمح لك بالزيارة ، فأذن لولدك أن يصحب أهل الاختصاص ، ليكتسب منهم أصول الزيارة ، وفنّ الاطلاع والمعرفة ..

تلكم – أخي المربي – **أهم الوسائل الثقافية النافعة** في تكوين الولد ثقافياً ، وإعداده علمياً وفكرياً .. فاحرص على تهيئتها لتكون دائماً في متناول ولدك ، وبين أهلك وعشيرتك .. عسى أن تجد فلذات الأكباد في المستقبل القريب قد نضجت عقولهم ، واتسعت مداركهم ، وازدهرت ثقافتهم ، وقويت علومهم ومعارفهم .. عدا أنهم ارتبطوا بالإسلام عقيدة وفكراً ، وبالتاريخ الإسلامى روحاً وعاطفة ، وبالحضارة الإسلامية اعتزازاً وقدوة ، وبالعلوم النافعة المستحدثة معرفة وثقافة ..

* * *

٨ – تشويق الولد إلى المطالعة الدائمة :

انطلاقاً من الشعار الذي رفعه الإسلام : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ (طه : ١١٤) .

﴿ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ .

واستشعاراً بمسؤولية التوعية الفكرية التي جعلها الإسلام أمانة في عنق الآباء والمربين ..

وجب على كل من يهمه أمر الولد فكرياً ، وتكوينه علمياً وثقافياً أن يعرّفوا الولد منذ أن يبلغ سنّ الوعي والتمييز :

بالإسلام ديناً ودولة ..

وبالقرآن العظيم نظاماً وتشريعاً ..

وبالتاريخ الإسلامى عزة وقدوة ..

وبالثقافة الإسلامية تنوعاً وشمولا ..

وبالارتباط الحركي للدعوة الإسلامية اندفاعاً وحماسة ..

وهذا لا يتأتى إلا بمطالعة واعية شاملة تتركز في الأمور التالية :

● مطالعة **لكتب فكرية** تكشف للولد عن خلود هذا الإسلام لما يمتاز به من مقوّمات الشمول والتجدد والاستمرار .

● مطالعة **لكتب تاريخية** توضح للولد العز الإسلامي السالف ومجد المسلمين الغابر ..

● مطالعة **لكتب ترتبط بالغزو الفكري** تكشف للولد عن المخططات التي يرسمها أعداء الإسلام ، سواء أكانت هذه المخططات تتصل باليهودية الماكرة ، أو ترتبط بالشيوعية الملحدة ، أو تنبثق عن الصليبية الحاقدة ..

● مطالعة **لكتب حضارية** تكشف القناع عن حضارة الإسلام الزاهية التي شادها الأجداد خلال العصور ، وعبر التاريخ ..

ومن هنا كان اهتمام سلفنا الصالح بتوعية أولادهم الفكرية والتاريخية والثقافية .. وسبق أن ذكرنا في بحث (**مسؤولية التربية العقلية**) ما قاله رجال التربية الإسلاميون في ضرورة تعليم الولد القرآن الكريم ، وأحاديث الأخبار ، وحكايات الأبرار ، والشعر الجيد ، وتاريخ الملاحم ومغازى رسول الله ﷺ .. وما ذاك إلا تأكيد بأنّ الإسلام حمّل الآباء والمربين جميعاً مسؤولية الواجب التعليمي ، والتوعية الفكرية ، وغرس بذور العقيدة الإسلامية الراسخة منذ نشأتهم ، وفي كل مرحلة من مراحل حياتهم .

ولكن ما السبيل إلى هذا كله ؟

السبيل هي المطالعة الفاهمة الدائمة مع التلقين الواعي !!..

والمطالعة لا يندفع الولد إليها ، ولا يرغب فيها إلا باتخاذ وسائل التحبيب بها ، والتشويق إليها ...

وأرى أن هذا التشويق يتركز في النقاط التالية :

● أن نوازن له ما بين العلم والجهل ، ونقارن له أيضاً ما بين العلماء والجهلاء .. وهذه الموازنة والمقارنه طريقة القرآن الكريم في الإقناع وإقامة الحجة . قال تعالى :

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (الزمر : ٩)

وكم يقتنع الولد ، وينكبّ على الدراسة والمطالعة حين تتضح له كرامة العلماء ، وشقاوة الجهلاء ؟

وكم تتحرك نفسه شوقاً إلى العلم حين يسمع ما لطالب العلم من منزلة عالية ، وفضل عظيم عند الله عز وجل[١] ، وعند الناس ؟

– قال معاذ بن جبل رضي الله عنه : (العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلمة ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل الصيام ، ومذاكرته تعدل القيام ، وبه توصل الأرحام ، ويُعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام والعمل تابعه ، ويُلْهمهُ السعداء ، ويَحرَمُهُ الأشقياء)[٢] .

– وقال العلامة نصير الدين الطوسي في أول رسالته (آداب المتعلّمين) :

(شرف العلم لا يخفى على أحد ، إذ العلم هو المختصّ بالإنسانية ، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيه الإنسان ، وسائر الحيوانات كالشجاعة والقوة والشفقة وغيرها ، وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة ، وأمرهم

---

(١) سبق أن ذكرنا في مواطن كثيرة من هذا الكتاب فضل العلم والعلماء .

(٢) هذه الأقوال الثلاث من كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، تحقيق فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

بالسجود له ، وأيضاً هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية إن وقع العمل على مقتضاه)[١] .

– وقال الحسن البصري رحمه الله : (لو كان للعلم صورة لكانت صورته أحسن من صورة الشمس والقمر والنجوم والسماء ..)[٢] ..

● إقامة مباريات بين الأولاد : بعضها لأسرع قراءة وبعضها لمطالعة أكثر عدد ممكن من الكتب في وقت محدد ، ثم تعقد اختبارات لهم في ذلك ، ويمنح الأوائل جوائز مغرية أو رمزية للاندفاع والتشجيع .. وهذه الوسيلة في إكرام الولد وتشجيعه فيما يحسنه من عمل ، وما يظهر به من خُلق جميل ، هي ما حض عليه الإمام الغزالي ، ورغب فيه ، يقول رحمه الله في الجزء الثالث في إحيائه : (إذا ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود فإنه ينبغي أن يكرم عليه ، ويجازى عليه بما يفرح به ، ويمدح أمام الناس لتشجيعه على الأخلاق الكريمة ، والأفعال الحميدة ..) .

وإكرام الولد وتشجيعه بالجائزة أو الهدية أو الخطاب الجميل ، يتفق مع قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني : « تهادوا تحابوا » ، ومع قوله ﷺ فيما رواه أبو داود والنسائي : « من أسدى اليكم معروفاً فكافؤوه ، فإن لم تستطيعوا فادعوا له » ، ويتفق مع ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ سبّق بين الخيل وأعطى السابق » رواه أحمد .

● إفهام الولد أن ما يقرؤه ويتعلمه من قراءة مفيدة ، وعلم نافع .. إذا قُرن بالنية الصالحة ، والقصد الحميد كان له ثواب القانتين المتعبّدين ، لقوله عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الشيخان – :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل أمرىء ما نوى .. » .

ويستنتج الفقهاء من هذا الحديث هذا الحكم :

(إن النية الصالحة تقلب العادة عبادة) .

---

(١) ، (٢) هذه الأقوال الثلاث من كتاب « رسالة المسترشدين » للمحاسبي ، تحقيق فضيلة الأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله .

ولا شك أن الولد حين يعلم أنه مأجور على المطالعة ، مجزي من قبل الله عز وجل علي تحصيل العلم ، والتزود من الثقافة .. فإنه يقبل بكليته على القراءة دون تواكل أو تقصير !!..

● تهيئة الأجواء الصافية الهادئة المريحة .. من أضواء منيرة ، ومناظر خلابة ، وهدوء تام ، وتدفئة مناسبة أيام الشتاء ، وتهوية ملائمة أيام الصيف .. فإن هذا كله مما يساعد في الإقبال على المطالعة ، والتشويق إليها ، والتحبيب بها .

● توفير الكتب المتنوعة للولد سواء أكان توفيرها في مكتبة البيت ، أو في مكتبة المدرسة ، أو في مكتبة المسجد ، أو في المكتبات العامة ..

ولاشك أن الولد حين يجد أمامه الكتاب الذي يطلبه ، سواء أكان الكتاب قصة أو شعراً ، أو كان تاريخاً أو كان أخلاقاً .. فإنه يقبل على المطالعة بشوق ، ويسعى إليها بشغف !!.

● وأخيراً إفهام الولد أن الوقت كالسيف ، وأن الواجبات أكثر من الأوقات ، وأن ما يجهله أكثر مما يعلمه ، وأن الإسلام يأمر المسلم بأن يملأ فراغه بما ينفع ، لقوله عليه الصلاة والسلام - فيما رواه مسلم - : « احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز .. » كما يأمره بأن يغتنم الفرص للعمل الدائب لعزّ الدنيا ، والنجاة في الآخرة ، لقوله عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه الحاكم بسند صحيح - : « اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك » .

وأخيرا المطالعة لا تعطي الثمرات المرجوة إلا باتباع الطرق التالية :

١ - التهيئة النفسية قبل المطالعة ، وذلك باستحضار النية أنه يقرأ ليتكون ثقافياً ، حتي يبلغ الدعوة ، ويؤدي رسالة الإسلام ، وينفع أمته وبلده ...

٢ - التركيز الذهنى أثناء المطالعة ، وذلك باستحضار الذهن والفهم بكل ما يقرأ ، حتى يكون استيعابه للمقروء تاماً ، وفهمه لمعاني السطور شاملًا ..

٣ - وضع خطوط بالقلم الرصاص تحت المعاني الهامة ، والأفكار الرئيسية إذا ألقى إلى البحث نظرة ثانية ترسخت هذه المعاني في ذهنه ، وتثبتت الأفكار الرئيسية في خاطره ..

٤ - وضع العناصر الأساسية على هامش الصفحة بالقلم الرصاص ، ليكون الاستيعاب لهذه العناصر تاماً شاملا ..

٥ - تثبيت عناوين المواضيع المهمة ، أو أفكار الأبحاث المحببة في مذكرات خاصة مع ذكر الكتاب ، ورقم الصفحة. حتى إذا احتاج إليها رجع إلى مصادرها بسهولة ..

٦ - إعداد دفتر مذكرات ليدَوّن فيه كل ما يستحسنه القارىء من شواهد حديثة أو لطائف أدبية ، أو حكم شعريّة ، أو قصص تاريخية ، أو حقائق علمية أو فتاوى شرعية ..

ولا شك أن هذه المذكرات هي حصيلة كتب كثيرة مرّ بها القارىء ، في أزمان ماضية ، وأوقات كثيرة ، وهي خير ما ينتفع بها في مستقبل حياته العلمية والعملية ..

فاحرص - أخي المربي - على أن تعوّد أولادك عليها ، وأن ترشدهم إليها .. ليكونوا في مستقبل الأيام من عداد الرجال العالمين ، ومن فئات العناصر المثقفة ، ومن الجيل الناضج الفاهم .. وما ذلك على الله بعزيز .

★ ★ ★

٩ - استشعار الولد بمسؤولية الإسلام :

من الأمور الهامة التي نؤكد على ضرورة الاعتناء بها ، ونلفت نظر المربّين إليها .. السعي الدائم في تلقين الولد الحقائق التالية :

(أ) (إن العصبة المؤمنة التي تركّزت في دار الأرقم وعلى يديها تحقق نصر الإسلام كانوا شباباً فرسول الله ﷺ كان عمره أربعين سنة عند البعثة ، وأبو بكر رضي الله عنه أصغر منه بثلاث سنين ، وعمر رضي الله عنه كان عمره سبعاً

وعشرين سنة ، وعثمان رضي الله عنه كان أصغر من رسول الله ﷺ ، وعلي رضي الله عنه كان أصغر من الجميع .. وهكذا كان عبد الله بن مسعود ، وعبد الرحمن بن عوف ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وسعيد بن زيد ، ومصعب بن عمير ، وبلال بن رباح ، وعمار بن ياسر ، وعشرات غيرهم .. بل مئات .. كلهم كانوا شباباً »[١] .

(ب) « **هؤلاء الشباب هم الذين حملوا على كواهلهم أعباء الدعوة ، وهم الذين** استعذبوا في سبيلها أسمى آيات الصبر والعذاب والتضحية .. وهم الذين واصلوا ليلهم بنهارهم .. حتى حققوا لهذا الإسلام انتشاره وكيانه ، ولهذا الدين انتصاره وتمكينه .. فما بين عشية وضحاها قامت للمسلمين دولة وسلطان ، وتأسست لهم حكومة وقيادة .. وأخضعوا لحكمهم المملكتين العظيمتين : فارس والروم ، وامتد ظلمهم إلى بلاد السند شرقاً ، وإلى بلاد الخزر وأرمينية وبلاد الروس شمالا ، ودخلت في عدلهم بلاد الشام ومصر وبرقة وطرابلس وبقية أفريقية .. وذلك كله في خمس وثلاثين سنة .

وفي عهد بني أمية استبحر ملكهم وامتد سلطانهم إلى أن دخلوا بلاد السند ، ومعظم بلاد الهند ، وبلاد التركستان ، ووصلوا إلى حدود الصين شرقاً ، ودخلوا بلاد الاندلس غرباً . وقد استطاع أحد الخلفاء هارون الرشيد أن يصور للعالم بسطة العالم الإسلامي ، فلم يجد غير أن يخاطب السحابة التي تمرّ به ولا تمطره فيقول لها : « **أمطري حيث شئت فإن خراجك سيحمل إلينا**[٢] .

(ج) هؤلاء الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ، ومن بعدهم بإحسان لم يبلغوا قمة المجد والعظمة إلا بشيئين عظيمين :

الأول – التزامهم الإسلام عقيدة وفكراً ، قولا وعملا ، تحقيقاً وتطبيقاً ..

---

(١) من كتاب « السيرة النبوية » للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي صفحة : ٨٢ .

(٢) من كتابنا « حتى يعلم الشباب » صفحة : ٩ – ١٠

وقد ضمنوا في ذلك النصر المؤزر ، والفتح المبين ، والغلبة الظافرة على أعداء الله والدين .. وبدون ذلك لا يمكن أن يتحقق لهم النصر ، ولا أن يمسكوا بأيديهم زمام العزة والسيادة .. تذكر كتب التاريخ أنه عندما استبطأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتح مصر كتب إلى عمرو بن العاص – وكان قائداً عاماً على الجيش – يقول :

(أما بعد : فقد عجبت لإبطائكم عن فتح مصر ، تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم ، وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً إلا بصدق نياتهم) .

ورحم الله الخليفة العادل حين قال : (نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلّنا الله) رواه الحاكم .

الثاني – حملهم رسالة الإسلام إلى الدنيا بجهادهم وتضحياتهم ، وقوة صبرهم واستبسالهم ..

حتى إن فتوحاتهم وصلت إلى آخر الغرب ، ووقف عقبة بن نافع على شاطىء المحيط الأطلسي (بحر الظلمات) ، وقال : – وقد خاض جواده بالماء :– (اللهم ربّ محمد لولا هذا البحر لفتحت الدنيا في سبيل إعلاء كلمتك .. اللهم فاشهد !!..)

ووصلت إلى آخر الشرق ، وتوغّل قتيبة الباهلي في بلاد الصين ، فقال له أحد أصحابه محذّراً مشفقاً : (لقد أوغلت في بلاد الترك ياقتيبة ، والحوادث بين أجنحة الدهر تقبل وتدبر ..) ، فأجابه قتيبة والإيمان قد بلغ منه كل مبلغ : (بثقتي بنصر الله توغلت ، وإذا انقضت المدّة لم تنفع العدّة ..) ، فلما رأى ذلك المحذّر عزمه وتصميمه على المضي لإعلاء كلمة الله قال له : « أسلك سبيلك حيث شئت ياقتيبة ، فهذا عزم لا يفلّه إلا الله !!.. » . وبدون ذلك لا يمكن أن يملكوا شبراً من الأرض ، ولا أن ينشروا دين الله في العالمين !!..

(د) فنحن جيل الإسلام اليوم إذا نهجنا نهج الجدود في التزام الإسلام ، وسرنا سير السلف في الجهاد والتضحية ، والصبر والمصابرة ، والثبات والاستبسال ..

فسوف نحقق بأيدينا عز الإسلام ، ونبنى بسواعدنا دولة المسلمين .. ونستعيد بتأييد الله المجد والعظمة والخلود ، ونرجع خير أمة أخرجت للناس ، لأننا رجال ، وسلفنا رجال ، وقد امتدح الله سبحانه عزائم الرجال حين قال :

﴿ رجالٌ صَدقُوا ما عاهدُوا الله عليه فمنهم من قضىٰ نَحبهُ ومنهم من ينتظرُ وما بدلوا تبديلا ﴾ .

(الاحزاب : ٢٣)

﴿ رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكرِ الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوبُ والأبصار .. ﴾ .

(النور : ٣٧)

وما يضير جيل الإسلام اليوم أن يكونوا في الظاهر رجالًا ، وفي المعنى جبالًا . ورحم الله شاعر الإسلام محمد إقبال حين قال :

مَن ذا الذي رفع السيوف ليرفع اسمك
فوق هامات النجوم منـــارا
كانوا جبالًا في الجبال وربما
ساروا على موج البحار بحاراً

(هـ) العالَمُ اليوم يتيه في ظلمات المادية الطاغية ، ويتخبط في أوحال الانحلال والإباحة ، ويرسف في قيود الظلم والاستبداد .. ويتصارع في دياجير الأفكار والمبادىء .. وها هي الدول الكبري تنشب مخالبها المتوحشة لتفترس حضارة الإنسان ، وتخنق ببغيها ووحشيتها القيم الإنسانية ومثلها العليا ، ورسالات الأنبياء .. وتشنّ هجومها لاستعباد الإنسان ، وطرده من أرضه ، وابتزاز خيراته ، وتشريده بالعراء مع أطفاله ونسائه وشيوخه ..

فما الذى يقي العالم من هذه الويلات والكوارث ؟ ما الذى يحمي البشرية من هذا الانحطاط الفكري ، والانحلال الأخلاقي ؟ ما الذي يحمي الآمنين من حرب طاغية مدمِّرة ؟ أو بعبارة أوضح ما هي سفينة الإنقاذ ؟ ما هو صمام الأمان ؟

في تقديرى ، وتقدير الكثير من مفكّرين ، وفلاسفة ، وعلماء .. **أن القيم الروحية ، والأنظمة الاجتماعية والسياسية التى جاء بها الإسلام هي الجديرة بأن تحمل للعالم إمامة الفكر والإصلاح والمبادىء .. لتخليص الإنسانية من ويلات الزيغ والضلال ، وموبقات الفساد والإباحية ..**

قال (إلياس أبو شبكة) في كتابه (روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة) : (إن زوال الحضارة العربية كان شؤماً على أسبانية وأوربة ، فالأندلس لم تعرف السعادة إلا في ظلّ العرب ، وحالما ذهب العرب حلّ الدمار محل الثراء والجمال والخِصْب ..) .

وقال (برناردشو) الفيلسوف الإنكليزى قولته المشهورة : (لقد كان دين محمد موضع تقدير سامٍ لما ينطوى عليه من حيوية مدهشة ، وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، **وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية ، وإن رجلا كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حلّ مشكلاته** ..) .

ويقول المؤرخ **الإنكليزي** (ويلز) في كتابه (ملامح تاريخ الإنسانية) : (إن أوربه مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية) .

ولذا فإن جيل الإسلام اليوم مطالب بأداء مسؤوليته الكبرى، ودوره **الحضاري** في إنقاذ البشرية من ظلمات المادية الطاغية ، وموجات الإباحية العاتية ، وعواصف الحروب المدمرة .. وهذا لا يتأتى إلا بحمل رسالة الإسلام الخالدة إلى الدنيا من جديد حتى يسود الرخاء والأمن والاستقرار في كل أرض وتحت كل سماء ، وتنعم الإنسانية بنور الايمان وشريعة القرآن ..

هذه الشريعة تتسم بالربانية ، والعالمية ، والشمول ، والعطاء والخلود ..

أما اتسامها **بالربانية** فلأنها تنزيل من حكيم حميد .

أما اتسامها **بالعالمية** فلأنها شريعة البشرية جمعاء .

أما اتّسامها بالشمول فلأنها جاءت لمناهج الحياة .

أما اتسامها **بالعطاء** فلأنها تفي بحاجات البشرية في كل زمان ومكان(١) .

أما اتسامها **بالخلود** فلأنها تحمل في طبيعتها بذور نمائها واستمرارها الى يوم الدين ..

ويكفي أمة الإسلام فخراً وشرفاً وخلوداً أن يقول الله عنها في محكم تنزيله :

﴿ كنتم خيرَ أُمةٍ أُخرجت للناس تأمرونَ بالمعرُوفِ وتنهونَ عن المنكرِ وتؤمنون بالله ﴾ . (آل عمران : ١١٠)

فلتنهض هذه الأمة بمسؤوليتها كما أمرها الله عز وجل ، لتخرج إلى الدنيا بأخلاقية الجدود البواسل الأمجاد ، وبعزيمة القوّاد الأشاوس الأبطال ، وبفتوح بدر والقادسية واليرموك وحطين .. وبرسالة الإسلام ، ومبادىء القرآن الكريم ..

ألا فليغرس المرّبون في نفوس أبنائهم وطلابهم هذه الحقائق ، ويلقنونهم في كل آن هذه المعاني .. حتى يستشعروا بمسؤوليتهم على الوجه الأكمل ، ويؤدوا واجبهم على النهج المطلوب ..

فإن هم فعلوا ذلك فسوف يرون أولادهم دعاة صادقين ، وجنوداً للإسلام مخلصين .. يبلغون دعوة ربهم ولا يخشون أحدا إلا الله ، ويتحملون في سبيلها كل عنت وأذى واضطهاد .. وسيصلون بإذن الله في نهاية المطاف إلى النصر الأكبر ، والعز الأرفع ، والكرامة المنشودة .. وما ذلك على الله بعزيز .

* * *

١٠ – تعميق روح الجهاد في نفسية الولد :

من المسائل الخطيرة ، والأمور الهامة التي يجب أن يهتم المرّبون بها ، ويوجهوا اعتناءهم الأكبر إليها .. تعميق روح الجهاد في نفسية الولد ، وترسيخ معاني العزم والمصابرة في فكره وقلبه ومشاعره .. ولاسيما في هذا العصر الذي انحسر فيه حكم الإسلام عن بلاد الإسلام ، وغربت شمس العزة الإسلامية عن الدنيا ، وأصبحت

(١) ارجع الى كتابنا « حتى يعلم الشباب واقرأ بحث « القرآن دستورنا » تجد ما فيه الكفاية من خصائص الشريعة الإسلامية ومزاياها .

السيادة للطواغيت ، واستلم زمام الأمور في أكثر بلاد الإسلام أناس لاهمَّ لهم ولا غاية إلا أن ينفذوا مخططات أعداء الله والإسلام ، سواء أكانت هذه المخططات شيوعية ، أو كانت استعمارية ، أو كانت يهودية ، أو كانت صليبية .. فكان من نتيجة ذلك أن ألغيت الخلافة الإسلامية ، واجتاحت المجتمعات موجات المادية الطاغية ، وعواصف هوجاء من التحلل والاباحية .. وتيارات متدفقة من المبادىء الضالة والفكر الإلحادي .. وأصبحت بلاد الإسلام هدفاً لكل طامع ، وغاية لكل مريد !!

لذا وجب على المربين أن يلقنوا أولادهم معنى الصبر والمصابرة . وأن يعمقوا في نفوسهم روح الجهاد .. عسى أن يستعيدوا بجهادهم عز الإسلام ، ومجد المسلمين !!.

ولكن ما هى المراحل التي يجب أن ينتهجها المربون مع أولادهم في تعميق الجهاد في نفوسهم ، وترسيخ معانيه في جوارحهم وكيانهم ؟

أرى أن هذا التعميق يكون في النقاط التالية :

١ - استشعار الولد بشكل دائم أن تحقيق العزة الإسلامية ، وبناء المجد الاسلامي .. لا يكون إلا بالجهاد وإعلاء كلمة الله ..

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .. ﴾ .

(المائدة ٥٤)

٢ - إفهام الولد بشكل دائم أن الجهاد في سبيل الله أنواع :

(الجهاد المالي : وذلك بالإنفاق لأجل إعلاء كلمة الله ، وهو العصب الحساس لكل جهاد تقوم به أمة الإسلام في الحياة سواء أكان الجهاد تبليغياً أو تعليمياً ، وسواء أكان سياسياً أو حربياً ..

- **﴿ إن الله اشترىَ منَ المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهمْ الجنة ﴾ .**

(التوبة : ١١١)

– **﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وثِقالًا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ﴾** .
(التوبة : ٤١)

– وفي الحديث الذي رواه الترمذي والنسائي : « من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف » .

– وفي الحديث الذي رواه الستة إلا مالكا « مَن جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا » .

● **الجهاد التبليغي** : وذلك بتبليغ الإسلام باللسان ، وإقامة الحجة بأن دعوة الإسلام حق على الكافرين والمنافقين والملحدين والمنحرفين ..

– **﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾** .
(التوبة : ٧١)

– **﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشَونَ أحدا إلا الله وكفى بالله حسيباً ﴾** .
(الأحزاب : ٣٩)

– قال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه الترمذي وأحمد وابن حبان – : « نضّر الله أمرءاً سمع مني شيئاً فبلغه كما سمعه فربّ مبلغ أوعى من سامع » .

وقال أيضاً – فيما رواه مسلم وأصحاب السنن –: « من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً .. » .

● **الجهاد التعليمي** : وذلك ببذل الجهد في التكوين الإسلامي علمياً وثقافياً وفكرياً . وإعطاء التصور الصحيح عن فكرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ..

– **﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نَفر من كل فرقةٍ منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ﴾** .
(التوبة : ١٢٢)

– وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « تناصحوا في العلم فإن خيانة أحدكم في علمه أشد من خيانته في ماله ، وإن الله مسائلكم » .

– وفي الحديث الذى رواه أبو داود والترمذي : « من سُئِلَ عن علم فكتمه أُلجم بلجامٍ من نار يوم القيامة » .

• **الجهاد السياسي** : وذلك ببذل الجهد في إقامة الدولة الإسلامية على أسس من مبادىء الإسلام ، وقواعده العامة الشاملة ، وبالاختصار أن تكون الحاكمية في نظام الحكم لله وحده .

– ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل اللهُ ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون ، أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون** ﴾ .

(المائدة : ٤٩ – ٥٠)

– روى مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من نبيّ بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريّون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ، ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيدة فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

• **الجهاد القتالي** : وذلك ببذل الجهد للوقوف أمام كل طاغوت يقف عقبة كأداء دون حكم الله عز وجل ، ونشر دعوته في الأرض .. سواء أكان هؤلاء الطواغيت في دار الإسلام أو في دار الحرب !!..

– ﴿ **وقاتِلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ..** ﴾ .

(الأنفال : ٣٩)

- ﴿ **قاتِلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخـر ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون** ﴾ .

(التوبة : ٢٩)

وهذا ما ذكره ربعي بن عامر في المقابلة التى جرت بين المسلمين ورستم قائد الفرس : (إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام) .

فالمربي حين يستشعر الولد هذا المفهوم العام عن الجهاد ، وحين يعلمه أنواعه وما يتفرع عنه .. فإنه يندفع إلى الجهاد بكل عزم ومضاء .. لكون الجهاد يشمل **كل عمل دعوي مادامت النية إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه في الأرض**)[١] !!..

٣ ـ تـذكير الـولـد بشكل دائم بمـواقف أبنـاء الصحـابـة البطـوليـة رضي الله عنهم ، ليتأسى بهم ، ويمشي على طريقتهم ومنوالهم ، **وإليكم طرفاً منها :**

(أ) لما خرج المسلمون إلى أحد ردّ النبي ﷺ من استصغر منهم ، وكان فيمن ردّه رافع بن خديج ، وسمرة بن جندب ، ثم أجاز رافعاً لما قيل له : إنه رامٍ يحسن الرماية .

فبكى سمرة وقال لزوج أمّه : أجاز رسول الله ﷺ رافعاً وردّني مع أني أصرعه ، فبلغ رسول الله الخبر ، فأمرهما بالمصارعة ، فكان الغالب سمُرة ، فأجازه عليه الصلاة والسلام .

(ب) لما هاجر النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة المنورة ، وأقاما في غار ثور ثلاثة أيام ، عملت عائشة وأسماء بنتا أبي بكر رضي الله عنهم في تهيئة الزاد لهما وقطعت أسماء قطعة من نطاقها - وهو ما يشد به الوسط فربطت به على فم الجراب (وعاء الطعام) الذى كانت تحمله ، فسميت ذات النطاقين ، وعمل عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما على نقل

---

(١) ارجع - **أخي المربي** - إلى كتابنا « حتى يعلم الشباب » لتجد فيه ما يشفي الغليل في بحث مفهوم الجهاد ، وتنوعاته الشاملة .

الاخبار ، فلا يسمع من قريش أمراً يبيتونه من المكروه لهما إلا وعاه رضي الله عنه حتى يأتيهما في المساء بخبره ، ويبقى عندهما بعض الوقت ، ثم يخرج من عندهما بالسحر ، ويصبح مع قريش بمكة كأنه كان نائماً فيها ، ومن المعلوم أن عائشة وعبد الله رضي الله عنهما لم يبلغا الحلم بعد .

(ج) وتذكر كتب التاريخ أن غلاماً مؤمناً كان يسأل أباه بأن يمكنه ليجوب مناكب الأرض ويسعى في أرجائها حتى يصل إلى قمة المجد والكرامة :

اقذف السرّج على المُـــ هر وقرّطـــه اللجامـــا
ثم صبّ الدرع في رأ سي وناولنـــي الحسامـــا
فمتـــى أطـــلب إن لم أطلب الـــرزق غلامـــا
سأجـــوب الأرض أبغيـــ ـه حلالًا لا حرامـــا
فلعلّ الطعن ينفي الفـــ قر أو يدني الحمامـــا

ومن أراد المزيد من هذه الأمثلة فليرجع الى القسم الثاني من كتاب (تربية الأولاد في الإسلام) في بحث (ظاهرة الخوف) يجد ما فيه الكفاية .

٤ – **تحفيظ الولد سورة** الأنفال وسورة التوبة ، وسورة الاحزاب .. ونصوصاً أخرى من آيات الجهاد في القرآن الكريم مع أسباب نزولها ، وشرح معانيها ، وبيان المواقف الشجاعة التي وقفها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه الكرام في بدر والخندق وحنين .. وغيرها .. فإنها – ولاشك – تحرك المشاعر في نفسية الولد ، وتجعل منه إنساناً شجاعاً مقداماً لا يخشى في الله لومة لائم ، بل يندفع إلى الجهاد بكليته ، ويتمنى الشهادة في سبيل الله ، كما اندفع أجداده من قبل ، وتمناها الرعيل الأول من أبناء هذه الأمة المحمدية عبر التاريخ[١] !!..

٥ – **تعميق عقيدة القضاء والقدر** في نفسية الولد ، ليؤمن إيماناً جازما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ، وإن اجتمعت على أن يضرّوه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، وأنه إذا جاء أجلهم

---

(١) انصح المربي أن يقرأ على أولاده كتاب « حياة الصحابة » للكاندهلوي ، وكتاب « شهداء الإسلام في عصر النبوة » للنشار .

لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ، وأن الله سبحانه هو وحده المحيي والمميت ، والمعز والمذل ، والضار ، والنافع ، والخافض والرافع .. بيده مقاليد كل شيء وهو على كل شيء قدير ..

ولا بأس باستشهاد ما قاله السلف في هذه المعاني :

أيَّ يوميّ من الموت أفرّ
يوم لا يقدَرُ أم يوم قُدِر

يوم لا يقدرُ لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحَذِر

★ ★ ★

إذا غامرت في شرفٍ مَروم
فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير
كطعم الموت في أمر عظيم

★ ★ ★

أقولُ لها وقد طارت شعَاعاً
من الأبطال ويْحك لن تُراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذي لك لن تطاعى

فصبراً في مجال الموت صبراً
فما نيلُ الخلود بمستطاع

★ ★ ★

تلكم - أيها المربون - أهم النقاط والمراحل في تعميق روح الجهاد في نفسية الولد ، فما عليكم إلا أن تنتهجوها ، وتلقنوها أولادكم حتى إذا بلغوا سن الشباب ، وناداهم منادي الجهاد انطلقوا في ميادين العزة والكرامة مستبسلين مجاهدين لا يخشون أحدا إلا الله ، وسوف لا يلقون السلاح ، ولا يتخلون عن الجهاد وإعلاء كلمة الله .. حتى يروا راية الإسلام قد ارتفعت وعلم النصر قد خفق ، وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

★ ★ ★

خاتمة المطاف

مما فصلنا القول عنه سابقاً من سلسلة (تربية الأولاد في الإسلام) يتبين لك - أخي المربي - بشكل واضح لا يقبل الشك ولا الالتباس .. **أن الإسلام بمنهجه الكامل ، وطريقته المتميزة ، وأسلوبه الفريد .. في إعداد الولد الإيماني والخلقي ، وفي** تكوينه النفسي والعقلي ، وفي تربيته الجسمية والاجتماعية .. ليكون في المستقبل إنساناً صالحاً متوازناً سوياً ذا عقيدة وخلق ورسالة .. ينهض بأعباء ، ويضطلع بمسؤوليات ، وينتهي في الخاتمة إلى غاية الغايات ألا وهي رضوان الله عز وجل ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار !!..

ومن الأمور التي يكاد يجمع عليها علماء الأخلاق والاجتماع ، ورجال التربية والتعليم .. أن المربي سواء أكان معلماً أو أبا أو أماً أو مرشداً ربانياً .. حين يبذل قصارى جهده ، ويشحذ غاية اهتمامه في تنفيذ هذا المنهج الرباني الذي أنزله الله عز وجل ، وتطبيق هذا النظام الذي قعّدت أصوله وفروعه شريعة الإسلام ..

فمن المؤكد أن الولد ينشأ على الإيمان والتقوى ، ويتدرّج على الفضيلة والأخلاق ، ويظهر أمام المجتمع بأفضل ما يظهر به إنسان ناضج العقل ، مكتمل الخلق ، متوازن السلوك ، سمح المعامله ، حسن السيرة ، كريم المعشر ...

أما ما يشكو منه بعض المربين والآباء من انحراف أبنائهم ، أو تمردهم وعقوقهم .. فيعود في الدرجة الأولى إلى هؤلاء المربين أنفسهم ..

فكيف يستقيم الولد ، والأب يسمح له برفقاء السوء ؟

وكيف تثبت عقيدة الولد ، والأب يدفع به إلى المدارس الأجنبية ، والمعاهد التبشيرية ؟

وكيف تصلح أخلاق الولد ، والأب قد أدخل إلى بيته جهاز التلفزيون ليرى فيه كل مشهد متحلل ، ومنظر آثم .. ؟

وكيف نحافظ على سلوكية الولد والأب يضع بين يديه المجلات الماجنة ، والقصص الغرامية التي تتّجر بالغرائز ، وتشجع على الميوعة والانحلال ؟

وكيف نسلم على إيمان الولد والأب يغض نظره في انتمائه إلى منظمات إلحادية وأحزاب علمانية لا دينية ؟

وبالعموم كيف ينصلح الولد ويستقيم ؟ والمربي لم يأخذ بمنهج الإسلام في التربية ، وبنظامه في التكوين والإعداد ؟!!..

وما أحسن ما فعله عمر رضي الله عنه حين علم أن أباً لم يقم بحق ولده عليه في انتقاء أمه ، وتحسين اسمه ، وتعليمه القرآن .. فلم يلبث إلا أن صرخ في وجهه قائلا : جئت **إلي تشكو عقوق ولدك وقد** عَقَقْتَهُ قبل أن يعقّك ، وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك !!..

فجعل رضي الله عنه الأب حين أهمل تربية ولده هو المسؤول الأول عن **عقوقه** وانحرافه !..

أما ما يدعيه بعض الآباء أن أولادهم نشؤوا عاقّين منحرفين على الرغم **مما قاموا به** من مسؤولية التربية والتأديب .. فهي دعوى مرفوضة ، لأننا لو بحثنا عن السبب لرأينا أن السبب يعود على الآباء والأمهات أنفسهم : إما لإعطائهم **الأولاد** القدوة السيئة .. **أو** لعدم أخذهم **بمنهج الإسلام** في التربية .. **أو** لإهمالهم حقاً **ألزمهم الإسلام** به وفرضه عليهم !!..

ومن هؤلاء النمط ما روته كتب الأدب أن أعرابياً شكا عقوق أولاده **فما وجد بداً** سوى أن يهجوهم بهذه الأبيات :

إنّ بنيّ كلّهم كالكلب
أبرُّهم أولاهم بسبّي
لم يُغنِ عنهم أدبي وضربي
ولا اتساعي لهم ورُحبي
فليتني مِتُّ بغير عَقْبِ
أوليتني كنتُ عقيم الصُّلْب

ومن يدري هل كان الأعرابي يعق أباه فانتقم الله منه بعقوق أولاده له ؟

وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أبو نعيم والديلمي وابن عدي – : « البرّ لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديّان لا يموت ، فكن كما شئت ، فكما تَدين تُدان » .

وروى الطبراني والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه عليه الصلاة والسلام : « برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم ، وعفوا تعفّ نساؤكم » .

وأحياناً قد تتخلّف القاعدة ، فيبذل المربي قصارى جهده ، ويأخذ بمناهج التربية الإسلامية ، ومع هذا ينشأ الولد على الشذوذ والانحراف ، كما أخبرنا الله سبحانه عن ولد نوح عليه السلام . فأبى الهداية والتربية النبوية واستنكر وكان مع الكافرين ، فعاقبه الله معهم بالطوفان فأصبح الجميع من المغرقين .

وفي هذه الحال يعذر المربي أمام الله لكونه أدى ما عليه من الحقوق وقام بما أوجبه الله عليه من مسؤوليات !!..

وأخيرا ـ أخي المربي ـ أعْطِ العهد لله عز وجلّ على أن تأخـذ بهـذا المنهج **الإسلامي** في تربية أولادكْ ، واعقد الهمة ، وأشحذ العزم على أن تقوم بواجب التنفيذ في كل مرحلة من مراحله ، وبكل جانب من جوانبه ، وبكل قسم من أقسامه .. فإنك إن فعلت ذلك فسترى أولادك شموس إصلاح ، وأقمار هداية ، وملائكة يمشون على الأرض .. بل يشار إليهم بالبنان لصفاء نفوسهم ، وطهارة قلوبهم ، وكريم أخلاقهم ، وجميل معاملتهم ، ومظهر اتزانهم ، ولطف معاشرتهم ..

وإني لمتفائل أن هذا الجيل إذا التزم الإسلام عقيدة وعملًا ، وأخذ بتعاليمه أحكاماً ومنهاجاً .. فإنه سيعيد سيرة الأولين في المجد والرفعة ، ويقيم في العالمين دولة قوية صلبة تضاهي الأمم الكبرى في عزتها وكبريائها .. بل ستخضع الأمم لجلال هيبتها وعظيم سلطانها !!.. وما ذلك على الله بعزيز .

ولن يصلح – أخي المربي – آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ..

فإن صلح أولها بنظام الإسلام تطبيقاً وتنفيذا حتى وصلت إلى قمة السيادة والنصر .. فكذلك لا يصلح آخرها إلا بنظام الإسلام تطبيقاً وتنفيذاً حتى تصل إلى قمة السيادة والنصر !!..

ورحم الله عمر رضى الله عنه القائل :

« **نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله** » رواه الحاكم .

وصدق رسول الله ﷺ القائل – فيما رواه البيهقي والحاكم – :

« **... ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدّوهم فاستنفدوا بعض ما في أيديهم ، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم** » .

ومن منطلقات الوصول إلى السيادة والنصر البدء بإصلاح نفوسنا ، ثم القيام بإصلاح أسرنا ، ولا يتأتى هذا الإصلاح لأعضاء الأسرة إلا أن نأخذ بمنهج الإسلام في تربية أبنائنا وبناتنا ، لأن اصلاح الفرد هو المنطلق الطبيعي لإصلاح الأسرة ، ثم بالتالي يأتي إصلاح المجتمع ، ثم تتكون في المجتمعات الإسلامية القاعدة الصلبة من المؤمنين المخلصين المجاهدين .. الذين على أيديهم تقوم دولة الإسلام ، وبعزائمهم الفتية تتحقق عزة المسلمين ..

فيا أيها الآباء ، ويا أيتها الأمهات ، ويا أيها المربون :

هذا هو منهاج الإسلام في تربية أولادكم ، وهذا هو الطريق الأقوم في إصلاحهم وهدايتهم ، فانهضوا بمسؤولياتكم ، وقوموا بواجباتكم .. ليتحقق في المجتمعات الإسلامية إصلاح أولادكم وأسركم ، وتتكون في الشعوب المحمدية كتائب الجهاد والنصر .. حتى تقوم بدورها في هداية العالم من الضلال والجاهلية والمادية .. إلى نور الحق ، ورسالة الإسلام !!..

﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولهُ والمؤمنون وستردّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ . (التوبة : ١٠٥)

وآخرِ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المصادر والمراجع

الرقم	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	– القرآن الكريم	
٢	– المرشد لآيات القرآن الكريم	لمحمد فارس بركات
٣	– الجامع لأحكام القرآن الكريم	لأبي عبد الله محمد القرطبي
٤	– تفسير ابن كثير	لأبي الفداء اسماعيل بن كثير
٥	– في ظلال القرآن الكريم	للشهيد سيد قطب
٦	– تفسير آيات الأحكام	للشيخ محمد على الصابوني
٧	– تفسير آيات الأحكام	للشيخ محمد علي السايس
٨	– أحكام القرآن الكريم	لأبى بكر الجصاص
٩	– أحكام القرآن الكريم	لأبي بكر محمد ، المعروف بابن العربي
١٠	– صفوة البيان في تفسير القرآن	للشيخ محمد حسنين مخلوف
١١	– الترغيب والترهيب	لعبد العظيم المنذري
١٢	– فيض القدير	للعلامة المناوي
١٣	– نيل الأوطار	لمحمد الشوكاني
١٤	– سبل السلام	للصنعاني
١٥	– فتح الباري في شرح البخاري	للحافظ بن حجر العسقلانى
١٦	– رياض الصالحين	للامام النووي
١٧	– كشف الخفاء	لاسماعيل العجلوني
١٨	– حياة الصحابة للكاندهلوي	تحقيق محمد علي دولة
١٩	– صفة الصفوة لابن الجوزي	تحقيق الدكتور قلعه جي والفاخوري
٢٠	– محمد رسول الله (ص)	للشيخ عبد الله سراج الدين
٢١	– فقه السيرة	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
٢٢	– السيرة النبوية	للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٢٣	– شرح فتح القدير	لكمال الدين ابن الهمام الحنفي
٢٤	– بدائع الصنائع	لعلاء الدين الكاساني
٢٥	– المغني لابن قدامه	تحقيق محمود عبد الوهاب فايد
٢٦	– حاشية رد المحتار على الدر المختار	للعلامة ابن عابدين
٢٧	– الفقه على المذاهب الأربعة	لعبد الرحمن الجزيري
٢٨	– فتح باب العناية لعلي القاري	تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة
٢٩	– إحياء علوم الدين	لحجة الاسلام الغزالي .

٣٠ – رسالة المسترشدين للمحاسبي — تحقيق الشيخ أبو غدة
٣١ – مختصر منهاج القاصدين — لأحمد بن قدامة المقدسي
٣٢ – كتاب الزهد والرقائق — لعبد الله بن المبارك
٣٣ – تحفة المودود بأحكام المولود — لمحمد بن قيم الجوزية
٣٤ – آداب المتعلمين — أحمد عبد الغفور العطار
٣٥ – التربية الاسلامية للقابسي — للدكتور أحمد فؤاد الاهواني
٣٦ – التربية والتعليم في الاسلام — للدكتور محمد أسعد طلس
٣٧ – التربية الاسلامية — لمحمد عطية الابراشي
٣٨ – التربية الاسلامية وفلاسفتها — لمحمد عطية الابراشي
٣٩ – وسائل التربية الاسلامية — للمرحوم الدكتور محمد أمين المصري
٤٠ – أسس التربية الاسلامية — لعبد الرحمن النحلاوى
٤١ – مبادىء علم الأخلاق — للدكتور محمد عبد الله دراز
٤٢ – الحلال والحرام — للدكتور يوسف القرضاوي
٤٣ – الإيمان والحياة — للدكتور يوسف القرضاوى
٤٤ – دروس النكبة الثانية — للدكتور يوسف القرضاوي
٤٥ – المجتمع المتكامل فى الاسلام — للدكتور عبد العزيز الخياط
٤٦ – عمل المسلم في اليوم والليلة — لمحمد طارق محمد صالح
٤٧ – حديث الاسلام — لمحمد مصطفى أبي العلا
٤٨ – العدالة الاجتماعية — للمرحوم سيد قطب
٤٩ – الاسلام والسلام العالمي — للمرحوم سيد قطب
٥٠ – أخلاقنا الاجتماعية — للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي
٥١ – عظماؤنا في التاريخ — للمرحوم الدكتور مصطفي السباعي
٥٢ – هكذا علمتني الحياة — للمرحوم الدكتور مصطفي السباعي
٥٣ – كيف ندعو الى الاسلام — لفتحي يكن
٥٤ – مشكلات الدعوة والداعية — لفتحي يكن
٥٥ – محاضرة « الرسول المعلم » — للعلامة الشيخ أبو غدة
٥٦ – الشيوعية والاسلام — للعقاد والعطار
٥٧ – المشكلات النفسية — للدكتور نبيه الغبرة
٥٨ – مكائد يهودية — للشيخ عبد الرحمن حبنكه
٥٩ – خلق المسلم — للشيخ محمد الغزالي
٦٠ – الاسلام (٤ أجزاء) — للشيخ سعيد حوى
٦١ – اللـه — للشيخ سعيد حوى

٦٢ – الرسول (جزءان) للشيخ سعيد حوى
٦٣ – جند الله ثقافة للشيخ سعيد حوى
٦٤ – خطر التبرج والاختلاط لعبد الباقي رمضون
٦٥ – حكم الاسلام في النظر لمحمد أديب كلكل
٦٦ – تحفة العروس لمحمود مهدي استانبولي
٦٧ – ماذا عن المرأة ؟ للدكتور نور الدين عتر
٦٨ – المرأة المسلمة للشيخ وهبى سليمان الغاوجي
٦٩ – شريعة الإسلام للدكتور يوسف القرضاوى
٧٠ – دراسات اسلامية للمرحوم سيد قطب
٧١ – التكافل الاجتماعي في الاسلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٢ – تعدد الزوجات في الاسلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٣ – شبهات وردود للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٤ – حتى يعلم الشباب للمؤلف « عبد الله علوان »
٧٥ – حكم الاسلام في وسائل الاعلام للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٦ – عقبات الزواج .. للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٧ – إلى كل أب غيور .. للمؤلف « عبد الله علوان » .
٧٨ – إلى ورثة الأنبياء للمؤلف « عبد الله علوان » .

ومراجع أخرى مثبتة على هوامش الصفحات

* * *

الفهرس

الموضــــوع	الصفحة

الفصــــل السابــع :

(مسؤولية التربية الجنسية) ٤٩٩

١ – آداب الاستئذان ٥٠٠

٢ – آداب النظر : ٥٠٢

(أ) أدب النظر الى المحارم ٥٠٢

(ب) أدب النظر الى المخطوبة ٥٠٤

(ج) أدب النظر الى الزوجة ٥٠٥

(د) أدب النظر الى المرأة الأجنبية ٥٠٦

(هـ) أدب نظر الرجل الى الرجل ٥٠٩

(و) أدب نظر المرأة إلى المرأة ٥١٢

(ز) أدب نظر الكافرة الى المسلمة ٥١٤

(ح) أدب النظر الى الأمرد ٥١٥

(ط) أدب نظر المرأة الى الأجنبي ٥١٦

(ي) أدب النظر الى عورة الصغير ٥١٨

(ك) حالات ضرورية يباح فيها النظر ٥١٨

١ – النظر بقصد الخطبة ٥١٨

٢ – النظر بقصد التعليم ٥١٩

٣ – النظر بقصد المداواة ٥١٩

٤ – النظر بقصد المحاكمة والشهادة ٥٢٠

٣ – تجنيب الولد الاثارات الجنسية ٥٢٢

● الرقابة الداخلية ٥٢٤

● الرقابة الخارجية ٥٢٦

١ – مفسدة السينما والمسرح ٥٢٧

٢ – مفسدة ازياء النساء الفاضحة ٥٢٧

٣ – مفسدة المواخير السِرية والعلنية ٥٢٩

● صور من الانزلاق ٥٣٠

٤ – مفسدة المظاهر الخليعة ٥٣٣

الموضـــوع | الصفحة

٥ – مفسدة الصحبة السيئة ٥٣٤
٦ – مفسدة الاختلاط بين الجنسين ٥٣٥

وسائل ايجابية للاصلاح ٥٣٦
١ – وسيلة التوعية ٥٣٦
٢ – وسيلة التحذير من خطر الزنى ٥٣٩
(أ) الخطر الصحى ٥٣٩
(ب) الخطر النفسي والخلقي ٥٤٠
(ج) الخطر الاجتماعي ٥٤٣
(د) الخطر الاقتصادي ٥٤٤
(هـ) الخطر الديني والأخروي ٥٤٦
٣ – وسيلة الربط
٤ – تعليم الولد أحكام المراهقة والبلوغ ٥٥٠
٥ – الزواج والاتصال الجنسي ٥٥٨
● نظرة الإسلام الى الجنس : ٥٥٩
١ – تحريم العزوف عن الزواج ٥٥٩
٢ – الثواب في تصريف الشهوة في الحلال ٥٦٠
٣ – تغليب حق الإسلام ٥٦١
● نماذج عن التغليب من سيرة السلف ٥٦٢
● دور المرأة في الجهاد الإسلامى ٥٦٤
● لماذا شرع الله الزواج ؟ ٥٦٥
● مراحل الخلوة بالزوجة عند الزواج ٥٦٨

٦ – وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً ٥٧٨
● غض النظر عن المحرمات ٥٨٠
● تقوية الوازع الديني ٥٨٢
● الإسلام والكبت ٥٨٥
● كلمة للأديب علي الطنطاوي ٥٨٦

الفهرس

فهرس (القسم الثالث)

الموضـــوع	الصفحة
٧ – هل يجوز مصارحة الولد جنسيا ؟	٥٩٩
● طريقة التربية الفاضلة :	٦٠٠
١ – المراقبة والملاحظة	
٢ – الاستفادة من أوقات الفراغ	
● واجب الأبوين	٦٠٣
● فهرس القسم الأول فى المجلد الثاني	٦٠٥
(الفصـــل الأول)	
وسائل التربية المؤثرة	٦٠٦
١ – التربية بالقدوة	٦٠٧
● الرسول هو القدوة :	٦٠٨
– قدوة العبادة	٦١٠
– قدوة الكرم	٦١٢
– قدوة الزهد	٦١٢
– قدوة التواضع	٦١٣
– قدوة الحلم	٦١٤
–قدوة القوة الجسدية	٦١٥
–قدوة الشجاعة	٦١٦
–قدوة حسن السياسة	٦١٦
–قدوة الثبات على المبدأ	٦١٨
● محبة الصحابة للرسول وانجذابهم اليه	٦٢٠
● الصحابة للأجيال قدوة	٦٢٢
● من هذه القدوة انتشر الإسلام	٦٢٣
● الرسول نبه المربين في إعطائهم القدوة	٦٢٥

الموضـــوع	الصفحة

● نماذج من رحمة الرسول بالاطفال ٦٢٧
● أهمية القدوة الصالحة في التربية ٦٢٩
● ربط الولد بكل من كان صاحب قدوة ٦٣٠
● التركيز على اصلاح الولد الأكبر ٦٣٢
● استنكار الاسلام لمن يخالف فعله قوله ٦٣٢

٢ – **التربية بالعادة :** ٦٣٥
– عامل التربية وعامل البيئة ٦٣٥
– اهتمام السلف في انتقاء المربين لأولادهم ٦٣٧
– الرد على من يزعم أن الشر كامن في الإنسان ٦٣٨
● **منهج الاسلام في اصلاح الكبار :** ٦٤١
١ – الربط بالعقيدة ٦٤١
٢ – التعرية للشر ٦٤٣
٣ – التغيير للبيئة ٦٤٥
● **منهج الإسلام في اصلاح الصغار :** ٦٤٧
١ – التلقين ٦٤٨
٢ – التعويد ٦٤٩
٣ – أهمية التلقين والتعويد في التربية ٦٥٠
– **التربية بالموعظة :** ٦٥٣
● **طريقة القرآن في أساليب الموعظة :** ٦٥٣
١ – النداء الاقناعي ٦٥٦
٢ – الأسلوب القصصي مصحوباً بالعبرة ٦٦٠
٣ – التوجيه القرآني مصحوباً بالوصايا ٦٦٣
٤ – تفريعات للتوجيه القرآني ٦٦٥
● توجيهات الرسول في الموعظة والنصيحة ٦٦٨
● **منهج الرسول في إلقاء الموعظة :** ٦٦٩
(أ) انتهاج أسلوب القصة ٦٦٩
(ب) انتهاج اسلوب الحوار ٦٧٧

الموضــــوع | الصفحة

(ج) بدء الموعظة بالقسم بالله تعالى ٦٧٨
(د) دمج الموعظة بالمداعبة ٦٧٩
(هـ) الاقتصاد بالموعظة مخافة السآمة ٦٧٩
(و) الهيمنة بالتأثير الوعظي ٦٧٩
(ز) الموعظة بضرب المثل ٦٨١
(ح) الموعظة بالتمثيل باليد ٦٨١
(ط) الموعظة بالرسم والايضاح ٦٨٢
(ي) الموعظة بالفعل التطبيقي ٦٨٣
(ك) الموعظة بانتهاز المناسبة ٦٨٤
(ل) الموعظة بالالتفاف الى الأهم ٦٨٥
(م) الموعظة باظهار المحرم ٦٨٥
● واخيرا أخي المربي ٦٨٧

٤ – التربية بالملاحظة : ٦٩١
● النصوص التي تدل على الملاحظة ٦٩١
● الملاحظة تشمل جميع الجوانب : ٦٩٨
– ملاحظة الجانب الايماني ٦٩٨
– ملاحظة الجانب الأخلاقي ٦٩٩
– ملاحظة الجانب العلمي ٧٠١
– ملاحظة الجانب الجسمي ٧٠٣
– ملاحظة الجانب النفسي ٧٠٤
– ملاحظة الجانب الاجتماعي ٧٠٦
– ملاحظة الجانب الروحي ٧٠٧

٥ – التربية بالعقوبة : ٧١٣
● عقوبة الحدود ٧١٣
● عقوبة التعزيرات ٧١٦
● الحكمة من هذه العقوبات ٧١٦

الموضـــوع | الصفحة

● **الطريقة الاسلامية في عقوبة الولد :** ٧١٩
١ – معاملة الولد باللين هي الأصل ٧١٩
٢ – مراعاة طبيعة الطفل المخطىء ٧٢٠
٣ – التدرج في المعالجة من الأخف الى الأشد ٧٢١
● **الطرق التي فتحها الإسلام في المعالجة :** ٧٢٢
١ – الارشاد الى الخطأ بالتوجيه ٧٢٢
٢ – الارشاد الى الخطأ بالملاطفة ٧٢٢
٣ – الارشاد الى الخطأ بالاشارة ٧٢٣
٤ – الارشاد الى الخطأ بالتوبيخ ٧٢٣
٥ – الارشاد الى الخطأ بالارشاد ٧٢٤
٦ – الارشاد الى الخطأ بالضرب ٧٢٤
٧ – الارشاد الى الخطأ بالعقوبة الواعظة ٧٢٥
● الانبساط والتلطف بعد إيقاع العقوبة ٧٢٦
● الشروط الشرعية في عقوبة الضرب ٧٢٧
● تعميق العقوبة التخويفية والترهيبية ٧٣٠
● وأخيرا أخي المربي ٧٣٢

الفصـــل الثانـــي) *

القواعد الأساسية في تربية الولد ٧٣٥
صفات المربي الأساسية : ٧٣٧
١ – الإخلاص ٧٣٧
٢ – التقوى ٧٣٨
٣ – العلم ٧٤٠
٤ – الحلم ٧٤٢
٥ – الاستشعار بالمسؤولية ٧٤٤
مخططات التآمر : ٧٤٦
(أ) مخططات الشيوعية ٧٤٦
(ب) مخططات الصليبية ٧٥٢
(ج) مخططات اليهودية والماسونية ٧٥٨
(د) المخططات الاستعمارية ٧٦٣

الموضـــوع | الصفحة

القواعد الأساسية :
١ – **قاعدة الربط** ٧٦٩
أولا – **الربط الاعتقادي** ٧٧٠
ثانياً : **الربط الروحي** : ٧٧١
(أ) ربط الولد بالعبادة ٧٧١
(ب) ربط الولد بالقرآن الكريم ٧٧٢
(ج) ربط الولد ببيوت الله ٧٧٣
(د) ربط الولد بذكر الله ٧٧٦
(هـ) ربط الولد بالنوافل ٧٨٠
(و) ربط الولد بمراقبة الله تعالى ٧٨٥

ثالثا – **الربط الفكري** ٧٨٧
- حقائق في توعية الأولاد فكريا ٧٨٨
- واجبات المربين في تلقين هذه الحقائق ٧٩٢
- تهيئة المكتبة الفكرية للأولاد ٧٩٢
- وسائل في ربط الولد فكريا ٧٩٣

رابعاً – **الربط الاجتماعي** ٧٩٥
١ – **ربط الولد بالمرشد الرباني** ٧٩٧
– التحذير من أدعياء الارشاد ٧٩٧
– من هم المرشدون الربانيون ؟ ٧٩٨
– ما يقوله كبار العلماء عن المرشدين الربانيين ٧٩٩
– مواقف خالدة كان يقفها المرشدون الربانيون ٨٠٦
– واجب المربي في ربط الولد بالمرشد الرباني ٨٠٧

٢ – **ربط الولد بالصحبة الصالحة** ٨٠٩
– صحبة البيت ٨١٠

الموضـــوع	الصفحة

- صحبة الحي ٨١٢
- صحبة المسجد ٨١٣
- صحبة المدرسة أو المعمل ٨١٤
● تحذير الاسلام من قرناء السوء ٨١٨

٣ – ربط الولد بالدعوة والداعية : ٨١٩
المراحل في تهيئة الولد دعوياً : ٨٢٠
١ – التهيئة النفسية ٨٢٠
٢ – ضرب الأمثال : ٨٢١
– ضرب للمثل يزيل عن النفس يأسها ٨٢١
– ضرب للمثل يؤخذ من قدوة ٨٢٢
٣ – إظهار فضيلة الدعوة الى الله ٨٢٤
٤ – بيان الأصول المتبعة في تبليغ الدعوة ٨٢٥
٥ – من التوجيه الى التطبيق ٨٢٧
رابعاً – **الربط الرياضي** ٨٣١
● حض الاسلام على التربية الرياضية والعسكرية ٨٣١
● **المنهج الرياضي وحدوده :** ....
١ – إيجاد التوازن ٨٣٤
٢ – مراعاة حدود الله ٨٣٤
٣ – تحرير النية الصالحة ٨٣٦

٢ – قاعدة التحذير :
● القرآن والسنة يهتمان بالتحذير من الشر ٨٣٩
أولا – **التحذير من الردة** ٨٤٢
● من مظاهر الارتداد ٨٤٢
● تحذير الرسول من زمن الردة ٨٤٩
ثانياً – **التحذير من الالحاد** ٨٥٠
● للالحاد أساليب متنوعة ٨٥٠
● الالحاد أعظم خطرا من الردة ٨٥٢

الموضـــوع	الصفحة

- حكم الإسلام فى المرتد والملحد ٨٥٣
- أمثلة من التاريخ في محاربة الملحدين للإسلام ٨٥٤

ثالثا – **التحذير من اللهو المحرم** ٨٥٦

أصناف اللهو المحرم :

١ – اللعب بالنَّرد ٨٥٦

٢ – الاستعماع الى الغناء والموسيقي ٨٥٧

٣ – رؤية السينما والمسرح والتليفزيون ٨٦١

- حكم الإسلام فيها ٨٦١
- مخططات اليهود في إفساد المجتمعات ٨٦١
- هل يجوز دخول السينما والمسرح ..؟ ٨٦٤
- هل يجوز شراء التليفزيون ؟ ٨٦٥

٤ – اللعب بالميسر ٨٦٧

- دليل التحريم وحكمته ٨٦٧
- الوان من القمار المحرم ٨٦٨
- **ألوان شرعها الاسلام من اللهو الحلال :** ٨٧٠

(أ) مسابقة العدو ٨٧٠

(ب) المصارعة ٨٧١

(ج) اللعب بالسهام ٨٧١

(د) اللعب بالحراب ٨٧٢

(هـ) العاب الفروسية ٨٧٢

(و) الصيد ٨٧٣

(ز) اللعب بالشطرنج ٨٧٤

رابعاً – **التحذير من التقليد الأعمى** ٨٧٦

- أخطار التقليد ٨٧٦
- النصوص التي تنهى عن التقليد ٨٧٨

الموضـــوع	الصفحة
● من مظاهر التقليد في نسائنا	٨٧٩
● من مظاهر التقليد في شبابنا	٨٧٩
خامساً – **التحذير من فقة السوء**	٨٨١
سادساً – **التحذير من مفاسد الأخلاق**	٨٨١
سابعاً – **التحذير من الحرام**	٨٨٣
● التحذير من حق الله تعالى	٨٨٤
● **أهم هذه المحرمات :**	٨٨٥
(أ) **الحرام في الأطعمة والأشربة :**	٨٨٥
١ – تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير	٨٨٥
٢ – تحريم الحُمرَ وسباع البهائم والطيور	٨٨٥
٣ – تحريم ما ذبح على غير الطريقة الشرعية	٨٨٨
● شروط الذكاة الشرعية	٨٨٩
٤ – تحريم الخمر والمخدرات	٨٩١
● استعمال الخمر كدواء	٨٩٣
(ب) **الحرام في الملبس والزينة والمظهر :**	٨٩٤
● عناية الاسلام بالمظهر والنظافة	٨٩٤
١ – تحريم الذهب والحرير على الرجال	٨٩٥
٢ – تحريم تشبه الرجل بالمرأة	٨٩٧
٣ – تحريم لباس ثبات الشهرة	٨٩٧
٤ – تحريم تغيير خلق الله	٨٩٨
٥ – تحريم حلق اللحية	٨٩٨
٦ – تحريم آنية الذهب والفضة	٩٠٠
٧ – تحريم الصور والتماثيل	٩٠٠
● ما يستثني ويرخص من الصور والتماثيل	٩٠١
(ج) **الحرام في المعتقدات الجاهلية**	٩٠٣
١ – تصديق الكهان	٩٠٤

الموضـــوع | الصفحة

٢ – الاستقسام بالألازم ٩٠٤
٣ – السخر ٩٠٥
٤ – تعليق التمائم ٩٠٥
٥ – التطيرّ (التشاؤم) ٩٠٦

(د) الحرام في التكسّب : ٩٠٧
١ – بيع الأشياء المحرمة ٩٠٨
٢ – بيع الغرَرَ ٩٠٨
٣ – البيع بالغبن ٩٠٨
٤ – البيع بالاحتكار ٩٠٩
٥ – البيع عن طريق الغش ٩١٠
٦ – البيع عن طريق السرقة والاغتصاب ٩١١
٧ – التكسب عن طريق الربا والميسر ٩١١
● طرق فتحها الاسلام للتخلص من الربا ٩١٣

(هـ) الحرام في التقاليد الجاهلية : ٩١٣
١ – الانتصار للعصبية ٩١٤
٢ –التفاخر بالنسب ٩١٤
٣ – النياحة على الموتى ٩١٥
● محاذير العزاء ٩١٦
٤ – عادات أخرى حرمها الإسلام : ٩١٧
– منكرات الأعراس ٩١٧
– انتساب الولد إلى غير أبيه ٩١٨
– أكل مهر البنت وحرمانها من الميراث ٩١٩
● تلخيص قاعدتي الربط والتحذير ٩٢٢

(الفصـــل الثالث)
اقتراحات تربوية لابد منها ٩٢٥
١ – تشويق الولد إلى أشرف الكسب ٩٢٦

الموضـــوع	الصفحة

● الأنبياء كانوا يزاولون الأعمال الحرة ٩٢٦
● حض الإسلام على الكسب ٩٢٧
● ما قاله السلف في البطالة ٩٢٨
● التمييز ما بين صنفين من الأولاد ٩٣٠
● المرأة والعمل ٩٣٠

٢ – مراعاة استعداد الولد الفطرية ٩٣١
● الرسول أمر إنزال الناس منازلهم ٩٣١
● آراء علماء التربية الاسلاميين في هذه المراعاة ٩٣١
● على المربي أن لا يحول بين رغبة الولد ٩٣٣

٣ – ترك المجال للولد في اللعب والترويح ٩٣٤
● الاسلام عامل الناس على أنهم بشر ٩٣٤
● نماذج من ملاعبة الرسول للأولاد ٩٣٦
● حض علماء التربية على اللعب ٩٣٧

٤ – إيجاد التعاون بين البيت والمسجد والمدرسة ٩٣٨
● مسؤولية البيت ٩٣٨
● رسالة المسجد ٩٣٩
● مهمة المدرسة ٩٣٩
● شروط التعاون ٩٤٠
● حقائق على المربين أن يعرفوها ٩٤٠

٥ – تقوية الصله بين المربي والولد ٩٤٢
● الوسائل الايجابية في تقوية الصلة ٩٤٢
● الرسول كان قدوة في تطبيق هذه الرسائل ٩٤٣
● **حب الصحابة للرسول :** ٩٤٥
– **لا صبر لهم على مفارقته** ٩٤٥
– **بكاؤهم عند ذكره** ٩٤٦
– **ضجيج الصحابة وبكاؤهم لوفاته** ٩٤٦

الموضـــوع	الصفحة

٦ – السير على منهج تربوي في اليوم والليلة ٩٤٨

(أ) عند الصباح :

● دعاء الاستيقاظ ٩٤٨

● آداب الخلاء ٩٤٨

● فضل الوضوء وآدابة ٩٥٠

● صلاة التهجد ٩٥١

● صلاة الفجر في المسجد ٩٥٢

● أذكار الصباح ٩٥٤

● تلاوة ما تيسر من القرآن ٩٥٥

● تدريبات رياضية ٩٥٦

● مطالعة ثقافية ٩٥٧

● صلاة الضحى ٩٥٧

● طعام الفطور ٩٥٨

● أدب الخروج من المنزل ٩٥٨

● التزام آداب الطريق ٩٥٨

● أداء حق الرفيق ٩٦٠

● أداء حق المعلم ٩٦٠

(ب) عند المساء :

● الصلاة في مسجد الحيّ . ٩٦٠

● أداء واجباتهم المدرسية ٩٦٢

● تلقين الولد مأثرة ٩٦٤

● **كمأثرة الاسراء والمعراج :** ٩٦٤

– معنى الاسراء والمعراج ٩٦٥

– المشاهد التي رآها ٩٦٥

– صلة المسجد الحرام بالمسجد الأقصى ٩٦٦

– واجب المسلمين تجاه فلسطين ٩٦٨

● إدخال المرح في جو الأسرة ٩٧٠

● الحرص على النوم باكرا ٩٧٠

الموضـــوع | الصفحة

● قراءة الأدعية عند النوم ٩٧٢
● ملاحظات على تطبيق المنهج ٩٧٤

٧ – **تهيئة الوسائل الثقافية النافعة** ٩٧٦
● تكوين مكتبة خاصة بالولد ٩٧٦
● نماذج من الكتب الخاصة بالأولاد ٩٧٦
● الاشتراك بالمجلة ٩٨١
● الاستعانة بالفانوس السحري ٩٨٢
● الاستعانة بوسائل الايضاح ٩٨٣
● زيارة المتاحف والآثار ٩٨٤
● زيارة المكتبات العامة ٩٨٤

٨ – **تشويق الولد الى المطالعة الدائمة** ٩٨٥
● الطريق الأقوم الى المطالعة الواعية ٩٨٦
● الوسائل المجدية للوصول الى الثمرة ٩٨٩
٩ – **استشعار الولد بمسؤولية الاسلام** ٩٩٠
● تلقين الولد الحقائق التالية : ٩٩٠
– الصحابة كانوا شباباً ٩٩٠
– لم يصلوا إلى العزة إلا بشيئين : ....
١ – التزامهم الإسلام عقيدة وعملا ٩٩١
٢ – حملهم رسالة الاسلام الى الدنيا ٩٩٢
– على جيل اليوم أن ينهجوا نهجهم ٩٩٢
– لا ينفذ العالم الا الأسلام ٩٩٣

١٠ – **تعميق روح الجهاد في نفسية الولد** ٩٩٥
● الوسائل المجدية في تعميق روح الجهاد : ٩٩٥
– تحقيق العزة لا يكون إلا بالجهاد ٩٩٦
– الجهاد أنواع ٩٩٦
– تذكير الولد بالمواقف البطولية ٩٩٨

الموضـــوع	الصفحة

- تحفيظ الولد سور الجهاد ١٠٠٠
- تعميق عقيدة القضاء والقدر ١٠٠٠
● خاتمة المطاف ١٠٠٣
● المصادر والمراجع ١٠٠٦
● الفهرس ١٠٠٩
● التعريف بالمؤلف وآثاره ١٠٢٤

★ ★ ★

تم الكتاب بفضل الله وحسن توفيقه

تمت الطبعة التاسعة

بفضل الله وحسن توفيقه

رقم الايداع ٧٤٩٧ / ٨٥